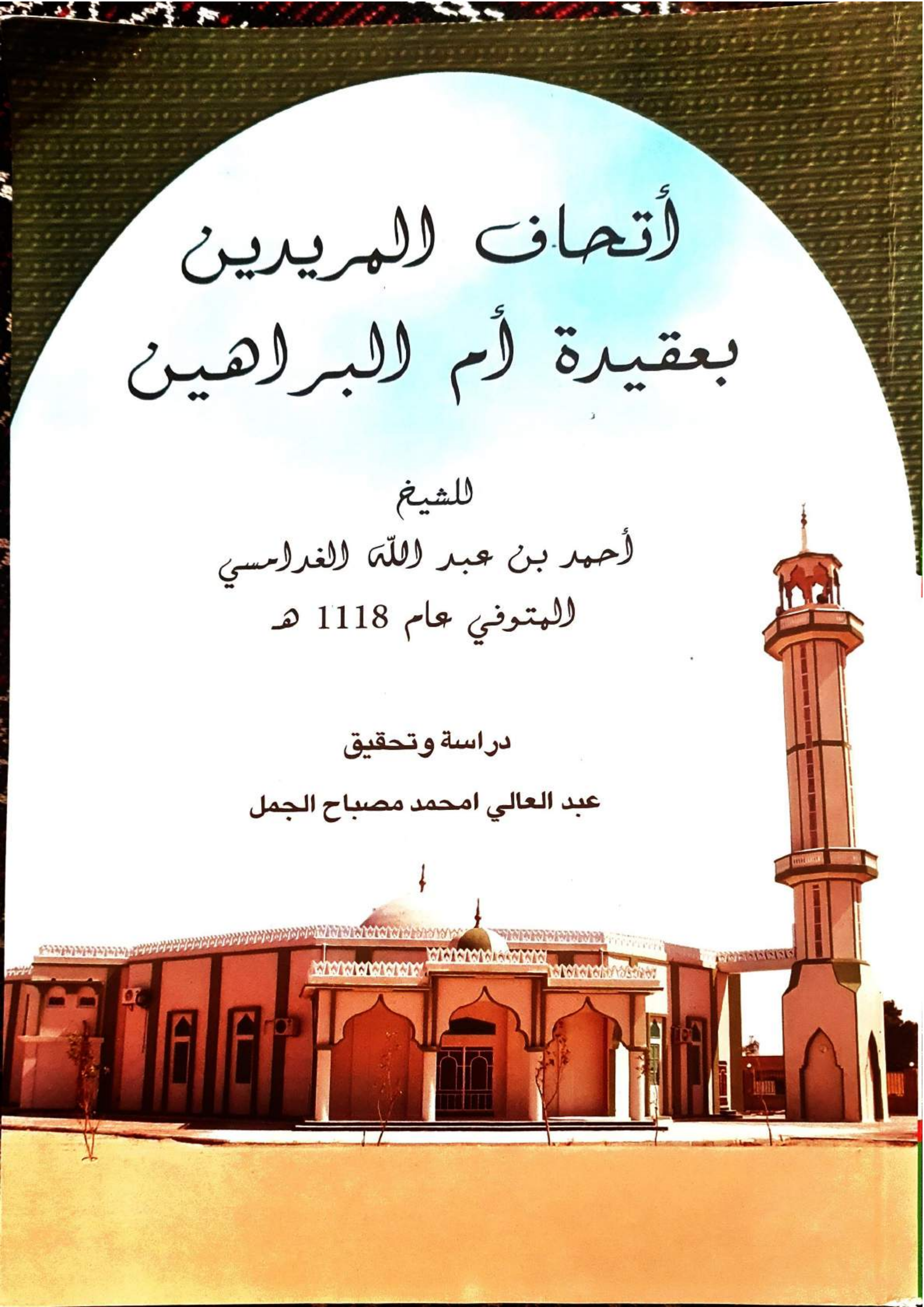


أتحاف المريدين بعقيدة أم البراهين

للشيخ

أحمد بن عبد الله الغدامسي

المتوفي عام 1118 هـ

دراسة وتحقيق

عبد العالي امحمد مصباح الجمل

إتحاف المريدين بعقيدة أم البراهين

للشيخ أحمد بن عبد الله الغدامسي
المتوفى عام 1118 هـ

دراسة وتحقيق
عبد العالي امحمد مصباح الجمل

الناشر : الهيئة العامة للأوقاف وشؤون الزكاة

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

الموافقات الخاصة بكتاب

إتحاف المريدين بعقيدة أم البراهين

للشيخ أحمد بن عبد الله الغدامسي

دراسة وتحقيق : عبد العالي امحمد مصباح الجمل

الناشر : الهيئة العامة للأوقاف وشؤون الزكاة

الرقم الدولي الموحد:

ردمك 2 – 009 – 58 – 9959 – 978 ISBN

رقم الإيداع : 752 – 2008 ف

دار الكتب الوطنية – بنغازي

الطبعة الأولي – 2008 ف



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ
وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن
ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾

صَدَقَ الله الْعَظِيم

سورَةِ النحل مِن الآيَة (125)

الإهـــــداء

إلى كل الحريصين على صفاء هذه العقيدة ونقائها

المستمسكين بها والمدافعين عنها

أهدي هذا العمل

المحقِّق

الشكر والتقدير

قال الله تعالى : ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾

أرى لزامًا عليّ أن أتقدم بجزيل شكري وعرفاني للأستاذ الدكتور عبد الله النقراط ، الذي كان لتوجيهه ورعايته وإمداده الأثر الطيب في إنجاز هذا العمل .

كما لا يفوتني أن أشكر كلاً من الدكتور الهادي زبيدة ، والدكتور محمد زبيدة ، والأستاذ بشير تخيخ على ما قدموه لي من معونة وأعود بالشكر للأخوة في مكتبات كل من مركز جهاد الليبيين ، وجمعية الدعوة الإسلامية ، ومكتبة الأزهر بمصر ، ودار الكتب الوطنية بتونس ، والأستاذ علي أبو رأس ، والأستاذ مختار بن يونس ، كما أنوه بجهود كل الذين ساهموا في هذا العمل بإخلاص ، جزى الله الجميع خير الجزاء .

عبد العالي امحمد الجمل

مقدمة التحقيق

الحمد لله على تمام نعمته ، وتوفيقه وهدايته ، فقد أكمل الدين ، وأقامه بالبراهين ، فتقررت بذلك عقيدة الإسلام ، وانتشرت بين الأنام ـ والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين ، ورسول الله إلى الناس أجمعين ـ .

أما بعد ، فإن مكتبات العالم مليئة بالمخطوطات الإسلامية في كل فروع العلم ، وهي كنوز ثمينة ، أُخرج بعضها وطبع واستفيد منه ، ولا زال بعضها الآخر في أدراجه ورفوفه ينتظر من يبعثه من رقاده الطويل . وقد حدثت نهضة مباركة حفزت الكثيرين على النهوض بعبء إحياء جانب من هذا التراث النفيس .

ولما كان علم العقيدة من أجلّ هذه العلوم قدراً ، وأرفعها ذكراً ، إذ به يعرف الخالق من المخلوق ، والربّ من المربوب ، وهو الأساس الذي يقوم عليه الدين ، والسيف المسلط على الزنادقة والملحدين ، الذين يَظْهرون في كل عصر بشبه مضللة ، وآراء فاسدة ، يرومون بها هدم الدين و إفساده .

وقد قام علماء الإسلام بالتصدي لهؤلاء المشكّكين والمثبطين ونافحوا عن الدين ، وبينوا صحيح العقيدة وأوضحوها ، وردوا الشبه ودحضوها ، فكفى الله بهم الأمة ، وأزال عنها بهم الغمة .

ومن بين هؤلاء العلماء الشيخ محمد بن يوسف السنوسي المتوفي سنة 895هـ الذى كان سنياً أشعرياً ، منافحاً عن هذا الفكر ، فقد تولى حفظ الفكر الأشعري ، وتولى تنقيته من البحوث الفلسفية التي لا حاجة بها[1] . معتمداً على النص الشرعي وتقديمه على العقل ، وألف في ذلك عقائده المشهورة بين أهل العلم ، وكان من

(1) شرح المقدمات بتحقيق الأستاذ فتحي أحمد عبد الرازق ـ ص أ .

أكثرها شهرة عقيدته الصغرى المسماة (بأم البراهين) حتى إنها صارت هي المقصودة إن عزي إلى عقيدة السنوسي، أو السنوسية .

وقد تناولها العلماء بالشرح والدراسة في مشرق العالم الإسلامي ومغربه .

ومن بين من تصدوا لشرحها الشيخ أحمد بن عبد الله بن أبي بكر بن أبي القاسم الغدامسي، في كتاب سماه «إتحاف المريدين بعقيدة أم البراهين»، والحقيقة أنى لم أكن أعلم عنه ولا عن مؤلفه شيئاً حتى أفادني به الأخ الفاضل الدكتور محمد حامد اليعقوبي، وعرض عليّ تحقيقه .

وبعد استعراضه وجدتني مائلاً إلى ذلك برغبة شديدة، وأحسست أن من واجبي أن يكون لي مشاركة في هذا المجال العقدي، فعزمت على تحقيقه وإخراجه من وحدته ليكون أنيسًا لكل دارس وباحث .

والكتاب جدير بالظهور والقراءة والاصطحاب لعدة اعتبارات :

أولاً ـ الاهتمام بعلم العقيدة ؛ لأن العقيدة هي الأساس الذي تبنى عليه أحكام الشريعة، فإذا صحت العقيدة كان لإجراء الأحكام الشرعية مكان . وإذا فسدت العقيدة فسد سائر العمل .

ثانيًا ـ الإسهام في إحياء التراث الإسلامي، وإخراجه للنور حتى ينتفع به أبناء الإسلام، ويتحقق بذلك الغرض الذي من أجله كتب .

ثالثًا ـ التعريف بهذا التراث الخالد، وبعلمائنا الأجلاء الذين أهملتهم كتب التراجم .

رابعًا ـ خدمة المكتبة الإسلامية التي هي في حاجة إلى مثل هذه الكنوز المخبأة .

خامسًا ـ ومما زاد في رغبتي أن هذا عالم ليبي، رحل للعلم، ولقى شيوخه، وأخذ عن علماء الأزهر، والزيتونة، وتمبكتو، والحرمين فينبغي لهذا الجهد أن يذكر، ولا ينكر . وقد ضمنت دراستي هذه مقدمة، وقسمين وخاتمة :

أما المقدمة فتحدثت فيها عن أهمية الموضوع وأسباب اختيار هذا الكتاب ، وخطة البحث . وأما **القسم الأول** وهو قسم الدراسة فجعلته في ثلاثة فصول :

الفصل الأول : خصصته للحديث عن الشيخين : السنوسي صاحب « أم البراهين » ، والغدامسي صاحب « إتحاف المريدين بعقيدة أم البراهين » ، وفيه تكلمت عن حياة الشيخ السنوسي ، وآثاره ؛ ومكانته العلمية .

وعن الشيخ الغدامسي فذكرت عصره ، وبيئته واسمه ، ونسبه ، وميلاده ، ونشأته ، وصفاته والمصادر التي ترجمت له ، وشيوخه ، وتلاميذه ومؤلفاته ، وأشعاره ، ورحلاته ، ووفاته .

الفصل الثاني : وفيه تكلمت عن أهمية علم العقيدة ، وعن اسم الكتاب ، ونسبته للمؤلف ، وتاريخ تأليفه وقيمته العلمية ، وأسلوبه ومصادره التي اعتمد عليها ، ومنهجه فيه ، والمآخذ عليه .

الفصل الثالث : وجعلته لوصف النسخ ومنهج التحقيق فتكلمت فيه عن النسخ التي اعتمدت عليها في التحقيق ووصفتها وصفاً دقيقاً ، وتكلمت عن منهج التحقيق وأتبعت ذلك بإجازة علمية للشيخ الغدامسي ، رأيت أنه من الفائدة إلحاقها بالقسم الدراسي .

وأما **القسم الثاني** ، وهو قسم التحقيق فقد قدمت فيه الكتاب كاملاً محققاً حسب منهج التحقيق ، وأما الخاتمة فذكرت فيها نتائج البحث والتوصيات وألحقت بهذا البحث فهارس فنية للآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأشعار ، والمفردات اللغوية ، والأعلام ، والكتب الواردة في النص ، والمصادر ، والمراجع ، والموضوعات .

وإنني بهذا العمل أرجو أن أكون قدمت خدمة لعلم العقيدة ، وأفدت المكتبة بعمل جديد ، يوقف فيه على جهود علمائنا في فترة من تاريخنا ـ والله من وراء القصد ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

القسم الأول : الجانب الدراسي

الفصل الأول :

عن السنوسي والشيخ الغدامسي

المبحث الأول : الشيخ السنوسي
حياته وآثاره ومكانته العلمية

بداية أود أن أشير إلى أن الحديث عن الشيخ السنوسي سيكون مختصراً وذلك لأن ترجمته معلومة مكررة في كتب التراجم وغيرها ؛ ولأن الشيخ الغدامسي قد ترجم له :

أولا ـ حياته :

(1) اسمه ونسبه :

هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب شهِر بالسنوسي نسبة إلى بني سنوس قبيلته التي ينتمي إليها[1]، وغلبت هذه النسبة على أنسابه الأخرى ، بل وعلى اسمه . التلمساني : نسبة إلى تلمسان : وهي مدينة مشهورة من أعمال وهران بالجزائر ، وهي كلمة مأخوذة من البربرية « تلمس » ومعناها : نبع أو بئر ، ومن ثم كان معناها : مدينة الينابيع[2] .

الحسني : نسبة للحسن بن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ من جهة أم أبيه ، قاله الملالي[3] .

ولم تذكر المصادر شيئاً عن أسرته سوى أن الشيخ تتلمذ على والده الشيخ يوسف الذى كان يحترف تعليم القرآن الكريم للأولاد في الكُتاب ، ووصف بأنه كان رجلاً ورعًا زاهداً في الدنيا معرضاً عنها مقبلاً على الطاعة سليم الصدر حسن الخلق[4] .

---

(1) ينظر نيل الابتهاج ، ص 563 .

(2) ينظر : شرح المقدمات بتحقيق الأستاذ فتحي أحمد عبد الرازق ، ص 16 .

(3) ينظر : مختصر الملاَلي للشيخ أحمد باب ورقة 2 ب مخ بمركز جهاد الليبيين تحت رقم : 1282ع/ 922خ.

(4) المصدر نفسه .

(2) ميلاده ونشأته :

ذكرتْ معظم المصادر التي ترجمت للشيخ السنوسي أن مولده كان بعد سنة 830هـ وحددها بعضهم بأنها سنة 832هـ . لكن كما قال الأستاذ فتحي أحمد عبد الرازق : « لا نستطيع الحسم بتحديد تاريخ مولد الشيخ ، ولا نستطيع استبعاد أقوال الملاّلي ـ لاضطرابه ـ لأنه المصدر الوحيد عن الشيخ ، فالأولى اتباع التمبكتي في روايته عن الملالي أنه ولد بعد سنة 830هـ لقرب عهد التمبكتي بالشيخ ، واختياره لهذا التاريخ يعد توثيقاً له »[1] ، وقد نشأ في بيت والد صالح ، وَهَب وقته لصالح أبناء المسلمين يعلمهم القرآن الكريم ومبادئ الدين ، وقد انتفع بهذه البيئة ، فنراه يحفّظ القرآن الكريم ، ويدرّس العلوم الشرعية فيتقنها إلى درجة أنه ألف شرحه الكبير المسمى « المقرب المستوفي على الحوفي » كثير العلم ، ألفه وهو ابن تسعة عشر عامًا ، وتعجب منه شيخه الحسن أبركان ، وأمره بإخفائه حتى يكمل سنه ثلاثين لئلا تأخذه العين[2] .

لقد نشأ بين أهل العلم والصلاح فكان منهم ، تواضع لله فرفعه ، وأعلى ذكره .

ثانيا ـ صفاته

كان الشيخ السنوسي رجل علم ، وخلق ، ودين ، يسير بسيرة السلف الصالح ، عاملًا بقول الله تعالى : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ ﴾[3] ، فكان رقيق القلب حليمًا رحيمًا ، صبورًا على الأذى .

ومن آثار هذه الصفات أنه إذا سلم عليه أحد وصافحه لا يترك الشخص حتى يكون ذلك هو التارك ، ومنها أنه يمشي برفق وحذر ، خوف أن يطأ برجله حشرة أو دابة من

---

(1) شرح المقدمات بتحقيق فتحي أحمد عبد الرازق ، ص 21 .

(2) نيل الابتهاج ، ص 571 .

(3) سورة الأحزاب ، آية 21 .

الأرض ، ومنها : أنه لا يمتنع من أحد طلب منه خدمة ولو كلفته جهدًا ووقتًا كثيرًا .

يعجبه من العلماء من كان لبقًا حليمًا عاملًا بقول الله تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾(1) ، يسوق حكاية يعظ فيها أحدُ العلماء أميرَ وقته برفق ولين ، ويعقب على ذلك بقوله : « فانظر ما أحسن وعظ هذا الولي ، وما انطوى عليه موجز كلامه ... بأخصر عبارة ، وألين إشارة بسهولة ولطافة بلا صولة ولا نهر أصلًا ، فهكذا شأن العلماء العارفين ، يسوقون الخلق إلى الله ـ تعالى ـ بعبارات لطيفة سهلة بلا عنف ولا صلابة عبارة ، فانتفع الخلق بهم انتفاعًا عظيمًا ، بخلاف صاحب العلم اللساني ... »(2) ، فالشيخ مرب فاضل يتسم بالحلم والأدب قولاً وعملاً . ومن كلامه في التربية منتقدًا أسلوب بعض المؤدبين للصبيان : « كثير من المؤدبين بلا رحمة ولا شفقة فيهم للأولاد ـ والعياذ بالله ـ فتجده إذا رأى شيئًا من الصبيان كأنه مجنون لسوء خلقه ، وقساوة قلبه ، فيضربهم ضربًا عنيفًا ، ولا يبالي في أي موضع ضرب ، وربما يغاضب امرأته فيرد غضبه على الأولاد ، فتجده كالمجنون أو الحرسي الذي يقيم الحدود ، يضربهم بأي آلة .

فهذا وأمثاله لا يجيء من قبله شيء من القراءة للأولاد ولا ينفعهم الله بشيء مما قرأوا على هذا المؤدب الخبيث ؛ لأنه يعتقد بجهله أن بالضرب يقع الزجر والتعليم ، ولولا هو ما حفظوا ، فيصير لاعتقاد المعتزلة في نسبة التأثير لغير المولى ـ تبارك وتعالى ـ .

فكيف ينتفع الصبيان به ؟ بل الغالب على شأن هذا أن تأديبه لا يزيد إلا شرًا »(3) ، وحاصل القول في صفاته أنه كان عالمًا عاملًا بعلمه إذا تحدث في علم ظن سامعه أنه لا

---

(1) سورة الأعراف ، آية 199 .

(2) مختصر الملالي للشيخ أحمد بابا ورقة 20 مخ .

(3) نفس المصدر ورقة 25 .

يحسن غيره ، وأنه عابد لا يفتر لسانه عن ذكر الله ، محافظ على الرواتب والسنن ، يحيي الليل بأنواع الطاعات ، يعتبر بما يرى ، وقد يبكي لمشاهدة بعض المواقف أو الآثار ، وأنه متورع عن قرب السلاطين ، لا يحب أن يراهم أو يجلس إليهم ، وأنه مرب ينتفع به من عاشره ، أو رافقه ، وأنه سخي كريم يحب الصدقة ، ويأمر أهله بها مواساة للناس في حال الضيق ، ليس للدنيا في قلبه مكان ، وإن كان شيء منها في يده .

قال التمبكتي نقلا عن الملالي : « باطنه حقائق التوحيد ، وظاهره زهد وتجريد ، وكلامه هداية لكل مريد ، كثير الخوف ، طويل الحزن ، يسمع لصدره أنين من شدة خوفه ، مستغرق في الذكر فلا يشعر بمن معه ، مع تواضع وحسن خلق ، ورقة قلب ، رحيم ، مبتسم في وجه من لقيه من إقبال وحسن كلام ، يتزاحم الأطفال على تقبيل أطرافه ، لين ، هين حتى في مشيه ، ما ترى أحسن خلقا ، ولا أوسع صدرا ، وأكرم نفسا ، وأعطف قلبا ، وأحفظ عهدا منه .

يوقر الكبير ، ويقف مع الصغير ، ويتواضع للضعفاء ، معظم جانب النبوة غاية التعظيم ، لا يعارضه أحد إلا أفحمه .

جمع له العلم والعمل ، والولاية إلى النهاية ، مع شفقته على الخلق وقضاء حوائجهم عند السلطان ، والصبر على إذايتهم ، وضع له من القبول والهيبة والإجلال في القلوب ما لم ينله غيره من علماء عصره وزهاده »[1] .

ثالثا ـ شيوخه ومصادره

(1) شيوخه :

أخذ الشيخ السنوسي العلم عن جلة من الشيوخ الأفاضل المشهورين بالعلم

---

(1) نيل الابتهاج ، ص 565 .

والتقوى فاستفاد من صحبتهم والجلوس إليهم حتى صار له من ذلك نصيب كبير .

1- أولهم والده الشيخ الصالح المبارك الزاهد العابد الأستاذ المحقق سيدي يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي ، وكان رجلاً ورعاً ، زاهدًا في الدنيا معرضا عنها مقبلاً على الطاعة سليم الصدر حسن الخلق ، حسن العشرة ، كريم الطبع ، له العديد من الكرامات[1] .

2- نصر الزواوي ، وكان عالمًا من الصلحاء الزهاد العباد ، أخذ عن الإمام ابن مرزوق ، وأخذ عنه السنوسي كثيرًا من العربية ولازمه ، توفي بالقدس سنة 826هـ ودفن بها[2] .

3- يوسف بن أحمد بن محمد الشريف الحسني ، قرأ عليه السنوسي القرآن بالقراءات السبع ، وأجازه فيها وبكل مروياته[3] .

4- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي المشهور بالجلاب ، أخذ عنه الشيخ السنوسي ، وختم عليه المدونة مرتين ، له فتاوى في المازونية ، والمعيار ، توفي سنة 875هـ[4] .

5- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى المبارك ، قرأ عليه الشيخ السنوسي كثيرًا من علم الاصطرلاب ، وشرح أرجوزته فيه المسماة : (بغية الطلاب في علم الاصطرلاب) ونقل عنه فيه أشياء مهمة[5] .

6- أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي شهر بابن العباسي قال

---

(1) مختصر الملالي للشيخ أحمد بابا مخ ورقة رقم : 2ب .

(2) معجم أعلام الجزائر ، ص167 .

(3) كفاية المحتاج ، ص 502 .

(4) مختصر الملالي - مخ 4 ، وكفاية المحتاج ص 435 .

(5) ينتظر مختصر الملالي مخ ورقة 4 ، والأعلام للزركلي 5/ 333 .

القلصادي : كان إمامًا مفتيًا ، وقال زروق : هو شيخ تلمسان في وقته أخذ عن محمد ابن مرزوق ، والعقباني ، له تآليف ، منها شرح لامية الأفعال ، وشرح جمل الخونجي ، والعروة الوثقى في تنزيه الأنبياء ، أخذ عنه السنوسي شيئًا من علم الأصول وجمل الخونجي . توفي رحمه الله بالطاعون سنة 871هـ[1] .

7- أبو الحسن علي بن محمد التالوتي ، وهو أخو الشيخ السنوسي لأمه ، أخذ عن الحسن أبركان ، والتازي ، كان حافظًا متقنًا محققًا قليل المثال . أخذ عنه جماعة منهم أخوه الشيخ السنوسي ، قرأ عليه الرسالة في صغره . توفي في صفر سنة 895هـ وهي نفس السنة التي توفي فيها الشيخ السنوسي[2] .

8- أبو علي الحسن بن مخلوف الراشدي شهر بأبركان رجل صالح مبارك ، ذو كرامات كثيرة .

كان الشيخ السنوسي يحضر مجلسه كثيرا وانتفع به وكان يقول : رأيت المشائخ والأولياء ، فما رأيت مثل سيدي الحسن أبركان ـ رحمه الله ـ كان لا يخاف في الله لومة لائم ، كان يحب الشيخ السنوسي ، ويدعو له فيقول : جعلك الله من الأئمة المتقين ، وقد حقق الله فراسته ودعوته . توفي ـ رحمه الله ـ آخر شوال سنة 857هـ[3] .

9- أبو القاسم الكنابشي البجاوي ، الإمام العالم الورع . قرأ عليه الشيخ السنوسي ، وأخوه الشيخ علي التالوتي الإرشاد لأبي المعالي . وأجازهما مروياته ، وكتبها بخطه[4] .

---

(1) ينظر : مختصر الملالي مخ ورقة رقم 4 ب ، وكفاية المحتاج ص 471 .

(2) ينظر : نيل الابتهاج ، ص 341 .

(3) ينظر : مختصر الملالي ورقة 6 ب ، وكفاية المحتاج ص 119 ، وشجرة النور الزكية ، ص 262 .

(4) ينظر : مختصر الملالي ، مخ ورقة رقم 7 ، وكفاية المحتاج ص 288 .

10- أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري ، الولي ، الصالح ، صاحب التصانيف المفيدة .

قال الشيخ زروق : شيخنا الفقيه الصالح ، والديانة عليه أغلب من العلم . من شيوخه : الشيخ المحدث عبد الواحد الغرياني ، وحافظ المغرب أبو القاسم العبدوسي .

له تآليف كثيرة منها : تفسيره : « الجواهر الحسان » وكتاب « الأنوار في معجزات النبي المختار » ، وغيرها كثير .

أخذ عنه جماعة كالشيخ ابن مرزوق الكفيف ، وعبد الكريم المغيلي ، وعلي التالوتي ، والشيخ السنوسي ، توفي سنة 875هـ[1] .

11- إبراهيم بن محمد بن علي التازي ، نزيل وهران أبو إسحاق ، العالم العلامة ، الولي الزاهد ، إمام علوم القرآن الكريم ، والمقدم على علم اللسان ، من أهل المعرفة بأصول الدين أخذ عن الشيخ صالح بن محمد الزواوي ، ومحمد بن عمر الهواري ، وأخذ عنه جماعة منهم الشيخ السنوسي ، وعلي التالوتي ، وأحمد زروق .

ومن حكمه : « العالم لا تعاده ، والجاهل لا تصادقه ، والأحمق لا تؤاخه » .
توفي تاسع شعبان سنة 866هـ - رحمه الله -[2] .

12- محمد بن قاسم توزت التلمساني . قال تلميذه الشيخ السنوسي : كان شيخًا صالحًا ، عالمًا بالمنقول والمعقول والحساب والفرائض ، وكان شيخًا حسن الأخلاق ، سليم الصدر ، قرأ عليه الشيخ السنوسي جملة من الفرائض والحساب ، ولازمه كثيراً[3] .

---

(1) ينظر : مختصر الملالي ، مخ ورقة 7 ، ونيل الابتهاج ص 257 .

(2) ينظر : مختصر الملالي ، مخ ورقة 8 ، ونيل الابتهاج ص 59 .

(3) ينظر : ينظر : الابتهاج ، ص 553 ، ومعجم أعلام الجزائر ص 80 .

13- أبو الحسن علي بن محمد البسطي القرشي، شهر بالقلصادي. أخذ عن جلة من العلماء، منهم ابن مرزوق الحفيد، وحلولو. تتلمذ عليه الشيخ السنوسي في الفرائض، وأجازه في كل ما يرويه عنه فيها. له تآليف كثيرة منها: تقريب المواريث، وشرح خليل، وشرح القرطبية، وشرح البردة، وشرح الحكم العطائية.

من شيوخه: قاسم العقباني، وأبو العباس أحمد بن زاغو. ومن تلاميذه غير السنوسي: ابن مرزوق، والحافظ ابن حجر، والجلال المحلي. توفي بباجة في منتصف ذي الحجة سنة 891هـ[1].

14- محمد بن عبد الرحمن الحوضي. الفقيه، العالم، الأصولي، الشاعر من شيوخ الإمام السنوسي[2] له نظم في العقائد، شرحه الإمام السنوسي، وله غيره. توفي بتلمسان سنة 910هـ[3].

أخذ الشيخ السنوسي العلم عن هذه النخبة المباركة من أهل العلم والصلاح ممن ذاع صيتهم بين ذوي العلم من أقرانهم والقرون التي تلتهم وعرف فضلهم.

(2) مصادره:

بالإضافة إلى هؤلاء الشيوخ الأجلاء الفضلاء، المشهود لهم بالعلم والتقوى، وما ألّفوه من كتب، وما أفاده بعضهم من إجازة للشيخ السنوسي بمروياته ـ نجد جانبًا آخر مهمًّا له في شخصية الشيخ السنوسي الأثر الواضح، ذلك هو المصادر التي أخذ منها، وذكرها في مؤلفاته مثل: (الإرشاد) للجويني، وشروحه لابن دهاق، والمقترح، وشرح (معالم الأصول) لابن التلمساني.

---

(1) نيل الابتهاج، ص 339، وشجرة النور الزكية، ص261.

(2) ذكره الأستاذ فتحي أحمد عبد الرازق في تحقيقه للمقدمات ص 32.

(3) ينظر: نيل الابتهاج، ص 579، وشجرة النور الزكية، ص254.

وكثيرًا من المتون مثل : متن الحوفي ، والجزائرية في العقيدة والوغليسية في الفقه ، وغيرها التي استوعبها وقام بشرحها بعد ذلك .

وينبيك عن هذه المصادر نقولاته في كتبه عن هؤلاء الأعلام ممن لمعت أسماؤهم في العالم الإسلامي من الصوفية ، والفقهاء ، وعلماء الكلام ، كالباقلاني ، والاسفراييني ، والجويني ، والسعد ، والأشعري وابن الحاجب والرازي ، والقاضي عياض ، وأبي بكر ابن العربي ، وابن عرفة مما يدل دلالة واضحة أنه قرأ ما أتيح له من ثقافة هؤلاء جميعاً ، وأن مصادره أصلية وقوية ، وأنه أخذ العلم من ينابيعه الصافية[1] .

رابعا ـ آثــاره :

مؤلفاته ومكانة أم البراهين فيها :

كان الشيخ السنوسي ـ رحمه الله ـ عارفا قدر العلم ، وأن تعلمه هو من أجل إفادة الأمة وحماية الملة ، وأن العلم تظهر ثمرته في تعليمه ، وأن الأجيال اللاحقة لها حق الاستفادة من الأجيال السابقة ـ لذا فقد كان مجتهدا في الكتابة والتأليف في مختلف فروع العلم الشرعي ، وخصوصاً علم العقيدة الذي أعطاه النصيب الأوفر من هذه التأليف ، وذلك أنه كان قلقاً من أوضاع الأمة الثقافية ، واستشراء الفتن ، وكثرة الفساد السياسي والاجتماعي فكان مما قاله في شرح أم البراهين : « أهم ما يشغل العاقل اللبيب في هذا الزمان الصعب أن يسعى فيما ينقذ به مهجته من الخلود في النار ، وليس ذلك إلا بإتقان عقائد التوحيد على الوجه الذي قرره أهل السنة .

وما أندر من يتقن ذلك في هذا الزمان الصعب الذي فاض فيه بحر الجهالة وانتشر فيه الباطل أي انتشار ، ورمى في كل ناحية من الأرض بأمواج إنكار الحق وبغض أهله ،

---

(1) شرح المقدمات بتحقيق فتحي أحمد عبد الرازق ، ص 36 .

وتزيين الباطل بالزخرف ، وما أسعد اليوم من وفق لتحقيق عقائد إيمانه ، ثم عرف بعد ذلك ما يضطر إليه من فروع دينه »[1] .

ولذلك نراه يؤلف هذا الكم من المؤلفات في العقيدة ، وعلى مستويات مختلفة ، للمبتدئين ، والمتوسطين ، والمتقدمين ، يبدأ بالمختصرات ، ثم يعكف عليها فيشرحها ، أو يشرح مختصرات لمؤلفين آخرين ، ومثل عقيدة الجزائري ، وعقيدة الحوضي فهو قد كتب العقيدة الكبرى ، والوسطى ، والصغرى ، وصغرى الصغرى ، والمقدمات والحفيدة ، وقد شرحها كلها بنفسه ، وتأتي العقيدة الصغرى في أول القائمة من حيث الأهمية وقد تعددت أسماؤها : فهي أم البراهين ، وهي العقيدة السنوسية وقد يقال لها : المقدمة الصغرى .

وقد وصفها الشيخ السنوسي ـ رحمه الله ـ بأنها من أجلّ العقائد[2] .

ولتأكيد هذه الأهمية فإنها نالت من الشرح والتعليق والاختصار نحو ستين مؤلفًا مما يدل على أن أثرها في علم الكلام كبير وذو أهمية بالغة .

وللشيخ السنوسي تآليف كثيرة في التصوف ، والتفسير ، والمنطق ، والفقه ، والأصول ، والحديث ، والقراءات ، والتجويد ، والتاريخ ، والسير ، والنحو ، والطب ، والحساب ، والمواقيت . وبالجملة فكتبه كثيرة وفي كل فن ، طبع كثير منها ، وما زال بعض منها مخطوطاً . وهذا ذكر ما علمنا منها :

1- عقيدة أهل التوحيد ، المشهورة بالعقيدة الكبرى .

2- عمدة أهل التوفيق وهي شرح للعقيدة السابقة .

3- مختصر عمدة أهل التوفيق ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم 241 .

---

(1) شرح المقدمات بتحقيق فتحي أحمد عبد الرازق ، ص 11 .

(2) نفس المصدر السابق .

4- العقيدة الوسطى .

5- شرح الوسطى .

6- أم البراهين ، وعليها ما يزيد على ستين مؤلفًا بين شرح وحاشية ونظم منها شرح الشيخ أحمد الغدامسي موضوع هذه الدراسة .

7- شرح أم البراهين .

8- صغرى الصغرى .

9- شرح صغرى الصغرى .

10- شرح الجزائرية ، مخطوط بمكتبة الأزهر رقم 4149 .

11- شرح واسطة السلوك شرح عقيدة الحوضي ، مخطوط بالخزانة العامة الرباط ، رقم 2097/ 11 د .

12- كتاب في التوحيد . مخطوط بالخزانة العام / الرباط رقم : 2502 د .

13- تأليف في أصول التوحيد مخطوط بالخزانة العام / الرباط رقم : 2502 د .

14- تآليف في علم التوحيد ملخص « للمقدمات » مخ بالخزانة العام بالرباط في مجموع من 44 – 72أ رقم : 1228 د .

15- تآليف في علم التوحيد جملة مختصرة يخرج بها المكلف من التقليد المختلف في إيمان صاحبه في مجموع من ورقة 1أ ـ 53ب رقم : 1443 د .

16- تآليف فيما يجب على كل مكلف أن يعرفه ضمن مجموع من ورقة 1ب ـ 15أ ، رقم 908 د .

17- المقدمات مخطوط بمكتبة الأزهر الشريف رقم : 1141خ ـ 2205ع .

18- شرح المقدمات مطبوع على الآلة الكاتبة بتحقيق فتحي أحمد عبد الرازق (رسالة ماجستير) .

19- الفوائد الشريفة والأسرار المنيفة والذخائر النفيسة مخ بالخزانة العام بالرباط 57/ 2 د .

20- تفسير الفاتحة مع بالخزانة العامة ضمن مجموع . تحت رقم 1861/ 4 د .

21- شرح أبيات الجنيد في مجموع من ورقة 40ب ـ 41ب تحت رقم : 1736/ 5 د .

22- شرح أسماء الله الحسنى مخ بالخزانة العامة بالرباط في مجموع من ورقة 53أ ـ 60ب تحت رقم : 1863/ 3 د .

23- شرح بغية الطلاب في علم الاصطرلاب ، أرجوزة في مجموع من ص : 63-227 مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : 2300/ 3 د .

24- شرح على قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : المعدة بيت الداء ضمن مجموع من ورقة 1أ-7أ مخ بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : 1763/ 1 د .

25- نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير مخ بدار الكتب المصرية رقم : 54 .

26- شرح جمل الخونجي .

27- شرح إيساغوجي .

28- شرح الموجهات .

29- شرح كلمتي الشهادة .

30- تفسير سورة ص وما بعدها .

31- تفسير القرآن الكريم من أوله إلى قوله تعالى : ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ .

32- مختصر حاشية التفتازاني على الكشاف .

33- مختصر الأُبَي على مسلم .

34- شرح صحيح البخاري إلى باب من استبرأ لدينه .

35- شرح مشكلات البخاري .

36- مختصر الزركشي على البخاري .

37- المقرب المستوفي على الحوفي في الفرائض .

38- شرح مختصر الحوفي لابن عرفة .

39- نظم في الفرائض .

40- مختصر بغية السالك في أشرف المسالك .

41- شرح الشاطبية الكبرى .

42- مختصر في القراءات السبع .

43- شرح المقدمة الجزرية .

44- مختصر الروض الأنف .

45- شرح الآجرومية .

46- شرح "الوغليسية" في الفقه .

47- شرح مقدمات الجبر والمقابلة .

48- شرح رجز ابن سينا .

49- تعليق على قرعى ابن الحاجب .

50- شرح أبيات الألبيري .

51- شرح أبيات تطهر بماء الغيب .

وغيرها مما يصعب استقصاؤه[1] .

خامسا ـ تلاميذه

تلقى عن الشيخ السنوسي علومه ودرسها جمع من الطلاب منهم :

---

(1) ينظر : نيل الابتهاج ص 563 وشجرة النور الزكية ص 66 وشرح المقدمات بتحقيق فتحي أحمد عبد الرازق ص 37 .

1- محمد بن إبراهيم بن عمر الملالي . إمام فاضل نسبته إلى بني مُلّال بالمغرب . كان من تلاميذ السنوسي ، له : المواهب القدسية في المناقب السنوسية ، وشرح على أم البراهين . ت سنة 897هـ[1] .

2- أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى الشهير (بزروق) شيخ الطريقة وإمام الحقيقة ، أخذ عن أئمة منهم الشيخ السنوسي وحلولو ، والرصاع ، والقدري وغيرهم .
وأخذ عن جماعة منهم الحطاب الكبير ، والخروبي ، والناصر اللقاني توفي بمصراته 899هـ[2] .

3- أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم (المغيلي) التلمساني ، أخذ عن أبي زيد الثعالبي ، والشيخ السنوسي ، وعنه عبد الجبار الفجيجي وغيره .
له تآليف منها : البدر المنير في علوم التفسير وغيره . له مراسلة مع السيوطي . توفي سنة 909هـ[3] .

4- محمد بن محمد بن عباس التلمساني ، الفقيه ، العالم ، النحوي ، أخذ عن جماعة منهم الشيخ السنوسي وابن مرزوق الكفيف ، وابن زكري وغيرهم ، كان حيا بعد 920هـ[4] .

5- أبو العباس أحمد بن محمد بن مرزوق الكفيف ، بيته شهير بالفضل والنباهة أخذ عن والده الكفيف وعن الشيخ السنوسي وابن زكري[5] .

6- أحمد بن محمد بن الحاج البيدري التلمساني ، علامتها بلا مدافع أخذ العلم عن ابن ذكري ، والتنسي والسنوسي .

---

(1) ينظر : الأعلام 5/ 301 .
(2) ينظر : كفاية المحتاج ص 71 ، وشجرة النور الزكية ص 267 .
(3) ينظر : نيل الابتهاج ص 576 ، وشجرة النور الزكية ص 274 .
(4) ينظر : نيل الابتهاج ص 585 .
(5) ينظر : نيل الابتهاج ص 136 ، وشجرة النور الزكية ص 275 .

له تآليف مهمة ، ومسائل ، وتعاليق وكلام محقق على الرسالة ونظم عقيدة السنوسي الصغرى ، ت قريبًا من 930هـ[1] .

7- أبو عبد الله محمد بن أبي مدين التلمساني ، أخذ عن الشيخ السنوسي وغيره ، وعنه أبو عبد الله ابن العباس ، توفي سنة 915هـ[2] .

8- يحيى بن محمد أبو السادات التلمساني ، الفقيه الورع ، تتلمذ على الشيخ السنوسي فقرأ عليه الفقه والأصول ، والبيان ، والمنطق ، وصاحبه سنين[3] .

9- محمد بن أبي الفضل بن سعيد (بن صعد) وبه عرف التلمساني . أخذ عن الشيخ السنوسي ومحمد بن العباس . وله تآليف منها : النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب ، وتأليف في الصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتوفي بمصر سنة 901هـ[4] .

10- أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن يحيى بن حيده المديوني الوهراني . أخذ عن الشيخ السنوسي المقدمة الصغرى ، وعن ابن مرزوق الكفيف والتصوف عن إبراهيم التازي . من تلاميذه أحمد المنجور توفي سنة 951هـ[5] .

11- أبو القاسم بن محمد الزواوي ، الفقيه الولي الصالح الشريف العالم . من أكابر تلاميذ الشيخ : محمد بن يوسف السنوسي ومن شيوخه أيضًا ابن مرزوق الحفيد ، وقسم العقباني . من تصانيفه شرح على رجز المراكشي فى علم البيان ، ومن تلاميذه الشيخ الملالي وغيره . توفي سنة 922هـ[6] .

---

(1) ينظر : نيل الابتهاج ص 136 ، وشجرة النور الزكية ص 277 .
(2) ينظر : كفاية المحتاج ص 462 ، وشجرة النور الزكية ص 275 .
(3) ينظر : شرح المقدمات بتحقيق الأستاذ فتحي أحمد عبد الرازق ص 62 .
(4) ينظر : نيل الابتهاج ص 575 ، وأعلام الجزائري ص 195 .
(5) ينظر : شجرة النور الزكية ص 278 .
(6) ينظر : شرح المقدمات بتحقيق الأستاذ فتحي أحمد عبد الرازق ص 61 .

12- محمد القلعي ريحانة زمانه ، صاحب الكرامات ، المحافظ على السنة له أسئلة على الخمسين مسألة . دفن بضريح السنوسي[1] .

سادسا - مكانته العلمية :

بالرجوع إلى مؤلفات الشيخ السنوسي في كل فنون العلم ، وبخاصة علم التوحيد ، والتي تلقاها أهل العلم بالقبول وتناولوها بالشرح والتعليق والاختصار . وبالوقوف على أسماء الشيوخ الذين أخذ عنهم ممن يوصفون بالعلم والصلاح والتربية ، والطلاب الذين جلسوا إليه وأخذوا عنه ، تتضح مكانة الشيخ السنوسي العلمية فقد صار مرجعًا للمتأخرين لا تخلو كتبهم من ذكر أقواله ، والاستدلال بآرائه أو شرح لعقائده ، أو تعليق عليها ، أو اختصار لها .

نذكر منهم على سبيل المثال : أحمد الأجهوري ، ومحمد الخرشي ، والعدوي وعبد الغني النابلسي ، وأحمد المقري ، وإبراهيم اللقاني ، وابنه عبد السلام ، وعلي بن عبد الصادق ، وشيخنا أحمد الغدامسي .

ولما كان طابع العصر الذي عاشه السنوسي ، وهو الاتجاه إلى تنزيه المولى - تبارك وتعالى - بعد ما سادت تيارات التجسيم والتشبيه في الأجيال السابق . والاتجاه إلى تقرير عقيدة أهل السنة وخاصة الأشعرية[2] .

وتتأكد مكانته العلمية في تطويره للفكر الأشعري وفقًا لحاجة العصر الذي عاشه - بتقرير العقيدة وشرحها ، وتقرير المبادئ الكلامية وجعلها في مقدمات منتظمة لخدمة دارسي العقيدة ، وإبراز حكم الدين في العقائد المنحرفة بالتفصيل الدقيق .

وهذا الجهد من الشيخ السنوسي جعل مؤلفاته محل دراسته وأسوة وتقدير[3] .

---

(1) ينظر : نيل الابتهاج ص 572 ، وشرح المقدمات ص 62 .

(2) ينظر : شرح المقدمات ص 57 .

(3) نفسه .

سابعًا - وفاته وثناء العلماء عليه :

(1) وفاته :

بعد حياة حافلة بالعلم والعمل لم تتجاوز 65 عامًا على الأكثر . وحان مجيء الأجل مرض الشيخ فانقطع عن المسجد ، واشتد عليه المرض ، ولكنه كان ثابت العقل ، وكان يقول عند موته : نسأله سبحانه أن يجعلنا وأحبتنا عند الموت ناطقين بكلمة الشهادة عاملين بها آمين . وتوفي بعد العصر يوم الأحد الثامن عشر من جمادى الآخرة 895هـ . ونقل عن ابنته أنها شمت ريح المسك عند موته من نفسه[1] ، ولم يختلف في تاريخ وفاته فيما اطلعنا عليه ممن ترجم له ، رحمه الله رحمة واسعة ، آمين .

(2) آراء العلماء فيه :

كان الشيخ السنوسي - رحمه الله - محل ثناء من العلماء من طلبته وغيرهم وأكبر دليل على مكانة الشيخ وقيمته تناول كتبه بالشرح والتعليق ، مع الثناء عليه شعرا ونثرا من ذلك قول الملالي : شيخنا الإمام البالغ في التحقيق والورع .. صاحب الإشارات العلية ، والحقائق القدسية ، المعدوم القرين في هذا الزمان[2] .

وقال شيخه الحوضي في رثائه من بحر الكامل :

فقد السنوسي الإمام محمد ... وهو ابن يوسف هو منه علاؤها
قد كان بحرا للمعارف زاخرا ... فانزاح عنها حين بث عطاؤها
ودعا إلى التوحيد دعوة مخلص ... وإلى الشريعة فاستنار ضياؤها
هذا الذي ورث النبي فأصبحت ... علل الضلال به استفيد دواؤها[3]

---

(1) ينظر : مختصر الملالي - لأحمد بابا ورقة 40 مخ .

(2) من مقدمة تأليفه في مناقب الشيخ السنوسي . ينظر مختصر الملالي لأحمد بابا ورقة 2 .

(3) شرح المقدمات بتحقيق فتحي أحمد عبد الرازق ص 58 .

وقال فيه الشيخ أحمد الجزائري مادحا شرح اللامية المسمى « كفاية المريد » من بحر الكامل :

شرح الكفايـــة أيهـــا المتـــدين	تحـصيله فـرض عليـك معـين
تجلى معانيـه القلـوب مـن الـصدا	وتنـيره واللفـظ سـهل هـين
مـا هـو إلا الـروض يحسن منظـرا	مـن ذا يـرى حـسنا ولا يستحـسن

وكان الشيخ السنوسي شرح اللامية بشرح مفيد ، أعجب بـه[1] صـاحب النظم فقرظه بقصيدة منها ما اخترناه ومما مدح به الشيخ قـول أبي منصور المستغانمي . من بحر الطويل :

لقـد مـن ذو الفـضل العظيم بفـضله	علينـا بـنجم آخـر الـدهر لائحـا
فأبـدى لنـا التوحيـد عـذبا مخلـصًا	وبـالغ في التبيـين للخلـق ناصـحا
وذاك الـسنوسي عـم فـضله غايـة	وحـاز فخـارا في البريـة واضـحا
فخـار تلمـسان عليـك بكتبـه	فقد فاقت التبر المخلص طافحا[2]

وقال فيه الشيخ أحمد المقري : العلامة ، الشهير الـصيت ، الـولي الربـاني ، سيدي محمد بن يوسف السنوسي[3] .

---

(1) نفس المصدر السابق .

(2) نفس المصدر السابق .

(3) حاشية المقري على أم البراهين ورقة 2 مخ بدار الكتب المصرية . تحت رقم : 299 عقائد .

المبحث الثاني :
الشيخ الغدامسي ، عصره وبيئته

أولا ـ عصره :

تقع مدينة غدامس التي ينتمي إليها الشيخ أحمد بإحدى الواحات في الجزء الغربي من القطر الليبي ، على الحدود التونسية الجزائرية ، وهي مدينة قديمة ، ضاربة في القدم إلى أعماق التاريخ ، مشتملة على مقومات الحياة والاستقرار . « الماء ، والأرض الصالحة للزراعة ، وأشجار النخيل الشامخة » وقد مكنت لها هذه الخاصية مع موقعها التجاري الذي يربط شمال أفريقيا بجنوبها من جهة ، وشمال أفريقيا بجنوب أوروبا من جهة أخرى ـ من الاشتهار ، والازدهار الاقتصادي الذي جعلها محط أنظار الغازين يجنون ثمارها ، وينالون من خيراتها .

فقد غزاها القرطاجنيون سنة 795 ق.م وغزاها الرومان سنة 19 ق.م ، وفي الفتح العربي كانت هدفا لعقبة بن نافع ، وتوالت عليها غزوات الحفصيين الذين كانوا يتنافسون على السيطرة عليها ، إذ غدت مطمعًا لكل من حكام تونس وطرابلس ، فقد غزاها الباي درويش سنة 1001هـ ، وغرمها مقدار 500 مثقال من الذهب ، وغزاها رمضان باي سنة 1018هـ وتكبدت البلدة في هذه الغزوة خسائر فادحة تقدر بـ 300 قتيل ، وقطع 500 نخلة ، وغرامة 500 مثقال من الذهب[1] وتسلط عليها الانكشارية فأحدثوا بها الفوضى ، وابتزوا أموال المواطنين .

ولم يحدث بغدامس فيما علمنا مجاعات كالتي تحدث في كثير غيرها من البلدات

(1) العلم والعلماء بغدامس في عصر ابن غلبون . بحث لبشير قاسم يوشع بمجلة البحوث التاريخية العدد الأول سنة 1982م ، ص 83 وما يليها .

الليبية، ويرجع ذلك إلى كثرة النخيل، وتوفر الماء، مع مهارة أهلها بالتجارة[1].

فقد كان الغدامسيون يجوبون شمال أفريقيا وجنوبها، ولم يكونوا يرون صعوبة في التنقل بين غدامس وطرابلس من جهة وغدامس وتونس من جهة أخرى، أو بين هاتين المدينتين وبين النيجر ومالي، بل وصلوا بتجارتهم إلى الكونغو[2] حتى إن والد المؤلف الشيخ عبد الله ولد بتمبكتو، وجده أبو بكر مات بأقدز (أغادس بالنيجر اليوم)[3].

وكانت السلطات العثمانية تجد مغنمًا في هؤلاء التجار فتفرض عليهم الضرائب الباهظة دون قانون أو نظام[4] فالغدامسيون عاشوا في عصر الشيخ أحمد حياة متماثلة مع حياة من سبقهم. همٌّ دائم، وكفاح مستمر ضد الغرباء المتسلطين. عاصر الشيخ هذه الفترة؛ أي الفترة التي تداول على البلاد حكم البايات التابعين للدولة العثمانية، وحكم القرة مانليين الذين لم يختلفوا عن من سبقهم أو لحقهم، ولا يبالون بما يحدث في البلاد من فوضى أو جهل.

وفي هذه الحالة يتحتم على العلماء أن ينهضوا بالأمة، ويقوموا بالواجب الديني المنوط بأعناقهم من تعليم الناس أمور دينهم، ولا يقعدوا قعود أهل الكتاب الذين قال الله فيهم: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾[5]، فكان بفضل الله - تعالى - أن قام

---

(1) ذكر الحشائشي أن الغدامسية أول من دخل أفريقيا بسلع تونس، ولهم شخصيات مرموقة، لهم مكانتهم في بلاد السودان. (ينظر: رحلة الحشائشي إلى ليبيا ل 126 وما بعدها).

(2) العلم والعلماء بغدامس في عصر ابن غلبون، ص 83.

(3) واحة غدامس منطلقًا للتواصل الثقافي بين ليبيا وجنوب الصحراء، بحث لعمار جحيدر بأعمال ندوة التواصل المغربية ص 249.

(4) غدامس ملامح وصور لبشير قاسم يوشع ص 99-101.

(5) سورة آل عمران، الآية رقم 187.

العلماء بتعليم أولاد المسلمين في المساجد ، والكتاتيب ، والزوايا ، حتى إن الأمية كادت تنعدم في غدامس بين رجالها ونسائها[1] .

وهذه ميزة قد تكون منفردة بها عن جميع مناطق العالم الإسلامي .

ثانيًا - بيئته (الحياة السياسية والثقافية) :

(1) الحياة السياسية :

عاش الشيخ أحمد في أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر الهجريين ، وهي فترة لم تكن أفضل من غيرها إذ حكم تلك الفترة العثمانيون الذين كانوا يبتزون أموال المواطنين ، ويرهقونهم بالضرائب بمختلف أنواعها ، وجاء من بعدهم القره مانليون الذين لم يختلفوا عمن سبقهم في الطمع ونهب خيرات البلاد ، وكان المواطنون يتذمرون من هذا الأسلوب الذي لم يترك لهم فرصة لينعموا بطعم الحرية ، أو يذوقوا لذة الراحة في حياتهم السياسية أو المعيشية .

ومن المواقف التي حفظها لنا التاريخ معاقبة أحمد باشا القره مانلي لأهل غدامس الذين امتنعوا عن تقديم البيعة له ، وذلك باستيلائه على قافلة لهم ، وأخذ أموالها[2] وكان إذ ذلك شرع في بناء مسجده ، فوضع هذه الأموال في بناء المسجد على اعتبارها أموال محاربين .

ولكن هذه الحادثة لم تمر دون انتقاد ومعارضة فقد تعرضت لهجوم عنيف من بعض العلماء الجريئين الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ، وذلك حين افتتح أحمد باشا جامعه

---

(1) العلم والعلماء بغدامس في عصر ابن غلبون ، ص 86 .

(2) ينظر : العلم والعلماء بغدامس في عصر ابن غلبون ، بحث لبشير قاسم يوشع بمجلة البحوث التاريخية ص 88 .

المذكور ، وجمع العلماء الذين أشاد معظمهم بهذا العمل الجليل الذي فيه تعظيم شعائر الدين وخدمة المسلمين ، إلا أن أحد العلماء وقد يكون هو ابن غلبون لم ينس حادثة القافلة الغدامسية التي أُنفقت أموالها في بناء الجامع ، ورأى أن هذا مال أخذ من أهله ظلما ، وأدخل في بناء هذا الجامع ، ولا خير في مسجد بني من مال حرام[1] .

(2) الحياة الثقافية :

وإذا كانت غدامس قد ابتليت بما ابتليت به من طمع الحكام في خيراتها ، وسلبها حريتها ، فإنها لم تفقد صلتها بغيرها من البلاد الليبية ، فهناك صلات بين علماء غدامس وفزان كما كانت بينهم لقاءات علمية حيث عاصر المؤلف كلا من الشيخ محمد الصالح الأوجلي ، ومحمد البكري ، كما عاصر أيضًا علماء الغلابنة مثل ناصر بن عبد الله بن غلبون ، وخليل بن عبد الله بن غلبون ، والشيخ محمد بن خليل بن أحمد بن عبد الرحمن بن غلبون صاحب التذكار ، ولكن لم يصل إلينا شيء يفيد بوضوح اتصال علماء غدامس بعلماء الغلابنة ، أو غيرهم من علماء طرابلس عمومًا ، إلا ما يمكن أن يستدل به على هذه العلاقة ، وهي قصة محمد خليل بن غلبون صاحب التذكار مع أحمد باشا القره مانلي ، التي سلفت ، وتخميس الشيخ عبد الله والد المؤلف لقصيدة سيدي يوسف الجعراني من مسلاته[2] ومكاتبة الشيخ أبي القاسم الورفلي للشيخ عبد الله ودعائه له[3] ، والذي يظهر أن علماء غدامس كالكثيرين من أهل البلاد الليبية في تلك الفترة لم يكن

---

(1) نفس المصدر السابق .

(2) واحة غدامس منطلقًا للتواصل الثقافي بين ليبيا وجنوب الصحراء ـ بحث للأستاذ عمر جحيدر بأعمال ندوة التواصل المغربية ص 251 . والشيخ الجعراني هو : يوسف بن علي الجعراني المسلاتي الأستاذ الورع الناصع ، كان له إلمام بعلوم القرآن واللسان شرح القرطبية والآجرومية ونظمها نظمًا بديعًا ، كان موجودًا سنة 820هـ ، ينظر أعلام ليبيا ص 364 ، ودليل المؤلفين العرب الليبيين ص 506 .

(3) ينظر : تذكير الناسي وتليين القلب القاسي لمحمد بن محمد مهلهل الغدامسي مخ بمركز جهاد الليبيين رقم : 3083 .

يتجاوز العلوم الشرعية واللغوية وأدواتها كالمنطق والفلك ـ إلا قليلاً ، وهذا إذا نظر إليه بمنظار العصر لا يعد نقصاً في هؤلاء العلماء ، فليست هناك دولة قوية تسعى إلى التقدم العلمي حتى يتوجه طلبة العلم إلى البحث فيما يحقق هذه الأهداف ـ مثلاً ـ ، وإنما الذي كان هو دويلات هزيلة تتقاتل وتتبادل السيطرة على هذا القطر أو ذاك همها فرض الضرائب وتحقيق رواتب الجند الذين تحتاجهم لفرض سيطرتها ، فكان العلماء يوجهون جهودهم لتحصين عقيدة الأهالي وربطهم بشريعتهم وأحكام دينهم ، ويحمونها من زيغ الضالين وتحريف المبطلين .

وهذه الجهود قد آتت ثمارها وحققت غايتها ؛ إذ قد حاول الاستعمار عند دخوله لهذه البلاد الإسلامية جاهدًا أن يزحزح المواطنين عن عقيدتهم أو يحولهم إلى مواطنين "أوروبيين" دينا ولغة فما أفلح .

ومما يلاحظ بشكل ظاهر أن علماء غدامس يركزون على تصحيح العقائد وترسيخها وتقوية صلة العباد بربهم . فها هو الشيخ أحمد يجعل هذا الشرح المبارك في العقيدة ومن قبله والده ، وشيخه محمد بن عمر الذي شرح عقيدة المقري ، وألف "كشاف القناع" و "نور اليقين" كلاهما في العقيدة ، بل وغير علماء غدامس كذلك مثل : الشيخ محمد الصالح الأوجلي الذي جعل منظومة في التوحيد ثم شرحها وعلي ابن عبد الصادق الذي شرح صغرى السنوسي ، ومتن ابن عاشر وشرح الأوجلية[1] وهذا كاف في الدلالة على أن هذا البلد "ليبيا" لم يتأخر في وقت من الأوقات عن المشاركة في إثراء الحركة الفكرية على المستوى الإسلامي ، ويخالف ما نقل عن

---

(1) ينظر : إرشاد المريدين لعلي بن عبد الصادق ـ تحقيق وتقديم وتعليق د. السائح علي حسين ، وعلي بن عبد الصادق هو : علي بن عبد الصادق بن أحمد بن عبد الصادق بن أحمد بن عبد الصادق الفقيه الإمام المتصوف ، أخذ عن أبي إسحاق الجمني والبليدي وسعيد المحروزي ، له عدة مؤلفات غير ما ذكر توفي بساحل آل حامد 22 ربيع الأول 1138هـ ، ينظر : شجرة النور الزكية ص 351 ، وإرشاد المريدين 1/ 13 .

الورثيلاني من قوله : "وأما التوحيد فقليل الوجود فلا تجد من يحققه من مصر إلى وطننا هذا"[1] يعنى المغرب .

ومن الجدير بالذكر أن هذا القدر من المعرفة وحب الوطن لم يكن حكرا على الرجال وحدهم في مدينة غدامس ، بل إن النساء التي قلت فيهن الأمية جدا كنّ يشاركن الرجال ويدافعن عن الدين والعرض بالتربية الصالحة والتنشئة الدينية أحيانًا وبالسيف أحيانًا أخرى .

ومن حرص الغدامسيين على تعلم القرآن الكريم ، وعلوم الدين فقد كان يوجد بعصر الشيخ أحمد ما يزيد على اثني عشر كتابًا لتحفيظ القرآن الكريم ، وأربعة مساجد لتدريس العلوم الشرعية ، وهذا أحدث بدون شك نهضة علمية لدرجة أن الأمية تكاد تكون معدومة بين أهل غدامس من الرجال والنساء[2] .

ويكفي أن نعلم أن عصر الشيخ أحمد الغدامسي يضم جلة من الشيوخ أمثال والده الشيخ عبد الله بن أبي بكر ، وأخويه محمد الزاهد[3] وعبد الرحمن[4] ابني الأب المذكور ، والشيخ محمد بن عمر الغدامسي والشيخ محمد بن يونس الدراوي[5] ، وأحمد بن محمد الحارس الغدامسي[6] ، وغيرهم من الغدامسيين .

---

(1) الحياة الثقافية بليبيا في عصر ابن غلبون من خلال رحلة الورثيلاني بحث للدكتور عبد الحميد حاجيات بمجلة البحوث التاريخية ، عدد 1 يناير 1982م .

(2) ينظر : العلم والعلماء بغدامس في عصر ابن غلبون ـ بحث لبشير قاسم يوشع ، بمجلة البحوث التاريخية ص 86.

(3) تراجمها بغدامس منطلقًا للتواصل ، مرجع سابق ، ص250 ، عن تذكير الناسي .

(4) نفسه .

(5) غدامس ملامح وصور ص 63 .

(6) المصدر السابق ، ص 77 .

المبحث الثالث : حياته وآثاره

أولا ـ حياته :

1- اسمه ونسبه ، هو أحمد بن عبد الله بن أبي بكر بن أبي القاسم بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن صيلة بن إبراهيم بن عمر بن يوسف بن عمر بن يوسف بن عمر الغدامسي[1] .

ولم يزد في المخطوطة على محمد وهو الاسم الرابع في سلسلة آبائه ، كما لم يقع خلاف في هذه التسمية بين جميع من ترجم له مما اطلعت عليه ، ولا وقع خلاف في نسبته إلى هذه الأسرة ببلدة غدامس ، ولما أن كان شرح الشيخ أحمد هذا على أم البراهين اشتهر بين الطلبة بشرح الغدامسي فإني آثرت أن أجعل هذا التعبير دلالة على الشيخ عند الإطلاق ، وأشير به إليه .

(2) ميلاده ونشأته :

(أ) ميلاده :

ولد الشيخ أحمد ـ رحمه الله ـ بغدامس يوم السبت الموافق 26 من جمادى الآخرة 1063هـ من أب له في العلم قدم راسخة ، ذلكم هو المربي الفاضل الذي كان موصوفًا بالتقوى والسيرة الحميدة ، وممن نهض بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فقد كان الواعظ ، والمفتي ، والمدرس ، وهو صاحب التآليف المفيدة ، إنه الشيخ عبد الله بن أبي بكر بن أبي القاسم .

---

(1) ينظر : تذكير الناسي ورقة 47 مخ . كما ينظر : العلم والعلماء بغدامس في عصر ابن غلبون (مرجع سابق) ص 91 .

فلا غرابة في أن يكون ابنه أحمد كذلك إذ من شابه أبه فما ظلم[1] .

(ب) نشـأتـه :

مما تقدم يتبين أن الشيخ أحمد الغدامسي نشأ نشأة دينية طيبة كانت نقطـة البدايـة لحياة حافلة بالعلم والعمل والمكارم ، نشأة فيها جد وحنكة وحكمـة ومحبـة للعلـم ، نشأة تفتحت عليها أول ما تفتحت عيناه وبصيرته ، استقى أصـولها مـن فعـل والـده قبل أن يستقيها من قوله :

ينشـا الوليـد على مـا كـان والده إن الأصول عليها ، ينبت الشجر

والشيخ أحمد هو واحد من أحد عشر ابنا للشيخ عبد الله بن أبي بكـر الغدامـسي عدا البنات ، كلهم كما يقول مهلهل : أخيار ، فضلاء ، كرام ، بررة[2] .

اشتهر منهم بالعلم ثلاثة سوى الشيخ أحمد هم :

1- الشيخ محمد الزاهد ، الذى كان شغوفًا بالعلم ، وقد ألف الشيخ أحمد شرح نظم الآجرومية من أجله ت 1127هـ[3] .

2- الشيخ عبد الرحمن المكنّى بأبي زيد ـ ت 1132هـ ـ الذي سجل لنا مهلهل إجـازة شيخه إبراهيم الفيومي الذي وصفه بأنه ماهر ، بارع متفنن ، متقن[4] .

وهو شاعر مجيد أيضًا ، فقد مدح شرح أخيه الشيخ أحمد بأبيات جاء في أولها :

---

(1) هذا مقتبس من بيت رؤبة بن العجاج الذي يمدح به عدي بن حاتم الطائي حيث قال :

بأبه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم (شرح ابن عقيل 1/ 44)

(2) تذكير الناسي ورقة 45 .

(3) واحة غدامس منطلقًا للتواصل الثقافي بين ليبيا وجنوب الصحراء ، بحث للأستاذ عمار جحيدر بـأعمال ندوة التواصل المغربية 250 .

(4)تذكير الناسي ورقة 71 .

حمـدت مـولاي حمـد الحامـدين عـلى إنعامــه بكــمال الحــسن في المثــل
مــن علينـا بــشيخ العلــم أحمـد قـد حـاز العلـوم مع التـوزين بالجمـل[1]

ورثى والده لما توفي بقصيدة منها :

يحـق لنـا التـسليم والـصبر والـرضى لأمـر قـضاه الله في النـاس أجمـع[2]
قـضى الله عنـا المـوت طـرا بـلا مـرا ولا شيء في خطـــب المنيـــة نـــافع

3- الشيخ علي زين العابدين العابد الزاهد ، ت بغدامس 1175هـ[3] .

ولم تذكر لنا المصادر شيئًا عن أولاد الشيخ أحمد سـوى ابنـه أبي القاسـم الـذى خرج مع عمه عبد الرحمن إلى المغرب في تجـارة فقتـل معـه عنـد قفـولهما عائـدين إلى غدامس[4] .

في هذه البيئة الزاخرة بالعلم عاش الشيخ أحمد وكبر وترعـرع فكـان العـالم ابـن العالم أخا العلماء ، في مدينة العلماء .

ولقد كان الشيخ أحمد ـ رحمه الله ـ منذ صغره فطنا حكيمًا ، تظهر عليه آثار الفطنة والجدية حتى في لعبه ، وقد لاحظ والده الشيخ عبد الله ابنـه يلعـب بـبعض الأوراق يجمعها ويسويها ويجعلها في خرقة على صفة كتاب يلعب به ، مقلبا لأوراقه متفحصًا ، فرأى بنظرة العالم المراقب ما يعنيه ذلك اللعب وما يعطي مـن دلالـة فقـال : (الولـد يرجى له أن يكون عالما)[5] .

---

(1) تذكير الناسي ورقة 53 والأبيات من بحر البسيط .

(2) نفسه ورقة 75 .

(3) واحة غدامس منطلقًا للتواصل الثقافي ، مرجع سابق ص 250 .

(4) تذكر الناسي ورقة 60 .

(5) نفسه ورقة 47 .

وكأن الأطفال أيضًا تنبهوا إلى جدية وفطانة هذا الطفل أو قل تنبهوا لمستقبله الذي تدل عليه نجابته ، وحصافته ، فكانوا يجعلونه حكمًا فيما يحدث بينهم من شجار وخصام في لعبهم فيقضي بينهم وينزلون على حكمه لا يخالفونه .

أحب الشيخ الغدامسي أباه الذي رباه على أحسن الأخلاق كالحلم ، والصبر ، والعفة ، والكرم ، ولزوم الذكر .

لقد قرأ عليه القرآن الكريم ، ومبادئ الفقه ، والنحو ، وعلم الحديث ، ولازمه حتى أخذ عه بالسند الذي أورده في مقدمة « إتحاف المريدين » للعقيدة السنوسية إلى مؤلفها الشيخ محمد بن يوسف السنوسي .

كما قرأ على والده المذكور صحيح البخاري ، والشفاء للقاضي عياض وتأثر بما أبرزه من مآثر ومعجزات لسيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما جعله ينظم قصيدتين يمدح بهما هذا الكتاب ، ويشيد بتميزه بإظهار صفات قدوتنا وأسوتنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويثني في الأولى ـ وهي 19 بيتًا ـ على والده الذي كان يشرح الشفاء شرحًا يدخل به محبة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قلوب الناشئة من طلب العلم ، ويغرس فيهم التعلق بصفاته وأخلاقه الكريمة ، يستهلها بقوله :

يا طالب العلم مشغوفاً به كلفا ... يسائل الناس أو يستفهم الصحفا
عليك بعد كتاب الله متبعًا ... هدي النبي وهدي السادة الخلفا

ويشيد في الأخرى وهي 65 بيتا بالقاضي عياض ، ويبين أنه حاز الفضل والفخر بهذا التأليف العجيب ، وأنه بحر في العلوم بعيد الشاطئ ، ومورد لا تكدره الدلاء ، يستهلها بقوله :

ألا فاسمعوا ساداتنا قول جاهل ... يقول بحمد الله أبدأ منشدا

وسيأتي ذكرها ـ إن شاء الله تعالى ـ عند الكلام على آثار الشيخ العلمية .

لقد كان الشيخ ـ رحمه الله ـ شاعرًا مجيدًا بليغًا كما جاء وصفه في تذكير الناسي[1] .

ولم تكن شخصية هذا الوالد الذي كان القدوة ، والأسوة ، والشيخ ، والمربي - الشخصية الوحيدة المؤثرة في حياة الشيخ أحمد ، ولكن توجد إلى جانب ذلك شخصية أخرى قوية التأثير فيه هي شخصية العلامة الشيخ محمد بن عمر الغدامسي ، الذي وصف بأنه نصير للحق ، مقاوم للبدع والمذاهب الخارجة عن السنة .

نجد هذا التأثير ظاهرا في نقولات الشيخ أحمد عنه سواء من "إرشاد خالقي ومصوري" أو من "نور اليقين" أو غيرهما ، وفي ثنائه وترحمه عليه ، ووصفه بقوله : (شيخنا) مقرونا باسمه دائمًا .

ثانيا ـ صفاته :

كان الشيخ أحمد ـ رحمه الله ـ حليمًا ، كريمًا ، عابدًا ، متصوفًا ، مقدرا لأهل العلم والفضل ، مجلا لهم ومعظما ، سائرا بسيرة والده في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والإصلاح بين الناس ، وتعليم العلم ونشره ، واصطناع المعروف ، مما جعله محبوبًا عند جميع الناس ، وموقرًا ، حتى فارق الدنيا[2] .

وإن بدا أن الشيخ أحمد لم يفرغ نفسه للتدريس ، أو لم تطل ممارسته له ، إلا أن حياته لم تخل من مجالس للعلم فقد ورد أنه استفاد منه الطلبة من الغدامسيين وغيرهم[3] .

وفي رأيي أن ذلك راجع إلى أمرين اثنين :

---

(1) تذكير الناسي ورقة 48 .

(2) ينظر : تذكير الناسي ورقة 47 .

(3) ينظر : المصدر نفسه ورقة 53 .

أولهما : حياؤه ، وتقديره لمشائخه الذين كانوا أحياء في وقته ، ولهم حلقات دروس ، مثل والده الشيخ عبد الله ، وشيخه محمد بن عمر الغدامسي ، فلم يكن يسمح له حياؤه بمنافستهم في تلك الحلقات .

ثانيًا : اشتغاله بالتجارة ، وهي حرفة تتطلب أحيانًا التنقل ، ولا يتمكن صاحبها من ملازمة المسجد لإلقاء الدروس المنهجية إلا أن الشيخ أحمد لم يرض أن يكون علمه حبيس صدره ، أو حكرا على عدد محدود من الطلبة ، لذا اتجه إلى التأليف الذي لا يربطه بزمن معين ، ولا مكان معين ، وبالإمكان الجمع بينه وبين التجارة ، بل ربما وجد الكاتب في بعض رحلاته فرصة سانحة لاقتناء بعض الكتب التي لم تتوفر له في بلدته .

وليس ببعيد - بل الغالب من عامة العلماء أنهم حين يمرون ببلدة أو يقيمون بها بعض الوقت يغتنمون وقت وجودهم فيصرفونه للاستفادة ، والإفادة ، فيلتقون ببعض علمائها ويلقون الدرس والمحاضرات بمساجدها ، وزوايا العلم بها . يقول الأستاذ جبريل أبو بكر : "وأصبحت الأسواق منبرًا من منابر الدعاة تنطلق منها أصواتهم إلى صدور الرجال ، ومكانا لبيع المخطوطات ، وأصبح التاجر هو الداعي ، وبيده اليمنى مصحفه ، واليسرى سلعته"[1].

ثالثا - المصادر التي ترجمت له :

لا توجد للشيخ أحمد الغدامسي ترجمة إلا في مصادر قليلة فيما اطلعت عليه ، منها :

1- تذكير الناسي لمحمد بن محمد مهلهل ، ص 47 ، وهو أصل لكل من ترجم له بعده .

---

(1) طرق القوافل وأثرها في تقوية العلاقات الثقافية بين ليبيا وجيرانها في جنوب الصحراء ، بحث لجبريل أبوبكر نشر في أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي ص 88 .

2- غدامس ملامح وصور لبشير قاسم يوشع ، ص 78 .

3- دليل المؤلفين العرب الليبيين ، ص 57 .

4- فهرس مخطوطات مركز جهاد الليبيين ، عمل إبراهيم سالم الشريف 2/ 213 .

5- فهرس مخطوطات مكتبة حسن حسني ، ص 47 ، وبطاقة رقم 650 ، بدار الكتب الوطنية ـ تونس .

6- مجلة البحوث التاريخية العدد الأول لسنة 1982م ، ص 91 .

7- أعمال ندوة التواصل ، ص 251 ، بحث للأستاذ : عمار جحيدر .

رابعًا ـ شيوخه وتلاميذه :

(1) شيـوخـه :

تتلمذ الشيخ الغدامسي على نخبة من العلماء المبرزين المنعوتين بالعلم والعمـل ، فكان لتلقيه عنهم الأثر الواضح في كتابته وفي سيرته ، منهم :

(1) والده الشيخ عبد الله بن أبي بكر بن أبي القاسم[1] . ولد بتمبكتو ـ إحـدى مـدن مالي الحالية ـ سنة 1035م ويبدو أن والده كان مرتبطًا هنـاك بتجـارة أو زيجـة ، فخاف أن تدركه منيته بأرض الغربة ، فيغترب أولاده ، وتضيع هويتهم .

لذا قدم بهم إلى بلده غدامس ، ثم رجع فأقام بأقدس إلى أن توفي بها سـنة 1051هــ ، وهذا حال الكثيرين من ناس غدامس الذين استقروا ببلاد بعيـدة واسـتوطنوها[2] .

---

(1) ينظر : ترجمته في تذكير الناسي ، ودليل المؤلفين العـرب الليبيـين ص225 ، وغـدامس ملامـح وصـور ص 77 ، ومجلة البحوث التاريخية ص 88 ، عدد السنة 1982 ، والترجمة من تذكير الناسي ـ وكـذا ترجمـة كل من بعده .

(2) عن عبد الرحمن السعدي : كانت الجالية الغدامسية تتمتع بأهمية كبرة لما يبديه أفرادها من نشاط وعراقـة ،=

وعاش ابنه عبد الله في ثروة والده الكبيرة ـ غير عابئ بقيمتها ، ولا عامل في تنميتها ـ حياة الترف واللهو إلى أن حدثت له حادثة أرجعته إلى جادة الصواب والهداية ، ذلك أن أحد شيوخ البلدة الغيورين ، وهو الشيخ أحمد بن أبي القاسم الخارصي[1] ، رآه يمشي مشية المتكبرين مغترا بما أغدق الله عليه من نعمة ـ فانتهره الشيخ بشدة وكان معه مفتاح فضربه به ، وأغلظ له في التعنيف ، وبين له أن هذا السلوك لا يليق بالرجال ، وأن عليه أن يسلك مسلك العقلاء .

تأثر الشيخ عبد الله بهذه العظة البليغة ، ومن وقتها غير مسلك حياته ، فاتجه إلى حلق الدروس ، بعد سن العشرين[2] ، وأكب على العلم إلى أن نال منه قدرًا كبيرًا فأجازه علماء غدامس ، ثم رحل إلى الحجاز لأداء شعيرة الحج ، وعرج على الأزهر الشريف فأخذ من علمائه من أمثال الشيخ ناصر اللقاني ، والشيخ الشبراخيتي ، والشيخ عبد العظيم الزرقاني ، ثم رجع إلى غدامس حيث تولى فيها الإفتاء ، والقضاء ، والخطابة ، والتدريس .

وكان مع ذلك ألف بعض الكتب التي دلت على منهجه وتوجهه من هذه المؤلفات :

1- منهاج السالكين إلى منافع القرآن المبين .

2- مقاصد التعريف بفضائل اسم محمد الشريف .

3- تخميس قصيدة البردة .

=وقد شيدوا لهم حيا بالمدينة ـ يعنى تمبكتو ـ يعتبر من أغنى وأرقى الأحياء فيها . (ينظر : العلاقات الثقافية بين الشعوب الأفريقية وأثر الإسلام واللغة العربية في ترسيخها ، بحث للأستاذ : عبد السلام أبو سعد بأعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقي ص 18) .

(1) العلم والعلماء بغدامس في عصر ابن غلبون ، بحث لبشير قاسم يوشع بمحلة البحوث التاريخية ص 89 .

(2) غدامس ملامح وصور ، ص 77 .

4- تخميس القصيدة المرزوقية .

5- تخميس قصيدة الشيخ يوسف الجعراني .

ألم به مرض بعد موت أولاده ، ولم يفارقه حتى فارق الحياة بغدامس في 21 من ذي الحجة عام 1121هـ - رحمه الله - .

(2) الشيخ محمد بن عمر بن عبد الوهاب الغدامسي[1] ، وصف - رحمه الله - بغزارة العلم ، وقوة الحجة ، والصلابة في الحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، مدافع عن عقيدة أهل السنة حتى مات في سبيلها .

تلقى تعليمه الأول بغدامس ، ثم أتم تعليمه بتونس ، وكانت له رحلة بالمشرق التقى فيها بالشيخ محمد الخرشي شيخ الأزهر ، وبإمام الحرمين الشيخ عيسى الثعالبي .

من مؤلفاته الدالة على حرصه على تصحيح العقيدة والدفاع عنها .

1- إرشاد خالقي ومصوري بشرح عقيدة المقري .

2- كشاف القناع .

3- نور اليقين .

وله غيرها .

تتلمذ عليه الشيخ أحمد الغدامسي ، كما تتلمذ عليه من قبله والده الشيخ عبد الله .

ومما أخذه عنه الشيخ أحمد : الحديث ، والفقه ، والعقائد ، والنحو ، وسائر العلوم ، مات شهيدًا بوادي زيغ بالجزائر - رحمه الله ، رحمة واسعة .

(3) الشيخ محمد الصالح بن عبد الرحمن بن سليم الأوجلي[2] ، قاضي بلدة أوجلة

---

(1) ينظر : ترجمته في مجلة البحوث التاريخية ، العدد الأول لسنة 1982م ، ص 93 .

(2) ينظر : ترجمته في مقدمة السدير الفاتح ، دراسة وتحقيق : محمد بشير سويسي .

ومفتيها صاحب العقيدة الأوجلية وشرحها ، أخذ عنه الشيخ أحمد الحديث وغيره ، وأجازه بحديث المصافحة والحديث المسلسل بقول : أنا أحبك ، كما حيا قبل نهاية القرن الحادي عشر .

(4) الشيخ الشريف حسن بن فائز الوداني .

(5) الشيخ محمد البكري بن عبد الكريم بن محمد الصديقي التواتي .

(6) الشيخ أحمد بن الأمين البركولي الأوازكاغي الرجل الصالح المداوم على قيام الليل .

(7) الشيخ والد رفن بن محمد شارح الألفية وغيرها ، تلميذ الشيخ محمد بن عمر الغدامسي[1] ، وصف بأنه عارف مشارك في كل فن .

(8) الشيخ أحمد بن صالح عرف أحماد البركولي .

(9) الشيخ سعيد بن أحيحة حبر وقته وعالم عصره ، مجدد الدين في وقته .

وغيرهم من علماء السودان وتمبكتو ممن ذكر بعضهم في قصيدته التي مدح بها شفاء القاضي عياض مثل :

(10) الإمام المقدم أبو زيد .

(11) وقاسم .

(12) وعبد الرحمن أبو الخيرات .

(13) وأخوه الفقيه محمد أبو البر .

(14) والشريف محمد .

(15) واحمد الملقب ببين ذكره الفقيه المدرس .

وسواهم ممن أجمله في قوله :

---

(1) واحة غدامس منطلقًا للتواصل الثقافي بين ليبيا وجنوب الصحرا ، ص 254 .

.... وتعـــداد باقيـــهم يطـــول بـه المـدى

وإذا كان معظم هؤلاء الشيوخ من السودان غير مشهورين فإن فريقا آخر منهم ملأ أسماؤهم سمع العالم الإسلامي شرقه وغربه مثل :

16) الشيخ محمد بن عبد الله الخرشي[1] ، الذي التقى بـه وبغـيره مـن علـماء الأزهـر عند عودته من الحج ، وهو أول من تولى مشيخة الأزهر إلى وفاته ، سنة 1101هـ ـ رحمه الله تعالى ـ .

17) الشيخ عبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزرقاني[2] ، الفقيه المالكي له شرح مختصر خليل ، وشرح العزّيّة ، ورسالة في الكلام على (إذا) . توفي سنة 1099هـ ـ رحمـه الله تعالى ـ .

18) الشيخ عبد السلام اللقاني[3] ، هو ابن الشيخ إبراهيم اللقاني صـاحب الجـوهرة شيخ المالكية في عصره . من تآليفه : شرح جـوهرة التوحيـد لأبيـه . تـوفي سـنة 1078هـ ـ رحمه الله تعالى ـ .

(19) الشيخ أبو مفلح خليل بن إبراهيم اللقاني[4] ، أخذ عن والده وأخويـه عبـد الـسلام ومحمد وعبد الله الخرشي ت 1105هـ .

(20) الشيخ إبراهيم بن مرعي الشبراخيتي ، من أفاضل المالكية بمصر ، مـن كتبـه : شرح مختصر خليل في الفقه ، والفتوحات الوهبية بشرح الأربعين النووية ، توفي غريقًـا في النيل وهو متوجه إلى رشيد 1106هـ ـ رحمه الله تعالى ـ[5] .

(1) ينظر : ترجمته في الأعلام 6/ 240 ، وشجرة النور الزكية ص 317 .

(2) ينظر : ترجمته في الأعلام 3/ 272 ، وشجرة النور الزكية ص 317 .

(3) ينظر : ترجمته في الأعلام 3/ 355 ، وشجرة النور الزكية ص 317 .

(4) ينظر : ترجمته في شجرة النور الزكية ص 317 .

(5) ينظر : ترجمته في الأعلام 1/ 73 ، وشجرة النور الزكية ص 317 .

(21) وأحمد المرحومي الشافعي .

(22) وسلطان بن أحمد المزاحي الشافعي .

كما أخذ عن علماء الحرمين عند التقائه بهم أثناء رحلته للحج ، وقد أجازوه بالإفتاء والتدريس ، وآذنوه أن يروي عنهم كما تقدم .

ولا شك أن هذا العدد من العلماء الذين التقى بهم الشيخ وأخذ عنهم وأجازوه ـ لا شك أن لهم أثرًا واضحًا في شخصيته علميًا وسلوكيًا ، وهم خير دليل على وجود الصلات العلمية بين علماء غدامس وغيرهم من بلاد العالم الإسلامي .

(2) تلاميـــذه :

وقد تتلمذ على الشيخ الغدامسي عدد من طلبة العلم من غدامس وغيرها منهم أخواه الشيخ عبد الرحمن والشيخ محمد الزاهد[1] .

خامسًا ـ آثــاره :

(1) مؤلفاتـــه :

ألف الشيخ أحمد ـ رحمه الله ـ في مختلف العلوم ، في التوحيد ، وفي الحديث ، وفي النحو ، وفي الفقه ، وفي الرقائق .

1- ففي التوحيد كتب هذا الشرح موضوع التحقيق ، وهو شرح لعقيدة السنوسي الصغرى المسماة "بأم البراهين" وقد سماه "إتحاف المريدين بعقيدة أم البراهين" وقد وصف بأنه من أحسن الشروح ، وكان محل قبول وثناء من العلماء ، وعكف الطلبة على قراءته ودراسته ، واشتهر بينهم بشرح الغدامسي[2] ، وانتشرت نسخه في

---

(1) ينظر : تذكير الناسي ، ورقة 56 ، 59 .

(2) ينظر : تذكير الناسي وتليين القلب القاسي ورقة رقم 54 .

مختلف البلدان ، وتوزعت في المكتبات الخاصة والعامة في كل من ليبيا وتونس والمغرب والجزائر مما ينبئ عن مكانة هذا الشرح وقبوله ، والاستفادة منه في أكثر من قرنين من الزمان .

2- وفي الحديث شرح الحديث المشهور بحديث أم زرع ، وهو حديث طويل ورد في البخاري ومسلم ، وقد سماه (عنفوان الزرع في شرح حديث أم زرع)[1] .

3- وفي النحو شرح نظم ابن الفخاري ، وهو نظم للمقدمة الآجرومية ، شرحه لأخيه محمد الزاهد لما رآه مشغوفًا بقراءته[2] ، ووصف بأنه شرح نفيس جمع فيه كل ما يحتاج إليه في العربية من قواعد وضبط وحدود وغير ذلك .

4- وفي الفقه شرح قواعد القاضي عياض[3] .

5- وفي الرقاق له شرح القصيدة الشقراطيسية وهي في مدح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ واسمه (المفاتيح الرحمانية على القصيدة الشقراطيسية) ، ووصف هذا الشرح بأنه في غاية الجودة[4] .

6- كما ألف في تاريخ مشائخه[5] ، ومن أخذ عنهم ، وهو مهم جدًا لم نستطع العثور عليه ، ولو اطلعنا عليه لأفادنا كثيرًا في الترجمة لمشائخه خاصة الذين لم نجد لهم تراجم في كتب التراجم المتاحة .

---

(1) ينظر : المصدر السابق ورقة رقم 54 .

(2) ينظر : المصدر السابق ورقة رقم 54 .

(3) ينظر : المصدر السابق وقال فيه : سمعت عنه ولم أره : ورقة رقم 54 .

(4) تذكير الناسي ورقة رقم 54 ، والشقراطيسية هي قصيدة لمحمد بن يحيى بن علي الشقراطيسي المتوفي 466هـ . ينظر : معجم المؤلفين 12/ 106 .

(5) المصدر السابق ورقة رقم 54 .

(2) شيء من شعـــره[1] :

وكما كتب الشيخ في مختلف العلوم فإن له أشعارًا في مختلف المناسبات ، وإن كنا لم نحظ إلا بوجود قصيدتين :

من ذلك قصيدته التي مدح بها والده عندما مدح (الشفاء) للقاضي عياض ومؤلفه وهي تحتوي 19 بيتًا من بحر البسيط . يقول فيها :

يا طالب العلم مشغوفًا به كلفا ... يسائل الناس أو يستفهم الصحفا
عليك بعد كتاب الله متبعا ... هدي النبي وهدي السادة الحنفا
فاسلك طريقهم واتبع فريقهم ... واعرف طريقهم ما ضل من عرفا
وفي الشفاء لمن يبغي النجاة هدى ... إن الشفاء لأدواء القلوب شفا
أبدى عياض رياضا من محاسنه ... فتجتلي طرفا أو تجتني تحفا
فدونك المسك من رياه منتشقا ... والدر ملتقطا والغيث مرتشفا
والشمس مجتليا والنجم مقتديا ... والبدر مهتديا والبحر مغترفا
لله در عياض من إمام هدى ... سما به الغرب فخرا واعتلى شرفا
وأثبت الفضل للمستأخرين فقد ... أتى أخيرا بما لم يأت من سلفا
معرفا بحقوق لا كفاء لها ... فما له غير رضوان الإله كفا
جزاه عنا إله العرش صالحة ... كم داء جهل بمضمون الشفاء شفى
واغفر إلهي لمن كنا بحضرته ... شيخ الشيوخ وبحر قدره عرفا
العالم العامل المحمود سيرته ... غوث الأنام وشيخ الوقت والخلفا
السيد الحبر عبد الله سيدنا ... من بالمحاسن والخيرات قد وصفا
يا رب فاغفر له واجعل منازله ... أعلى الجنان مع المختار والشرفا

(1) مصدرنا الوحيد في هذه القصائد تذكير الناسي مخ .

واغفـر إلهـي لكـل الحـاضرين لـه   والسامعين ومـن بـالجمع معتكفـا
واغفـر لآبائنـا واجمـع جماعتنـا   في مقعد الصدق والجنات والغرفا
يـا رب صـل صـلاة لا نفـاد لهـا   على شفيع الورى والحشر قد وقفا
والآل والصحب والأزواج أجمعهم   والتـابعين لـنهج المصطفى وقفـا

ومنها قصيدة أخرى طويلة نحو 65 بيتا من بحر الطويل[1] يشيد فيها أيضًا بالقاضي عياض وبكتابه الشفاء الذي يبدو أن الشيخ أحبه كثيرا لحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يفتتحها بقوله :

ألا فاسمعوا ساداتنا قول جاهل   يقـول بحمـد الله أبـدأ منـشدا
وأثنـي عـلى رب العبـاد إلهنـا   هو الواحد الباقي الذي قد تفردا
أصـلي عـلى خـير الأنـام نبينـا   وأردف قـولي بالـسلام مجـددا
محمـد المختـار خـاتم رسـله   وأفضلهم حقا وأحسنهم هـدى

ثم يخلص إلى أن القاضي عياضا مؤيد من عند الله ـ تعالى ـ بمدحه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإبرازه لمآثره وحقوقه ، هذا العالم الذي ظهر من المغرب الإسلامي فهو يحصبي من أهل سبتة بالمغرب الأقصى ، وأنه يعلو على الأقران ويفوق المعاصرين فصاحة وبلاغة ، وأنه موثوق بعلمه وفيما يورد من أحاديث وأخبار ، إذ هو من الفقهاء المحدثين ، فهو بحر لا تكدره الدلاء ، وقد حاز الفضل بهذا التأليف الذي لم يسبق إليه .

وهو فخر لكل أهل المغرب ، وقدوة لأهل المشرق . يقول :

---

(1) يؤخذ عليها ضعفها اللغوي . وقد أصلحت فيها بعض الضمائر .

لقد عرف المختار حقا موفيا عياض أبو الفضل الإمام المؤيدا
إمام جليل القدر لله دره لقد حاز فخرا خالدا متألدا
وباليحصبي فانعته من أهل سبتة وبالمغرب الأقصى قد كان ألحدا
لقد كان بحرا لا تكدره الدلا إمام عديم المثل في الدهر أفردا
إذا ذكرت أهل الفصاحة بزهم وإن ذكرت أهل اللسان هو المدى
وإن ذكرت أهل البلاغة فلتقل هو البحر بين الناس ليس له حدا
وإن ذكرت أهل الحديث فناقد بصير بما يروى خبير ذوي الهدى
ويعرف ألفاظ الحديث وأهله ويروي أحاديث الصحيح ويسندا
وإن ذكرت أهل المسائل والفقه فمن بينهم قد صار بحرا تزبدا
وإن قسته في كل فن تريده تجده بحمد الله سيفا مهندا
فما هو إلا مثل ما قال قائل وإني وإن كنت الأخير المجددا
لآت بما لم تستطعه الأوائل وذلك فضل الله يهدي الذي هدى
وفضل إله الخلق ليس بمختص ومن قد هداه الله حقا قد اسعدا
وما هو بين الناس إلا كجوهر نفيس يرى بين الجواهر مفردا
وقد ثبت الفضل الصميم لمن أتى أخيرًا على من كل من قبل موجدا
به افتخرت أهل المغارب كلهم ودان له أهل المشارق واقتدى

ويذكر أن القاضي عياضا وفق كثيرا في كتابه الشفا بذكر حقوق المصطفى - صلى الله عليه وسلم - فجاء كالبلسم الشافي للقلوب المتعطشة لمعرفة أوصاف حبيبها - صلى الله عليه وسلم - وأنه جاء به كنظم الدرر أو كالنسيج الملتحم فيه السدى مع لحمته فكان منه كساء متين يحمي ساحة المصطفى من كل من يحاول أن يمسها بسوء أو ينالها بأذى ، فنعم الكتاب كتاب الشفاء شفا به الصدور من جهلها وأنار لها به طريقها .

وعلى ما في هذا الكتاب العظيم من فضل إلا أن المقام أكبر من ذلك فما هذا إلا بعض من معجزات رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الكثيرة فهي كما قال البوصيري :

فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم[1]

ولكن ذلك بحر يغترف منه كل بحسب توفيق الله . يقول الشيخ في ذلك :

أتى بالشفا مثل الدواء موافقا كما وافق النساج لحما مع السدا
يعرف بعض البعض من معجزاته فلا أحد يبلغ لها الحد والعدا
شفيت صدورا بالشفاء عياضنا جزاك إله العرش قصرا مشيدا
بجنات عدن في فراديسها العلا بمقعد صدق خالدا ومخلدا
فكم من سقيم بالشفاء لقد شفى وكم من غوى الناس أضحى به اهتدى
وكم قد شفا من داء جهل ووصمة وكم قد طفا نارا من الجهل موقدا
وكم من ضعيف الفهم ذلل صعبه وكم من عيي العقل أصبح مرشدا
وكم من إمام ثاقب الذهن والحجا وكم من بصير بالرواية مسندا
يفوه ولا يألو يقر بفضله ويشهد أن الشيخ حبر مسددا

وهنا يتطرق إلى شيوخه فيمدحهم ويثني عليهم فيقول :

وجدد هذا الرسم من بعد ما عفا ويشفي صدورا بالشفاء إذا صدا
وذلك حبر الوقت عالم عصره مفيد الورى والخلق كل به اقتدى
وذاك أبو الخرشي سيدنا سعيد إلى حيحة يعزى وبالسعد أسعدا
فأبقاك ربي خالد الذكر سيدا تجدد رسم الدين دهرا ممددا

(1) القصائد البوصيرية ص 38 .

تجـدد مـا أعفـى وتـصلح مـا وهـى ... وتجلى غبار الجهـل يا مـن قـد اهتـدى
عليـك سـلام الله يـا مـن بـه سـمت ... معـالم أهـل العـصر كـالطور مـصعدا
وأشرك في هــذا المقــام أبــا الثنــا ... إمـام الـورى والـدرفن الحـبر سـيدا
لقـد كـان بحـرا في العلـوم وعارفـا ... لأحكــام ديــن الله شـيخا مجـددا
متـى ذكـرت أهـل العلـوم بعـصرنا ... هـو البحـر بـين النـاس والغـير أثمـدا
ففـي كـل فـن عـارف ومـشارك ... لـه العقـل رجـاح لـه الـذهن موقـدا
وحولــك سـادات البراكيـل لـوذ ... يغوصون بحر العلـم صـدرا وموردا
فمـنهم أبـو زيـد الإمـام المقـدم ... لقــد كــان حـبرا في العلــوم تفـردا
وذاك أبـو الخـيرات عبـد الـرحمن ... لقـد حـاز بـين النـاس فخـرا وسـؤددا
ومــنهم أبـو الـبر الفقيـه محمـد ... أخــوه وزد ذاك الــشريف محمــدا
كـذاك الـذي قـد حـج بيـت إلهنـا ... وذاك الـــذي بالـــصالحين تعــددا
عنيـت بـه أحمـاد صـالح عـصرنا ... ومــن بــصلاة الليــل دأبـا تهجـدا
وزد بعــد مـن قلنـا تفـوز بقاسـم ... وتعــداد بـاقيهم يطـول بــه المـدى
ولا تغفلــن يـا صـاح ذكـرا محمـد ... يلقــب بــين ذكــره كــان أحمــدا
وهـو الـسيد الـصدر الفقيـه المـدرس ... وأخــتم قــولي بالــسلام مــرددا
على من بهذي الـدار مـن كـل حـاضر ... ومـستمع يـصغو ومـن كـان أبعـدا
فيــا رب فاحــشرنا جميعــا بــسادة ... رجــال بنــوا الله قــصرا مــشيدا
وقــاموا بحـق المـصطفى وأسـسوا ... قواعــد لا تنهــد دهــرا مؤبــدا

وأخيرًا يعتذر للقارئ عن الطول ويلتمس العذر في أن كلامـه هـذا في ذكـر مـن يحب ، والكلام يطيب عند ذكر الحبيب . وكيف لا يحبهم وهـم أهـل العلـم والـدين أئمة وقادة إلى الله والجنة . فيقول :

وإن كنت أطنبت الكلام بمدحهم فلا لوم فيمن حبه قد تأكدا
أئمة دين الله قادة خلقه بهم يقتدي في الحق كل من اقتدى
وهذا كلام للفقير الغدامسي ومن كان بالأوزار والذنب مقعدا
وهو ابن عبد الله ذلك أحمد فقير حقير بالجهالة مرتدا
ولا تنسونا سادتي من دعائكم عسى نرتوي من حوض خير الورى غدا
وأرجو من المولى قبول دعائكم عسى ينجنا من حر نار توقدا
واسأل رحمانًا رحيمًا ومالكًا يمن على العاصي ويغفر ما اعتدى
فهو الذي يعفو ويصفح دائمًا ويغفر زلات لمن تاب واهتدى
وإني وإن كنت المسيء المكاثر فلي طمع إذ كنت عبدا موحدا
فحسن الرجا والظن عمدتي فلا عملا أرجو ولا الزاد مرصدا
وأختم نظمي بالصلاة مسلما على سيد الكونين أعني محمدا
كذا الصحب والأزواج والأهل كلهم تعمهم مني دواما مسرمدا

وله غير هاتين القصيدتين أشعار أخرى يقول صاحب تذكير الناسي : (وكان رحمه الله تعالى شاعرًا مجيدًا بليغًا له أشعار كثيرة وقصائد جمة وإنشادات بديعة لو جمع ذلك وتتبع لكان ديوانًا حافلًا)[1] .

سادسا ـ رحلاته ووفاته :

(1) رحلاته :

عرفنا أن الشيخ أحمد رجل تاجر ، ورث هذه المهنة عن أبيه عن جده ، فهم أسرة مباركة جمعت بين خيري الدنيا والآخرة : المال الصالح ، والعلم النافع الذين لا حسد إلا فيهما .

---

(1) تذكير الناسي ، مرجع سابق ، ورقة 53 .

كان الشيخ أحمد يحب التنقل ، والتعرف على البلاد القريبة والبعيدة على السواء ، فبعد أن أخذ العلم عن والده ، وعن أستاذه الشيخ محمد بن عمر بن عبد الوهاب بغدامس تاقت نفسه للمزيد ، وللالتقاء بكبار العلماء خارج غدامس ، فسافر إلى ودان حيث التقى فيها بالسيد الشيخ الشريف حسن بنا فائز الوداني ، ومحمد البكري ابن عبد الكريم بن محمد الصديق التواتي ، وانتقل إلى أوجلة حيث التقى فيها بقاضيها الشيخ الأجل محمد الصالح الأوجلي ، العالم الصالح المتقن للعلوم . كما أنه سافر إلى تونس فلقي هناك الشيخ أحمد الشريف الحسيني التونسي ، وأخذ عنه ، وتوطدت به علاقته كثيرًا .

ومن رحلاته رحلته إلى ما يسمى بالسودان ، ويبدو أنها للنيجر ، لأن صاحب (تذكير الناسي) قد ذكر[1] أنه استقر بأقدز ، وعرفنا أنها بالنيجر حاليًا .

ونتيجة لاستقراره بها فقد أخذ عن علمائها البراكلة وغيرهم كالشيخ أحمد بن الأمين البركولي ، والشيخ والدرفن والشيخ أحماد ، كما أخذ عن علماء تمبكتو ، وغيرهم من علماء السودان وهذا يدل على أنه أقام في تمبكتو بعض الوقت كما أقام بأقدز .

أما رحلاته إلى المشرق فهي تجمع بين العلم والعبادة ولذا فإنه تردد على بلاد المشرق وكرر لها الزيارة ، فقد حج ثلاث حجات[2] ، وفي أثنائها اجتمع مع علماء الحجاز ، وأخذ عنهم ، وعرج في تلك الرحلات على مصر حيث تاقت نفسه للقيا علماء الأزهر الشريف ، فأقام بمصر فترة حضر فيها على جلة من علماء الجامع الأزهر البارزين ، وأخذ عنهم العلم من أمثال الشيخ محمد الخرشي ، والشيخ الشبراخيتي ، والشيخ الزرقاني ، والشيخ عبد السلام اللقاني ، وعن أخيه أبي مفلح ، والشيخ

(1) ورقة 50 مخ بمركز جهاد الليبيين .

(2) تذكير الناسي ورقة 49 .

المرحومي ، والشيخ أحمد المزاحي ، وهذان الأخيران من علماء الشافعية .

ونال في ذلك إجازات ، وروى بعض الأحاديث بالتسلسل وهكذا جمع الشيخ بين علماء المشرق ، والمغرب ، والجنوب[1] .

(2) وفــاتــه :

بعد حياة مليئة بالعلم والعمل قضاها الشيخ متنقلا بين بلاد العالم الإسلامي غربا وشرقا وجنوبا التقى فيها بشيوخ أجلاء أخذ منهم العلم والعمل ، وأفاد بها تعلمه أبناء الأمة سائرا بسيرة أبيه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح للمسلمين وكان أعد العدة ليوم مفارقة الدنيا التي هي متاع إلى الدار الآخرة التي هي دار القرار .

وذات ليلة رأى جبريل ـ عليه السلام ـ في المنام ، فقال له : قد قرب أجلك فاصنع ما أنت صانع ، فال له : كيف وأنا ذو عيال وبنات فانظر في ذلك فمضى فرجع إليه ، فقال له مثل مقالته الأولى ، فاستيقظ من منامه فاستعد للموت وأوصى بأولاده لأخيه محمد الزاهد ، وتصدق بشيء كثير ، فمرض من يومه ذلك فمات بعد ثلاثة أيام ـ رحمه الله تعالى ـ وذلك سنة 1118هـ ودفن ـ رحمه الله ـ بقرب والده من الجهة القبلية بينهما نحو من خمسة قبور أو ستة .

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته .

سابعًا ـ مكانته العلمية :

إذا أخذنا الكتابة دلالة على المكانة العلمية فإن الشيخ أحمد قد ترك ما يدل على هذه المكانة حيث شارك بالتأليف في علوم شتى .

---

(1) نفس المصدر ، ورقة 50 .

فكتب في الحديث ، وفي النحو ، وفي الفقه ، وفي الرقائق . يقول محمد بن محمد مهلهل الغدامسي : (فلما وفر عقله وصفا لبه اشتغل بالقراءة والعلم ، فقرأ القرآن ، وتأدب وطلب العلم ، ولازم أباه وغيره حتى صار إمامًا في جميع العلوم وتمهر في سائر الفنون من الحديث ، والفقه ، والأصلين ، والعربية ، والمعاني ، والبيان ، والفرائض ، والشعر ، واللغة ، والأدب ، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية على اختلاف أنواعها ، وتباين فنونها)[1] .

وأكبر كتاباته وأشهرها : كتابه في العقيدة المسمى "إتحاف المريدين بعقيدة أم البراهين" الذي هو موضوع تحقيقنا ، والذي تدل نسخه المنتشرة في المكتبات الخاصة والعامة في ليبيا وخارجها على مكانته لدى أهل العلم وقبولهم له ، وعلى مدى ثقتهم بالمؤلف ، ومكانته بينهم .

وقد زاحم شرحه هذا ما سبقه من شروح مثل شرح الشيخ السنوسي نفسه ، وشرح ابن المصري ، وابن خدة ، وشرح علي بن عبد الصادق ومؤلفات أخرى في هذا الفن كشروح الجوهرة لإبراهيم اللقاني وابنه عبد السلام ، وشرح الخريدة للدردير ، وشروح عقيدة المقري مثل شرح شيخه محمد بن عمر الغدامسي .

وقد نهض طلاب العلم من كل مكان وسارعوا لنقل نسخ منها ومن بين هؤلاء المستنسخين من له المكانة الرفيعة مثل الشيخ الفاضل عبد المقصود بن محيسن الورفلي الذي كان مدرسًا ببني وليد في زمانه ، ومن كتاب الوثائق المشهورين .

وإذا قلنا إن شهادات الأشياخ هي المعيار للحكم على مكانة العالم ـ نجد أن أفاضل العلماء قد أجازوه بمؤلفاتهم ومروياتهم وأثنوا عليه الثناء الحسن من أمثال : الشيخ إبراهيم الشبراخيتي والشيخ محمد عبد الله الخرشي ، والشيخ عبد الباقي

(1) تذكير الناسي ، ورقم 48 .

الزرقاني ، والشيخ أبو مفلح خليل بن الشيخ إبراهيم اللقاني ، والشيخ عبد السلام اللقاني ، فقد أجازوه بالإفتاء والتدريس ، وأذنوه أن يروي عنهم كيف شاء كما أجازه علماء الحرمين .

كما أجازه الشيخ محمد الصالح الأوجلي بحديث المصافحة ، والحديث المسلسل بقول : (أنا أحبك)[1] .

فهذه الإجازات لا تكون إلا عن قناعة واعتراف بمكانة الرجل العلمية وأهليته للتصدي للتدريس والإفتاء .

وأما الثناء عليه فقد نقل أن والده قال عند موته : لو عاش أحمد لأشبعكم علما كما تقدم .

وقال أخوه عبد الرحمن مثنيا على الله بإنعامه وأفضاله التي منها توفيقه لأخيه أحمد في أبيات من بحر البسيط منها :

حمدت مولاي حمد الحامدين على   إنعامه بكمال الحسن في المثل
من علينا بشيخ العلم أحمد قد   حاز العلوم مع التوزين بالجمل[2]

وقال فيه الشيخ إبراهيم الشبراخيتي : "خلاصة الأكابر الأعيان ، نادرة عظماء هذا الزمان ، عمدة الأفاضل الأماثل الأماجد الكرام ، الشيخ الإمام ، الرحالة ، المحقق ، المدقق ، الهمام ، شيخ الإسلام ، الشيخ أحمد بن علامة الأنام عبد الله بن أبي بكر بن أبي القاسم بن محمد الغدامسي"[3] .

(1) تذكير الناسي ، ورقم 50 .

(2) نفس المصدر ، ورقم 53 .

(3) نفس المصدر ، ورقم 64 .

الفصل الثاني :

أهمية علم العقيدة والكتاب المحقق

المبحث الأول :
أهمية علم العقيدة والمصنفين فيه

أولاً - أهمية علم العقيدة :

علم العقيدة من أهم ما ينبغي للمسلم أن يهتم به ويتعلمه ؛ لأن عبادته ومعاملاته كلها تنطلق من عقيدته . فهي تتناول أركان الإيمان الستة ، وترجع إليها أركان الإسلام الخمسة ، وهو الذي تعالج على هدى منه قضايا العصر ، من إلحاد ، ومادية ، وعولمة ، كما عالج من قبل قضايا الفلسفة ، والسفسطة ، والزندقة والجبر ، ورد على الدهرية ، والقدرية ، والطبائعيين والذين يتبعون المتشابه من أهل الزيغ .

وهذه رسالة العلماء في كل وقت ، وإن اختلفت مناهجهم حسب العصور التي يعيشون فيها ، والقضايا المعاصرة لهم ، وإذا عيب على علم الكلام وانتقد من رجال السلف فلأنهم نظروا إليه من منظار رأوا فيه نقاء المجتمع وعدم تعقيده ، فلا تشوش أفكاره بقضايا منطقية وفلسفية ، وهذا هو أصل دعوة التوحيد .

ولكن يعتذر عن المتأخرين أن الأعداء رموهم بسهام فيها خبث ومجادلة وشُبه قضايا معقدة من الفلسفة فكان لا بد لهم من أن يكون سلاحهم بنفس سلاح العدو ليتمكنوا من مقارعته وإدحاض شبهه .

وإذا كان لنا أن نلخص أهمية علم العقيدة فإننا نستعير من عضد الدين الإيجي الذي لخص فائدته في النقاط الخمسة الآتية :

1- الرقي من حضيض التقليد إلى ذروة الإيقان .

2- إرشاد المسترشدين بإيضاح المحجة ، وإلزام المعاندين بإقامة الحجة .

3- حفظ قواعد الدين عن أن تزلزلها شبه المبطلين .

4- أن تبنى عليه العلوم الشرعية ، فإنه أساسها ، وإليه يؤول أخذها واقتباسها .

5- صحة النية والاعتقاد ، إذ بها يرجى العمل ، وغاية ذلك كله الفوز بسعادة الدارين[1]

ولهذه الأهمية فقد اتفق علماء الإسلام على وجوب تعلم التوحيد ومعرفة حدود العقيدة ، وتباينت آراؤهم بين متشدد ومتساهل في القدر الذي يجب على الإنسان معرفته منها .

وهل يكتفي بالتقليد ، أو لا بد من معرفة الدليل الذي ترد به الشبه ودرج المسلمون على تعليمه لأطفالهم منذ نعومة أظفارهم .

ثانيا - أشهر المصنفين فيه :

لقد اهتم علماء الإسلام منذ بداية التدوين بالتصنيف في العقيدة وأركان الإيمان ، في أسماء الله - تعالى - وصفاته ، وفي القدر ، وسائر أركان الإيمان ، متخذين القرآن العزيز والسنة النبوية مصدرًا ومنهجًا ، ينفون عن الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين ، وشبهات الزائفين ، يبينون صحيح الاعتقاد بصحيح المنقول من كتاب الله - تعالى - وهدى نبيه - صلى الله عليه وسلم .

وممن اشتهر بالتأليف في هذا الفن الإمام أحمد بن حنبل ت241هـ ، وأبو الحسن الأشعري ت324هـ ، وأبو منصور الماتريدي ت333هـ ، والباقلاني ت403هـ ، والحليمي ت403هـ ، والقاضي عبد الجبار ت415هـ ، وعبد القاهر البغدادي ت429هـ ، وابن حزم ت450هـ ، والبيهقي ت458هـ ، والاسفراييني ت471هـ ، وأبو إسحاق الشيرازي ت476هـ ، والجويني ت478هـ ، والغزالي ت505هـ ، وابن تيمية ت728هـ ، والسعد التفتازاني ت793هـ ، والشيخ السنوسي ت895هـ ، وغير هؤلاء ممن جاء

---

(1) ينظر : علم الكلام عرض ونقد - للدكتور عامر النجار ص 14 ، 15 .

ذكرهم في شروح الشيخ السنوسي لأم البراهين وغيرها .

وامتدادا لذلك جاء العلماء في كل عصر حتى يومنا هذا . ولا شك أن التواصل في الكتابة يدل على أن علماء المسلمين قائمون في كل وقت برسالتهم ، وهي المحافظة على ميراث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والعمل على إظهار عقيدة الإسلام صافية خالية من كل كدر وغش .

المبحث الثاني : الكتاب المحقق

أولاً ـ اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه :

(1) اســمــه :

اختار الشيخ أحمد الغدامسي لكتابه هذا اسما فيه البهجة والمسرة ، ويشعر بالفائدة التي سيحصل عليها القارئ لكتابه فسماه : "إتحاف المريدين بعقيدة أم البراهين"، وهذا الاسم محل اتفاق بين جميع النسخ ، وهو كذلك عند كل من تعرض لذكره ممن ترجم للشيخ ، فهو في تذكير الناسي قريب من ذلك[1] ، وفي دليل المؤلفين العرب الليبيين كذلك[2] ، وهو كذلك في مجلة البحوث التاريخية[3] ، وهو ما نقله بشير قاسم يوشع أيضًا في كتابه : "غدامس ملامح وصور"[4] ، وهو بهذا الاسم في فهرس مخطوطات مكتبة حسن حسني عبد الوهاب[5] .

أضف إلى ذلك أن العنوان متكامل على المخطوط ، وأنه يتفق هو ومتن الكتاب حيث الورقة الأولى التي تحمل عنوانه موجودة ، ولم يكن هناك انطماس في العنوان ، وليس هناك تزييف يمحو العنوان الأصلي .

وقد نص على ذلك في مقدمته إذ قال : وسميته : "إتحاف المريدين بعقيدة أم البراهين"[6] ، ولم يشذ عن ذلك إلا محمد مهلهل فإنه ذكر أن اسمه : إتحاف المريدين

---

(1) ورقة 53 مخ بمركز جهاد الليبيين .

(2) ص 75 .

(3) العدد الأول لسنة 1982 ص .

(4) ص 78 .

(5) ص 47 .

(6) ص 113 .

بشرح عقيدة أم البراهين"[1] ، ولكنه لم يتابعه أحد غيره عليه ، إلا أن هذه الزيادة لا تعتبر خلافًا حقيقيًا إذ هو متفق مع الجميع على أساس التسمية "إتحاف المريدين" .

كل ذلك يجعلنا نطمئن إلى أن هذا الكتاب صادق التسمية إلى مؤلفه الشيخ أحمد الغدامسي .

(2) نسبته لمؤلفه :

كل من ذكر في المراجع السابقة لم يختلفوا في نسبة هذا الكتاب إلى الشيخ أحمد الغدامسي فنسبته إليه أيضًا محل إجماع ممن كتبوا عن الشيخ ومؤلفاته ، فلم ينسبه أحد لغيره أو شكك في نسبته إليه .

(3) تاريخ تأليفه :

أما تاريخ تأليفه فهو ما ظهر في آخر الكتاب في جميع النسخ التي يبدو أنها كلها تنقل من نسخة المؤلف ، فهو قد كتب كتابه بنفسه سنة 1094هـ ، ثم تداولته أيدي النساخ بعد ذلك ، وقد بينه هو بدقة حيث قال : وكان الفراغ من هذا الشرح المبارك آخر يوم الخميس الثاني عشر من ربيع الأول عام أربعة وتسعين وألف[2] .

ثانيا ـ الموضوعات التي تناولها في هذا الكتاب :

لقد تناول الشيخ الغدامسي في كتابه الموضوعات الآتية :

ـ أقسام الحكم العقلي .

ـ المعرفة وحكمها .

---

(1) تذكير الناسي ، ورقة 53 .

(2) ص 380 .

- ضرر أخذ العلم من الكتب غير المعتمدة .

- مباحث الصفات ، وما يجب لله - تعالى - وما يستحيل ، وما يجوز .

- ما يجب ، وما يستحيل ، وما يجوز في حق الرسل .

- البحث في كلمة التوحيد ، وتضمنها لسائر العقائد .

- بيان حكم التلفظ بها ، وكيفية الذكر بها ، والفوائد التي يجنيها الذاكر بها .

هذه على العموم الموضوعات التي تعرض لها الشيخ أحمد الغدامسي بالبحث والشرح ، وإن كان هناك مسائل عارضة لا يستغني عنها الباحث في هذا المجال ناقشها الشيخ ووضحها ، كالكلام على القراءات ، أو على الخواطر الخمسة أو حديثه عن قضايا منطقية ، أو لغوية مما يتطلبه السياق والبحث .

ثالثا - قيمة الكتاب العلمية :

يعتبر هذا الكتاب إسهامًا في خدمة العلم والدين ، فقد أراد مؤلفه أن يشارك به في ميدان خدمة العقيدة ، وهو لم يدّع إضافة لجديد ، وإنما هو تجميع لآراء واستنباطات من مصادر مختلفة بعض منها سماعي ، والأكثر مدون مكتوب ، والأخيرة منها ما كتب له أن يطبع ويتداول "كالإرشاد" للجويني ، وكتب السعد التفتازاني ، وعقائد السنوسي ، ومنها ما لم نعلم أنه طبع ، كشرح الإرشاد لابن دهاق ، وشرح المظفر المقترح ، وشرح الهدهدي الكبير على "أم البراهين" ، وشرح الشاذلي المنوفي ، وعقيدة محمد بن عمر الغدامسي بعضها نال شهرة بين طلبة العلم في مختلف بلاد العالم الإسلامي مثل "جوهرة التوحيد" لإبراهيم اللقاني ، وشرحها لابنه عبد السلام وبعضها الآخر لم ينل هذه الحظوة مثل : "عمدة المريد" للشيخ إبراهيم اللقاني ، وهو شرح على جوهرته المذكورة .

وهذه المصادر الكثيرة التي ينقل عنها الشيخ الغدامسي متنوعة منها ما يحمل الفكر الصوفي ، ومنها ما يحمل الفكر السلفي ، ومنها ما يحمل الفكر الأشعري المتطور .

منها كتب الفقه ، وكتب الحديث ، وكتب التفسير ، وكتب اللغة ، إضافة إلى كتب العقيدة التي تعتبر المصدر الأول للكتاب .

ولم يخل هذا الكتاب من التعرض لذكر آراء العلماء من غير أهل السنة ، كالمعتزلة ، والدهرية ، والفلاسفة ، إما لمناقشتها والرد عليها ، أو للاستدلال بها كما في آراء الزمخشري اللغوية .

"فإتحاف المريدين" يعتبر لبنة في بناء عقيدة السنة ، ومصدر لآراء كثير من العلماء الذين لم يكتب لمؤلفاتهم الظهور .

رابعًا - أسلوبه :

لم يظهر للشيخ الغدامسي أسلوب يتميز به في كتابه ، فهو من أهل التقدير والفضل ، يرى ما للسابقين من فضل فيكتفي بمباحثهم ، ويسير على طريقتهم ، يستحسن من هذا هنا ، ومن ذاك هناك فجاء أسلوبه تقليدًا لهم ، يشير لآرائهم ، ويستعير عباراتهم ، كالشيخ السنوسي ، والشيخين إبراهيم وعبد السلام اللقاني ، والشيخ محمد بن عمر الغدامسي ، وابن المصري ، شارحًا وموضحًا عقيدة أهل السنة على طريقة الأشعرية ، متجافيًا عن آراء الفلاسفة والمعتزلة .

يقرر وجوب المعرفة ، لكنها المعرفة الإجمالية للدليل ، وليست التفصيلية ، يرفض التجسيم ، ويبتعد عن المغالاة في التأويل ، يشرح المتن بطريقة الإدماج ، ويعلق أحيانًا بتعليقات لطيفة ، يكثر الثناء ، على أشياخه ، وينقل عباراتهم مثل : "السعد - أسعده الله -" ويقسو على المخالفين مثل قوله : "القدرية مجوس هذه الأمة" ، "الطبائعيين - أهلكهم الله -" ، "الفلاسفة - لعنهم الله وأخلى الأرض منهم -" ، وما شابهها .

وربما كان في أسلوبه بعض الطول دعاه إليه إرادة التوضيح بالدليل المركب من قضايا منطقية ـ فيشعر القارئ لهذه القضايا المركبة بالملل ، ولكن عذره في ذلك أن هذه الطريقة كانت هي السائدة في عصره ، ومستساغة ومقبولة .

وبعد فليس للشيخ أحمد في "إتحاف المريدين" أسلوب متميز يعرف به إلا أن يكون سهولة العبارة ووضوحها ، لدرجة قربها من لغة العامة في تواضع وتذلل .

خامسًا ـ مصادره التي اعتمد عليها :

ينقل الشيخ الغدامسي من مصادر كثيرة ومتنوعة اعتمدها كمراجع ينقل منها أحيانًا نقلًا حرفيًا ، وأحيانًا أخرى نقلا بتصرف ، وأحيانًا نقلا بالمعنى .

وهو في معظم هذه النقول يشير إليها ، وفي أحيان قليلة يهمل ذكرها ، وإن أشار إلى أن الكلام ليس له .

وإذا تتبعنا هذه النقولات من هذه العدد الوافر من المراجع المتنوعة التي حفل بها هذا الشرح من مختلف فنون العلم كالتوحيد ، والتفسير ، والفقه ، والحديث ، والنحو ، والأدب . فإننا نلمس جهد وعناية الشيخ واحتفاءه بآراء من سبقه من علماء أهل السنة في المسائل الشرعية ، وآراء من يعتد به في العلوم العربية أو المنطقية .

وعلى سبيل المثال نذكر بعض هذه المراجع مثل : شروح الشيخ السنوسي على عقائده الكبرى ، والوسطى ، والصغرى ، وصغرى الصغرى ، والمقدمات ، وشرح الجزائرية وعقيدة الغزالي ، والإحياء له ، وشرح الشيخ زروق لعقيدة الغزالي ، وشرح الأسماء الحسنى لزروق أيضًا ، والإرشاد لإمام الحرمين أبي المعالي ، وشروحه لكل من ابن دهاق ، والمقترح .

وجوهرة التوحيد وشرحها لإبراهيم اللقاني ، وشروحها لابنه عبد السلام اللقاني .

وعقيدة المقري وشروحها لابن خدة ، ومحمد بن عمر الغدامسي ، وشرح المقاصد للسعد التفتازاني والآمدي ، والحليمي .

وكتب ابن عطاء الله السكندري ، والقشيري ، والشيرازي ، وأقوال أبي العباس المرسي .

وكتب التفسير لابن العربي ، والقرطبي ، والبيضاوي ، وأبي حيان ، والزمخشري ، والسيوطي .

وكتب الحديث ، وشروحها لمثل النووي ، وابن حجر ، وابن أبي جمرة ، والباجي ، وابن عبد البر ، والزرقاني .

وعن كتب الفقه كمختصر خليل وشروحه للخرشي ، والزرقاني والأجهوري ، والرسالة وشروحها للزروق ، والأجهوري وغيرهما .

وعن كتب اللغة للخليل بن أحمد ، وسيبويه ، والجزيري ، علاوة على الاستشهاد بفصيح الكلام لشعراء مشهورين .

وغير ما ذكر كثير ، وسيرد ذكرهم في التعليقات عند عرض النص - إن شاء الله - كما أنها أيضًا ستكون من ضمن قائمة المراجع عند ذكر فهارس التحقيق .

وهذا الكم الهائل من المصادر التي رجع إليها المؤلف ونقل عنها يعطينا فكرة واضحة عن مدى حرص الشيخ الغدامسي على الاستفادة من جهود من سبقه ، أو عاصره من فحول العلماء .

ومما هو جدير بالتنويه أن الشيخ الغدامسي كثير الاعتماد على آراء غيره التي يستحسنها وينقلها ، وقد يرجح بعضها أو يوجهه أو يعلله .

وهذا في الواقع لا يغض من منزلته العلمية وفهمه ؛ لأن اختيار الآراء وانتقاءها ، ووضعها مواضعها هو أيضًا من دلائل سعة الإطلاع والفهم ، علاوة على دلالته على التواضع ، والابتعاد عن الفخر ، والإعجاب بالنفس .

سادسا ـ منهجه :

تقدم في ذكر أسلوب الشيخ الغدامسي أن طريقته طريقة الأولين ومنهجه هو منهجهم[1]، وأريد هنا أن أسوق الأمثلة على هذا المنهج وطريقة تناوله للمسائل ليكون القارئ على بينة منه قبل تداوله الكتاب .

فالشيخ الغدامسي بما توفر له من المراجع تمكن من دراسة أساليب من سبقه ، والاطلاع على آرائهم ونقولاتهم .

وبوقوفه على هذه الآراء والنقولات تمكن أيضًا من أن ينتقي من بينها ما يراه الأنسب ، والأوضح ، والأفيد للقارئ ، ولا يتحرج في أن تكون هذه النقول أحيانًا طويلة طالما كان في نقلها توضيح فكرة أو سداد رأي ، وأغلب هذه النقول كانت من كتب الشيخ السنوسي ، أو من اللقاني ، وبعضها من الشيخ محمد بن عمر الغدامسي ، أو من ابن المصري الذي أشار الشيخ أن أكثر اعتماده عليه في آخر الكتاب .

وهو في هذا النقل ليس بمنأى عن إعمال فكره والتدخل برأيه ، بل يذهب إلى الترجيح عندما يتطلب الأمر ترجيحًا أو مفاضلة ، وقد يعدل في العبارة بالزيادة أو الحذف ، أو يصحح ما يراه محتاجًا إلى التصحيح .

وإني أضع بين يدي القارئ هذه الأمثلة لطريقة الشيخ الغدامسي في تناوله للمسائل ، وتعامله مع النصوص المنقولة ، وأدبه مع من ينقل عنهم ، رجاء أن يكون في ذلك جلاء وتوضيح لهذا المنهج .

تعرض الشيخ أحمد الغدامسي لحكم الخوض في علم أصول الدين ، وافترض سؤالاً يقول : لم الخوض في هذا العلم ، ولم يخض فيه الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ؟ ويأتي بالجواب على لسان الشيخ سعد الدين التفتازاني فيقول : "قال السعد ـ أسعده

---

(1) ينظر : أسلوبه ص 71 من هذا البحث .

الله ـ وقد كانت الأوائل من الصحابة والتابعين ـ رضي الله تعالى عنهم أجمعين ـ لصفاء عقائدهم ببركة صحبة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقرب العهد منه ، ولقلة الوقائع والاختلافات ، وتمكنهم من مراجعة الثقات مستغنين عن تدوين أصول الدين وفروعه"[1] .

وعندما تعرض ـ رحمه الله ـ لمسألة الإيمان ، وهل يكتفي بما يدل على الإيمان بأي لفظ ، أو لا بد من التلفظ بالشهادة بالنفي والإثبات ـ ذكر رأي ابن عرفة ، ورأى الأبي ، والمبني أولهما على حديث : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله"[2] ، وثانيهما على حديث : "من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة"[3] .

فرجح رأي ابن عرفة ، ودلل على هذا الترجيح فقال : "والحاصل أن المسألة فيها قولان ، والأولى كلام ابن عرفة ؛ لأن الشرع تعبدنا بلفظ أشهد ، والإنفاء ، والإثبات" [4] .

وعندما تعرض في سياق الحديث عن الملائكة لمسألة هاروت وماروت وذكر ما للعلماء في شانهما من أمثال القرطبي ، واللقاني ، والقاضي عياض ، والشيخ السنوسي وغيرهم اختار لنفسه موقف التسليم ، وعدم الخوض فيما لم تعلم السلامة منه ، فيقول في مختتم عرض هذه الآراء : "والوقف أسلم"[5] .

وقد يقلب الأمر على وجهه حين يرى المسألة ذات أوجه واحتمالات ، ولكل وجه حكم يبرز هذا في مناقشة التفاضل بين نساء بيت النبوة فينقل رأي الأشعري ،

---

(1) ص 135 من هذا البحث .

(2) رواه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان عن عثمان ـ رضي الله عنه ـ 1/ 218 .

(3) متفق عليه من حديث أبي هريرة ، وقد رواه البخاري في فتح الباري 6/ 112 ، ومسلم في صحيحه بشرح النووي 1/ 210 .

(4) ص 356 من هذا البحث .

(5) ص 344 من هذا البحث .

ورأي السبكي الذي فصل القول في التفضيل، وجعله بالأحوال، فيقول الشيخ الغدامسي معلقًا على رأي السبكي: "قلت وهو جيّد إن قلنا إن التفضيل بالأحوال وكثرة حميد الخصال، وأما إن قلنا باعتبار كثرة الثواب فقول الأشعري بالوقف أقرب للصواب"[1].

وإذا أخذنا اتباع أقوال الشيخ السنوسي كمظهر من هذا المنهج فإننا نلمحه من إطرائه والثناء عليه وعلى شرحه لأم البراهين إذ يقول: "إنه أبدع فيه غاية الإبداع، وأفصح فيه غاية الإفصاح، بحيث لم يدع فيه قولة لقائل، ولا لمزيد بعده من طائل"[2].

وينقل عن الشيخ السنوسي نصوصًا قد تطول أحيانًا، ولكثرة هذه النقول فإنه أحيانًا يذهل عن نسبتها وقد يدل عليها دلالة كمثل قوله: "فالشيخ نص على وجوب المعرفة، وعدم الاكتفاء بالتقليد" ثم ذكر كلامًا في نحو صفحة أو أكثر هو للشيخ السنوسي[3].

والشيخ الغدامسي متواضع يذكر الفضل لأهله، وينسب التقصير لنفسه بخلاف من يتصيدون الهفوات للناس.

تراه مثلاً يعتذر عن الشيخ السنوسي في تأخيره للصفات المعنوية في أم البراهين، وتقديمه لها في العقيدة الكبرى، وهو في ذلك مقتد بابن خدة بأن ذلك كان من الشيخ مراعاة لبعض الأحوال، فإذا غاب عنا قصده في ذلك فمن قصور فهمنا[4].

ويظهر هذا الإجلال للشيخ السنوسي في مواضع كثيرة في هذا الشرح، فعند الكلام على الوحدانية حيث يقول السنوسي: "إذ لو كان معه ثان لما افتقر إليه شيء

---

(1) ص 375 من هذا البحث.
(2) ص 118 من هذا البحث.
(3) ص 192 من هذا البحث.
(4) ص 233 من هذا البحث.

للزوم عجزهما" ويورد تفسيرًا وتعليلاً لتثنية الضمير في "عجزهما" وإفراده في "لما افتقر إليه شيء" فيقول معقبا على ذلك : "ولقد أحسن ـ رضي الله عنه ـ في إفراده الضمير في قوله : لما افتقر ... وتثنيته في لزوم عجزهما ، وهو محسن في جميع أقواله وأفعاله ـ نفعنا الله ببركاته وحشرنا معه في جناته ـ"[1] .

بل إنه أحيانًا يكمل له العبارة ، فقد ختم الشيخ السنوسي العقيدة بالصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ دون أن يذكر معها التسليم ، فيستدرك الشيخ الغدامسي متممًا له فيقول : يريد : وسلم[2] .

وهكذا يصاحبه هذا الأدب من بداية كتابه حتى نهايته . وإذا عرفنا ما للشيخ السنوسي من المكانة في نفس الشيخ الغدامسي فلا عجب أن نراه مكثرًا من النقل عنه دون استنكاف وإن لم يكن قاصرًا للنقل عليه ، بل متى حسنت العبارة وظهرت الفائدة نقل .

ومن الأمثلة على ذلك النقل نقله لهذا الكلام في صفة الكلام "وكنه هذه الصفة ، وسائر صفاته ـ تعالى ـ محجوب عن العقل كذاته ـ جل وعز ـ فليس لأحد أن يخوض في الكنه بعد معرفة ما يجب لذاته ـ تعالى ـ وصفاته ، وما يوجد في كتب علم الكلام من التمثيل بالكلام النفسي في الشاهد عند ردهم على المعتزلة ... لا يفهم منه تشبيه كلامه ـ جل وعز ـ بكلامنا النفسي في الكنه ... إلى أن يقول : واعلم أن الكلام ينقسم إلى أربعة أقسام :

1- الكلام بالحرف والصوت ككلامنا .

2- وكلام ليس بحرف ولا صوت ككلام الله ـ تعالى ـ .

---

(1) ص 334 من هذا البحث .

(2) ص 369 من هذا البحث .

3- وكلام صوت بلا حرف كالمكحلة ، وصوت البهائم .

4- وكلام حرف بلا صوت كالذي في المصحف ، لقول أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ ما بين دفتي المصحف كلام الله ـ تعالى ـ[1].

وعن الكسب الذي اشتهر به الأشعري حتى قيل فيه : "أخفى من كسب الأشعري" وادعى بعضهم أنه اسم بلا مسمى ينقل الشيخ الغدامسي عن السنوسي قوله : "والحق عندنا أن العبد لا يخلق أفعال نفسه ، وإنما هو كاسب لها ضرورة لتعلق التكليف بها ، فإنا نعلم بالبرهان أن لا خالق سوى الله ـ سبحانه وتعالى ـ وأن لا تأثير ، ونعلم بالضرورة أن القدرة الحادثة للعبد تتعلق ببعض أفعاله ، كالعقود دون البعض كالسقوط ، فقد سمى أثر القدرة الحادثة كسبًا ، وإن لم تعرف حقيقته ، وبهذا تعرف بطلان مذهب الجبرية ... والقدرية مجوس هذه الأمة ..."[2] .

وكما أن الشيخ السنوسي شديد التصلب أمام أصحاب التيارات الخاطئة ـ مثل الفلاسفة ، والطبائعيين ، والمعتزلة ، والجبرية ، والباطنية ـ كذلك نجد الشيخ الغدامسي يحذر بشدة من الانحراف نحو هذه التيارات أو التأثر بأساليب دعاتها الذين قد يأخذون على حين غفلة الذين لم يتحصنوا بصحيح العقائد .

وللشيخ الغدامسي في التعامل مع النصوص ثلاث طرق :

الأولى : أنه ينقل كلام غيره بنصه كاملاً كما رأينا في الأمثلة التي تقدمت في نقله عن الشيخ السنوسي ، والسعد ، وهي الطريقة الغالبة .

الثانية : أنه ينقل النص ويضيف إليه ما يراه زيادة في إيضاحه وجلائه ، من ذلك ما نقله عن الشيخ عبد القادر بن خدة وهو دائمًا يعبر عنه بسيدي عبد القادر بن خدة

---

(1) ص 223 من هذا البحث .

(2) ص 270 من هذا البحث .

ـ من قوله : "فلفظ الرب في كلامه ـ أي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مفرد ، وكذلك العدو ، وعبر عما تعلق بهما بالمعرفة ، وحكم على الآخرة بأنها دار إقامة وحكم على رحلة العبد من الدنيا إلى الآخرة بالسرعة ، وعبر عما تعلق بالحكم الذي هو مركب بالعلم "ثم استدرك عليه تعريف الحكم لغة بأنه المنع ، واستشهد له بقول جرير :

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضب

أي امنعوا سفهاءكم ، وتسمية العرب للحديدة في فم الفرس بالحكمة ، وأشار إلى هذا الاستدراك بقوله : "وبزيادة شيء"[1] .

ومثل آخر لهذه المداخلات التي يدلي فيها الشيخ الغدامسي برأيه ما ذكره عند الكلام على العقل حين نقل كلام الشيرازي في تعريفه ، ومذهب أهل السنة في أنه عرض ، وأن محله القلب ، وأن نوره في الدماغ ، وعزوه ذلك لمالك ، والشافعي ، وجمهور المتكلمين ، ثم يعقب على ذلك بقوله : "وهو الصحيح الذي تدل عليه نصوص الشريعة" .

ويرد على من يقول : إن محله الدماغ بقوله : "وأما فساده لفساد الدماغ ، فلا يدل على أنه محله كما نقله أكثر الحكماء ، وبعض الفقهاء ؛ لجواز أن تكون سلامة الدماغ شرطًا في اتصال القلب به عادة"[2] .

الثالثة : أنه يذكر الأقوال ، ويترك الأمر مفتوحًا للبحث إما لكثرة الخلاف في المسالة ، وإما لأنه لا يرى فائدة كبيرة في ذكر تلك الآراء ، وإما أنه يريد أن يعود إليها في مكان آخر ، كما في مسألة بعث الرسل إلى الجن هل يكونون من الإنس ، أو من

---

(1) ص 176 من هذا البحث .

(2) ص 182 من هذا البحث .

الجن . وذلك في غير نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ[1] .

ولما كانت العقيدة لا تعلم إلا من خلال الدليل سواء كان هذا الدليل نقليًا أو عقليًا فقد زين الشيخ شرحه بهذه التقسيمات المغذية للعقول فقال : "واعلم أن عقائد الإيمان على أربعة أقسام :

الأول : لا يعلم إلا بالعقل ، وهو ما تتوقف عليه دلالة المعجزة وهي الصفات الأربعة : القدرة ، والإرادة ، والعلم ، والحياة .

الثاني : ما لا يثبت إلا بالشرع ، وهو كل ما لا تتوقف عليه دلالة المعجزة ، ويرجع إلى وقوع جائز كأحوال الآخرة .

الثالث : ما يصح إثباته بالدليل العقلي والنقلي ، ولكن الدليل الشرعي فيه أقوى من العقلي ، وهو ما تتوقف عليه دلالة المعجزة ، ولا يرجع إلى وقوع جائز كالسمع والبصر والكلام .

الرابع : ما اختلف فيه هل هو من القسم الأول ـ أي لا يثبت إلا بالعقل ، أو من القسم الثالث ـ أي يثبت بالسمع وبالعقل كالوحدانية .."[2] .

وزيادة الإيمان ونقصانه من القضايا التي تضاربت فيها آراء الفقهاء ، ويميل الشيخ الغدامسي إلى رأي جمهور الأشاعرة ، وهو أنه يزيد وينقص ، ويستأنس بما ينقله عن الشيخ إبراهيم اللقاني فيقول : "إن زيادة الإيمان ونقصانه هو الراجح عند جماعة من العلماء ، وورد به ظاهر الكتاب والسنة ، وذهب إليه جمهور الأشاعرة وبه قال الفقهاء والمحدثون ، ونقل عن الشافعي ، وعن مالك الذي قال : لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ،

---

(1) ص 173 من هذا البحث .

(2) ص 277 من هذا البحث .

ويزيد وينقص محتجين بالعقل والنقل .

أما العقل فهو أنه لو لم يزد وينقص لتساوى إيمان صالحي المؤمنين بإيمان الفاسقين ، وهو باطل .

وأما النقل فمن الكتاب ما ورد في عدة آيات من النص على زيادة الإيمان[1] ،وما قبل الزيادة يقبل النقص .

وأما من السنة فقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما سئل عن ذلك : (**نعم يَزِيدُ حَتَّى يُدْخِلَ صَاحِبَهُ الجَنَّةَ ، وَيَنْقُصُ حَتَّى يُدخِل صَاحِبَهُ النَّارَ**)[2] ، وهو نص في الزيادة والنقصان معًا وكذا حديث : (**لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيمانِ هَذِهِ الأُمَّةِ لَرَجَحَ بِهِ**)[3] [4] .

وربما رأى معلومة مهمة تستحق أن يلفت الأنظار إليها فيسوقها في صورة تنبيه . كما فعل في تحقيق معرفة الله ـ تعالى ـ[5] وذلك حينما نقل نصًا عن ابن التلمساني يقول فيه : "المراد بمعرفة الله تمييزه عن خلقه بما يجب له ، أو يستحيل ، أو يجوز ، لا معرفة الكنه والحقيقة ، فهي معجوز عنها ، فلسنا مكلفين بها خارت عقول الورى عنه ،

---

(1) مثل قوله تعالى : ﴿ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾ سورة التوبة آية (124) ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ سورة الأحزاب : آية (22) ، وقوله تعالى : ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾ سورة الفتح آية (4) .

(2) رواه البيهقي في شعب الإيمان 1/ 77 حديث رقم 56 ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل في السنة 1/ 311 حديث رقم 611 وينظر ص 358 من هذا البحث .

(3) رواه ابن عدي في الكامل عن ابن عمر بسند ضعيف 4/ 201 ، وأحمد في مسنده فضائل الصحابة عن عمر موقوفًا عليه 1/ 418 ، وأورده العجلوني في كشف الخفاء ، حديث رقم 2131 وعزاه إلى البيهقي وقال : "سنده صحيح" .

(4) ص 194 من هذا البحث .

(5) ص 195 من هذا البحث .

وعجزت عن جلال الله ـ تعالى ـ قال الأبي ناقلًا عن عياض : حقيقة الإيمان الموقوف عليها دخول الجنة ، هي الاعتراف بوقوع الجزاء عليه في الدار الآخرة[1].

والكلام على صفة الكلام كثير حتى سمي به هذا العلم ، وفيه ينتقل بنا الشيخ الغدامسي من رحاب شيخ إلى آخر فكما نقل لنا كلام الشيخ السنوسي ، وتقسيمه الكلام إلى أربعة أقسام ، ينتقل بنا إلى الشيخ الملالي ليروي لنا قوله : "اعلم أنك إذا سمعت كلام الله ـ تعالى ـ من البشر سمعته متلوا مقروءا ، وإن سمعته من الله ـ تعالى ـ في الآخرة فلا تسمعه متلوا ولا مقروءا ، فإن القرآن راجع في حق البشر إلى التلاوة ، والقراءة ، والحروف ، والأصوات ، واللغات ، وأن الله ـ عز وجل ـ إذا تكلم لا يلفظ ، ولا ينطق .

وكلام الله شيء واحد يفهم منه النهي ، والأمر ، والترغيب ، وليس هو بعربي ، ولو كان عربيًا لكان لغة من اللغات ، وإنما التلاوة عندنا بالعربية فقط ، وتسمية كلام الله ـ تعالى ـ قرآنا تسمية إلهية لا تسمية اصطلاح" أ هـ[2] .

ثم ينقلنا إلى محطة أخرى عند شيخه محمد بن عمر الغدامسي الذي يقول : اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن كلام الله والقرآن اسمان تسمى بهما ستة أشياء .

1- فيطلق كل واحد على الصفة الأولية بالذات العليا كقولنا : القرآن صفة الله ، والقرآن صفة من صفات الله .

2- ويطلق أيضًا على المعاني التي دلت عليها الصفة الأزلية ، القائمة بالذات العلية كقولنا : القرآن ينقسم إلى أمر ونهي ، ووعد ، ووعيد ، وقصص وأخبار ، ونحو ذلك ، وكذلك نقول في كلامه : ينقسم إلى أمر ونهي ، ووعد ووعيد ، وقصص وأخبار نحو ذلك .

---

(1) ص 195 من هذا البحث .

(2) شرح الملالي ورقم ص 8 ، و ص 223 من هذا البحث .

فالمراد هنا مدلولات الكلام لا صفة الكلام .

3- ويطلق أيضًا على الأدلة الأربعة التي نستدل بها نحن الآن على المعاني المدلولة لـصفة الكلام وهي : .... ويعددها[1] .

وعند الكلام على نفي مماثلة الله ـ تعالى ـ للحوادث يشرحها ويستدل عليها بالأدلة العقلية والنقلية التي تنفي هذه المماثلـة ، ويخلـص إلى أن أسباب المماثلـة عـشرة تنتفـي المماثلة بنفي جميعها كما تثبت المماثلة بثبوت واحد منها[2] .

وفي مجال الحديث عن النبوات نجد الشيخ الغدامسي حريصًا على أن يكون المسلم ملتزمًا سبيل التوقير ، والاحترام ، والإجلال لجناب الرسل المطهرين ، والملائكة الكـرام ، فنراه يفسر الأمانة بالعصمة ، ويعرفها بأنها : صفة توجـب لموصـوفها امتنـاع عـصيان موصوفها ، ومخالفته لأوامر الله ـ سبحانه وتعالى ـ .

وأشار إلى أخذ هذا التفسير من كلام ابـن عرفـة ، ويـذكر بعـض الآراء في جـواز إطلاقها على غير الرسل والملائكة ثم يقول : والصواب اختصاص النبي والملك إنما هو بوجوب العصمة ، وعلى ذلك الاختصاص وجـب الحكـم بالاتبـاع ، ولهـذا لا يمتنـع عروضها لغيرهما .

فأفاد أن اختصاص النبي والملك إنما هو بوجوب العصمة ، أما سائر النـاس فهـي جائزة في حقهم ، وليس بواجبة ولا مستحيلة[3] .

ويبدو أن هذه الصفات لم يكن مبحوثًا فيها عند القدماء على النحو الذي وجد عنه المتأخرين ، فقد ذكر الشيخ الغدامسي عن المقّري قوله : "ولم يعبر بالأمانة غـير الـشيخ

(1) ص 225 من هذا البحث .

(2) ص 241 من هذا البحث .

(3) ص 287 من هذا البحث .

السنوسي" . وهنا ذكر أن الشيخ السنوسي لم يذكر صفة الفطانة ، بينما ذكرها الشيخ إبراهيم اللقاني في جوهرته حيث قال :

"وواجب في حقهم الأمانة   وصدقهم وضف لها الفطانة"[1] .

وقال ـ أي اللقاني في شرحه لها : الفطانة بمعنى التفطن لإلزام الخصوم وحجاجهم ، وطرق إبطال دعاويهم الباطلة ومذاهبهم العاطلة ... إلى أن قال : ولأنهم شهود الله على العباد ، ولا يكون الشاهد مغفلاً"[2] .

وفي الحديث عن شروط النبوة يرى الشيخ الغدامسي أن ما ذكره الشيخ السنوسي هي شروط عقلية ، أما شروطها الشرعية العادية فهي :

1- البشرية . 2- الحرية . 3- الذكورة .

4- كمال العقل . 5- الذكاء .

6- قوة الرأي ولو في الصبا. 7- السلامة عن كل منفر[3] .

ويخلص إلى أن أفعال الرسل وإن بدت بحسب النظر إلى الفعل من حيث ذاته أنها على ثلاثة أقسام : واجب ، ومندوب ، ومباح ، ولكنها إذا نظر إليها بحسب العوارض فإنها دائرة بين الواجب والمندوب فقط ؛ لأنهم يقصدون بالمباح القربة ، وأقربها إرادة التشريع[4] .

والكلام على الرسل أمر ذو خطر ، وقد يتجاسر بعض الناس على مقام النبوة ، لذا كان من المهم أن نعرف رأي الشيخ الغدامسي .

---

(1) ينظر : حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد ص 200 .

(2) ص 289 من هذا البحث .

(3) ص 289 من هذا البحث .

(4) ص 309 من هذا البحث .

إنه يرى أن سكوت الرسل على أمر ما يعد إقرارا له ، ولو لم يـر الرسـول الفعـل كأن بلغه فأقره ، ويشير إلى أن هذا هو رأي الجمهور ، وإن كانت هنـاك آراء أخـرى ، ويسند إلى الهدهدي أن تغيير المنكر واجب على الرسل بدون شرط ، بخلاف غـيرهم فإنه واجب إن لم يخف الإنسان على نفسه ، كما أن الغضب لا يؤثر في موقـف الرسـل من البلاغ[1] .

والشيخ الغدامسي وإن كان حريصًا على نقل آراء العلماء وبيـان مـذاهبهم إلا أنـه أحيانًا يبرز رأيه ويقطع به ، وخاصة عندما تكون المسألة من أمهات العقائد . فعند ذكر اختلاف العلماء في العصمة ، بدأ برأيه فقال : فهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لا يـصدر عنهم صورة ذنب مطلقًا ، لا قبل النبوة ، ولا بعدها ، لا محرمًا ولا مكروهًـا ، لا سـهوا ولا عمدًا ، ولا قولاً ولا فعلاً .

هذا تحصيل المسألة على سبيل الإجمال ، وأما على سبيل التفصيل فاعلم أنها مـسألة مهمة . ثم أخذ في ذكر آراء العلماء[2] .

الغاية العلم وليس الأشخاص :

والشيخ الغدامسي وإن كان ـ كما أسلفنا ـ يحمل على المخالفين لمذهب أهـل الـسنة إلا أنه كغيره من العلماء المنصفين لا يعدل عن إسناد الفضل لأهله وإن جاء على لـسان خصم أو مخالف .

لذا نجده يستحسن كلام الزمخشري في تحليل لفظ العـالم الـذي جـاء عـن طريـق السبكي الذي يقول : "من الألفاظ التي اصطلح عليها أهل الفن لفظ العالم : وهـو مـا نصب علما على العلم في صانعه ، مأخوذ من العلم بمعنى العلامة ، فمـن ثـم تعـددت

(1) ص 349 من هذا البحث .

(2) ص 291 من هذا البحث .

العوالم ، فيقال : عالم الإنسان ، وعالم الجن ، وعالم الملائكة ، وغير ذلك مما نبه عليه صاحب الكشاف[1] .

العلوم التي تعرض لمناقشتها :

من عادة العلماء القدامى أنهم إذا كتبوا في علم تعرضوا على سبيل التوضيح ، أو الاستطراد إلى علوم أخرى كثيرة ، ولم يكن شيخنا من ذلك استثناء .

فقد ناقش في مسائل من اللغة ، والمنطق ، والفقه ، والأصول ، والحديث ، والتصوف ، وغيرها .

(1) المسائل اللغوية :

ومن أمثلة الكلام في علم اللغة الذي هو عدة تفسير النصوص الشرعية تعريجه على قول الشيخ السنوسي : الجائز عليه ـ تعالى ـ فعل كل ممكن وتركه ، فقال : يعني على البدلية ، أما فعل جميعها في آن واحد فهو محال وليس بجائز .

فأنت ترى أنه فسر الواو بمعنى (أو) . وهذه دقيقة من دقائق اللغة قد لا يتنبه لها القارئ دون هذا التوجيه :

الحمد بالجملة الاسمية :

الحمد كلمة يبتدئ بها الكُتّاب والخطباء ، اقتداء بالكتاب العزيز ، ولكن بعضًا من هؤلاء قد يروق له أن يأتي بها بصورة الفعل . وقد علق الشيخ الغدامسي على ذلك فقال : "وآثر الجملة الاسمية على الفعلية دلالة على عظمها حيث جعلت مفتتحًا للقرآن العظيم ، ولأنه لو قال : أحمد الله مثلاً كان ذَكر حمد نفسه فقط ، بخلاف ما ذُكر فإنه يدخل فيه حمده ، وحمد غيره جميعًا ، من لدن خلق العالم إلى انتهاء دخول أهل

---

(1) ص 255 من هذا البحث .

الجنة الجنة ، ودخول أهل النار النار"[1] .

وعند قول الشيخ السنوسي في المتن : "ويستحيل عليه ـ تعالى ـ العجز على كل ممكن" ، ينبه الشيخ إلى مسألة أخرى من مسائل اللغة فيقول : "عدى الشيخ ـ رضي الله عنه ـ العجز بعلى ، وهو إنما يتعدى بعن ، إما لكونه من باب حمل الضد على الضد ، فعدى العجز بما يتعدى به ضده الذي هو القدرة ، وهو يتعدى بعلى ، أو على بمعنى عن في كلامه ؛ لأن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض كقول الشاعر :

"إذا رضيت عليَّ بنو تميم　　　إذن والله يعجبني رضاها"[2]

والشيخ الغدامسي عندما يقدم هذه النكات اللغوية إنما يستدل عليها بفصيح اللغة : إما من أشعار العرب كما في هذه المسألة ، أو من القرآن الكريم كما في هذه القضية أي عندما قال الشيخ السنوسي : "والصفة لا تتصف بصفات المعاني ولا المعنوية ، ومولانا ـ جل وعز ـ يجب اتصافه بهما" قال الشيخ الغدامسي : "ثنى المؤلف الضمير باعتبار أنهما نوعان ، ولو أفرد الضمير باعتبار عوده إلى جمع كثير لجاز ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ ، ثم قال تعالى : ﴿ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾"[3][4] .

(2) القراءات :

يذكر الشيخ الغدامسي أن القراء أجمعوا على أن الوقف على باسم ناقص ، وعلى باسم الله كاف صحيح ، وعلى بسم الله الرحمن الرحيم تام ، ثم يفصل ذلك بقوله : "إن الوقف ليس له إلا هذه الأوجه الثلاثة :

---

(1) ص 162 من هذا البحث .

(2) سيأتي الكلام على هذا البيت ، ص 245 من هذا البحث .

(3) سورة التوبة ، آية (36) .

(4) ص 267 من هذا البحث .

(أ) الوقف على كلام مبهم ناقص .

(ب) والوقف على كلام مفهوم المعاني إلا أن ما بعده متعلق بما قبله يكون كافيًا .

(جـ) والوقف على كلام تام ويكون ما بعده منقطعًا عنه يكون كاملاً[1] .

(3) المسائل الأصوليــة :

قد تأتي المسائل الأصولية في شرح الشيخ الغدامسي عرضًا فها هو عند تقرير الشيخ السنوسي عن طرو الأعراض البشرية على الرسل لا تقدح في رسالتهم ولا منزلتهم عند الله ، بل مما يزيد فيها - ينبه إلى أن هذا التعبير الأخير من المؤلف فيه انتقال من دلالة المفهوم إلى دلالة المنطوق التي هي أبلغ من الأولى[2] .

(4) علــوم الحديــث :

يستدل الغدامسي على شرحه بالحديث النبوي الشريف ، عندما يقتضي المقام ذلك ، ومنها : عند الكلام على جواز الأعراض البشرية على الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - (**إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي**)[3] ، يورد الشيخ الغدامسي استدلال ابن حبان به على بطلان "أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يضع الحجر على بطنه من الجوع"[4] ، وذهابه إلى أنه حدث في الحديث تصحيف ، يستعين برأي علم من أعلام الحديث هو ابن حجر الذي احتج على ابن حبان ، بما أورده هو نفسه عن ابن عباس أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خرج فرأى أبا بكر

(1) ص 154 من هذا البحث .

(2) ص 352 من هذا البحث .

(3) متفق عليه رواه البخاري في صحيح . فتح الباري 4/ 252 ومسلم في صحيحه بشرح النووي 7/ 211 .

(4) روى ابن حجر العسقلاني في فتح الباري 4/ 208 عن القرطبي أنه - صلى الله عليه وسلم - كان يجوع أكثر مما يشبع ويربط على بطنه الحجارة من الجوع .

وعمر فقال : "ما أخرجكما ؟" قالا : ما أخرجنا إلا الجوع ... الحديث[1] ويصل إلى أن الجمع بين الحديثين ممكن بحمل كلٍّ على حالة ، فحديث : "لست مثلكم" محمول على حالة الصيام ، والآخر محمول على حالة الفطر . وكان ذلك نقلاً عن الشيخ الأجهوري[2] .

(5) التصوف :

عاش الشيخ الغدامسي في عصر الركود ، وتغلب الفرنجة على بلاد العرب ، وضعف الحكام الذين لم يكن همهم إلا جمع الأموال من الناس وتسخيرهم لخدمة السلاطين .

فكان أن اتجه الناس إلى المساجد والزوايا يكثرون بهذا الاتجاه ، وهذا ما يلحظه كل من تصفح الصفحات الأولى من كتابه ، إذ يكثر من الإطراء والعبارات الصوفية ، ويستطرد في ذكر الكرامات ومناجاة الصالحين ، والتعلق بها والابتهال إلى الله أن يعمه ومشائخه بلطائف جوده ، وتحذيره من مصائد الشيطان ، أو حظوظ النفس .

من ذلك قوله : "واعلم يا أخي إن كان تشوفك إلى نيل الدرجات العظيمة تكون رحيمًا لنفسك ولغيرك ، ترحم الجاهل بعلمك ، والذليل بجاهك ، والبهائم بعفوك ، ورفع غضبك"[3] .

وفي إطار الحديث عن الرؤية يقول : فالرؤيا أكبر الكرامات ، والدنيا محل العلل والآفات ، فلو رآه الخلق لاشتغلوا به عن معاشهم فأدى ذلك إلى ضررهم ، فعروس الأحدية لا ترى في هذه الدار الدنية"[4] .

---

(1) رواه الترمذي في سننه 4/ 583 .

(2) ص 314 من هذا البحث .

(3) ص 153 من هذا البحث .

(4) ص 185 من هذا البحث .

وعند ذكر الشيخ السنوسي لحكمة جريان الأعراض البشرية على الرسل وأنها لحكم ثلاث ؛ لتعظيم أجورهم ، وللتشريع ، والتنبيه على خسة قدر الدنيا ، وعدم رضاه بها دارًا لأوليائه ، ينقل الشيخ الغدامسي عن القاضي عياض ، والشيخ إبراهيم اللقاني وجوب احترام الحضرة النبوية ، وسلوك باب الأدب معه ، ثم يتوجه إلى الله بالدعاء ، قائلاً : ـ اللهم يا منقذ الغرقى بعد أن يئسوا أنقذنا من هذا الوحل العظيم الذي نحن فيه بلا محنة يا أرحم الراحمين يا رب العالمين ـ[1] .

(6) المنطــق :

ارتبط علم الكلام ارتباطًا وثيقًا بالمنطق ؛ لأن قضاياه قضايا منطقية يتطلب التدليل عليها ترتيب القضايا واستخراج النتائج ، والرد على الخصم بإبطال قضاياه .

ونسوق مثلاً لتلك القضايا التي أثارها الشيخ السنوسي ، وفصلها الشيخ الغدامسي .

قال الشيخ السنوسي : "دليل حدوث العالم ملازمته للأعراض الحادثة من حركة ، وسكون ، وغيرهما ، وملازم الحادث حادث" ففصل الشيخ الغدامسي هذا الدليل بقوله : "واعلم أن الشيخ استدل على حدوث العالم بدليل اقتراني : ذكر الصغرى والكبرى ، وحذف دليل كل واحدة ، وحذف النتيجة للعلم بها فقوله : ملازمته للأعراض الحادثة هي الصغرى ؛ لأن معناه العالم ملازم للأعراض . وقوله : وملازم الحادث هي الكبرى ، إذ معناه وكل ملازم للحادث حادث .

بيان الصغرى : استحالة عرو الأجرام عن ما تقبله من حركة وسكون واجتماع وافتراق ، وغير ذلك إذ لا يعقل جرم إلا وهو متصف بأحدها .

وأما بيان الكبرى : السابق على أحد المتلازمين سابق على الآخر ضرورة ،

---

(1) ص 318 من هذا البحث .

فالأعراض حادثة سبقها عدم ، والجرم لا ينفك عنها بالضرورة ، يسبقه ما يسبقه وهو العدم فيكون حادثًا وهو المطلوب[1] .

(7) استطرادات مهمة :

الشيخ الغدامسي لا يألو أن يقحم الفائدة حين تسنح له الفرصة ولو استطرادًا .

ومن ذلك تطرقه للخواطر الخمسة إثر حديثه عن الكسب ، فيذكرها مع أحكامها على النحو التالي :

1- **الهاجس** : وهو أن يهجس الشيء في القلب مرة ، أو مرتين ، ثم يروح ولم تعقله ، فلا إثم فيه ولا أجر .

2- **الوارد** : وهو أن يتردد الشيء في القلب ترددًا مرجوحًا ، فلا ثواب فيه ولا إثم حيث لم يفعل .

3- **حديث النفس** : وهو أن يتردد الشيء في القلب ترددًا مستويًا ، فلا ثواب فيه ولا إثم .

4- **الهم** : وهو أن يتردد الشيء في القلب ترددًا راجحًا ، ففيه الفرق بين أن يكون خيرًا فيثاب عليه ، أو شرًا فلا عقاب عليه ، لحديث : (**مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ**)[2] .

5- **العزم** : وهو أن يعزم القلب على الشيء عزمًا لا تردد فيه ، وهو المراد عند أهل السنة بإرادة العبد ، ويترتب عليه الثواب والعقاب ، وإن لم يعمل أو يتكلم[3] .

---

(1) ص 257 من هذا البحث .

(2) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - كتاب الرقاق 11/ 323 ومسلم في صحيحه بشرح النووي كتاب الإيمان عن أبي هريرة - رضي الله عنه - 2/ 148 .

(3) ص 271 من هذا البحث .

ومن الفوائد الواردة في شرح الشيخ الغدامسي ، وهي مهمة ، ذكر قيود المعجزة ، وذلك عند قول الشيخ في تعريفها : (أمر خارق) وذكر أنه تعبير حسن لشموله للأمرين الإيجابي والسلب ، وذكر أن تعريف الشيخ يشتمل على قيود المعجزة السبعة التي هي :

1- أن يكون فعلاً لله ـ تعالى ـ أو ما يقوم مقامه .

2- أن يكون أمرًا خارقًا للعادة .

3- أن يكون ظهوره على يد مدعي النبوة

4- أن يكون مقارنًا للدعوى .

5- أن يكون موافقًا للدعوى .

6- ألا يكون مكذبًا له مما يعتبر تكذيبه .

7- أن تتعذر معارضته من عامة البشر .

وقد جنى هذه الفائدة من الشيخ إبراهيم اللقاني[1] .

ولما كانت : لا إله لا الله ، هي كلمة التقوى وعنوان الإيمان ، وأفضل الذكر فقد أفاض الشيخ في شرحها ، وأكثر من نقل الأقوال في معناها ، وفي إعرابها ، وحكم النطق بها ، ورفض تفسيرات المبتدعة وحذر منها ، وأن على الإنسان أن يعمل ما في وسعه لتخالط الكلمة الطيبة لحمه ودمه ، فقال : فاعلم أنه يجب على الإنسان أن يعرف الحق معرفة تامة في جميع الاعتقادات الإيمانية حتى تختلط بلحمه ، بحيث يكون ذلك الحق معتقده كلما كان حاضر الذهن فلا تضره الغفلة بعد هذه المعرفة[2] .

---

(1) ص 303 من هذا البحث .

(2) ص 323 من هذا البحث .

8) ذكــرى وعظـة :

لم يفت الشيخ الغدامسي أن يـذكرنا في ختـام كتابـه بفـضل أصـحاب رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ، ورضي عنهم ـ وأن توقير النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يـستلزم توقير أصحابه ، وبرهم ومعرفة قدرهم ، إذ هم واسـطتنا إليـه ، وهـم نقلـة الـشريعة ، فينبغي الاقتداء بهم ومحبتهم ، ومعاداة من عاداهم والاستغفار لهم ، وتأويل ما حـدث بينهم من خلافات مردها الاجتهاد في دين الله .

وينقل بالواسطة عن كعب القرظي قوله : "إن الله غفر لجميع أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأوجب لهم الجنة" وقوله لمخاطبه : ألا تقرأ قول الله سبحانه : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾[1] فأوجب الله لجميع أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الجنـة والرضـوان ، وشرط على التابعين أن يتبعوهم بإحسان[2] .

الملاحظات والمـآخذ :

لما كان النقص ملازما للمخلوقين ، والكمال المطلق إنما هو لله الواحد الأحد الفرد الصمد ـ فإن الشيخ الغدامسي ضمن هذه القاعدة لا يبرئ نفسه من الخطـأ ، بـل يتـبرأ من الحول والقوة ، ويسأل ربه ـ سبحانه ـ العفو والغفران كما يلتمس ممن يقرأ كتابـه أن يسامح فيما يراه من خلل وأن يصلحه ما أمكنه ذلك .

ومن المآخذ التي تؤخذ على الشيخ ـ رحمه الله ـ :

1- أنه يذكر أحيانًا الأحاديث الضعيفة ، ولا يبين ضعفها . وأحيانًا يذكرها وينص عـلى ضعفها ، أو على وضعها ولكنه يستأنس بها ربما اعتمادًا على رؤى منامية .

---

(1) سورة التوبة ، الآية (100) .

(2) ص 381 من هذا البحث .

2- كما أنه ذكر بعض أبيات من الشعر ، ولم ينسبها لقائليها .

3- يكرر أحيانًا الأدلة بما يعد حشوًا ، وإطالة على القارئ ، وإن اعتذر هو عن ذلك بأنه يفعل ذلك لما يتطلبه السياق ، أو حينما يتعلق الكلام بمسألة ذات جوانب فيجمع الأدلة استيفاء لجوانب تلك المسألة .

4- التسليم بما ينقل اعتمادًا على ثقته بالعلماء الناقل عنهم ، وإن كان الأمر مما يستبعد عادة .

5- إفراطه في ذكر الكرامات والمرائي ، وهي أمور لا أثر لها في تحقيق مسائل العلم وبخاصة في مقدمته الطويلة التي خصصها لذكر كرامات الشيخ السنوسي ، والمبالغة فيها .

الفصل الثالث :

وصف النسخ ومنهج التحقيق

المبحث الأول : وصف النسخ

اعتمدت في تحقيق هذا الكتاب على أربع نسخ مخطوطة فضلت ألا أجعل واحدة منها أصلاً ، وذلك لتقارب كتابتها وأخطائها ، واخترت أن أجعل النص مرنًا يفاضل بين عبارات النسخ على أن أشير في الهامش لما أثبته ، ولعبارات النسخ المخالفة للنص المثبت .

الأولى : محفوظة بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، تحت رقم 259 ، عدد أوراقها 100 ورقة ، مقاسها 13 × 19 ومسطرتها 23 ، ومتوسط عدد الكلمات بالسطر الواحد 11 كلمة ، خطها مغربي ، ومدادها أسود ، وقد ميز متن (أم البراهين) باللون الأحمر . وقف على مكتبة طرابلس الغرب .

ناسخها : محمد بن الحاج نصر بن محمد السعداوي ، وتاريخ النسخ هو آخر يوم الجمعة الخامس من المحرم 1135هـ . وقد رمزت لها بالرمز (أ) .

الثانية : محفوظة كسابقتها بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية تحت رقم 279 ، عدد أوراقها 104 ورقة ، مقاسها 22 × 15 ومسطرتها 21 ، ومتوسط عدد الكلمات بالسطر الواحد 12 كلمة ، خطها مغربي ، ومدادها أسود ، وقد ميز متن (أم البراهين) باللون الأحمر . ضمن مجموع تبدأ من ص : 11 حتى ص 113 .

ناسخها : محمد أبو النيران بن سالم بن علي بن سلطان ، وتاريخ النسخ هو الاثنين آخر شهر محرم الحرام 1155هـ . وقد رمزت لها بالرمز (ح) .

الثالثة : نسخة بن محيسن ، وهي الآن من محتويات مكتبة مختار بن يونس السراري : عدد أوراقها 85 ورقة ، مقاس 22 × 16 ، ومسطرتها 24 ، ومتوسط عدد الكلمات بالسطر الواحد 14 ، خطها مغربي ، ومدادها أسود ، وقد ميز متن

(أم البراهين) باللون الأحمر ، كما ميز بالحمرة حروف أوائل الجمل ، والتنبيهات . بها خرم نحو الورقتين ، بها هوامش كثيرة تصلح أن تكون حاشية ، وبها بعض التقييدات في أول المخطوطة ونهايتها .

يوجد بالورقة الأولى منها تمليك وتحبيس من الناسخ نصه : ملك من أملاك عبد المقصود بن الحاج محيسن ، لا يباع ولا يوهب حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين . وقد رمزت لها بالرمز (م) .

الرابعة : نسخة الأستاذ علي محمد أبو راس : عدد أوراقها 78 ورقة ، مقاس 22× 16 ، ومتوسط الكلمات في السطر الواحد 15 كلمة ، خطها مغربي ، ومدادها أسود وقد ميز متن (أم البراهين) باللون الأحمر ، بها نقص في أربعة مواضع .

لم يعرف ناسخها ولا تاريخ النسخ بسبب ضياع الأوراق الأخيرة منها . وقد رمزت لها بالرمز (د) .

كما توجد للمخطوطة نسخ أخرى لم أتمكن من الحصول عليها منها :

1- نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : 2411/ 1 د ضمن مجموع من ص 1 إلى ص 116 .
2- نسخة أخرى بالخزانة العامة أيضًا تحت رقم 3776د .
3- نسخة بالخزانة الكتانية مبتورة الآخر تحت رقم 2442ك .
4- نسخة بدار الكتب الوطنية / تونس تحت رقم : 650 .
5- نسخة أخرى بدار الكتب الوطنية بتونس أوراقها 82 ورقة تحت رقم 4949 .

وقد صورت الأخيرتين ، ولكن لم أتمكن من سحبهما على الورق .

المبحث الثاني : منهج التحقيق

بذلت في تحقيق "إتحاف المريدين" جهدي في أن أجعله كما أراده مؤلفه ، صحيح النص ، سليم العبارة ، خاليًا من التصحيف أو التحريف ، وهو أمر لم أدع فيه الكمال ، ولكن حسبي أني بذلت الجهد مع حسن القصد ، وقد اقتضى منهج التحقيق أن أسير فيه على النحو التالي :

1- أعدت كتابة النص حسب القواعد الإملائية المتبعة اليوم ، دون أن أشير إلى ما كتب في المخطوط خلافًا لهذه القواعد .

2- قابلت النسخ وأثبت منها ما رأيت أنه الأقرب للصواب ، وأشرت في الهامش إلى مصدر ما أثبت وإلى ما خالفه في النسخ الأخرى ، وإذا أضفت شيئًا ليس موجودًا في النسخ المخطوطة ، وهو مما يتم به المعنى وضعته بين معقوفتين هكذا [ ] وأشرت في الهامش لمصدره .

3- عزوت الآيات القرآنية ، ونسبتها إلى مواقعها من السور والآيات بأرقامها وحصرت الآيات بين قوسين مزهرين تمييزا لها عن غيرها من النصوص . واعتمدت في ذلك على رواية الإمام حفص ، تخريجًا وضبطًا .

4- خرجت الأحاديث النبوية من كتب الحديث ، ووضعتها بين علامتي تنصيص وضبطتها بالشكل وربما خرجتها من غيرها أحيانًا وما لم أعثر عليه نبهت عليه في الهامش .

5- أسندت الأشعار إلى قائليها ، وبينت أوزانها العروضية ، ونبهت على ما لم أهتد لقائله منها .

6- رجعت النقول إلى مصادرها ، وإن تعذر فإلى الناقلة عنها ، مكتفيًا بذكر صفحاتها ، على أنها سترد في قائمة المراجع مفصلة البيانات .

7- ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في المخطوط ، عدا الصحابة والأئمة الأربعة ورجال الصحاح ، وأشرت إلى أشهر مؤلفاتهم ، وسني وفاتهم ، وذكرت أهم المصادر التي ترجمت لهم ، عند ورودها لأول مرة غالبًا .

8- نبهت إلى ما في بعض الكلمات من تصحيف أو تحريف ، وشرحت بعض العبارات التي رأيت أنها غير واضحة المعنى .

9- ميزت متن (أم البراهين) عن الشرح بكتابته بخط مغاير .

10- وضعت اللحق الذى تداركه الناسخون بالهامش في موضعه من النص ، ولم أشر إليه في الهامش .

11- وضعت عناوين للمباحث تسهيلاً للرجوع إليها ، وقد جعلتها بين معقوفتين هكذا [ ] .

12- ذكرت في نهايته خاتمة التحقيق .

13- ألحقت بالبحث فهارس فنية للآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأشعار ، والأعلام ، والألفاظ اللغوية والكتب الواردة في النص ، والمصادر والمراجع ، والموضوعات .

المبحث الثالث
إجازة علمية للشيخ الغدامسي

رأيت إتمامًا للفائدة أن ألحق الجانب الدراسي بإجازة علمية للشيخ الغدامسي وأن تكون خاتمة للقسم الدراسي وسابقة لقسم التحقيق وأثبتها على النحو الآتي :

هذه إجازة الشيخ سيدي إبراهيم بن مرعي الشبراخيتي للشيخ سيدي أبي العباس أحمد بن عبد الله الغدامسي أختم بها هذا الجانب الدراسي للاستدلال بها على فضل الشيخ الغدامسي ومكانته عند علماء الإسلام ، وللتبرك بمن فيها من رحالات العلم الفضلاء وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم - وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم - الحمد لله الذي منح أهل العلم رفعة وشرفًا ، وأعد لهم من فيض فضله في الجنة غرفًا - والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي المصطفى ، وعلى آله وأصحابه أهل المودة الصادقة والوفاء ، ما صعد صاعد على الصفا ، وطاب الوقت لمن تجرد لخدمة الله وصفا .

وبعد فإن العلم من أجلّ الإنعامات الإلهية ، والإمدادت الربانية ، وهو من أشرف ما يتحلى به الإنسان ، ومن أعظم ما يكمل به الأعيان .

وقد ورد في فضل العلم والعلماء ما هو مشهور ، ومعروف بين أهله ومأثور ، فمن ذلك قول الله في محكم الآيات : ﴿ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[1] ، وقوله في كتابه المكنون : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] ، وقول النبي - صلى

---

(1) سورة المجادلة : الآية (11) .

(2) سورة الزمـر : الآية (9) .

الله عليه وسلم ـ : (إِنّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَع أَجنحتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ)[1] .

واعلم أن شيوخ الإنسان آباؤه في الدين ، ووصلة بينه وبين سيد المرسلين ، بل نسب الإفادة أنفع وأولى من نسب الولادة ، كما قال من قمع الله به كل معارض ، العارف بالله سيدي عمر بن الفارض[2] ـ نفعنا الله تعالى به ـ :

نسب أقرب في شرع الهوى بيننا من نسبٍ من أبوي

وكان ممن رغب في سلوك الصراط المستقيم ، والمنهج الأبهج القويم خلاصة الأكابر الأعيان ، نادرة عظماء هذا الزمان ، عمدة الأفاضل الأماثل الأماجد الكرام ، الشيخ الإمام الرحالة المحقق المدقق الهمام ، شيخ الإسلام ، الشيخ أحمد بن علامة الأنام عبد الله بن أبي بكر بن أبي القاسم بن محمد الغدامسي .

ولما أن علمت مقامه ، وأن الله قد أسبغ على إنعامه أجزته بالفقه والحديث ، وما يجوز لي روايته بالقديم والحديث بشرطه المعتبر ، إجازة مشتملة على ذكر السند ؛ لأن هذه الأمة خصها الله ـ تعالى ـ من بين سائر الأمم ببقاء الإسناد وحفظ الشريعة الغراء إلى يوم المعاد[3] .

والإسناد أصل عظيم ، وخطب جسيم ، وقد قال فيه بعض العلماء إنه كالسيف للمقاتل .

وفي أول صحيح مسلم عن عبد الله بن المبارك ، "الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"[4] .

---

(1) رواه أبو داود في سننه عن أبي الدرداء 3/ 317 ، والترمذي في سننه 4/ 473 .

(2) ينظر : ديوان ابن الفارض ص 10 ، وابن الفارض هو : عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل ، المصري المولد والدار والوفاة ، أشعر المتصوفين يلقب بسلطان العاشقين له ديوان شعر مطبوع ، ت بعد 586هـ ، ينظر : الأعلام : 5/ 55 .

(3) تذكير الناسي ، ورقم 65 .

(4) مقدمة صحيح مسلم بشرح النووي 1/ 87 .

وقال الشافعي ـ رضي الله عنه ـ "الذي يطلب الحديث بلا سند كحاطب ليل يحمل الحطب ، وفيه أفعى وهو لا يدري" ، وقال الثوري : "السند سلاح المؤمن ، فإذا لم يكن معه سلاح فبم يقاتل؟" ، وقال الإمام الطوسي : "قرب الأسانيد قرب إلى الله ـ تعالى ـ"[1] .

فمن ذلك صحيح البخاري ، وقد أخذته سماعا لبعضه وإجازة لباقيه عن جمع كثير ، من أجلهم العلم الفرد ، وشيخ المحدثين في زمانه وفريد عصره وأوانه : الشيخ محمد البابلي عن الشيخ إبراهيم اللقاني عن الشيخ سالم السنهوري ، عن النجم الغيطي ، عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، عن الحافظ ابن حجر ، عن الحافظ الكبير عبد العراقي ، عن الجمال عرف بابن شاهد الجيش ، عن أبي العباس أحمد بن علي الدمشقي ، عن أبي القاسم هبة الله بن علي البوصيري عن أبي عبد الله محمد بن بركات ويقال ابن هلال السعدي النحوي اللغوي ، عن أم الكرام كريمة بنت أحمد المروزية ، عن أبي الهيثم الكشميهني عن أبي عبد الله محمد بن يوسف الفربري ، عن مؤلفه الإمام الحجة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري[2] .

وأما صحيح مسلم فإني أرويه إجازة عن شيخنا علي الأجهوري ـ ضاعف الله أجوره وأجوري ـ، عن العلامة نور الدين القرافي ، عن الشيخ عبد الرحيم العلقي ، عن الجلال السيوطي ، عن شيخ الإسلام علم الدين صالح بن السراج البلقيني ، عن أبي الفضل سليمان بن حمزة المقدسي، عن أبي الحسن علي بن الحسين القيد ، عن الحافظ أبي الفضل السلامي ، عن الحافظ أبي القاسم بن منده ، عن الحافظ أبي بكر الجورقي ، عن أبي الحسن مكي النيسابوري ، عن مؤلفه الإمام الثقة مسلم بن حجاج[3] .

---

(1) تذكير الناسي ، ورقة 65 .

(2) تذكير الناسي ، ورقة 65 .

(3) نفسه : ورقة 66 .

وأما الجامع الصغير فإني أرويه عن جماعة ، منهم شيخنا محمد البابلي والشيخ علي الشبراملسي ، وهما عن الشيخ علي الزيادي ، والبرهان العلقمي ، أما الزيادي فعن السيد يوسف الأرميوني عن مؤلفه ، وأما العلقمي فعن أخيه شمس العلماء محمد مؤلف الحاشية ، عن مؤلفه ، وبحق رواية شيخنا الأجهوري إجازة عن البدر القرافي عن مؤلفه الجلال السيوطي إجازة[1] .

وأما مختصر العلامة الشيخ خليل ـ ألبسه الله من الخيرات كل ثوب جليل ـ فقد أخذته عن شيخنا شيخ مشائخ الإسلام ، حلال مشكلات الخاص والعام الشيخ على الأجهوري ، وهو أخذه عن عدة شيوخ من أعلمهم وأجلهم الشيخ محمد البنوفري ، والشيخ كريم الدين البرموني ، والقاضي محمد المدعو بدر الدين القرافي ، والشيخ عثمان العزي ـ وهؤلاء كلهم أخذوا عن جده لأبيه الشيخ عبد الرحمن الأجهوري ـ بضم الهمزة ـ وهو عن جماعة ومن أجلهم الشيخ أحمد الفيشي جد الشيخ عمر الفيشي شارح العزية وغيرهم ، ومنهم العلامة الشيخ شمس الدين اللقاني ، وأخوه الشيخ ناصر الدين اللقاني ، ومنهم الشيخ سليمان البحيري شارح الإرشاد وهؤلاء أخذوا كلهم عن شيخ المالكية في زمنه نور الدين علي السنهوري شيخ العلامة التتائي ، وهو عن العلامة الشيخ محمد البساطي ، وهو عن العلامة تاج الدين بهرام ـ بفتح الموحدة وكسرها ـ وهو عن الشيخ خليل ، وهو عن الإمام الشيخ عبد الله المنوفي[2] .

قال الحطاب : "وهو أخذ الفقه عن جماعة منهم شيخ المالكية محمد بن محمد الشهير بالقويع ، وهو عن يحيى ومحمد قاضي تونس" . ولم يوصل الحطاب سند الفقه إلى الإمام مالك ، ولنوصله من غير طريقه فنقول[3] :

(1) تذكير الناسي ، ورقة 66 .

(2) تذكير الناسي ، ورقة 66 .

(3) نفسه ، ورقة 67 .

"قد أخذ الشيخ نور الدين علي السنهوري المتقدم عن الشيخ طاهر بن علي بن محمد بن محمد النويري ، وهو عن الشيخ حسن بن علي ، وهو عن الشيخ أحمد الربعي ، وهو عن قاضي القضاة فخر الدين بن المخلط ، وهو عن عمر الكندي ، وهو عن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري ، وهو عن أبي بكر محمد بن الوليد بن خلف الباجي ، وهو عن الإمام أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني صاحب الرسالة المشهورة ، وهو عن الإمام أبي بكر محمد بن اللباد ، وهو عن الإمام أبي زكريا يحيى الأفريقي صاحب اختلاف ابن القاسم وأشهب ، وهو عن الإمام سحنون ، وعبد الملك بن حبيب الأندلسي ، وهما عن الإمامين عبد الرحمن بن القاسم العتقي المصري ، وأشهب بن عبد العزيز العامري ، وهما عن إمام دار الهجرة النبوية مالك بن أنس ، وهو عن ربيعة ونافع مولى ابن عمر ، وتفقه ربيعة عن أنس بن مالك خادم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ونافع عن مولاه عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ ، وهما أخذا عن سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ثم إني أطلب من الشيخ المذكور ألا ينساني وأولادي ومشائخي من صالح الدعوات في الخلوات والجلوات ، وأوصيه ثم أوصيه بحسن النية والإخلاص ؛ ليكون ـ إن شاء الله تعالى ـ من الناجين يوم لات حين مناص ، وأوصيه أيضًا بالتقوى ؛ لأنها لخير الدارين العروة الوثقى ، والسبب الأقوى ، وأيضًا لقوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾[1] ، والصلاة والسلام المتعاقبا الورود على حامل لواء الحمد ، وصاحب الحوض المورود والمقام المحمود سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أولي السماحة والجود .

قال ذلك بفمه ، ورقمه بقلمه الفقير الحقير المعترف بالذنب والتقصير إبراهيم بن مرعي الشبراخيتي بلدًا ، المالكي مذهبًا ـ عفا الله عنه ـ[2] .

---

(1) سورة البقرة ، الآية (282) .

(2) تذكير الناسي ، ورقة 68 .

وأما الشفا فأخذته عن خاتم المحققين الشهاب شارحه عن شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم العلقمي ، عن أخيه الشمس العلقمي مؤلف الحاشية ، عن الجلال السيوطي ، وسند السيوطي معلوم إلى المؤلف ، وأخذ الشهاب المذكور عن شيخ الإسلام شافعي زمانه العلامة الرملي ، عن والده عن شيخ الإسلام زكريا الإنصاري ، وأخذه الشهاب أيضًا عن والده ـ رحمه الله ـ عن ابن حجر الهيثمي ، وهكذا كابرا عن كابر إلى المصنف ـ رحمه الله تعالى ، ونفعنا به ، وأعاد علينا من بركاته في الدنيا والآخرة ـ » .

انتهت الإجازة المباركة ، ومن خط الشيخ إبراهيم المذكور نقلت .

ـ نفعنا الله تعالى بجميعهم آمين ـ[1] .

وبعد فهذه رحلة مباركة ، وإن كانت فيها مشقة صحبنا فيها الشيخ أحمد الغدامسي طفلا ، وطالبًا ، وعالمًا ، وسط نخبة من العلماء ، ممن كانوا منارات ؛ بل ولا تزال آثارهم دروبا يهتدي بها السائرون .

ـ أسال الله أن يعمنا وإياه وإياهم بفضله ونعمائه إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وها أنا أقدم كتاب الشيخ أحمد الغدامسي "إتحاف المريدين بعقيدة أم البراهين" محققًا ومعلقًا عليه حسب ما تدعو الحاجة ، راجيًا أن يكون قد أدى بعض مرادي ، إن لم يبلغ الغاية ، وقد قيل : ما لا يدرك كله لا يترك كله .

---

(1) نفس المصدر السابق .

وأما الشفا فأخذته عن خاتم المحققين الشهاب شارحه عن شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم العلقمي ، عن أخيه الشمس العلقمي مؤلف الحاشية ، عن الجلال السيوطي . وسند السيوطي معلوم إلى المؤلف ، وأخذ الشهاب المذكور عن شيخ الإسلام شافعي زمانه العلامة الرملي ، عن والده عن شيخ الإسلام زكريا الإنصاري ، وأخذه الشهاب أيضًا عن والده ـ رحمه الله ـ عن ابن حجر الهيثمي ، وهكذا كابرا عن كابر إلى المصنف ـ رحمه الله تعالى ، ونفعنا به ، وأعاد علينا من بركاته في الدنيا والآخرة ـ » .

انتهت الإجازة المباركة ، ومن خط الشيخ إبراهيم المذكور نقلت .

ـ نفعنا الله تعالى بجميعهم آمين ـ[1] .

وبعد فهذه رحلة مباركة ، وإن كانت فيها مشقة صحبنا فيها الشيخ أحمد الغدامسي طفلا ، وطالبًا ، وعالمًا ، وسط نخبة من العلماء ، ممن كانوا منارات ؛ بل ولا تزال آثارهم دروبا يهتدي بها السائرون .

ـ أسال الله أن يعمنا وإياه وإياهم بفضله ونعمائه إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وها أنا أقدم كتاب الشيخ أحمد الغدامسي "إتحاف المريدين بعقيدة أم البراهين" محققًا ومعلقًا عليه حسب ما تدعو الحاجة ، راجيًا أن يكون قد أدى بعض مرادي ، إن لم يبلغ الغاية ، وقد قيل : ما لا يدرك كله لا يترك كله .

---

(1) نفس المصدر السابق .

وأما الشفا فأخذته عن خاتم المحققين الشهاب شارحه عن شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم العلقمي ، عن أخيه الشمس العلقمي مؤلف الحاشية ، عن الجلال السيوطي ، وسند السيوطي معلوم إلى المؤلف ، وأخذ الشهاب المذكور عن شيخ الإسلام شافعي زمانه العلامة الرملي ، عن والده عن شيخ الإسلام زكريا الإنصاري ، وأخذه الشهاب أيضًا عن والده ـ رحمه الله ـ عن ابن حجر الهيثمي ، وهكذا كابرا عن كابر إلى المصنف ـ رحمه الله تعالى ، ونفعنا به ، وأعاد علينا من بركاته في الدنيا والآخرة ـ » .

انتهت الإجازة المباركة ، ومن خط الشيخ إبراهيم المذكور نقلت .

ـ نفعنا الله تعالى بجميعهم آمين ـ[1] .

وبعد فهذه رحلة مباركة ، وإن كانت فيها مشقة صحبنا فيها الشيخ أحمد الغدامسي طفلا ، وطالبًا ، وعالمًا ، وسط نخبة من العلماء ، ممن كانوا منارات ؛ بل ولا تزال آثارهم دروبا يهتدي بها السائرون .

ـ أسال الله أن يعمنا وإياه وإياهم بفضله ونعمائه إنه ولي ذلك والقادر عليه .

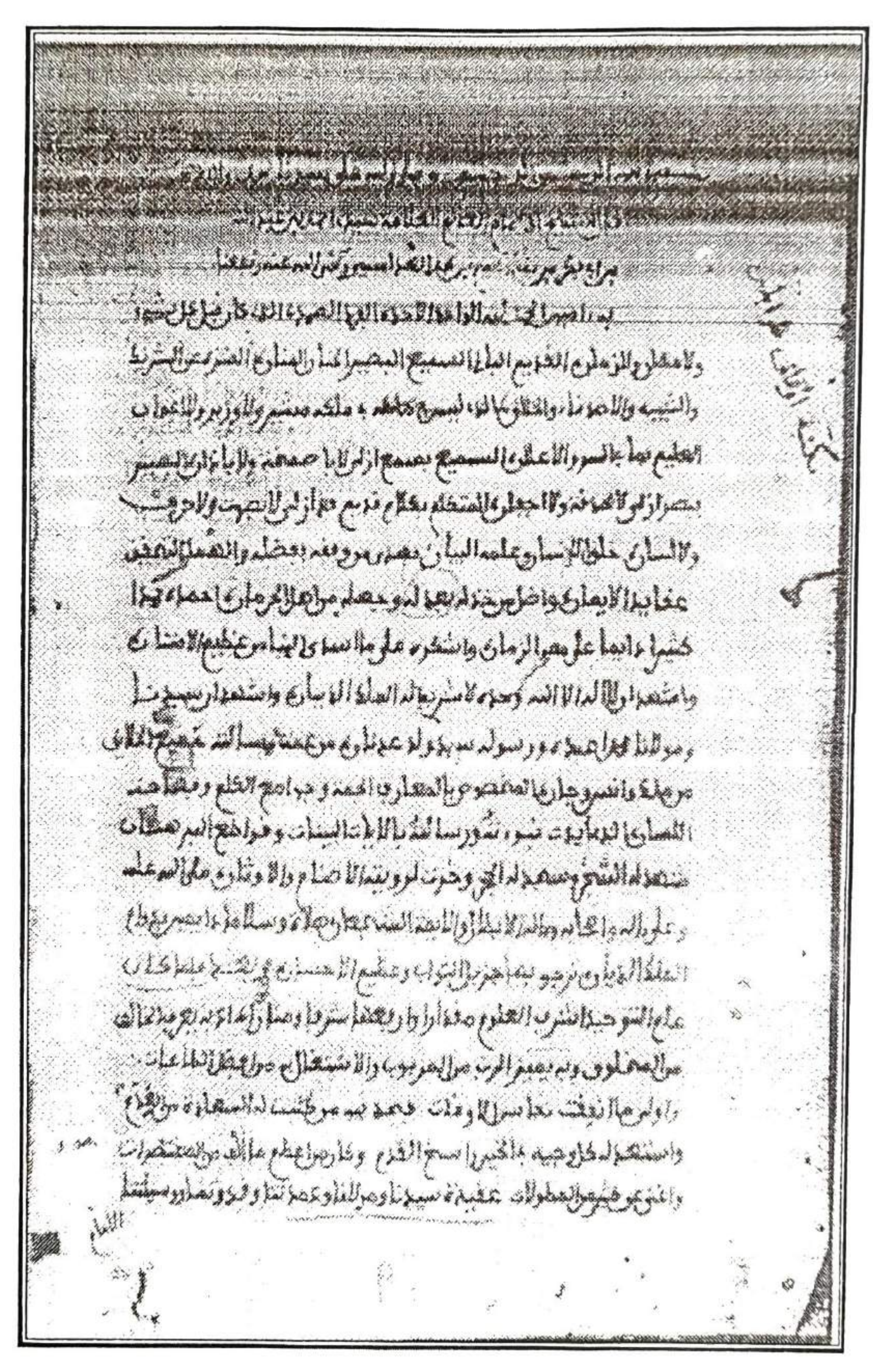
وها أنا أقدم كتاب الشيخ أحمد الغدامسي "إتحاف المريدين بعقيدة أم البراهين" محققًا ومعلقًا عليه حسب ما تدعو الحاجة ، راجيًا أن يكون قد أدى بعض مرادي ، إن لم يبلغ الغاية ، وقد قيل : ما لا يدرك كله لا يترك كله .

---

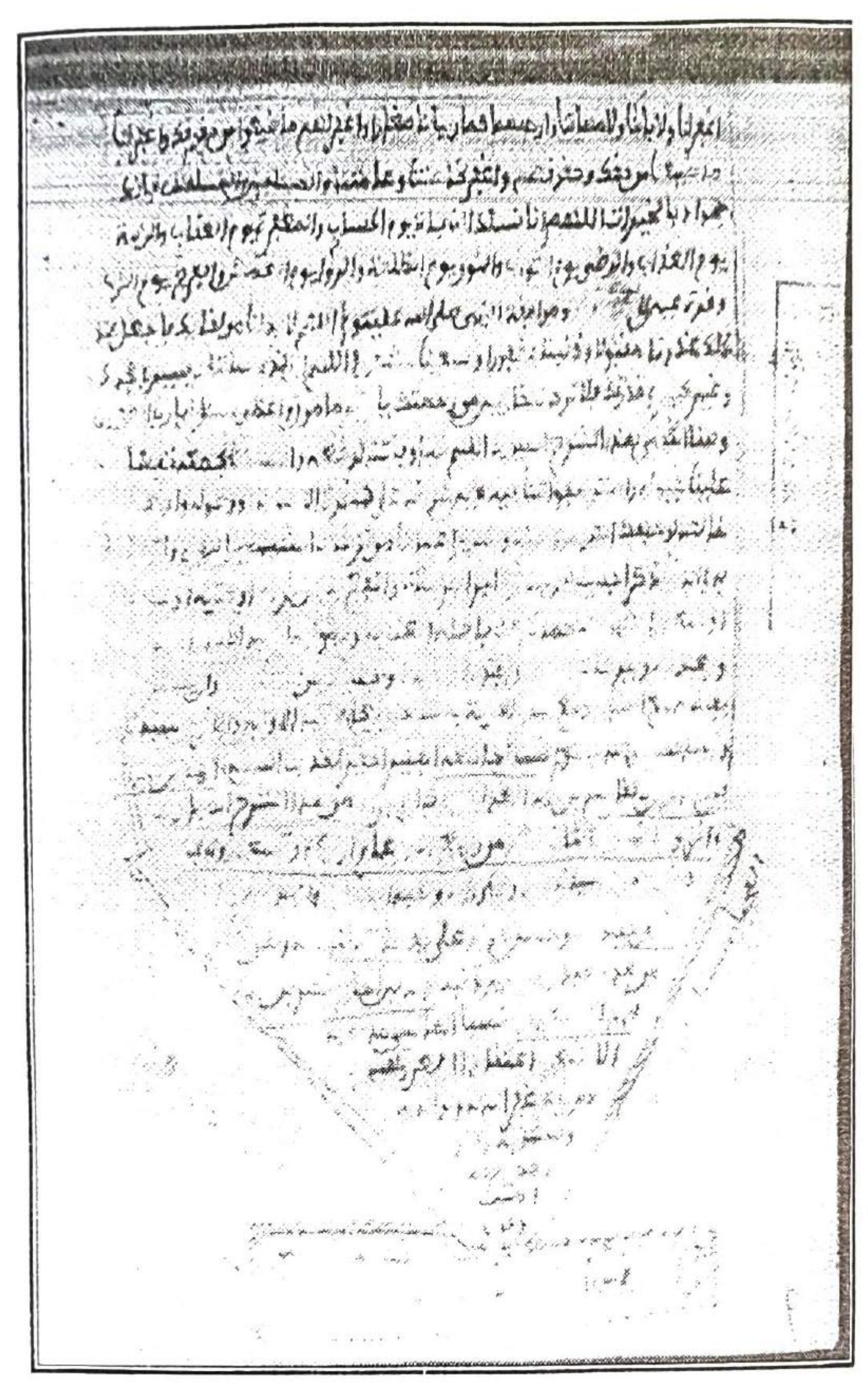
(1) نفس المصدر السابق .

القسم الثاني :

التحقيق



الصفحة الأولى من النسخة (أ)



الصفحة الأخيرة من النسخة (أ)

الصفحة الأولى من المجموع المحفوظ به النسخة (ح)

[illegible] ١١٢

سلام الأحبة في أعلا عليين بجاه سيد الأولين والآخرين سيدنا و

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال جامعه الفقير الحقير المذنب الجاني

أحمد بن عبد الله بن أبي بكر بن بلقاسم بن محمد الغدامسي وكان الفراغ

من هذا الشرح المبارك ضحى يوم الخميس الثاني عشر من ربيع الأول

عام أربعة وتسعين وألف وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تم بحمد الله وحسن عونه على يد كاتبه العبد

الفقير المعترف بالعجز والتقصير الراجي

عفو ربه القدير محمد بن أبي القاسم بن سالم

بن علي بن سلطان غفر الله للجميع بحرمة

المصطفى الشفيع صلى الله عليه وسلم

وكان الفراغ منه يوم الاثنين أول

شهر ربيع الآخر رابع شهور

عام خمس وتسعين ومائة و

ألف من الهجرة النبوية

على صاحبها أفضل

الصلاة وأزكى

التسليم آمين

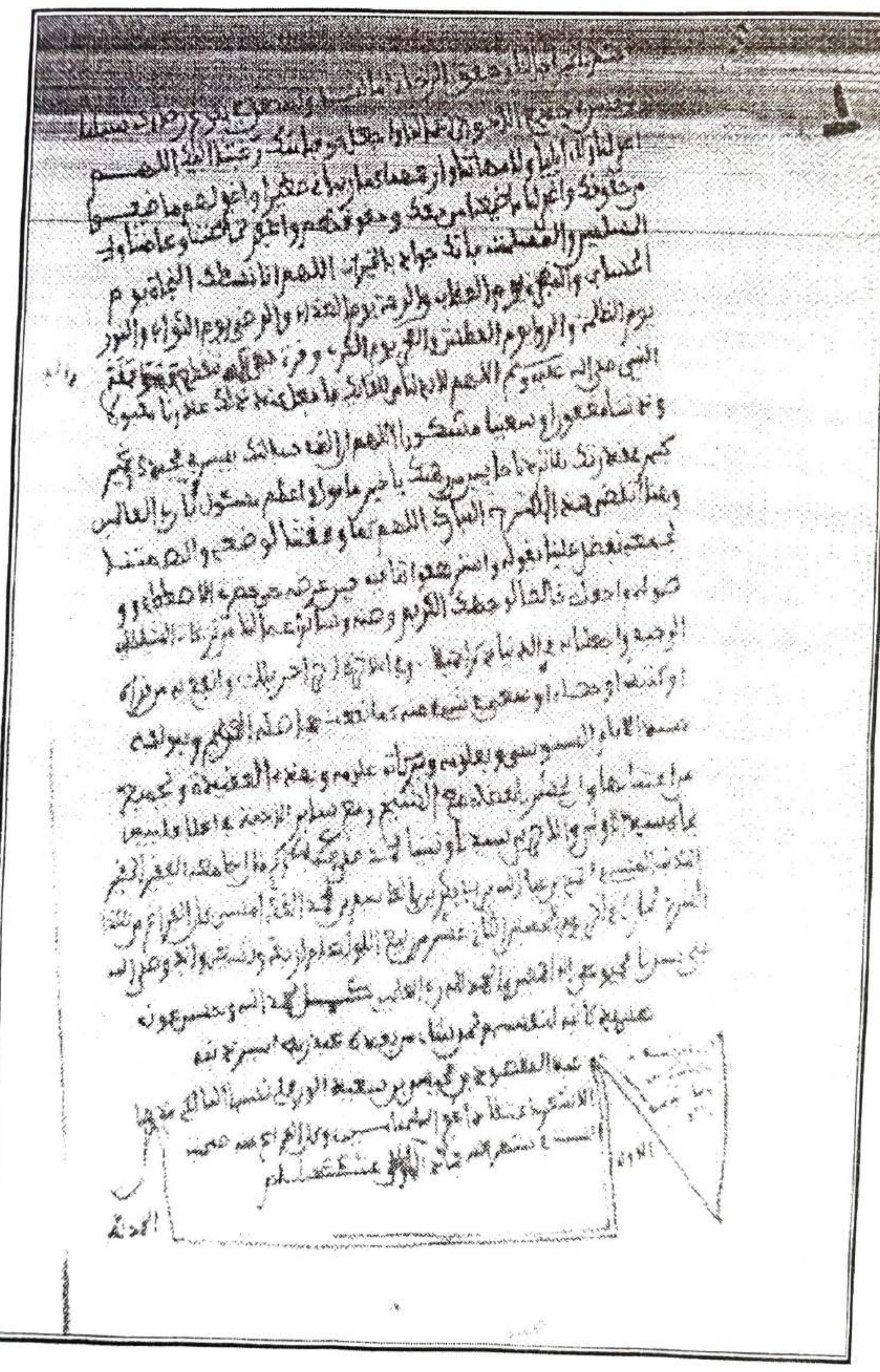
ولا حول ولا قوة

إلا بالله العلي

العظيم

الصفحة الأخيرة من النسخة (ح)

الصفحة الأولى من النسخة (م)



الصفحة الأخيرة من النسخة (م)

الصفحة الأولى من النسخة (د)

آخر صفحة من الموجود من النسخة (د)

خطبة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم ـ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ـ .

قال الشيخ العالم العلامة ، سيدي أحمد بن عبد الله بن أبي بكر بن أبي القاسم بن محمد الغدامسي ـ رضي الله عنه ، ونفعنا به آمين ـ .

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي كان قبل كل شيء ولا مكان ، ولا زمان ، القديم الباقي ، السميع البصير ، الحنان المنان ، المنزه عن الشريك والشبيه ، والأصدقاء والخلان ، الذي ليس في ملكه مشير ، ولا وزير ، ولا أعوان ، العليم بما في السر والإعلان ، السميع بسمع أزلي لا بأصمخة ولا بآذان ، البصير ببصر أزلي لا بحدقة ولا أجفان ، المتكلم بكلام قديم أزلي ، لا بصوت ، ولا حرف ، ولا لسان ، خلق الإنسان وعلمه البيان فهدى من وفقه بفضله وألهمه لتحقيق عقائد الإيمان ، وأضل من خذله بعدله ، وجعله من أهل الحرمان ، أحمده حمدًا كثيرًا دائمًا على ممر الزمان ، وأشكره على ما أسدى إلينا من عظيم الامتنان ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الملك الديان ، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدًا عبده ورسوله سيد ولد عدنان ، من عمت رسالته جميع الخلائق من ملك وإنس وجان ، المخصوص بالمعارف الجمّة ، وجوامع العلم ، وفصاحة اللسان ، الذي أُيدت نبوته ورسالته بالآيات البيّنات ، وقواطع البرهان ، وشهد له الشجر ، وسجد له الحجر ، وخرت لرؤيته[1] الأصنام والأوثان ـ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأبطال ، والأئمة الشجعان ـ صلاة وسلامًا دائمين بدوام الملك الديان ، نرجو بها جزيل الثواب ، وعظيم الإحسان ، وبعد .

---

(1) في د (له مية ولا معنى لها) .

فلما كان علم التوحيد أشرف العلوم مقدارًا ، وأرفعها شرفًا ومنارًا ، إذ بـه يُعـرف الخالق من المخلوق ، وبه يميز الرّبُّ من المربوب ، والاشتغال به من أفضل الطاعات ، وأولى ما أنفقت [فيه][1] نفائس الأوقات ، فجدّ فيه من كتبـت لـه الـسعادة مـن القِدم ، واستعد له كل وجيه في الخير راسخ القَدم ، وكان من أعظم ما أُلف مـن المختـصرات ، وأَغنى عن كثير من المطولات ، عقيدة سيدنا ومولانـا وعمـدتنا وقـدوتنا ووسـيلتنا : الإمام العـالم العلامـة ، القطـب العـارف ، الغـوث المكاشـف ، ذي المواهـب الـسنية والفتوحات الربانية حامل لواء[2] الفروع والأصول ، الجامع بـين المعقـول والمنقـول ، سيدي أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسني ـ المسماة بأم البراهين ، فتح الله بها القلوب المقفلة ، ونفض بها عن القلب غبار ظلمة الجهل وتلفـه[3] ، وشرح بهـا صـدر المعتني بها ، ونوّر ضميره ، وهدى إليها من شاء أن يجعل إلى الفـردوس مـصيره ، عـمّ نفعها في الإسلام ، وفاح عَرفها ، وانتشر على الأنـام ، وشرحهـا مـصنفها ـ رحمـه الله ـ بشرح أبدع فيه غاية الإبداع[4] وأفصح[5] فيه غاية الإفصاح ، بحيث لم يدع قولة لقائـل ، ولا لمزيد بعده من طائل ، وقد شرحها غيره من علـماء الإسـلام ، ومـن أعيـان الطلبـة الكرام ـ رحم الله الجميع وأسكنه دار السلام ـ وأردت أن ألحق بها للقوم بشرح أجعلـه تذكرة لنفسي ، ولمن هو من أمثالي ـ جعله الله خالصًا لوجهه الكريم ، ونفع به كـما نفـع بأصله العظيم ـ ومن الله[6] أستمد العون والقبول فهو أفضل مرجو وأعظم مـسؤول ـ

---

(1) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السياق .

(2) في أ و م (اللواء) .

(3) في ح (وأتلفه) .

(4) في ح (أنفح فيه غاية الإنفاخ) .

(5) في أ و م (وأبهج فيه) . وما أثبت من ح .

(6) في م (ومن الله العظيم) .

وسميته "إتحاف المريدين بعقيدة أم البراهين" وأنا معترف بالتقصير[1] على هذا الأمـر . وأعلم أني لم أكن أهلاً لذلك ، ولا إلى الوصول إلى هنالك ، ولكن الباعث عليه تفـاؤلي ورجائي ؛ لتحصيل الفائدة في الدنيا وجزيل الأجر في العقبى ، وأسأل من وقـف عليـه أن يسامح فيما عساه أن يراه من زلل ، أو يصلح فيه من تحريف أو خلـل ، وأن يـصلحه حائزًا بذلك جزيل الثواب ، وجميل الذكر عند ذوي الألباب ، إذ لا معصوم إلا الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وما صلح مثلي أن يحوم حول هذا الحمى ، ويغوص في هـذي البحار العظام إلا حين خلت الديار ، وعدمت علـماء الإسـلام ، ولـولا ذهـاب العلـم والأئمة والأعلام ما صلح مثلي أن يتجاسر ويجعل قلمًا بين سبابة وإبهام ، فضلاً عـن أن يكتب لفظة من كلام ، ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾[2] على ذهاب العلم والأئمة الكـرام ، فالله الله يا أخي في الاعتذار وترك الاعتراض ، المؤمن يلتمس المعـاذر لأخيـه المـؤمن . فالله الله يا أخي في الدعاء لي ولوالدي وللمسلمين بالمغفرة والرحمة يرحمك الله .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

---

(1) لعله يريد القصور . وعلى بمعنى عن

(2) سورة البقرة ، الآية 156 .

مقدمــة المـؤلــف

مقدمة : تشتمل على فصول :

الفصل الأول : في ذكر سندنا في علم التوحيد ، وفي عقائد الإمام السنوسي إلى مؤلفها فأقول : أخذت علم التوحيد قراءة عن سيدنا ومولانا وشيخنا الشيخ الإمام العالم سيدي محمد بن عمر الغدامسي ، وقراءة لبعض عقائد التوحيد ، وإجازة عن أستاذنا شيخ الإسلام والمسلمين الشيخ[1] العالم العلامة ، والدنا سيدي عبد الله بن أبي بكر بن أبي القاسم بن محمد الغدامسي ، وهو أخذ عقائد الإمام السنوسي عن شيخنا محمد بن عمر المذكور بعضها قراءة والكل إجازة ، وهو أخذها عن جماعة من علماء مصر ، منهم شيخنا محمد الخرشي ، والشيخ عبد السلام ابن الشيخ إبراهيم اللّقّاني ، والشيخ منصور الطوخي[2] ، والشيخ محمد العنابي[3] ، وهم عن الشيخ أحمد المقّري[4] ، وهو عن عمه سيدي سعيد بن أحمد المقري[5] عن ابن جلال[6] محشي عقائد السنوسي عن سيدي سعيد الكفيف[7] عن مؤلفها إمام الفن الشيخ محمد بن يوسف السنوسي .

---

(1) في أ و ح (الشيخ الإمام) .

(2) هو منصور بن عبد الرزاق بن صالح الطوخي ، فقيه أزهري مصري شافعي ، كان إمام جامع الأزهر وقام بالتدريس فيه طول حياته (الأعلام 7/ 300) .

(3) محمد العنابي : لم أتوصل لمعرفته .

(4) هو أحمد بن محمد المقّري القرشي ، له حاشية على مختصر خليل ، ونفح الطيب ، وإضاء الدجنة ، توفي بمصر سنة 1041هـ (ينظر التقاط الدرر 2/ 94 ، والأعلام 7/ 216) .

(5) هو سعيد بن محمد المقري ، من بيت علم وصلاح بتلمسان ، أخذ عن ابن جلال ، وابن خروف ، وأخذ عنه أحمد المقري . توفي سنة 1010هـ أو 1011هـ . (ينظر التقاط الدرر 2/ 38 ، وشجرة النور الزكية ص 295 .

(6) هو مفتي ، وشيخ الجماعة بها ، أخذ عن سعيد المقري ، وابن زكريا المغراوي ، وعنه الإمام المنجور وغيره . توفي سنة 981هـ . (ينظر شجرة النور الزكية ص 285) .

(7) لم أتوصل لمعرفته .

الفصل الثاني : في ذكر ترجمة الإمام السنوسي وشيء من مناقبه . قال العلامة سيدي أحمد بابا في "ذيل الديباج" هو محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي وبه عرف نسبه لقبيلة بالمغرب ، الحسني نسبة للحسن بن علي من جهة أم أبيه[1] .

وقال تلميذه الملالي[2] : كبير علمائنا الإمام العلامة المتفنن الصالح الزاهد ولي الله ـ تعالى ـ ابن الشيخ الصالح الزاهد الخاشع الأستاذ المحقق أبي يعقوب يوسف[3] .

قال الملاّلي[4] : نشأ خيّرًا مباركًا فاضلاً صالحًا أخذ عن جماعة كوالده والعلامة نصر الزواوي[5] والولي الكبير الحسن أبركان[6] انتفع به كثيرًا وكان يحبه ،

---

(1) ينظر كفاية المحتاج ص 445 ، وأحمد بابا هو : أحمد بابا أحمد بن أحمد بن محمد الصنهاجي السوداني التمبكتي المالكي . له ذيل الديباج ، ونيل الابتهاج ، وشرح صغرى السنوسي ، توفي بتمبكتو 1032هـ . (ينظر : شجرة النور الزكية ص 298 ، والأعلام 1/ 102) .

(2) ينظر : كفاية المحتاج ص 445 ، والملالي هو محمد بن عمر بن إبراهيم بن علي الملالي ، نسبة إلى بني ملال بالمغرب ، كان من تلاميذ الشيخ محمد بن يوسف السنوسي ، وصنف في مناقبه ، وشرح له العقيدة الصغرى ، ت 897هـ . (ينظر : مقدمة شرح الملالي على السنوسية ورقة 2 مخ ، والإعلام 5/ 301 وفيه اسمه محمد بن إبراهيم بن عمر) .

(3) هو الشيخ يوسف بن عمر بن شعيب ، كان رجلاً ورعًا زاهدًا في الدنيا معرضًا عنها مقبلاً على الطاعة ، سليم الصدر ، حسن الخلق ، متبسمًا في وجه كل من رآه ، حسن العشرة ، كريم الطبع ، وكانت حرفته تعليم القرآن الكريم للأولاد . (ينظر : اختصار التمبكتي لتأليف الملالي ورقة 2ب) .

(4) ينظر : كفاية المحتاج ص 445 .

(5) هو عالم من الصلحاء الزهاد العباد ، أخذ عن الإمام ابن مرزوق ، وأخذ عنه السنوسي كثيرًا من العربية ولازمه كثيرًا . توفي بالقدس سنة 826هـ ودفن بها . (ينظر : نيل الابتهاج ص 615 ، ومعجم أعلام الجزائر ص 167) .

(6) هو أبو علي الحسن بن مخلوف أشهر أبركان ، الفقيه العالم الصالح . أخذ عن ابن مرزوق وغيره ، وعنه علي التالوتي ، والشيخ السنوسي ، وحضر درسه الشيخ القلصادي ، وأثنى عليه ، توفي في شوال سنة 857هـ . (ينظر : كفاية المحتاج ص 119 ، وشجرة النور الزكية ص 262) .

والفرائض والحساب عن العلامة محمد بن توزت[1] [2] وعن القلصادي[3] الفرائض والحساب، وأجازه جميع ما يرويه، والقراءات عن الشريف يوسف بن أحمد[4]، وعلم الاصطرلاب عن العلامة الحباك[5] والأصول والمنطق عن الإمام ابن العباس[6]، والفقه عن الجلاب[7] وعن أخيه لأمه التالوتي[8] وعلم التوحيد

---

(1) في نسخ أ و ج و م (تومرت) وهو تحريف، والصواب: ابن توزت لأنه هو شيخ السنوسي كما حكاه التمبكتي في نيل الابتهاج ص 553، واما ابن تومرت فهو من أهل القرن السادس كما في شجرة النور الزكية ص 140.

(2) ابن توزت هو محمد بن قاسم بن توزت التلمساني. قال تلميذه الشيخ السنوسي: كان شيخًا صالحًا، عالمًا بالمنقول والمعقول والحساب، والفرائض. قال: ما رأيته قط نظر في كتاب إلا مرة واحدة. قال: ولم أره رقد إلا في بعض الليالي، ينام وهو مستقبل. (ينظر: نيل الابتهاج ص 443، ومعجم أعلام الجزائر ص 80).

(3) هو أبو الحسن علي بن محمد البسطي القرشي، شهر بالقلصادي، أخذ عن جلة من العلماء منهم ابن مرزوق الحفيد، وحلولو، وأخذ عنه الشيخ السنوسي، من تآليفه: شرح على رجز القرطبي. توفي في منتصف ذي الحجة 891هـ. (ينظر: كفاية المحتاج ص 260، وشجرة النور الزكية ص 260).

(4) هو يوسف بن أحمد بن محمد الشريف الحسني. قرأ عليه السنوسي القرآن بالقراءات السبع وأجازه فيها (ينظر: المحتاج ص 502، ومختصر الملالي، ورق 4 مخ).

(5) هو محمد بن أحمد بن أبي يحيى الحباك، فلكي، فرضي، من أهل تلمسان. من كتبه: بغية الطلاب في علم الاسطرلاب في أرجوزة، وشرحها، ونظم رسالة الصغار في الاسطرلاب، وشرح التلمسانية في الفرائض. توفي سنة 857هـ. (ينظر: الأعلام 5/ 333، ومعجم المفسرين من صدر الإسلام حتى الوقت الحاضر 2/ 757).

(6) هو محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي، عرف بابن التلمساني. قال القلصادي: كان إمامًا مفتيًا، وقال رزوق: هو شيخ تلمسان بوقته. أخذ عن محمد بن مرزوق، والعقباني. توفي سنة 871هـ. (ينظر: كفاية المحتاج ص 431، وشجرة النور الزكية ص 264).

(7) هو محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي شهر بالجلاب التلمساني. أخذ عنه الونشريسي، والسنوسي ختم عليه المدونة مرتين. له فتاوي في المازونية والمعيار، توفي سنة 875هـ. (ينظر: كفاية المحتاج ص 435، وشجرة النور الزكية ص 274).

(8) هو أبو الحسن علي بن محمد التالوتي الأنصاري التلمساني. أخذ عن الحسن أبركان، والتازي، وأخذ=

عن الكنابشي[1] والصحيحين وغيرهما عن الإمام الثعالبي[2] وأجازه ، والمسلسلات وأشياء كثيرة عن الولي الصالح العلامة إبراهيم التازي[3] وألبسه الخرقة وغيرها وحدثه بها بسنده وبصق في فمه ، وكان آية في العلم ، والصلاح ، والهدى ، والزهد . له أوفر حظ في العلوم وفروعها ، وأصولها وغيرها ، إذا تحدث في علم ظن سامعه أنه لا يحسن غيره سيّما التوحيد وصل فيه الغاية ، وعقائده كافية في ذلك ، وكذلك المعقول مع حل المشكلات ، سيما في التوحيد وانفرد بعلم الباطن لا يقرئ شيئًا من علم الظاهر إلا خرج لعلم الآخرة سيما التفسير والحديث كأنه شاهد الآخرة ؛ لكثرة مراقبته ، سمعته يقول : ليس علم من علوم الظاهر يورثه معرفته - تعالى - ومراقبته غير التوحيد ، وبه يفتح فهم كل العلوم ، بقدر معرفته وتحقيقه يزيد خوفه - تعالى - ويقول : العالم حقًا من يشكل الواضح ، ويوضح المشكل ، لسعة علمه ، وتحقيقه فهذا الذي يحضر عنده ويسمع فوائده (انتهى)[4].

وهذه صفته ففي علم الباطن قطب رحاها وشمس ضحاها ، اطلع على معادن

=عنه جماعة ، منهم أخوه لأمه السنوسي . توفي سنة 895هـ . (ينظر : كفاية المحتاج ص 262 ، وشجرة النور الزكية ص 266) ز

(1) هو أبو القاسم الكنابشي البجاوي ، أخذ عنه السنوسي التوحيد ، وقرأ عليه هو وأخوه التالوتي الإرشاد (ينظر : كفاية المحتاج ص 288 ، وشجرة النور الزكية ص 266) .

(2) هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، وبه عرف ، العالم الورع ، أخذ عن جماعة منهم الأُبّي ، والبُرزلي ، وعنه جماعة ، منهم الشيخ السنوسي ، وعلي التالوتي ، ومحمد بن مرزوق ، له مؤلفات كثيرة منها تفسير الجواهر الحسان ، توفي سنة 875هـ . (ينظر : كفاية المحتاج ص 191 ، ومعجم المفسرين من صدر الإسلام حتى الوقت الحاضر 1/ 276) .

(3) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد التازي ، نزيل وهران شيخ الشيوخ ، أخذ عن جماعة منهم ابن مرزوق الحفيد ، وعنه جماعة منهم الشيخ السنوسي والشيخ زروق . أثنى عليه القلصادي . توفي في شعبان سنة 866هـ . (ينظر : كفاية المحتاج ص 102 ، وشجرة النور الزكية ص 220) .

(4) ينظر : اختصار أحمد بابا لتأليف الملالي مخطوط بمركز جهاد الليبيين ، ورقة 15 .

أسراره ـ تعالى ـ وغاب في غيبته يراقبه ويطيل الفكرة في معرفته ، فجلت له عجائب الأسرار ، وجمع بين الحقيقة والشريعة على أكمل وجه ، لـه [1] لطائف الأحوال ، وصالح الأقوال والأفعال ، باطنه حقيقة ، وظاهرة زهد وتجريد ، وكلامه هداية كل مريد ، طويل الحزن ، كثير الخوف ، ولشدة خوفه يسمع لصدره أزيز [2] مستغرق في الذكر لا يشعر بمن معه ، مع تواضع وحسن خلق ورقّة قلب ، رحيم لين هين مع حسن كلام ، يتزاحم الأطفال على تقبيل أطرافه ، لا ترى أحسن خلقًا ، ولا أوسع صدرًا وأكرم نفسًا ، وأعطف قلبًا ، وأحفظ عهدًا منه ، يوقر الكبير ، ويتواضع للضعفاء ، ومعظم جانب النبوءة ، لا يعارضه أحد إلا ألجمه ، جُمع له العلم ، والعمل ، والولاية إلى النهاية ، يشفق على الخلق ، ويقضي حوائجهم عند السلطان ، ويصبر على أذاهم ، ووضع له من القبول والهيبة في القلوب ما لم ينله غيره من العلماء والزهاد ، ارتحل إليه الناس وتبركوا به ، سمعته آخر عمره يقول : من الغريب النادر في زماننا هذا وجود عالم جمع له علم الباطن والظاهر على أكمل وجه ينتفع به في العلمين فهو كنز عظيم دينًا ودنيا لمن وجده فليشد يده عليه لئلا يضيع عن قرب فلا يجد مثله أبدًا . . (انتهى)[3] .

وكأنه كاشفنا بذلك مشيرًا لنفسه فلم يلبث بعده حتى مات ، ولا شك أنه لا يوجد مثله أبدًا .

---

(1) (له) سقط من م .

(2) في أ و د و م (أينن) وما أثبت من ح .

(3) ينظر : اختصار أحمد بابا لتأليف الملالي ورقة 17 .

كرامات الشيخ السنوسي

وأما كراماته ومكاشفاته فمنها أن بعض أصحابه الملازمين له طلب منه أن يطلعه على الأسرار فاختطف له يومًا حفنة من ذهب من الهواء ، وهو ذاهب معه في بعض فحص[1] البلاد وهو ينظر إلى ذلك ، وأعطاه إلى بعض الأسراء وقال له اكتم الأسرار ، فلم يظهر حتى مات . ومنها : أن بعض الفضلاء ذهب للحج فلقي رجلاً من الأولياء بمكة فلما أراد السفر قال له الولي إذا دخلت بلدك فسلم لنا على الشيخ سيدي محمد المتبسم [الذي يسمى عندكم بالسنوسي ، قال له : يا سيدي من أين تعرفه ؟ قال له : إنه يأتي في الموسم بهذا المكان ويطوف ويسلم علينا ، وهو كثير التبسم][2] فجاء الرجل إلى الشيخ وأبلغه الأمانة فقال له اكتم[3] ومنها قصته مع عبد الجبار وكان محبًا لأهل الخير ، ومن أهل الكرم ، طلب الشيخ أن يذهب معه لمنزله ففعل ، وخرج للصحراء ينظر في فسيح ملك الله فجاءته الصلاة فلم يجدوا ماء ـ وذلك في الصيف ـ واشتد عليهم العطش فاستقبل الشيخ القبلة فدعا فنزلت سحابة فيها مطر كثير حتى شربوا وتوضأوا ورفع المطر . ومنها وهو أعظمها ما حدّث به الخواص من أصحابه وأمرهم بكتمه أنه رأى رب العزة ـ جل جلاله ـ في النوم على ما هو عليه ـ تعالى ـ ليس كمثله شيء ومن حين رآه فني عن الكائنات كلها ، ولم يعبأ بشيء ولا مال إليها طبعًا ولا تطبعًا[4] ، ومنها

---

(1) أحياؤها وأرجاؤها ، قال في القاموس : والفحص كل موضع يُسكن القاموس المحيط 2/ 323 مادة (فحص) .

(2) الذي بين المعقوفتين زدناه من مختصر أحمد بابا الذي ينقل عنه المؤلف والمعنى الذي يريده الشيخ الغدامسي لا يتم إلا بهذه الزيادة .

(3) في م (اكتم الأسرار فلم يظهر حتى مات) .

(4) مختصر أحمد باب ورقة 10 .

أن بعض الأولياء وقف على الشيخ وأخبره أنه لقي بعض مؤمني الجن فقال له : قل للشيخ السنوسي مهما أكل طعامًا قال[1] الحمد لله رب العالمين الشكر لله رب العالمين ثلاثمائة مرة بلا فتور ، وذكر فيها ثوابًا عظيمًا ، ومنها أن سيدي محمد بن محمد التالوتي والدي السيد علي بعث للشيخ يومًا فقال له إن جماعة من مؤمني الجان اجتمعوا عندي فقالوا لي اطلب من سيدي السنوسي يجعل لنا دولة[2] في البردة فلما بلغه الخبر شرع في قراءتها بتفسير عجيب[3] ، ومنها ما حدثني به سيدي يحيى الراشدي[4] وهو من أصحابه قال : حدثني الشيخ أن الجان يبرك عليه في الليل ربما يجتمعون على طرف ثوبه ويحدقون به فيطردهم بيده فيهربون ثم يرجعون ، قال عنه لا يتركوني أشتغل بنفسي[5] ، ومنها مراء عجيبة رئيت له ، فمنها رؤية والده سيدي يوسف ليلة ولادته النبي - صلى الله عليه وسلم - في النوم فقال له يا يوسف يتزايد لك ولد ذكر في هذه الليلة فيه العلم والدين ، وهذه من أعظم البشارة ومرتبة عظيمة[6] ، ومنها ما حدثني به أخوه شيخنا وبركتنا علي التالوتي قال لي كانت عندنا مملوكة تسمى سعيدة ، وكانت تحفظ من سورة الرحمن إلى ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾[7] وكانت صالحة ، وكانت ترى النبي - صلى الله عليه وسلم - في النوم وتصفه لنا بصفاته في الكتب ومهما نزل بها أمر من الأمور رأته - صلى الله عليه وسلم - قالت فرأته يومًا على عادتها فقال - صلى الله عليه وسلم - قولي لمحمد السنوسي كنت تصلي عليّ كذا وكذا مرة فرجعت تنقص منها أو كما قال .

---

(1) في أ و م (قل) وما أثبت من ح .

(2) أي نوبة ينظر : تاج العروس / 326 مادة دول .

(3) ينظر : مختصر أحمد بابا ورقة 10 .

(4) لم أتمكن من معرفته .

(5) مختصر أحمد بابا ورقة 10 .

(6) نفسه ورقة 10 ، 11 .

(7) سورة الناس ، الآية 6 .

فلما أصبحت قالت يا سيدي هل[1] عندك أخ اسمه محمد ؟ قال نعم قالت قال لي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كذا وكذا ، قال بعثت لأخي محمد فجاءني فأخبرته بما رأته الأمة فقال : أخي قال الحق ، لا شك أني أصلي على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألف مرة ، ثم نقصت منها نصفها خمسمائة لكثرة اشتغالي بحوائج الناس شوشتني ولم أجد لهم راحة ، ولا انفكاكًا فهذا سبب النقص[2] .

ثم رجع إلى ما كان عليه أول مرة ، بل زاد على ما كان عليه أول مرة ، حتى مات مع كثرة ورود الخلق عليه ، ومن كراماته أن رجلاً أتى بلحم من السّوق فسمع الإقامة من المسجد فدخل واللحم في قبه[3] فكبر كذلك فلما سلم دخل داره وطبخ اللحم إلى العشاء فإذا هو بحاله لم يتغير فظنه لحم شارف فما يزال يوقد عليه إلى الصبح ، وهو على حاله كما وضع ، فتذكر وذهب للشيخ فأخبره فقال يا بني أرجو أن كل من صلى ورائي لا تعدو عليه النار ، ولعل هذا اللحم من ذلك ولكن اكتمه ، ويذكر أنه إذا مر في صغره مع الصبيان على الإمام ابن مرزوق الحفيد[4] وضع يده على رأسه ويقول نقرة[5] خالصة ، ثم قال سيدي أحمد العبادي[6] : وأما ورعه وزهده في الدنيا فيكفيك من

(1) (هل) سقطت من م .

(2) مختصر أحمد بابا لتأليف الملالي ورقة 11 .

(3) قبه : القب ما يدخل في جيب القميص من الرقاع . تاج العروس 1/ 418 مادة قبب .

(4) هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر مرزوق عرف بالحفيد ، العالم المفتي الشهير أخذ عن جماعة منهم والده ، وابن عرفة ، والقصار ، والسراج البلقيني ، وعنه جماعة منهم القلشاني ونصر الزواوي والقلصادي . له شروح على البردة وعلى الشقراطيسية . توفي عام 842هـ . (ينظر : شجرة القدر الزكية ص 275 ، والأعلام 5/ 331) .

(5) أي سبيكة من ذهب أو فضة ، وهو مجاز . قال الزمخشري في أساس البلاغة ص 984 مادة نقر : "وله إبريق من النقرة وهي الفضة المذابة" ، وقال الزبيدي في تاج العروس 3/ 581 مادة نقر : "القطعة المذابة من الذهب والفضة وهي السبيكة ، وقيل ما سبك مجتمعًا منهما" .

(6) هو شهاب الدين أحمد بن قاسم العبادي المصري الشافعي ، له حاشية على شرح جمع الجوامع في أصول=

ذلك أنه لم يجتمع قط بسلطان وقته أبي عبد الله[1] مع أنه يجهد[2] في رؤيته والتبرك به فلم يقدر عليه ، وذكر الشيخ المبارك سيدي محمد بن سعيد[3] وكان من فضلاء أصحابه أنه خرج يومًا للقبور مع صاحبه محمد السقاطي[4] فرآهما بعض أصحاب السلطان فأخبره بهما فخرج السلطان من حينئذ حرصًا على لقائه ، فأتى الموضع الذي هما فيه فأخذ الله ببصره عن الشيخ وصاحبه فقال للمخبر لم تكذب عليّ ؟ فأقسم له[5] قائلاً تركت الشيخ في موضع هذا الحجر ويضع يده على الشيخ ، وتركت السقاطي في موضع هذا الحجر ويضع يده على السقاطي ، والشيخ يشير للسقاطي أن اسكت . ومن اختفاءاته عن أعين الناس ما حدثني به بعض الصالحين قال كنت أخدم روضًا لي فبينما أنا كذلك إذ رأيت الشيخ اجتاز على الطريق بالقرب مني فجئت لأسلم عليه فلم أره ، ونظرت يمينًا وشمالاً فلم أره وليس ثم ما يختفي به من شجر ، أو حائط ، قال وكنت يومًا أخدم في روضي فإذا بالشيخ دخل روضي ومعه رجل ، وذلك وقت الظهر فسلمت عليه ، وقبلت أطرافه وجئته بماء الوضوء من بئر بذلك الروض قليلة الماء جدًا فتوضأ وبقي فضلة من وضوئه فألقيتها في تلك البئر فمن يومئذ كثر ماؤها جدًا[6] وأخبرني بعض أكابر أصحابه قال مررت في الصحراء فرأيت الشيخ وحده فجئت إلى الحائط فلم أره

=الفقه ، وحاشية على مختصر السعد في المعاني والبيان . توفي سنة 992هـ ، وقيل 994هـ . (ينظر : شذرات الذهب 8/ 434 ، والأعلام 1/ 189) .

(1) هو محمد بن علي بن سعد بن علي بن يوسف ، من بني الأحمر الأنصاري ، الخزرجي ، المعروف بأبي عبد الله . آخر ملوك الأندلس ، استوطن بفاس بعد استيلاء العدو على غرناطة . ينظر : الأعلام 6/ 290 .

(2) في د (يجتهد) .

(3) لم أحصل على ترجمة له .

(4) في أ و م . الساقطي وهو تحريف ، والسقاطي لم أعثر عليه في المراجع التي بين أيدينا .

(5) (له) سقط من م .

(6) مختصر أحمد باب لتأليف الملالي ، ورقم 10 .

ولا أدري أين هو ، قال فتعجبت من ذلك ، ثم بعد ساعة وأنا أمشي رأيته دخل جنب حائط وهو يصلي ، فنظرت ذلك الحائط وميزته لئلا يشتبه عليّ بغيره وجعلت له علامات[1] فمشيت إلى عين بالقرب فتوضأت وجئت إلى الحائط فلم أر له أثرًا فنظرت يمينًا وشمالاً فتعجبت منه ، ثم بعد حين رأيته يمشي فعزمت أن أسلم عليه فلم أره قال فأيست من لقائه[2] .

زهد الشيخ السنوسي

ومن زهده أنه لا يقبل شيئًا من أحد ، ولقد وجه إليه السلطان مالاً جليلاً مع كاتبه محمد العبّادي فلم يقبله ، وكتب له معتذرًا ، ولقد جهد أهل البلدة أن يشتروا له دارًا من خالص أموالهم فامتنع ، وقال : دخلت الدنيا لا أملك شيئًا ، وأردت أن أخرج منها لا أملك شيئًا ، وحدث بعض الفضلاء أن رجلاً صالحًا رأى والده يوسف بعد موته قال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : لما حضر ولدي في الجنازة وتفكر فقال ـ سبحان الله ـ ومد بها صوته فغفر الله لنا ، وكنا خمسمائة نفس متنا ذلك اليوم ، وبالجملة ففضائله كثيرة ، وهذا نزر[3] قليل من ذلك . وقد ذكر سيدي أحمد بابا التمبكتاوي من ذلك جملة كثيرة في اختصاره لتأليف الملالي ، واختصر من ذلك جملة في ذيل الديباج ، قال أحمد العبادي : وتخرج به جماعة من السادة منهم الصدر الأوحد محمد بن أبي مدين[4]

---

(1) في أ و م و د (علامًا) وما أثبت من ح .

(2) مختصر أحمد بابا لتأليف الملالي ، ورقة 10 .

(3) في أو و م (قد نزر) وما أثبت من ح .

(4) هو محمد بن أبي مدين التلمساني ، كان علامة فاضلاً ، قال أبو عبد الله بن العباس : تفقهت عليه في كتب شيخه السنوسي ، وفي تلخيص المفتاح ، وصحيح البخاري ، وكان حيًا قرب 920هـ . (ينظر : كفاية المحتاج ص 462 ، وشجرة النور الزكية ص 275) .

رئيس المحققين في زمانه ، والعالم الزاهد ولي الله الزواوي[1] ، والشيخ ولي الله القلع[2] ، والشيخ ولي الله محمد بن عثمان الراضي[3] قلت : وغيرهم كالإمام العلامة أبي عبد الله ابن الإمام ابن العباس[4] والشيخ الملالي وأبي السادات الراشدي[5] في خلق ، وأما تواليفه فقد ألف تواليف كثيرة كشرحه الكبير المسمى "المقرب المستوفي على الحوفي" في كثير العلم ألفه [وهو][6] ابن تسع عشرة سنين ، وتعجب منه شيخه الحسن أبركان لما رآه وأمر بإخفائه حتى يكمل سنه ثلاثين ؛ لئلا تأخذه العين ، وقال لا نظير له فيما أعلم ، ودعا له ، قال أحمد العبادي أخبرني سيدي أبو عبد الله الملالي أن عدة تواليفه خمسة وأربعون تأليفًا ، وقلّ أن يوجد على وجه الأرض تأليف يفيد معرفة الله ـ تعالى ـ بالبراهين القاطعة في أقرب زمان مؤيدة بالسنة والقرآن مثل عقائد الشيخ .

ولقد أنصف الولي عبد الله بن منصور الحوتي لما رأى عقائد الشيخ وقرئ عليه فقال الآن جددنا إيماننا على يد سيدي محمد بن يوسف السنوسي ، ولقد حدثني سيدي محمد الملالي أن رجلاً من الأولياء بمالقة كتب إلى الشيخ فقال : رأيت فلانًا صالحًا

---

(1) هو أبو القاسم بن محمد الزواوي الشريف الولي الصالح من أكابر تلاميذ السنوسي ، أخذ عنه محمد بن عمر الملالي ، ومن شيوخه : ابن مرزوق الحفيد توفي سنة 922هـ . (ينظر : الابتهاج ص 150) .

(2) هو الفقيه العالم الولي الصالح ، كان كثير التمسك بالسلف ، ومحافظًا على السنة ، سيفًا مسلولاً على أهل البدع له أسئلة تسمى بالقلعية ، انتفع الناس بها كثيرًا ، دفن في ضريح السنوسي . (ينظر : شرح المقدمات بتحقيق فتحي أحمد عبد الرازق ص 63) .

(3) لم أهتد لمعرفته .

(4) هو محمد بن محمد بن محمد بن العباس التلمساني ، الفقيه ، العالم ، النحوي ، أخذ عن السنوسي وابن مرزوق الكفيف والتنسي وابن زكري . رحل إلى فاس ثم رجع إلى بلاده ، له مجموع فيه فوائد في النحو ، وشرح في المسائل المشكلات كان حيا سنة 720هـ (ينظر : نيل الابتهاج ص 334) .

(5) هو أحمد بن الشيخ عبد القادر المكي . نقل عنه الخطاب في شرح المختصر ، وأخذ هو عن وجده قاضي القضاة ، وأحمد زروق ، والسخاوي كان حيًا عام 923هـ (ينظر : نيل الابتهاج ص 591) .

(6) زيادة اقتضاها المقام .

فسألته عن الجنة فقال : (**وفيها ما لا عينٌ رأتْ ، ولا أُذنٌ سمعتْ ، ولا يخطرُ ببالٍ**)[1] ، ومن جملة ما رأيت فيها سيدي إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ يقرئ الصبيان عقيدة السنوسي ، وهم يرسمونها[2] في الألواح ، وأظنها العقيدة الصغرى ويجهرون بقراءتها[3] . قال العبادي وهذا لا يستغرب في كرمه ـ تعالى ـ قلت وأخصر شيء وأحسنه وأتقنه في ذلك صغرى الشيخ ، ولقد رأيت في ليلة في المنام سيدي عمر الراشدي الأصفر بعد موته فقلت ما حالك في سؤال الفتانَين ؟ فقال لي أخذت صغرى الشيخ في يدي مثل السيف فأنجاني الله ـ تعالى ـ به ، وأخبرني سيدي الملالي أن رجلاً رئي[4] في النوم فأخبر أنه عذب بسبب إهماله لقراءة صغرى الشيخ ، فعليك يا أخي بعقائد الشيخ تنتفع بها دنيا وأخرى . فتوفي ـ رحمه الله ـ يوم الأحد ثامن عشر جمادى الآخرة عام خمسة وتسعين وثمانمائة وذكر قبل موته بنحو عامين أن سنه خمس وخمسون سنة . انتهى[5] .

ورأيت في موضع آخر عن الملالي أن عمره ثلاث وستون سنة ، وكان يقول عند موته ـ رضي الله عنه ـ : نسأله سبحانه أن يجعلنا وأحبتنا عند الموت ناطقين بكلمتي الشهادة عالمين بها ، آمين ، نسأله سبحانه أن يقدس روحه ، وأن يسكنه الجنة ، وأن ينفعنا به في الدنيا والآخرة وأن يجعلنا معه بفضله في أعلى المنازل الفاخرة بجاه سيدنا ونبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه . انتهى ملخصًا من مختصر سيدي أحمد بابا لتأليف الملالي[6] ومن ذيل الديباج وبعض أشياء من المقاصد الحميدة له انتهى[7] .

---

(1) هذا مقتبس من حديث رواه الطبراني الكبير عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ 11/ 184 بلفظ "خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" .

(2) في أ (يرمونها) .

(3) ينظر : اختصار أحمد بابا ، لتأليف الملالي ورقة 33 .

(4) في أ و م و د (رأي) وما أثبت من ح .

(5) ينظر : اختصار أحمد بابا ، لتأليف الملالي ورقة 36 .

(6) مخ رقم 1282 ، ورقة 36 .

(7) نيل الابتهاج ص 570 .

الفصل الثالث : في معنى التوحيد ، وهو لغة : التوحد ، والتفرد والعلم بأن الشيء واحد .

وشرعًا : إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتًا وصفات وأفعالاً ، لقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[1] ﴿ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[2] ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[3] ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[4] فلا تقبل ذاته الانقسام بوجه ، ولا تشبه صفاته الصفات ، ولا يدخل أفعاله الاشتراك ؛ لأنه لا فعل لغيره خلقًا ، وإن نسب إليه كسبًا ، وقيل : التوحيد : إثبات ذات غير مشبهة بالذوات ، ولا معطلة عن الصفات . فالبالغ من وقت بلوغه وجب عليه معرفة الله ـ تعالى ـ بالدليل لا بالتقليد ، ويكفيه من الدليل تفكره في أحوال نفسه ، هذا ما استقر عليه الشرع ، ولم تكن الأحكام الشرعية متعلقة بالبلوغ ، ولا متوقفة عليه في صدر الإسلام ، بل كانت تتعلق بالقادر بالغًا كان أو غير بالغ . فإن قلت لفظ التوحيد يوهم أن العبد هو الذي وحد ربه ـ جل وعز ـ وفي ذلك رائحة الافتقار مما يتعالى عنه ـ سبحانه ـ أجيب بأن الله ـ تعالى ـ غني عن توحيد عباده ؛ إذ هو الواحد بنفسه ، وحدانيته ليست بتوحيد موحد لئلا يكون الحق ـ تعالى ـ هو المقدس أثرًا لهذا العمل ، ولغناه عن توحيد عباده قال : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[5] الآية فأخبر ـ تعالى ـ أنه الموحد لنفسه بنفسه وعباده إنما هم شهداء على شهادته بنفسه على سبيل التصديق ، والاعتراف ، والإذعان ، وفي حديث أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

---

(1) سورة الأنبياء ، الآية 108 .

(2) سورة النساء ، الآية 171 .

(3) سورة البقرة ، الآية 163 .

(4) سورة آل عمران ، الآية 2 .

(5) سورة آل عمران ، الآية 18.

(إن الله ـ تعالى ـ لَمْ يفرض شيئًا أفضلَ منَ التَّوحيدِ والصَّلاة ، ولوْ كان شيءٌ أفضلَ منه لافْترضهُ علَى ملائكتهِ ، منهم راكعٌ ، ومنهمْ ساجدٌ)[1] .. انتهى .

الفصل الرابع : في ذكر مقدمة الفن ، وهي جملة من المسائل تُقدم أمام المقصود لارتباط له بها ، وانتفاع له فيها ، وهي أن يعرف اسمه ، وحده ، ومبدأه ، وغايته ، وموضوعه ، وواضعه .

أما اسمه : فيسمى بأسام : بأصول الدين ؛ لكونه لتصحيح الإيمان ، والإيمان أصل الدين . وبعلم التوحيد لكونه علمًا يثبت الوحدانية لله ـ تعالى ـ في جميع الكمالات . وبعلم العقائد والمعتقدات ؛ لكونه علمًا مشتملاً على جميع ما يجب اعتقاده في حقه ـ تعالى ـ وفي حق الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وبعلم الصفات لكونه يبين صفات الله ـ تعالى ـ وصفات الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ويسمى بعلم الكلام قيل لكثرة الكلام فيه على صفة الكلام ، وقيل إن علماء الفن[2] يقولون : الكلام في القدرة كذا وكذا ، والكلام في الإرادة كذا وكذا ، والكلام في السمع كذا وكذا ، والكلام فيما يجب للرسل كذا وكذا ، . . إلخ العقائد .

وأما حد هذا العلم فهو العلم بأحكام الربوبية ، وإرسال الرسل وصدقها وما يتوقف على ذلك . وقيل : هو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الأدلة اليقينية .

وأما مبادئ علم الكلام [فهي][3] تصور الواجب ، والجائز ، والمستحيل ومعرفة حقائقها ؛ إذ غرض المتكلم منحصر في هذه الثلاثة ، بأن يثبت منها ، أو ينفيه ، أو يثبت ما يتفرع عن ذلك ، فمن لم يعرف حقائق هذه الأحكام الثلاثة لم يفهم ما أثبت منها ،

---

(1) رواه الديلمي في الفردوس عن أبي سعيد 1/ 165 حديث رقم 610 .

(2) يقصد بالفن هنا التوحيد ، أي علماء التوحيد ـ المحقق .

(3) ما بين المعقوفتين زيادة اقتضاها السياق والقاعدة النحوية .

ولا ما نفي ، وإدراك هذه الأشياء هو العقل الذي هو مبدأ النظر عند إمام الحرمين وجماعة ، فمن لم يدركها فليس بعاقل .

وأما غايته فهي إقامة الدلائل القطعية على العقائد ، وإن شئت قلت : غايته معرفة الله ، ومعرفة رسله .

وأما موضوعه : فهي أن تعلم أولاً أن موضوع كل علم ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية ، أي عن الأحوال المتعلقة به ، فاختلف المتكلمون في موضوع علم الكلام ، فذهب بعضهم إلى أن موضوعه الممكنات من حيث دلالتها على وجوب وجود موجدها ، قائلين إن الذي يبحث عن أحواله في هذا الفن المصنوعات من حيث الاستدلال بها على وجوب وجود صانعها ، ووحدته وغيرها من عليّ الصفات . وذهب آخرون إلى أن موضوعه ذات الله ـ تعالى ـ وصفاته من حيث الاستدلال على ثبوتها بالممكنات ، وذهب الشيخ عبد السلام اللقاني في شرحه على عقيدة أبيه إلى أن موضوعه مجموع الأمرين أي الصانع والمصنوعات الذي هو المعلوم ، فعبر عن مجموعها بالمعلوم . انظر نصه إن شئت[1] . وأما واضع هذا الفن فواضعه الأول هو الله ـ تعالى ـ ؛ لأن هذا العلم الذي كنا بصدده من أقسام الشرع ، وواضع الشرع الشارع . وأما هذه العقائد السنية المشتملة على براهين وحجج ، وتفصيل المجملات ، ودفع الشبهات فوضعها الإمام أبو الحسن الأشعري[2] ، واسمه علي بن إسماعيل بن

---

(1) قال الشيخ عبد السلام اللقاني : "وموضوعه المعلوم من حيث يتعلق بإثبات العقائد الدينية ، إذ موضوع كل علم ما يبحث في ذلك العلم عن عوارضه الذاتية" . إرشاد المريد مخطوط بمكتبة الأزهر تحت رقم 306/ 4411 ورقة 10 .

(2) هو علي بن إسماعيل بن إسحاق من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري . مؤسس مذهب الأشاعرة ومن أئمة المتكلمين . توفي سنة 324هـ ببغداد . من مصنفاته : الإبانة ، والرد على المجسمة (ينظر : وفيات الأعيان 2/ 135 ، والأعلام 4/ 263) .

بشير بن إسحاق بن عبد الله بن موسى بن بلال بن بردة بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو مالكي المذهب ، وهو أول من دونها واستنبطها ، فكان أول من دون العقائد على طريق الكتاب والسنة وما انطوى عليه إجماع الصحابة وجرت عليه أقوال السلف وكان هو المجدد لهذه الأمة أمر دينها على رأس المائة الثالثة على ما يشير إليه قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (**إن الله يبعثُ على رأسِ كُلّ مائةٍ منْ يجدّدُ لهذه الأمّةِ أمرَ دينهَا**)[1] ، وأما قبل الأشعري فلم تستنبط وتدون كما قال السعد[2] ـ أسعده الله ـ في شرحه لعقيدة النسفي ونصه فيه : "وقد كانت الأوائل من الصحابة والتابعين ـ رضي الله تعالى عنهم أجمعين ـ لصفاء عقائدهم ببركة صحبة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقرب العهد بزمنه ، ولقلة الوقائع والاختلافات ، وتمكنهم من مراجعة الثقات ، مستغنين عن تدوين علمي أصول الدين وفروعه ، وترتيبهما أبوابًا وفصولاً ، وتقرير مقاصدها فروعًا وأصولاً ، إلى أن حدثت الفتن بين المسلمين وبُغي على أئمة الدين ، فظهر اختلاف الآراء والميلُ إلى البدع والأهواء ، وكثُرت الفتاوي والوقعات ، والرجوع إلى العلماء في المهمات ، فاشتغلوا بالنظر والاستدلال ، والاجتهاد والاستنباط ، وتمهيد القواعد والأصول ، وترتيب الأبواب والفصول ، وتكثير المسائل بأدلتها ، وإيراد الأسئلة بأجوبتها ، وتبيين الأوضاع ، والاصطلاحات ، وإظهار المذاهب والاختلافات"[3] انتهى المراد منه .

---

(1) رواه أبو داود في سننه كتاب الملاحم عن أبي هريرة 4/ 109 ، والحاكم في المستدرك 4/ 522 .

(2) السعد هو : مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني من أئمة العربية والمنطق والكلام . من أهم كتبه : شرح المقاصد ، وشرح العقائد النسفية توفي سنة 793هـ . (ينظر : الاعلام 7/ 219 ، ومعجم المفسرين من صدر الإسلام حتى الوقت الحاضر 2/ 670) .

(3) شرح السعد على العقائد النسفية . ص 9 .

فلما كان كذلك جاء عطاء[1] ومعبد[2] إلى الحسن البصري[3] قالا : يا أبا سعيد ، هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم ، ويقولون : إنما تجري أعمالنا على قدر الله ـ تعالى ـ وظهرت طائفة يكفرون مرتكب الكبيرة ، وطائفة يقولون لا تضر مع الإيمان كبيرة ، وسأل أيضًا رجل غيرهما الحسن وقال : يا إمام ظهرت في هذا الزمان جماعة يقولون لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، فما نعتقده في ذلك ؟ فأطرق الإمام ساعة مفكرًا في الجواب فبادره واصل[4] بن عطاء بالجواب ، فقال : أنا لا أقول صاحب الكبيرة مؤمن مطلقًا ، ولا كافر مطلقًا ، فأبى له الإمام ذلك فاعتزل الإمام ، وقام إلى اسطوانة في المسجد ، أي وواصل يقرر عنها مذهبه الفاسد ، ويثبت المنزلة بين المنزلتين ، ويقول : الناس ثلاثة أقسام : مؤمن ، وكافر ، ولا مؤمن ولا كافر ، وهو صاحب الكبيرة إذا مات بلا توبة ، وهو أول المعتزلة وسموا بالمعتزلة ؛ لأن الحسن إذا سئل عن واصل يقول : اعتزلنا واصل .

ذلك في نحو المائة من الهجرة . ثم أخذ مذهب الاعتزال عن واصل وأصحابه جماعة إلى أن انتهت رئاسته إلى الجبّائي[5] في قرب المائتين من اعتزال واصل ، وكان ممن

---

(1) هو ابن أبي مسلم الخراساني البلخي ، نزل الشام ، وأرسل عن جماعة من الصحابة ، وروى عن الزهري وسعيد بن المسيب ، ونافع ، وعنه أبو حنيفة ومالك والدوري وغيرهم . توفي سنة 135هـ (ينظر : طبقات الحفاظ للسيوطي ص 73) .

(2) هو معبد بن عبد الله بن عُليم الجهني البصري ، أول من قال بالقدر في البصرة ، سمع الحديث من ابن عباس وغيره . من التابعين ، قتله الحجاج صبرا عام 80هـ وقيل قتله عبد الملك بن مروان (ينظر : الأعلام 7/ 264 ، وخلاصة تهذيب الكمال ص 383) .

(3) هو الحسن بن أبي الحسن البصري ، واسم أبيه يسار الأنصاري ، خطيب ، واعظ ، أوسط التابعين ، توفي سنة 110هـ (ينظر : تاريخ بغداد 12/ 162 ، ووفيات الأعيان 1/ 226) .

(4) هو واصل بن عطاء البصري أبو حذيفة ، رأس المعتزلة ، ومن الأئمة البلغاء والمتكلمين تنسب إليه الطائفة ، توفي سنة 131هـ (ينظر : ميزان الاعتدال للذهبي 6/ 3 ووفيات الأعيان 6/ 7) .

(5) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن أبان البصري المعتزلي ، متكلم مفسر ، توفي سنة 303هـ =

أخذ مذهب الاعتزال عن الجبائي الإمام الأشعري ، وبقي ما أخذه عنه من الاعتزال أربعين سنة من عمره ، ولم يفارق الجبائي في هذه المدة ، وكان صاحب نظر في المجالس ، وذا إقدام على الخصوم ، وكان أبو علي الجبائي صاحب تصنيف وقلم إذا صنف أتى بعجب ، وإذا حضر المجلس والمناظرات لم يكن يعارض ، وكان إذا دهمه الحضور في المجالس والمناظرات يبعث تلميذه الأشعري فيقول له نب عني ، ولم يزل على ذلك زمانًا طويلاً إلى أن مضى من عمره أربعون سنة ، وتم عقله وصفا لُبّه ، ودخل عليه شهر رمضان قال فبينما أنا نائم في العشر الأول من رمضان رأيت المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ في المنام فقال لي يا علي انصر المذاهب المروية عني فإنها الحق ، فلما استيقظت دخل عليّ أمر عظيم ، ولم أزل مفكرًا مهمومًا لرؤياي ، ولما أتى على من إيضاح الأدلة ، في خلاف ذلك حتى كان العشر الوسط من رمضان فرأيت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في المنام فقال لي : ما فعلت فيما أمرتك به ؟ فقلت يا رسول الله وما عسى أن أفعل وقد خرّجت للمذاهب المروية عنك وجوهًا يحتملها الكلام واتبعت الأدلة الصحيحة التي لا يجوز إطلاقها على الباري ـ عز وجل ـ فقال : انصر المذاهب المروية عنّي فإنها الحق ، فاستيقظت وأنا شديد الأسف والحزن وأجمعت على ترك الكلام ، واتبعت الحديث وتأويلات القرآن ، فلما كانت ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان ، وفي عادتنا بالبصرة أن يجتمع للقرآن أهل العلم والفضل فيختمونه في تلك الليلة فكنت فيهم على ما جرت به عادتنا فأخذني من النعاس ما لم أتمالك معه أن قمت فلما وصلت إلى البيت نمت وبي من الأسف على ما فاتني من ختم تلك الليلة أمر عظيم ، فرأيت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال لي : ما فعلت فيما أمرتك به ؟ فقلت : قد تركت الكلام ولازمت كتاب الله وسنتك ، فقال : أنا ما أمرتك بترك الكلام ، أنا أمرتك بنصرة المذاهب المروية عني فإنها

=(ينظر : الأعلام 5/ 56 ، ومعجم المؤلفين 10/ 269) .

الحق ، فقلت : يا رسول الله كيف أدع مذهبًا تصورت مذاهبه ، وعرفت أدلته منذ ثلاثين سنة لرؤيا فقال لي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لولا أني أعلم أن الله ـ تعالى ـ يمدك بمدد من عنده لما أمرتك به ، وفي رواية لما قمت عندك حتى أبين لك وجوهها فكأنك تعد إتياني هذا إليك رؤيا ، إنك لا تراني في هذا المعنى بعدها فيه ، فإن الله ـ تعالى ـ سيمدك بمدد من عنده ، قال فاستيقظت وقلت ماذا بعد الحق إلا الضلال ، فأخذت في نصر الأحاديث في الرؤية والشفاعة وغير ذلك ، فأمدني الله ـ تعالى ـ بمدد من عنده فكان يُفتح علي من المباحث والبراهين شيء والله ما سمعته من شيخ قط ، ولا رأيته في كتاب ، فعلمت أن ذلك من مدد الله ـ تعالى ـ الذي بشرني به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فغاب على الناس في بيته خمسة عشر يومًا ، ثم خرج إلى الجامع وصعد المنبر وقال : معاشر الناس إنما تغيبت عنكم هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة ، ولم يرجح عندي شيء فاستهديت الله ـ تعالى ـ فهداني إلى اعتقاد ما أودعته في كتابي هذا ، وقد انخلعت من جميع ما كنت أعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا ، وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به ، ودفع الكتاب إلى الناس ، وتلقاه البعض(1) بالقبول فصار يظهر حتى أظهره الله ـ تعالى ـ وأنار به الأرض . وكانت المعتزلة رفعوا رؤوسهم فلما أظهر الله طريقة الأشعري طرقوا رؤوسهم وخضعوا له رغمًا على أنفهم ، وكان حقًا على الله نصر المؤمنين . ثم إن أبا الحسن الأشعري لما ترك مذهب الاعتزال وأظهر طريقة أهل السنة تناظر مع أستاذه الجبّائي فقال له الإمام : ما تقول في ثلاثة مات أحدهم صغيرًا ، والثاني كبيرًا طائعًا والثالث كبيرًا كافرًا ؟ فقال له الجبائي : أما الطائع ففي الجنة والدرجات ، وأما الكافر ففي النار والدركات ، وأما الصغير ففي الجنة ، فقال له الأشعري : يقول الصغير كان الأصلح لي أن تميتني كبيراً فأنال الدرجات ، فقال له

(1) لعل الصواب : بعضهم ؛ لعدم تعريف البعض كما نص على ذلك بعض اللغويين .

الجبائي : يقول له الرب علمت أنك لو كبرت كفرت ودخلت النار ، كان الأصلح لك أن أميتك صغيرًا ، قال له الأشعري فيقول له الكافر ، بل سائر أهل النار : كان الأصلح لنا أن تميتنا صغارًا ، فماذا يقول الرب ؟ فلما ألزمه الحجة ، ولم يصب جوابًا قال له أبك جنون قال الإمام لا ، ولكن (وقف حمار الشيخ في العقبة)(1) فأحيا الإمام مذهب أهل السنة فسمي هو ومن تبعه بأهل السنة والجماعة ، واشتهروا بهذا الاسم في سائر الأقطار من المغرب ، والسودان ، ومصر ، والشام ، والعراق ، وخراسان ، والحرمين الشريفين . وأما ديار ما وراء النهر وهم أهل سمرقند وما فوقها إلى البحر المحيط فالمشهور فيها الإمام أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي(2) الحنفي نسبة إلى ما تريد محلة بسمرقند ، وكلاهما على هدى ونور ، وإن كان الأشعري هو المقدم عندنا وليس بينهما اختلاف إلا في مسائل سبعة(3) ليست من أمهات المسائل ، حتى يكون الخلاف فيها مؤديًا إلى التباين ، والتناقض في أصول الدين ، بل هي من الفروع في علم الكلام ، والخلاف في أكثرها لفظي ، انظرها في شرح الشيخ عبد السلام اللقاني على عقيدة أبيه ، وفي شرح شيخنا على عقيدة الشيخ المقري .

---

(1) نقل قصة حوار الأشعري مع أستاذه الجبائي - الشيخ إبراهيم اللقاني وقال : "رويت هذه الواقعة بألفاظ معناها واحد" (ينظر : عمدة المريد ، ورقة 35 ، 36) .

(2) هو محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي ، من أئمة علماء الكلام من كتبه : التوحيد وأوهام المعتزلة ، وتأويلات أهل السنة ، توفي سنة 333هـ . (ينظر : الأعلام 7/ 19 ، ومعجم المفسرين من صدر الإسلام حتى الوقت الحاضر 2/ 611) .

(3) ذكر محمد بن المصري في (بغية الطالبين ورقم 7 مخ بدار الكتب الوطنية ، تونس) أنها ستة ، وقال : "إن المحققين من الفريقين لا ينسب أحدهما إلى البدعة والضلالة . وعددها على النحو الآتي : (أ) الاستثناء في الإيمان . (ب) السعيد لا يشقى . (ج) الكسب الذي يثبته الأشعري . (د) قول الأشعري : معرفة الله واجبة . (هـ) قول الأشعري : أوصاف الأفعال حادثة ، وقال الماتريدي بقدمها . (و) ليس على الكافر نعمة" . (وينظر : عمدة المريد ورقة 255) .

الخامس : في ذكر شيء من فضائل علم التوحيد ، اعلم أن علم التوحيد فضله مشهور لا يحصره عقل ، ولا يناله عد ، ولا لساحته حد ، وكيف لا يكون ذلك وهو الموصل إلى معرفة الله ـ تعالى ـ ومعرفة رسله ، وبيان صفاته ، وتحقيق توحيده ـ تعالى ـ وتنزيهه عما لا يليق به ـ سبحانه وتقدست صفاته ـ واعلم أن شرف العلم بشرف معلومه ، ولا أشرف من الله ـ تعالى ـ وصفاته الذي هو معلوم هذا الفن ، ويدل على فضله الكتاب ، والسنة ، والإجماع ؛ أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾[1] وناهيك بأمر بدأ فيه بنفسه ، وثنى بملائكة قدسه وثلث بالعلماء من خلقه ، وقال من جلت قدرته : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[2] . وقال تعالى : ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾[3] قال المفسرون الحكمة هي العلم[4] خصوصًا علم التوحيد ، الذي هو أشرف العلوم وتلك[5] الدرجات ، وقال ابن عباس : (**بينَ المؤمنِ العالمِ والمؤمنِ غيْرِ العالمِ سبعمائَةِ درجةٍ بيْنَ كُلّ درجةٍ ودرجةٍ خمسمائَةِ عام**)[6] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[7] ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ ﴾[8] .

---

(1) سورة آل عمران ، الآية 18 .

(2) سورة محمد ، الآية 19 .

(3) سورة البقرة ، الآية 269 .

(4) ينظر : الكشاف للزمخشري 1/ 296 ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي 1/ 330 ، والمحرر الوجيز 1/ 310 ، وإرشاد العقل السليم 2/ 108 وذكر الثعلبي في الأشباه والنظائر ص 122 وما بعدها أن الحكمة تأتي على ستة أوجه : الأول : النبوة ، الثاني : القرآن ، الثالث : علوم القرآن ، الرابع : علوم السنة ، الخامس : الموعظة ، السادس : الفهم .

(5) هكذا .

(6) رواه أبو نُعيم الأصبهاني في الحلية 2/ 150 في ترجمة غالب بن عبد الله أبو منصور الوراق عن أبي هريرة وأورده العراقي في المغني عن حمل الأسفار بحاشية إحياء علوم الدين 1/ 5 .

(7) سورة الرعد ، الآية 4 .

(8) سورة طه ، الآية 54 .

ناهيك بشهادة الله لها بالعقل ، وحض الله ـ تبارك وتعالى ـ في القرآن على الفكر والاعتبار الذي هو منشأ هذا العلم في نحو خمسمائة موضع صريحًا ، أو كالصريح . وأما السنة فمن ذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (**بينما رجلٌ مستلقٍ علَى فراشهِ إذْ رفعَ رأسهُ ينظرُ إلى السَّماء والنجوم ، فقالَ : أشهدُ أن لك ربًا خالقًا اللهمَّ اغفر لي ، فنظر الله إليهِ فغفرَ لهُ**)[1] . ومنها قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (**فضلُ العالمِ علَى العابدِ كفضلِي علَى أُمَّتِي**)[2] وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (**إنّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يطلبُهُ**)[3] أي تكف عن الطيران تواضعًا له أو لتسمع ما تستفيده[4] منه خصوصًا علم التوحيد الذي هو أشرف العلوم : وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (**ليس بينَ العلماء والأنبياء إلا درجةٌ واحدة**)[5] . وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (**يقالُ للعابدِ يومَ القيامةِ ادخُل الجنّةِ ، ويُقالُ للعالمِ تشفَّع فيمنْ تُريدُ ، أوْ فيما تُريدُ ، ولو كانَ مثلَ عددِ النُّجوم في السَّماءِ**)[6] والآثار في ذلك جمة .

وأما الإجماع : [فقد][7] اجتمعت الأمة قاطبة على أنه أفضل العلوم ؛ إذ معلومه أفضل المعلومات ، وغايته أفضل الغايات ، وموضوعه أفضل الموضوعات ، وما نقل

---

(1) أورده القرطبي في تفسير قوله تعالى في سورة آل عمران ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآية رقم 191 عن أبي هريرة 4/ 413 ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور للديلمي وأبي الشيخ .

(2) رواه الترمذي في سننه كتاب العلم عن أبي أمامة 4/ 474 بلفظ : "كفضلي على أدناكم".

(3) رواه أبو داود في سننه كتاب العلم عن أبي الدرداء 3/ 317 ، والترمذي في سننه ، حديث رقم 2682 .

(4) في م (تفيده) .

(5)عزاه المنذري في الترغيب والترهيب 1/ 96 للطبراني في الأوسط عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنه ـ ورواه الدارمي بلفظ مقارب 1/ 112.

(6) عزاه العراقي في حاشية على إحياء علوم الدين 1/ 11 لأبي العباس الذهبي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وضعفه .

(7) زيادة اقتضاها المقام .

عن السلف الصالح كالإمام مالك ، والشافعي ، وأحمد وسفيان ، وأبي حنيفة من الطعن فيه ، والمنع منه ليس هو هذه العقائد السنية ، بل إنما هو غوامض الحكماء والمتفلسفين المفضية إلى فساد عقائد المسلمين ، وذلك أن العقائد أول من دون فيها واستنبطها الإمام أبو الحسن الأشعري ـ رحمه الله تعالى ـ كما تقدم آنفًا[1] بيان ذلك ، واستنباط الأشعري لها ، بعد من ذكر من الأئمة ؛ لأن الأشعري اختلف فيه هل هو مقلد في الفروع مالكًا أو الشافعي ؟ والأصح أنه مالكي كما جزم به ابن عساكر[2] في مناقبه ، وذكر أيضًا أن الإمام الأشعري كان على رأس المائة الثالثة ، والشافعي على المائة الثانية ، وكل من مالك ، وسفيان[3] ، وأبي حنيفة قبل الشافعي ، وأحمد معاصر للشافعي . فظهر بهذا أن الأئمة قبل الأشعري المستنبط لهذه العقائد السنية فحينئذ كيف يتصور أن يطعنوا فيها ويمنعوا منها ، وهي لم توجد إذ ذاك . وكيف يتصور أن يصدر من شريف حضرة الأئمة المجتهدين وقوع النهي عن ما هو أصل الواجبات ، وأساس الشرعيات ، الذي هو موضوعه أشرف الموضوعات ، ومعلومه أجل المعلومات ، الذي هو ذات الله ـ تعالى ـ وما اتصف به من عليّ الصفات ، وغايته أفضل الغايات ، التي هي الفوز بالسعادات الأبدية ، ومما يزاد على فضله ما نُقل عن الإمام ابن عرفة[4] أنه مرض مرضًا أشرف فيه على الموت فدخل عليه

---

(1) ص 130 .

(2) ابن عساكر هو علي بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم بن عساكر ، ثقة الدين الدمشقي ، كان محدث الديار الشامية . له تاريخ بتاريخ ابن عساكر ، وتبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري ، وكشف المغطى في فضل الموطأ ، توفي سنة 571هـ . (ينظر : وفيات الأعيان 2/ 147 ، والأعلام 4/ 273) .

(3) هو سفيان بن سعيد بن سروحة الثوري أبو عبد الله أمير المؤمنين في الحديث ، مات سنة 161هـ في البصرة . من مصنفاته : الجامع الكبير ، والجامع الصغير (ينظر : الفهرست ص 314 ، والأعلام 3/ 104)

(4) هو محمد بن محمد بن عرفة أبو عبد الله الورغمي التونسي المالكي ، من مؤلفاته : الحدود والمبسوط . توفي سنة 803هـ . (ينظر : شجرة النور الزكية ص 227 ، والأعلام 7/ 43) .

الأبي[1] تلميذه مع بعض الطلبة ، فجعل يحضهم على الجد في الطلب ، ويقول : العلم ينفع في الدنيا والآخرة ، ثم قال لهم : غشي عليّ في مرضي هذا فتمثلت لي طائفتان إحداهما صغرى عن يميني ، والأخرى كبرى عن يساري ، والتي عن يميني ترجح الإيمان بالله ـ تعالى ـ والتي عن شمالي ترجح الكفر ، وتورد شبهًا فيوفقني الله ـ تعالى ـ الجواب عن تلك الشبه بما أعرف من قواعد العقائد ، فلما انجلى عني ذلك علمت أن توفيقي لذلك إنما هو من بركة العلم ، وأن الله ـ تعالى ـ ينفع به في الدنيا والآخرة ، ولو لم يكن من منافعه إلا هذا لكان كافيًا في الحث على الاشتغال به . وأيضًا (**يموتُ المرءُ علَى ما عاشَ عليه ، ويُبعث على ما مات عليه**)[2] ولا أهم من أن يموت المرء على التوحيد ويبعث عليه . وأيضًا فإن فتاني القبر يسألان على مقاصد التوحيد ، فإن أجابهما يقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة ، فيراهما معًا ، وفي رواية نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه ، أو أحب الناس إليه ، ويفسح له في قبره سبعون ذراعًا ، ويملأ عليه خضرًا إلى يوم يبعثون ، وإن لم يجبهما على مقاصد التوحيد بل أجابهما جواب المقلد بأن قال لهما سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته ، أو أقول ما يقول الناس ، فيقولان له ما دريت ولا تليت ، ويضربانه بمرزبة[3]

---

(1) هو محمد بن خلفة بن عمر الأبي الوشتاتي المالكي عالم بالحديث ، من مؤلفاته : إكمال المعلم بفوائد مسلم ، وشرح المدونة . توفي سنة 828هـ وقيل قبلها . (ينظر : كفاية المحتاج ص 382 ، وشجرة النور الزكية ص 244) .

(2) رواه الحاكم في المستدرك 4/ 313 عن جابر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الرقاق بلفظ : "من مات على شيء بعثه الله عليه" وقال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه وفي صحيح مسلم بشرح النووي 17/ 216 عن جابر ـ رضي الله عنه ـ كتاب الجنة باب حسن الظن بالله ـ تعالى ـ عند الموت : يبعث كل عبد على ما مات عليه .

(3) المرزبة : عُصية من حديد . الإرزبّة والمرزبة مشدّدتان أو الأول فقط : عصية من حديد ، وقال الشارح الزبيدي : المرزبة بالتخفيف : المطرقة الكبيرة التي تكون للحداد . (ينظر : تاج العروس 1/ 269 مادة رزب) .

من حديد ، وفي رواية بمطراق من حديد ، ضربة فيصيح صيحة يسمعها غير الثقلين[1] . والدليل على أن العبد يكون إذ ذاك على ما هو عليه الآن : (ما روي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ كان يخبر أصحابه بأخبار فتاني القبر وسؤالهما ، فقال له عمر - رضي الله تعالي عنه - : وأنا كما أنا الآن يا رسول الله ؟ فقال : نعم ، فقال إذن والله أخاصمهما وأكفيكهما)[2] فرآه ابنه عبد الله بعد موته فقال له ما كان بينك وبين فتاني القبر فقال[3] أتياني فقالا لي من ربك ، ومن نبيك ، فقلت : ربي الله ، ونبيي محمد ، ومن ربكما أنتما فنظر أحدهما إلى الآخر فوليا عني . ومما يدل أيضًا على فضل هذا العلم وعلى أن العبد يكون إذ ذاك على ما هو عليه الآن ما يروى أن إمام الحرمين[4] أبا المعالي أنهما وقفا عليه وهابا أن يكلماه فقال لهما ما شأنكما أن تسألاني عن ما أفنيت في ذكره عمري ويسرت لنصرته فما عسى أن تقولا لي وقد امتلأت الدنيا بأقوالي وسميت فيها أبا المعالي فقالا قد علمنا أنك أبو المعالي . ويحكى أن السنوسي صار له مثل ما صار لأبي المعالي إلا أنه قال لهما أتسألاني عن شيء أفنيت فيه عمري . وروي أن سهيلاً قال : رأيت يزيد بن هارون[5] الواسطي في المنام بعد موته فقلت له ما فعل الله

---

(1) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي 17/ 202 كتاب الجنة عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - وأبو داود في سننه كتاب السنة عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - 4/ 239 .

(2) رواه مسلم في صحيحه كتاب الفتن عن أنس بن مالك 16/ 202 . مسلم بشرح النووي .

(3) (فقال) سقطت من م .

(4) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني إمام الحرمين أبو المعالي أحد أعلام الأشاعرة البارزين . من مؤلفاته : غياث الأمم ، والإرشاد والشامل في أصول الدين . توفي سنة 478هـ (ينظر : وفيات الأعيان 2/ 80 ، الأعلام 4/ 160) .

(5) هو يزيد بن هارون بن زاذان بن ثابت السلمي بالولاء الواسطي أبو خال ، من حفاظ الحديث الثقات ، كان واسع العلم بالدين ذكيًا . أصله من بخارى . كان يقول أحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بإسنادها ولا فخر ، كانت وفاته سنة 206هـ . (ينظر : الأعلام 8/ 190 ومعجم المفسرين من صدر الإسلام حتى الوقت الحاضر 2/ 739) .

بك ؟ فقال : أتاني في قبري ملكان مهيبان فظان غليظان فقالا من ربك ومن نبيك فجعلت أنفض لحيتي البيضاء من التراب ، ثم قلت : لمثلي يقال هذا ، وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة ؟ فقال أحدهما : هو[1] يزيد بن هارون نم نومة العروس فلا روعة عليك بعد اليوم . ورآه أيضًا ابن ابنه فقال له مثل ما قال لسهيل : (**والرؤيا الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة**)[2] . ويتأكد الاشتغال به في هذا الزمن الذي فاض فيه بحر[3] الجهالة وانتشر فيه الباطل ، ورمى في كل ناحية من الأرض بأمواج إنكار الحق ، وبغض أهله ، وتزيين الباطل بالزخرف الغار . انتهى من شرح شيخنا محمد بن عمر الغدامسي على عقيدة الإمام المقري - اللهم بحق هذا العلم أسألك التوفيق والممات على الإسلام .

السادس : آلات[4] العلم أربعة : عقل رجاح ، وشيخ فتاح ، وكتب صحاح ، ومداومة وإلحاح[5] .

---

(1) في جميع النسخ وهو بزيادة الواو ، وهو ما لا يتفق وسياق الكلام لذا حذفناه .

(2) رواه البخاري في صحيحه مع فتح الباري عن أبي سعيد الخدري كتاب التعبير 12/ 373 ومسلم في صحيحه لشرح النووي عن ابن سهر كتاب الرؤيا 15/ 23 .

(3) (فيه) سقط من م .

(4) في م (الآيات) وهو تحريف .

(5) قال الشيخ زروق في شرحه لعقيدة الغزالي ورقة 2 مخ بمكتبة الأزهر بعد ذكر هذه الأربعة : "لأن العلوم إن لم يكن منك ومنها ، كنت بعيدًا عنها ، فمنك بلا منها جهل وضلال ، ومنها بلا منك جمود وتقليد ، ومنك ومنها تحقيق وصواب" .

الكلام على البسملة

ثم قال المؤلف ـ رحمه الله ـ (بسم الله الرحمن الرحيم) ابتدأ المؤلف كتابه هذا بالبسملة ابتداء حقيقيًا اقتداء بكتاب الله العزيز ؛ ولما رواه أبو داود وحسنه ، وابن ماجة في سننهما والنسائي في عمل اليوم الليلة من أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (**كلُّ أمْرٍ ذي بالٍ لا يُبدأ فيهِ ببِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ فهوَ أقْطعُ ، وفِي رواية فهوَ أبتَرُ ، وفي رواية أجذم**[1])[2] .

وكل ذلك على طريق التشبيه البليغ في النقص وعدم التمام ، أي يكون ناقصًا ، وقليل البركة ، ومعنى أمر : أي شأن ذي بال ، أي حال يهتم به ، والباء للاستعانة متعلقة بمحذوف ، والأمثل تقديره أؤلف ؛ لأن التالي للبسملة هنا مؤلف ، والتالي لها في كل محل يعين العامل المحذوف ، وقد كان المشركون يبدءون بأسماء آلهتهم يقولون باسم اللات ، باسم العزى ، فقصد الموحد الرد عليهم . وأسقطت الألف طلبًا للخفة ؛ ولكثرة الاستعمال ، وطولت الباء ليكون افتتاح كتاب الله بحرف معظم . كان عمر بن عبد العزيز يقول لكاتبه : طول الباء وأظهر السين ، وفرج بينهما ، ودور الميم تعظيمًا لكتاب الله[3] ، وقيل لما سقطت الألف ردوا طول الألف على الباء ، ليكون دالاً على سقوط

---

(1) في د (فهو أجذم) .

(2) حديث البسملة لا يوجد في سنن داود ولا في سنن ابن ماجة وإنما الذي فيهما حديث الحمدلة ، والذي في عمل اليوم والليلة ص 357 "كل كلام لا يبدأ في أوله بذكر الله فهو أبتر" وهو حديث مرسل أرسله الزهري . وقال البهوتي في كشف القناع 1/ 10 رواه الخطيب في كتابه الجامع ، والحافظ عبد القادر الرهاوي . ورواه محمد شمس الحق في عون المعبود 13/ 127 عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال : هو حديث حسن . ثم إن النسخ المطبوعة من أم البراهين ليست بها البسملة ، فلعل الشيخ أخذ من نسخة فيها البسملة ، أو انتقاها من شرح الشيخ السنوسي فوجد البسملة في الشرح فتوهمها من المتن ـ والله أعلم ـ .

(3) ينظر : تفسير الزمخشري 1/ 35 جاء في الإتقان للسيوطي 4/ 149 أن عمر بن عبد العزيز كتب لعماله : إذا كتب أحدكم (بسم الله الرحمن الرحيم) فليمد (الرحمن) .

الألف ، ألا ترى أنه لما كتب الألف في ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾[1] ردت الباء إلى صيغتها ، ولا تحذف الألف إذا أضيف الاسم إلى غير الله ، فإن قيل لم كسرت الباء ومن حق الحرف المفرد أن يفتح[2] ؟ الجواب[3] لاختصاصها بلزوم الجر والحرفية ، وإنما قال باسم الله ، ولم يقل بالله ؛ للفرق بين التيمن أي البركة ، واليمين ، فالأول للبركة والثاني لليمين الذي هو أصل القسم ، وأصل الاسم سِمْو على وزن قِنْو ، وسُمْو على وزن قفل ، ثم حذفت لامه التي هي الواو ، ونقل سكون الميم للسين فصار أول الكلمة ساكنًا والعرب لا تبتدئ بساكن ، ولا تقف على متحرك ، واجتلبت همزة الوصل لأجل التوصل بها إلى النطق بالساكن ، وحذفت لكثرة الاستعمال كما تقدم آنفًا . واشتقاقه من[4] السموّ ، وهو العلو والارتفاع ، أو من السمة وهي[5] العلامة ، وروى بعضهم "أن بسم الله الرحمن الرحيم لما نزلت اهتزت الجبال لنزولها"[6] وقال[7] بعضهم : من قرأها لم يدخل النار : وهي تسعة عشر حرفًا على عدد الملائكة الموكلين بالنار ـ أجارنا الله منها ـ "وروي أنها ستر بين الآدميين والشيطان"[8][9] وحلف رب العزة لا يسميه

---

(1) سورة العلق ، الآية 1 .

(2) في م و ح (أن تفتح) .

(3) في أ (فالجواب) .

(4) (من) سقطت من م .

(5) في م زيادة (مِن) .

(6) لم أقف على هذا الأثر .

(7) في م (قال بدون واو) .

(8) في أ و د (والشياطين) .

(9) رواه الترمذي في سننه كتاب الصلاة عن علي 2/ 387 وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وقال المحقق أحمد شاكر : ونحن نخالف الترمذي في هذا ونذهب إلى أنه حديث حسن إن لم يكن صحيحًا ، ورواه ابن ماجة في سننه عن علي ، كتاب الطهارة باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء 1/ 154 .

عبد مؤمن على شيء إلا بورك فيه ، قال[1] عكرمة : (**كان الله ولا شيء معه فخلق النور ، ثم خلق من النور القلم واللوح ثم أمر القلم أن يجري على اللوح بما هو كائن إلى يوم القيامة ، فأول ما كتب القلم على اللوح بسم الله الرحمن الرحيم ، فجعله الله ـ تعالى ـ أمانًا لخلقه ما داموا على قراءتها**)[2] وهي قراءة أهل السموات السبع ، وأهل السرداقات[3] المجد من الملائكة الكروبيين[4] والصافين[5] والمسبحين[6] . وأول ما نزل على آدم هذه الآية ، فقال : الآن علمت أن ذريتي لا تعذب بالنار ما داموا على قراءتها ، قال بعضهم معنى الباء من باسم الله بهاء الله ، وحسنه ، وجماله ، وكماله ، فيشمل ذلك جميع الصفات الواجبة له ـ تعالى ـ من المعاني المعنوية ، وثبوت هذه الصفات يستلزم نفي ما يقابلها من المستحيلات ، والسين سناؤه ، والسناء ـ بالمد ـ هو العلو والرفعة ، فيشعر بتعاليه وتقدسه عن صفات الحوادث فيوجب اتصافه بخلاف ذلك من القدم والبقاء والمخالفة للحوادث ، والقيام بالنفس ، ويشعر بتعاليه عن الشريك في الذات ، والصفات ، والأفعال . والميم تدل على مجده ، وشرفه ، وملكه ، فهو المالك لكل شيء ، والغني عن كل شيء ، والمفتقر إليه كل شيء ، فظهر لك أن قوله باسم الله مشتمل على إثبات جميع الصفات الواجبة ، ونفي ما يقابلها من المستحيلات .

---

(1) في أ . (عن عكرمة) .

(2) رواه البخاري في صحيحه عن عمران بن حصين كتاب بدء الخلق . فتح الباري 6/ 286 .

(3) السرادقات : جمع سرادق ، وأصله ما يمد فوق صحن البيت . (ينظر : القاموس المحيط 3/ 252 مادة سردق) .

(4) الكروبيون : سادة الملائكة . القاموس المحيط 1/ 128 مادة كرب .

(5) الصافون : الملائكة المصطفون في السماء يسبحون لهم مراتب يقومون عليها صفوفًا كما يصطف المصلون (ينظر : القاموس المحيط 3/ 168 مادة صفف) .

(6) المسبحون : هم نوع من الملائكة، قال الله تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ سورة الزمر ، الآية 75 .

الله أصله الإله ، حذفت همزته وعوض منه حرف التعريف ، وهو علم على الذات الواجبة الوجود المستحق للعبادة ، وحقيقته هو اسم جزئي علم لموجود واجب موصوف بالصفات منزه عن الآفات لا شريك له في المخلوقات .

قوله لموجود ردا على الدهرية[1] القائلين إن الأرض تبلع والأرحام تدفع ، وما يهلكنا إلا الدهر .

وقوله واجب الوجود رد على المجسمة القائلين : إن الله جسم ؛ لأنه إذا كان جسما صار جائز الوجود ، وقوله موصوف بالصفات ردا على المعطلة النافين لصفات المعاني وقوله : منزه عن الآفات ردا على من وصفه بالنقائص ، وقوله لا شريك له في المخلوقات ردا على القدرية القائلين إن العبد يخلق أفعاله الاختيارية ، وهو الاسم الأعظم الجامع لمعاني الذات والصفات ، ولمزيد الاعتناء به تكرر في القرآن العظيم ألفي مرة وخمسمائة وستين مرة[2] ، وذكر بعضهم موضع خمسمائة ـ ثلاثمائة . وهو أعرف المعارف ، وقد حكي أن سيبويه[3] رئي في المنام[4] فقيل له ما فعل الله بك فقال خيرا كثيرا بقولي إن اسمه أعرف المعارف وبه يقيد قول النحاة أعرف المعارف ، الضمير بعد اسم الجلالة ،

---

(1) قال الإمام الغزالي في ميزان العمل "هم جماهير حمقى لا يعرفون بأسمائهم ولا يعدون في زمرة النظار ، ذهبوا إلى أن الموت عدم محض" ص 23 ، وقال الاسفراييني : "الدهرية يقولون بقدم العالم ، وينكرون الصانع" (التبصير في الدين 131) .

(2) جاء في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي أنها وردت 2697 مرة وفصلها على النحو التالي : الله ـ بضم الهاء ـ 980 مرة الله ـ بفتح الهاء ـ 592 مرة الله ـ بكسر الهاء ـ 1125 مرة . ينظر مادة أله ص 40 ، 53 ، 60 .

(3) هو عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر ، أديب نحوي مشهور بالنحو ، ومن آثاره فيه "الكتاب" وهو عمدة النحو ، وسيبويه كلمة فارسية تعني رائحة التفاح ـ 180 هـ . (ينظر : وفيات الأعيان 2/ 220 ، والأعلام 5/ 81 ، ومعجم المؤلفين 7/ 10) .

(4) في أ (زيادة بعد موته) .

والمختار عدم[1] اشتقاقه وهو قول الخليل بن أحمد[2] وسيبويه وأكثر الفقهاء والأصوليين ، ورئي الخليل بن أحمد بعد موته في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بقولي في اسم الله إنه غير مشتق[3] ، وهو قول الإمام الشافعي وغيره من المحققين ، بل هو اسم تفرد به ـ تعالى ـ كما يكون لغيره أسماء الأعلام قال الله تعالى : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[4] أي هل تعلم أحدًا يسمي الله[5] ـ تعالى ـ وهذا من معجزاته ، صلى الله عليه وسلم ـ التي تدل على صدقه في هذا الخبر حيث أخبر أنه لا سمي له فقبض الله به القلوب عن التجاسر على إطلاق هذه التسمية في صفة غيره مع كثرة أعداء الدين ، وشدة حرصهم ، وتوافر دواعيهم على تكذيبه ـ صلى الله عليه وسلم ، في إخباره ، وذهب جمهور النحاة وغيرهم إلى أنه مشتق ، قيل من لاه بمعنى دام وبقي فمعناه الدائم الباقي ، وقيل من لاه بمعنى احتجب فمعناه الذي احتجب فلا تدركه الأبصار ، وقيل من لاه بمعنى طرب فمعناه الذي تطرب الأرواح بشهود كماله ، وقيل من لاه بمعنى تُعُبِّد فمعناه المعبود ومنه قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ ﴾[6] .

فائدة : إذا أُسقط من اسم حرف واحد تغير معناه إلا اسمه ـ تعالى ـ فإنه إذا أسقط

---

(1) (عدم) سقطت من أ .

(2) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزهري اليحمدي أبو عبد الرحمن من أئمة اللغة والأدب ، وواضع علم العروض وهو أستاذ سيبويه النحوي المشهور ، ولد بالبصرة سنة 100هـ ، وتوفي سنة 110 . له كتاب العين في اللغة ، ومعاني الحروف ، وكتاب الفرائض . (ينظر : وفيات الأعيان 1/ 310 ، والأعلام 2/ 314) .

(3) قال الخليل : "والله لا تطرح الألف من الاسم ، إنما هو على التمام وليس "الله" من الأسماء التي يجوز منها اشتقاق فعل كما يجوز في الرحمن الرحيم" . كتاب العين 4/ 91 مادة أله .

(4) سورة مريم ، الآية 65 .

(5) لفظ الجلالة سقط من م .

(6) سورة الزخرف ، الآية 84 .

منه الألف صار لله وإذا أسقط منه اللام الأولى صار له ، وإذا سقط اللام الثانية صار هو ، ولم يتغير معنى الاسم ، واعلم أن في اسم الجلالة أربعة أحرف كل حرف منه يدل على معنى فالألف دال على ثبوت الوحدانية ، واللام دال على ثبوت الملك ودوامه له ـ تعالى ـ واللام الثاني دال على ثبوت لطفه بعباده مؤمنهم وكافرهم ، والهاء دال على ثبوت الألوهية ودوامها له ـ تعالى ـ انتهى من الشاذلي[(1)] واعلم أن هذا الاسم هو اسم الله الأعظم ؛ لأنه الاسم الخاص به ، الجامع لمعاني الذات والصفات ، واختار النووي[(2)] أن الاسم الأعظم الحي القيوم قائلاً ، ولذا لم يرد في القرآن إلا قليلاً في البقرة[(3)] وآل عمران[(4)] وطه[(5)] وروي "أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم دعا به يوم بدر ، فأنزل الله ـ عز وجل ـ من بركته ملائكة ونصره بهم[(6)] . وقيل إنه ذو الجلال والإكرام ، واستدل على ذلك بقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم (**ألظوا بِيَا ذَا الجلالِ والإكـرَامِ**)[(7)]

---

(1) هو علي بن محمد بن محمد بن خلف بن جبريل المنوفي المصري مولدًا الشاذلي طريقة وبه عرف . ولد بالقاهرة عام 857هـ . من شيوخه السنهوري والسيوطي له تآليف كثيرة منها شروح خليل والبخاري ومسلم ، والقرطبية ت939هـ . (ينظر : كفاية المحتاج 264) .

(2) ينظر : عمدة المريد ورقة 25 والنووي هو : أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي الشافعي عالم بالفقه والحديث من أشهر تآليفه : شرح صحيح مسلم ، والمنهاج ، والمجموع . توفي سنة 676هـ . (ينظر : طبقات الحفاظ ص 539 ، والأعلام 8/ 149) .

(3) قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ الآية 255 .

(4) قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ الآية 2 .

(5) قوله تعالى : ﴿ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِ ﴾ الآية 225 .

(6) روى الترمذي في سننه كتاب الدعوات عن أبي هريرة أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان إذا اجتهد في الدعاء قال : يا حي يا قيوم . حديث رقم : 3436 . جـ5 ص ورواه النسائي في سننه كتاب السهو باب الدعاء بعد الذكر 3/ 52 . أورده السيوطي في الخصائص الكبرى ص 498 نقلاً عن ابن سعد والبيهقي .

(7) رواه الترمذي في كتاب الدعوات 5/ 362 وقال : "هذا حديث غريب وليس بمحفوظ" ورواه الحاكم في المستدرك عن ربيعة بن عامر في الدعاء 1/ 499 وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

ومعناه الزموا هذا الاسم وداوموا على الدعاء به ، والإلظاظ : الإلحاح على الشيء[1] ، وقيل هو أرحم الراحمين ؛ لأن أيوب لما دعا به كشف عنه الضر في قوله : ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[2] . وقيل القريب المجيب واستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[3] الرحمن الرحيم : الرحمن : المنعم بالإيجاد على العباد ، وبالهداية إلى الإيمان ، وأسباب السعادات[4] وبالإسعاد في الآخرة ، وأجل إنعامه علينا في الدنيا أن جعلنا من أمة محمد سيد الأولين والآخرين ، سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأجل إنعام الآخرة النظر إلى وجهه الكريم ، أي ذاته ، والرحيم مزيد الإنعام على العباد . وهما اسمان بنيا[5] للمبالغة من رحم ، كالغضبان من غضب ، والعليم من علم فهما في الأصل صفتان . والرحمة لغة : رقة القلب وانعطافه تقتضي التفضل والإحسان ووصفه ـ تعالى ـ بالرحمة مجاز على إنعامه على عباده . وقيل هي إرادة الخير لمن أراد به ذلك إذ معناها الحقيقي محال في حقه ـ تعالى ـ إذ هي رقة تحدث في القلب ، والرحمن : المنعم بجلائل النعم ، أي بعظيمها ، والرحيم : المنعم بدقائقها ، أي بلطائفها ، وقدم عليها ؛ لأنه اسم ذات وهما اسما صفة ، والذات تقدم على الصفة فما دل عليه يقدم على ما دل عليهما ، وقدم الرحمن ، والقياس يقتضي الترقي من الأدنى إلى الأعلى ؛ لتقدم رحمة الدنيا ، ولأنه خاص إذ لا يقال لغير الله ، بخلاف الرحيم فإنه لفظ مشترك يطلق عليه ، وعلى غيره قال تعالى : ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[6] ويقال

---

(1) قال الزمخشري في الأساس في مادة لظظ ص 858 الزموه .

(2) سورة الأنبياء ، الآية 83 .

(3) سورة البقرة ، الآية 186 .

(4) في أ و د (السعادة) .

(5) (بنيا) سقط من أ .

(6) سورة التوبة ، الآية 128 .

فلان رحيم على أقاربه ، والخاص مقدم على العام قال القشيري[1] : ورحمته ـ تعالى ـ في الدنيا عامة للبر والفاجر ، وفي الآخرة خاصة للمؤمنين . واعلم يا أخي إن كان لك تشوف إلى نيل تلك الدرجات العظيمة تكون رحيمًا لنفسك ولغيرك ولا تستبد بخيرك بل ترحم الجاهل بعلمك ، والذليل بجاهك ، والبهائم بعطفك ورفع غضبك ، وأقرب الناس من رحمة الله أرحمهم بخلقه ، وكل ما تفعله جل أو دق فهو صادر عن صفة الرحمة ، وفي صحيح مسلم أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (**إنَّ الله ـ تعالى ـ خلقَ مائَةَ رحمةٍ أنزَلَ منْهَا رحْمَةً بيْنَ الجِنِّ والإنس والبهائِمِ فَبِهَا يتعاطفونَ ويتراحَمُونَ وبهَا تعطِف الوحْشُ عَلَى ولَدِهَا وأَخَّرَ الله تسعًا وتسعِينَ رحمةً يرحَمُ بِهَا عبادَهُ فِي الآخِرَة**)[2] ، ونقل بعض[3] العلماء أن البسملة أنزلت على آدم ـ عليه السلام ـ وكانت سبب توبته حين أكل من الشجرة ، ثم رفعت فأنزلت بعده على نوح ـ عليه السلام ـ ثم رفعت فأنزلت بعده على إبراهيم ـ عليه السلام ـ ثم رفعت فأنزلت بعده على موسى ـ عليه السلام ـ ثم رفعت فأنزلت بعده على سليمان ـ عليه السلام[4] ـ ثم رفعت فأنزلت بعده على عيسى ـ عليه السلام ـ ثم رفعت فأنزلت بعده على سيد الأولين والآخرين سيدنا ومولانا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقيل لم ترفع بل تنتقل من نبي إلى نبي .. انتهى[5] .

---

(1) ينظر تفسير القشيري 1/ 19 والقشيري هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك من بني قشير شيخ خراسان في عصره زهدًا وعلمًا . من كتبه : التفسير الكبير ، ولطائف الإشارات ، والرسالة القشيرية ، توفي سنة 465 . (ينظر : وفيات الأعيان 2/ 98 ، والأعلام 4/ 57 ، وطبقات المفسرين 1/ 344).

(2) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري عن أبي هريرة كتاب الرقاق 11/ 301 ومسلم في صحيحه بشرح النووي عن أبي هريرة ، كتاب التوبة 17/ 69 .

(3) في أ (ونقل بعضهم ، وفي د نقل العلماء) .

(4) (عليه السلام) . سقط من ح و م .

(5) ينظر : عمدة المريد ورقة 4 .

وأما إعرابها فالباء حرف جر ، واسم مجرور بالباء ، وهو متعلق بفعل مضمر مؤخر[1] خاص ، أي باسم الله أؤلف ، وهو المختار كما تقدم[2] ، واسم مضاف ، واسم الجلالة مضاف إليه ، والرحمن نعت ، والرحيم نعت بعد نعت ، ويجوز في الرحمن الرحيم سبع إعرابات ، جرهما ورفعهما ونصبهما ، وجر الأول مع رفع الثاني ، ومع[3] نصبه ، ورفع الأول مع نصب الثاني ، وعكسه ، ولا يجوز رفع الأول ونصبه مع جر الثاني خلافًا لمن أجاز ذلك . . انتهى .

وإنما حذف الألف قبل النون من لفظة الرحمن في الخط على سبيل التخفيف ، ولو كتبت لحسن[4] ولم تحذف الياء من الرحيم ؛ لأن حذفها يحصل به التباس بخلاف حذف الألف من الرحمن ثم إنهم أجمعوا على أن الوقف على بسم ناقص قبيح ، وعلى بسم الله كاف عنه صحيح ، وعلى بسم الله الرحمن الرحيم تام . واعلم أن الوقف لا بد أن يقع على هذه الأوجه الثلاثة ، وهو أن يكون ناقصًا ، أو كافيًا ، أو كاملاً ، فالوقف على كلام لا يفهم ناقص[5] ، والوقف على كلام مفهوم المعاني إلا أن ما بعده متعلق بما قبله يكون كافيًا ، والوقف على كلام تام ويكون ما بعده منعطف عنه يكون كاملاً . . انتهى[6] .

فائدة : "ورد في بعض الأخبار أن لله أربعة آلاف اسم ألف لا يعلمها إلا هو ،

---

(1) (مؤخر) سقط م د .

(2) ص 141 .

(3) (ومع) سقط من أ .

(4) وهذا رأي بعض العلماء ، والذي نقله السيوطي عن السلف كمالك والسخاوي وأبي عمرو الداني والشيخ الزرقاني وعبد العزيز الدباغ أن اتباع رسم المصحف سنة لا يصح مخالفتها (ينظر : الإتقان في علوم القرآن 2/ 167) .

(5) في ح (ناقص غير تام) .

(6) عمدة المريد ورقة 9 .

وألف لا يعلمها إلا هو والملائكة ، وألف لا يعلمها إلا هو والملائكة والأنبياء ، والألف الرابعة منها[1] ثلاثمائة في التوراة ، وثلاثمائة في الزبور ، وثلاثمائة في القرآن الكريم ، تسعة وتسعون ظاهرة وواحد خفي"[2] ولا يعارضه الحديث الصحيح (**إن الله ـ تعالى ـ تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**)[3] لا دليل فيه على نفي الزيادة ، وإنما نص عليها لشهرتها ، فمعنى الحديث من أحصى التسعة والتسعين دخل الجنة لا أن لله ـ تعالى ـ هذه الأسماء فقط . صح من شرح سيدي الحسن الدراوي[4] بالمعنى قال سيدي أحمد زروق ـ رحمه الله تعالى ـ : إنما المحصور للتسعة والتسعين هذا الثواب لا أسماؤه ـ تعالى ـ هي المحصورة في التسعة والتسعين فجاز أن يكون ثم غيرها ولا علم لنا بها أو علمناه وليس له هذا الثواب[5] . وقال شيخنا سيدي محمد بن عمر الغدامسي والظاهر أن نبينا محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعلمه الله بجميعها إذ هو صاحب الأسرار المكنونة ، ويلزم عليها أن يكون القرآن مذكورا فيه جميع الألف الرابعة البعض تصريحًا والجل تلويحًا ؛ لأنه ورد أن الله ـ تبارك وتعالى ـ أودع فيه جميع ما أودعه في الكتب المنزلة . انتهى كلامه[6] ـ رحمه الله ـ (**وصلى الله على سيدنا محمد**

---

(1) (منها) سقط من م .

(2) لم أتوصل لمعرفة هذا الخبر .

(3) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري عن أبي هريرة كتاب التوحيد 13/ 377 ومسلم في صحيحه لشرح النووي كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب أسماء الله الحسنة 17/ 5 .

(4) هو الحسن بن أحمد الدراوي صوفي اشتهر بالزهد والورع ، صاحب الشرح على صغرى السنوسي ، توفي بالطاعون في 15 شعبان 1006هـ . (ينظر : التقاط الدرر 1/ 29) .

(5) المقصد الأسمى ورقة 2 مخ ، وزروق هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى الفاسي الشهير بزروق العالم الفاضل الزاهد صاحب التآليف القيمة كشرح الرسالة ، وشرح البخاري وشرح الحكم العطائية ، (شجرة النور الزكية ص 261 ، ينظر : الأعلام 1/ 91) .

(6) ينظر : عمدة المريد ورقة 9 مخ فإن للقاني كلامًا بهذا المعنى نقله عن القشيري .

وآله وصحبه وسلم) قيل : لم تكتب في الزمن الأول بعد البسملة ، وإنما أحدثها بنو هاشم[1] ، ثم وقع[2] الإجماع على أنه لا يكتب كتاب إلا وتكتب فيه الصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد البسملة ، وقد استحب العلماء البداية بها كالحمدلة لكل مصنّف ، ومدرس ، وخطيب ، وبين يدي كل أمر مهم ، ومن الناس من يعطفها بالواو ، على أن الجملة خبرية والمراد : قد صلى الله على سيدنا محمد[3] فما عسى أن تبلغ صلاتنا عليه ، ومنه من يراها طلبية لفظها لفظ الخبر ، ومعناها الدعاء ، والتقدير : يا الله صل على سيدنا ، والسيد الكامل المحتاج إليه ، واستعماله في غير الله كثير ، قال تعالى ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾[4] ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا ﴾[5] واختلف في إطلاقه على الله ، فعن مالك منعه ، وقيل يكره ، وقيل يجوز .

محمد : قيل منقول من اسم مفعول المضعف ، وأول من سمي به نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لكثرة حمده وحمد الخلق له ؛ ولكثرة خصاله المحمودة ، وهو أبلغ من محمود للتضعيف حملاً على القاعدة ، سماه به جده عبد المطلب في سابع ولادته لموت أبيه قبلها ، بإلهام من الله ـ تعالى ـ ليكون "على وفق تسمية الله ـ تعالى ـ له من قبل الخلق بألفي عام على ما ورد به الخبر عند أبي نُعيم"[6] ؛ ولأنه رأى سلسلة من فضة خرجت من ظهره له طرف بالمشرق وطرف بالمغرب ، ثم عادت كأنها شجرة

---

(1) قال القاضي عياض "من مواطن الصلاة التي مضى عليها عمل الأمة ولم تنكرها : الصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وآله في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الأول ، وأحدث في ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في أقطار الأرض" . "الشفا بتعريف حقوق المصطفى 2/ 82"

(2) في م (وضع) .

(3) في ح و م و د (علي محمد)

(4) سورة آل عمران ، الآية 39 .

(5) سورة يوسف ، الآية 25 .

(6) لم أعثر عليه في الحلية .

على كل ورقة منها نور ، وأهل المشرق والمغرب جميعًا يتعلقون بها ، فعبرت بمولد يخرج منه يتبعه أهل الخافقين يحمده أهل السماء والأرض ، فسماه بذلك رجاء صحة الرؤيا . وقيل له لم سميت ابنك محمدًا وليس من أسماء آبائك ولا قومك ، قال : رجوت أن يحمد في السماء والأرض ، وقد حقق الله رجاءه[1] ، "وروى ابن عساكر عن كعب الأحبار أن آدم رآه مكتوبًا على ساق العرش ، وفي السموات ، وعلى كل قصر وغرفة في الجنة ، وعلى نحور الحور العين ، وعلى ورق شجر طوبى وسدرة المنتهى وأطراف الحجب وبين أعين الملائكة"[2] ولم يسم به أحد قبل زمانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لكن لما قرب زمانه ونشر أهل الكتب نعته سمى قوم أولادهم به رجاء النبوة لهم ، والله أعلم حيث يجعل رسالاته ، وعدتهم خمسة عشر على ما بينه بعض المحققين ، وقد حمى الله ـ تعالى ـ أن يدعي النبوة أحد ممن سمي به غيره ، ونقل بعضهم أن اسمه في التوراة محمد ، وفي الإنجيل أحمد ، وهما بمنزلة واحدة في التسمية ؛ لأن الاشتقاق جمعهما ، وقيل محمد أبلغ ، وقيل أحمد أبلغ ، ونقل الجلال السيوطي[3] أن من خصائصه تسميته بأحمد[4] .

(1) ينظر : حجة الله على العالمين للنبهاني ص 202 .

(2) رواه الحاكم في المستدرك 2/ 672 وذكره النبهاني في حجة الله على العالمين ص 34 وعزاه للبيهقي في الدلائل والحاكم .

(3) هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي . إمام حافظ مؤرخ أديب ولد سنة 849هـ . وتوفي سنة 911هـ له مصنفات كثيرة منها تفسير الجلالين ، والإتقان في علوم القرآن ، والمزهر في علم اللغة . (ينظر : البدر الطالع ص 337 ، والأعلام 3/ 301) .

(4) ينظر : حجة الله على العالمين ص 69 .

آلــه ـ صلى الله عليه وسلم ـ

(وآله) أي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيشاركه في الحكم السابق وهو الدعاء بالصلاة ؛ لأن الدعاء لهم مودة ، ومحبة لهم ، ولم يسألنا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أجرا على ما وصلنا على يديه من الخيرات إلا المودة في القربى[1] والمناسب لمقام الدعاء أن يراد أقاربه مطلقًا ما كانوا من المؤمنين والمؤمنات ، ومن ثم اختار الأزهري[2] وجماعة محققون وعزاه ابن العربي[3] لمالك أنهم "كل مؤمن تقي"[4] لحديث فيهم ، وإن وقع فيه في باب الزكاة والفيء خلاف ، فعند الشافعي كل شخص مؤمن من أولاد هاشم[5] دون المطلب[6] وهو أحد قولين عندنا ودرج عليه صاحب

---

(1) قال الله تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ سورة الشورى ، الآية 23 .

(2) هو أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي أحد الأئمة في اللغة والأدب ، له تهذيب اللغة وغيره ، توفي سنة 370هـ . (ينظر : وفيات الأعيان 2/ 388 ، والبدر الطالع ص 656) .

(3) ينظر : في فتح الباري 10/ 420 وابن العربي هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الأشبيلي المالكي القاضي الفقيه ، من حفاظ الحديث ، من أشهر تآليفه : أحكام القرآن ، وعارضة الأحوذي ، والعواصم من القواصم . توفي سنة 543هـ . (ينظر : وفيات الأعيان 2/ 391 ، والأعلام 6/ 230) .

(4) رواه الديلمي في الفردوس 1/ 418 حديث رقم 692 عن أنس بن مالك ، وعزاه صاحب البيان والتعريف للطبراني والديلمي والحاكم البيهقي ، ونقل ضعفه ، وأورده العجلوني في كشف الخفاء 1/ 17 عن أنس ، وقال "قال السيوطي : لا أعرفه ، قال : وله شاهد في الصحيحين : (إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء ، إنما وليي الله وصالحو المؤمنين" (ينظر : أيضًا فتح الباري 10/ 419) .

(5) هاشم هو : عمرو بن عبد مناف ، وسمي هاشمًا لكرمه ، وخصاله الحمدية ، وهو الجد الثاني لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ آخر من انتهت إليه السيادة في الجاهلية ، وهو أول من سن رحلتي الشتاء والصيف ، وهو أحد الأجواد الذين يضرب بهم المثل . (ينظر : السيرة النبوية لابن كثير 1/ 185) .

(6) ليس كذلك بل هم عند الشافعية أولاد هاشم والمطلب معًا كما ذكره النووي في شرح صحيح مسلم 7/ 176 . والمطلب هو ابن عبد مناف أي أخو هاشم شقيقه ، كان يسمى الفياض لسماحته وفضله . من نسله الإمام الشافعي . مات باليمن . (ينظر السيرة النبوية لابن كثير 1/ 186 ، والأعلام 2/ 252) .

المختصر[1] في باب الزكاة ، وقال فيه سيدي زروق إنه المذهب ، وابن العربي فإنه صغى إليه مالك ، والدّماميني[2] أنه المختار عندنا والمشهور من مذهب مالك القول الثاني ، وهو اختصاصه بأولاد هاشم دون المطلب . ابن الحاجب[3] : بنو هاشم ، وما فوق غالب غير آل ، وفيما بينهما قولان قاله ق[4] .

أصحابه ـ صلى الله عليه وسلم ـ

(وصحبه) أي والصلاة على أصحاب سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإن دخلوا أو بعضهم في الآل على أحد الأقوال ؛ لأنهم يستحقون مزيد الثناء عليهم ؛ لأنهم الذين نصروه ، وحموه ، وآووه ، وبلغوا عنه ما منه سمعوا .

والصحابي لغة : من بينك وبينه مخالطة ، وإن قلّت ، وأما الصّحابي عرفًا[5] فهو

---

(1) ينظر : مختصر خليل ص 67 . وصاحبه هو : خليل بن إسحاق بن موسى بن ضياء الدين الجندي ، فقيه مالكي ، تولى الإفتاء في مذهب مالك : له المختصر المشهور بمختصر خليل ، والتوضيح ، والمناسك وغيرها . توفي سنة 776هـ كما رجحه التمبكتي . (ينظر : نيل الابتهاج ص 168 ، والأعلام 2/ 315) .

(2) الدماميني هو : محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي القرشي المخزومي السكندي ، بدر الدين الدماميني من تآليفه : شرح البخاري ، وشرح التسهيل ، توفي سنة 827 أو 828هـ : (ينظر : كفاية المحتاج ص 383)

(3) وابن الحاجب هو : عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس أبو عمرو جمال الدين الحاجب . فقيه مالكي من كبار العلماء بالعربية ، كردي الأصل . ولد في صعيد مصر ، ونشأ في القاهرة ، وسكن دمشق ومات بالإسكندرية . له كتب عديدة منها : الكافية ، ومختصر في الفقه ، ومنتهى السؤل توفي سنة 646هـ . (ينظر وفيات الأعيان 2/ 118 ، والأعلام 4/ 211) .

(4) لم يبين مراده بهذا الحرف ، وليس له غيره .

(5) قال النووي في التقريب مع تدريب الراوي 2/ 208 اختُلف في حد الصحابي فالمعروف عند المحدثين أنه كل مسلم رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وعن أصحاب الأصول أو بعضهم أنه من طالت مجالسته على طريق التبع ، وعن سعيد بن المسيب أنه لا يعد صحابيًا إلا من أقام مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سنة أو سنتين أو غزا معه غزوة أو غزوتين ، وذكر السيوطي ثلاثة آراء أخرى ، 1) من=

من لقي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مؤمنًا به ومات على الإسلام فدخل ابن أم مكتوم ونحوه من العميان، وعيسى بن مريم، والخضر، وإلياس والملائكة، والجن؛ لأنه لا يشترط في اللقاء أن يكون متعارفًا[1]؛ ولأنه لا تنافي بين مقام[2] الصحبة، والنبوة، والملائكية، فالملائكة صحابة باقون إلى الآن على القول بتكليفهم بشريعته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعيسى ـ عليه السلام ـ آخر الصحابة موتًا، والأولى اعتبار التمييز احتياطًا؛ لشرف الصحبة وخرج عن التعريف من لقيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو كافر كذا من لقيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو مؤمن بغيره من الأنبياء، وأما من لقيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو مؤمن بأنه يبعث فلا بد من لقيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد نبوءته كما جزم به الأنصاري[3] تبعًا لشيخه الحافظ[4] فلا تثبت له الصحبة وإن لم يدرك البعثة وتوفي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن مائة ألف وأربعة عشر ألفًا كلهم رأوه، وروى عنه. ذكره ابن الفخار[5] في مراتب الصحابة

=طالت صحبته. 2) من رآه بالغًا. 3) من أدرك زمنه. والأول من الآراء هو الذي عنون به البخاري باب فضائل أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (ينظر: فتح الباري 7/ 3).

(1) ذكر هذا الشيخ إبراهيم اللقاني، في عمدة المريد ورقة 24 كما نقل عن ابن قاسم بأن عيسى والخضر ليسا من الصحابة، لأن اجتماعهما بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من خوارق العادة.

(2) (مقام) سقطت من م.

(3) الأنصاري هو: أبو يحيى زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المصري الشافعي. قاض، مفسر، من حفاظ الحديث. له كتب في مجالات عديدة كالتفسير، والحديث، والمنطق والنحو، والتجويد وأصول الفقه. توفي سنة 926هـ. (ينظر (الأعلام 3/ 46، ومعجم المفسرين من صدر الإسلام حتى الوقت الحاضر 1/ 196).

(4) ينظر: فتح الباري 7/ 4، وابن حجر هو العلامة المؤرخ، شيخ الإسلام أحمد بن علي بن محمد أبو الفضل شهاب الدين ابن حجر العسقلاني. من أهم مصنفاته فتح الباري، والدرر الكامنة، توفي سنة 852هـ. (ينظر: طبقات الحفاظ ص 579، والأعلام 1/ 178).

(5) ينظر: تدريب الراوي 2/ 220، وابن الفخار هو: محمد بن ميمون أبو عبد الله الجزائري المعروف=

وابن الأثير[1] في جامع الأصول . (وسلم) يأتي الكلام[2] على معنى السلام عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

(الحمد لله) : اتبعه البسملة اقتداء بالقرآن المجيد ، وعملاً بقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (**كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله[3] فهو أجذم**) رواه ابن حبّان في صحيحه وغيره[4] وأجذم ـ بجيم وذال معجمة ـ معناه ناقص قليل البركة وهذا الحديث لا يعارض حديث البسملة ؛ لأن حديث البسملة محمول على الابتداء الحقيقي ، وهو الذي لم يتقدم له شيء أمام المقصود ؛ لأن البداية بالبسملة لم يتقدمها شيء أمام المقصود ، والبداية بالحمدلة مسبوقة بالبداية بالبسملة ، أي الحمدلة بالنسبة إلى ما بعدها ابتداء ، وبالنسبة لما قبلها ليس بابتداء ، قاله سيدي عبد القادر بن خدة[5] : والجمع بين الروايتين أنه يندب أي الابتداء بالبسملة والحمدلة وهو الذي عليه أكثر الناس قديمًا وحادثًا ، وهذا إذا كانت الرواية بالرفع في الحمد على الحكاية ، فتكون هذه

=بابن الفخار ، نسبة إلى حرفة جده ، محدث فقيه سكن تلمسان ، وأقام مدة بتونس ، وأقام بالقاهرة أشهرا ، وسكن المدينة المنورة ، مات بمكة سنة 801 . (ينظر : أعلام الجزائر ص 253) .

(1) هو أبو السعادات ، المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ، المعروف بابن الأثير . قرأ الحديث والأدب ، وكان ورعًا . له كتب كثيرة منها : النهاية في غريب الحديث ، وجامع الأصول ، وغيرها وهو أخو ابن الأثير المؤرخ . توفي سنة 606هـ . (ينظر : الأعلام 2/ 272) .

(2) ص 162 .

(3) (له) سقطت من أ و م و د . وما أثبت من ح .

(4) ابن حبان في صحيحه 1/ 173 ، ورواه أبو داود في سننه عن أبي هريرة كتاب الأدب 4/ 261 ، وابن ماجة في سننه ، كتاب النكاح 2/ 172 .

(5) ينظر : النص في الورقة 1 من حاشية ابن خدة ، مخطوط رقم 852 بدار الكتب الوطنية ـ تونس . وابن خدة هو : عبد القادر الراشدي ، قاضي قسطنطينة ، ومفتيها . من فقهاء المغرب ، كان يميل للاجتهاد . له حاشية على شرح السيد للمواقف العضدية ، وكتاب في عائلات قسطنطينة ، وعربها ، وبربرها ، ورسالة في تحريك الدخان ، وغير ذلك . توفي سنة 1112هـ . (ينظر : الأعلام 4/ 38) .

الجملة بعينها مقصودة ، وأما على رواية الخفض فالمقصود الابتداء بمطلق الثناء بالحمد ، أو غيره كالبسملة ، ويتحصل على رواية الخفض تعيين مادة الحمد ، كان بالجملة الاسمية ، أو الفعلية ، وهو الذي تدل عليه رواية بحمد الله من غير تعريف بالألف واللام ، وآثر الجملة الاسمية على الفعلية دلالة على عظمها ، حيث جُعلت مفتتحًا للقرآن العظيم ؛ ولأنه لو قال أحمد الله مثلاً كان ذكر حمد نفسه فقط ، بخلاف ما ذكر فإنه يدخل فيه حمده وحمد غيره جميعًا من لدن خلق العالم إلى انتهاء دخول أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار[1] ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] .

الحمد وأنواعه

والحمد لغة : الوصف بالجميل على جهة التعظيم ؛ لأجل جميل اختياري ، فخرج لجهة التعظيم الاستهزاء والسخرية ، كقوله : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾[3] وبأجل جميل اختياري : ما كان لأجل جميل غير اختياري ، فإنه مدح لا حمد ، تقول حمدت زيدًا على علمه وكرمه ، ولا تقول حمدته على حسنه ، بل مدحته ، وتقول مدحت اللؤلوة على صفائها ، ومدحت زيدًا على رشاقة قده ، ولا تقول حمدتها . واصطلاحًا : فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعمًا ، وذلك الفعل إما فعل لقلب أعني الاعتقاد

---

(1) قال ابن ذكري في تقييده على سورة الفاتحة ص 49 : "يقول أرباب الشروح : ابتدأ المشروح بها اقتداء بكتاب الله ، ولم يبينوا لماذا ابتدأ كتاب الله ـ تعالى ـ ويظهر في توجيه ذلك أن الحامد بها مصرح بأن الله ـ تعالى ـ هو المحمود بكل حمد ، وفي ضمن ذلك الاعتراف بأن كل إحسان وكمال له ، ولا نهاية لإحسانه ، ولا لكماله ، فكأنه قد وصفه بكل صفة يعلمها ، وبكل ما يليق به مما لا يعلمه ، ولا تساويها في هذا جملة أخرى" .

(2) سورة الزمر ، الآية 75 .

(3) سورة الدخان ، الآية 49 .

باتصافه بصفات الكمال والجلال ، أو فعل اللسان أعني ذكر ما يدل عليه ، أو فعل الجوارح ، وهو الإتيان بأفعال دالة على ذلك وهذا هو الشكر لغة .

وأما اصطلاحًا : فهو صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه من السمع والبصر وغيرهما إلى ما خلق الله وأعطاه لأجله ، كصرف النظر إلى مطالعة مصنوعاته ، والسمع إلى تلقي ما ينبئ عن مرضاته ، والاجتناب عن منهياته ، فالنسبة بين الحمدين عموم وخصوص من وجه ، وبين الشكرين عموم مطلق . حقيقة العموم والخصوص المطلق عبارة عن معقولين تواردا في محل ، وانفرد أحدهما كالحيوان والإنسان ، وحقيقة العموم والخصوص من وجه عبارة عن معقولين تواردا في محل وانفرد كل واحد منهما بطرف لم يشاركه فيه غيره ، كالحمد والشكر على قول ، وحقيقة الترادف : تعدد اللفظ واتحاد المعنى ، كالإنسان والبشر ، وحقيقة التباين : تعدد اللفظ والمعنى كالإنسان ، والحجر ، والسماء والأرض . وحقيقة الاشتراك : تعدد المعنى واتحاد اللفظ كالعين . وحقيقة الأعم : هو الذي يوجد مع الأخص ، قال أبو حيان : "الحمد مصدر معرف بأل إما للعهد أي الحمد المعروف بينكم لله ، أو لتعريف الماهية كالدينار خير من الدرهم ، أيُّ دينار كان فهو خير من أي درهم كان ، فيستلزم إذ ذلك الأحمد كلها ، أو لتعريف الجنس فتدل على استغرق الأحمُد كلها بالمطابقة"(1) .. انتهى .

---

(1) البحر المحيط 1/ 18 . وأبو حيان هو : أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي الجياني الشهير بأبي حيان . كان مولده سنة 654هـ من كبار العلماء بالعربية . من كتبه : البحر المحيط ، ، والنهر الماد ، وطبقات نحاة الأندلس وغيرها ، توفي بالقاهرة سنة 745هـ . (ينظر الأعلام 7/ 152 ومعجم المفسرين من صدر الإسلام حتى الوقت الحاضر 2/ 655) .

وسأل أبو العباس المرسي[1] ـ نفعنا الله به ـ ابن النحاس النحوي[2] : ما تقول في الألف واللام في الحمد أجنسية أم عهدية ؟ قال يا سيدي قالوا : جنسية فقلت له الذي أقول إنها عهدية ، وذلك أن الله ـ تعالى ـ لما علم عجز خلقه عن كنه حمده حمد نفسه بنفسه في أزله نيابة عن خلقه ، قبل أن يحمدوه ، ثم إنه أمرهم أن يحمدوه بذلك الحمد فقال يا سيدي أشهدك أنها عهدية .

والحمد على أربعة أقسام :

الأول : ثناؤه على نفسه بنفسه في أزله ، أي ثناؤه أزلاً وأبدًا على ذاته العلية وصفاته السنية بكلامه القديم الذي ليس بحرف ولا صوت ، كقوله تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3] وكقوله تعالى : ﴿ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾[4] وكقوله تعالى : ﴿ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾[5] هذا من قديم إلى قديم ومن الأعلى إلى الأعلى .

الثاني : حمده أيضًا بكلامه القديم لخواص عبيده من أنبيائه ، ورسله وملائكته ، وسائر الصالحين من عباده ، كقوله تعالى : ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[6] أي رجاع إلى الله فهذا من قديم إلى حادث ، ومن الأعلى إلى الأدنى .

---

(1) هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عمر المرسي . فقيه متصوف من أهل الإسكندرية ، أصله من الأندلس ، توفي سنة 686هـ . (ينظر : الأعلام 1/ 186 ومعجم المفسرين من صدر الإسلام حتى الوقت الحاضر 2/ 761) .

(2) هو محمد بن إبراهيم بن محمد بهاء الدين ابن النحاس الحبر ، شيخ العربية بالديار المصرية في عصره . له إملاء على كتاب (المقرب) لابن عصفور ، وشرح ديوان امرئ القيس ، ولد في حلب وسكن القاهرة وتوفي بها سنة 698هـ . (ينظر : الأعلام 5/ 297) .

(3) سورة الفاتحة ، الآية 2 .

(4) سورة الأنفال ، الآية 40 .

(5) سورة طه ، الآية 14 .

(6) سورة ص ، الآية 30 .

الثالث : حمد عبيده له ـ جل وعلا ـ بما يخلق في ألسنتهم ، وقلوبهم من كلام وعبادة ، فهذا من حادث إلى قديم ومن الأدنى إلى الأعلى .

الرابع : حمد المخلوق[1] بعضهم لبعض بما يخلق أيضًا ـ جل وعلا ـ في قلوبهم وألسنتهم من ذلك ، ولا خفاء أن هذه الأربعة مضافة على الحقيقة إلى الله ـ تعالى ـ أما القسمان الأولان فلا إشكال فيهما ؛ لأنهما راجعان إلى صفة كلامه القديم القائم بذاته ـ تعالى ـ لا مشارك له فيها ولا مماثل ، كما أن ذلك حكم ذاته وسائر صفاته ، وأما القسمان الأخيران فهما مضافان لله ـ تعالى ـ بمعنى أنها ملكه وخلق له لا شريك له ـ تعالى ـ في ملكهما وخلقهما ألبتة ، كما أن ذلك حكم سائر الحوادث ، لوجوب انفراده ـ عز وجل ـ بالإيجاد ، والاختراع لكل حادث .

لله : ذكر مع الحمد اسم الجلالة الجامع لمعاني الذات ، والصفات ، وأضيف الحمد إلى هذا الاسم دون غيره ، كالخالق والرازق ـ مثلاً ـ إما من باب إضافة العام إلى العام إذ الحمد المعرف يعم جميع المحامد يعني أن كل حمد يضاف إليه ، وإن اختلفت جهات الإضافة ، ولا يستحقها إلا هو على الحقيقة ، ويحتمل أن يكون من باب إضافة الخاص إلى الخاص ، إذ الحمد المعروف خاص بالله ـ تعالى ـ كانت العرب قديمًا وحديثًا لا تقول الحمد لزيد مثلاً . والله خاص به ـ تعالى ـ لا يتسمى به أحد ، ويحتمل أن يكون دفعًا لتوهم الاشتراك ، إذ لو أضيف إلى غيره كالعزيز والرحيم والرب لتوهم أن كل من تسمى بهذا الاسم شارك الله ـ تعالى ـ في هذا الثناء ، أو دفعًا لتوهم اقتصار الحمد بمدلول الاسم الذي أضيف إليه غير الله ، ويحتمل غير هذا ـ والله تعالى أعلم ـ قاله سيدي عبد القادر بن خدة[2] .

---

(1) هكذا ورد ، ولعل الصواب المخلوقين .

(2) ينظر : تفسير ابن كثير 1/ 22 ففيه بعض ما ورد .

فائدة : من قال (الحمد لله) بمعناها فتحت له أبواب الجنة الثمانيـة ؛ لأن الحمـد لله ثمانية أحرف ، وللجنة ثمانية أبـواب ، ومعنـى الحمـد : المدح لله عـلى كمالـه في ذاتـه ، وتكميله لخلقه ، ومن عرف معناها فمن أي باب شاء دخل منه[1] قال الله تعالى : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[2] وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ (ولا يـرزُق الله العبْـد الـشُّكْر فَيَحرِمُهُ الزِّيادةَ)[3] .

وقال : (وما أنْعَمَ اللهُ[4] على عبدٍ منْ نعمةٍ صغُرتْ ـ أو كبُرت فقـالَ : الحمـدُ لله إلاَّ كانَ قَدْ أعطَى أفضلَ ممَّا أَخَذَ)[5] وقال : (أولُ منْ يُدعى الحامدُونَ الَّذِينَ يحمـدُون الله في السَّراء والضَّراء)[6] . وفي صحيح مسلم أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (إنَّ الله ليرضَى عـن العبدِ يأكُلُ الأكْلَةَ فيَحمدُهُ عليهَا ويشرَبُ الشَّربةَ فيَحمدُهُ عَليهَا)[7] ويروى أنه (من عَطسَ أو تَجَشَّأَ[8] فقال الحمدُ للهِ علَى كُلّ حال دفع الله عنهُ بها سبعين داء أهونُها الجُذام)[9] وقال

---

(1) ينظر : إرشاد المريدين لعلي بن عبد الصادق 1/ 43 .

(2) سورة إبراهيم : الآية 7 .

(3) رواه البيهقي في شعب الإيمان باب تعديد نعمة الله ـ عز وجل ـ عن يحيى بـن عطـاء القـرشي عـن أبيـه 4/ 124 .

(4) لفظ الجلال "الله" سقط منْ أ .

(5) رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس باب تعديد نعـم الله ـ عـز وجـل ـ وشـكرها 4/ 124 ورواه ابـن ماجة في سننه عن أنس كتاب الأدب باب فضل الحامدين 2/ 1250 .

(6) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء في ترجمة حبيب بن أبي ثابت 5/ 69 عن عبد الله بـن عبـاس ورواه الحـاكم في المستدرك عن ابن عباس كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر وصححه 1/ 502.

(7) رواه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار 17/ 51 والترمـذي في سننه كتاب الأطعمة عن أنس 4/ 50 .

(8) التجشؤ هو تنفس المعدة كما في القاموس المحيط 1/ 11 مادة جشأ وفي المصباح المنير : صـوت مـع ريـح يحصل من الفم عند حصول الشبع (ينظر : مادة جشأ 102) .

(9) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات كتاب الأدب باب ما يقال عند العطاس عن عبد الله بن عمر 3/ 75 .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (من ابتُلي فَصبَر ، وأُعطِي فشَكَر وظُلِم فَغفَر ، وظَلم فاستَغفَر أُولَئِكَ لهمُ الأَمنُ وهُم مُهتَدُون)[1] . وقال : (الطاعمُ الشَّاكر بمنزلَةِ الصَّائِم الصَّابِرِ)[2] . وقال : (من لَم يشكُر النَّاس لا يشكُر الله وَمَن لا يشكُرُ القَليلَ لا يشكُرُ الكثيرَ وإن التحدُّث بنعمَةِ الله شُكرٌ والسُّكُوتَ عنهُ كُفرٌ)[3] . وقال : (أسرعُ الذُّنُوب عُقُوبَةً كُفرَانُ النِّعمِ)[4] . وقال : (إنَّ الله يُحِب أن يَرَى أَثَرَ نعمتِهِ عَلى عبدِهِ)[5] (ومَن أُعطيَ خَيرًا فلم يُرَ عَلَيه سُميَ بَغيضَ الله مُعَاديًا لِنعمةِ الله)[6] .. انتهى . ذكره بعض الشراح .

---

(1) رواه البيهقي في سننه باب تعديد نعم الله ـ عز وجل ـ وشكرها عن سحيرة 4/ 104 وأورده السيوطي في الجامع الصغير 2/ 549 وقال حسن ورواه المزي في تهذيب الكمال 10/ 210 وابن حجر في الإصابة عن الطبراني من طريق عبد الله بن سحيرة عن أبيه 3/ 35 .

(2) علقه البخاري باب الطاعم الشاكر 9/ 582 ورواه الترمذي في سننه عن أبي هريرة كتاب صفة القيامة والرقائق الورع 4/ 369 .

(3) رواه أبو داود في سننه عن أبي هريرة كتاب الأدب 4/ 255 والترمذي في سننه كتاب البر والصلة عن أبي هريرة وأبي سعيد 4/ 111 وقال حديث حسن صحيح .

(4) روى ابن ماجة في سننه كتاب الزهد 3/ 505 عن عائشة بلفظ : "أسرع الشر عقوبة البغي وقطيعة الرحم" وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه في ترجمة عبد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي عن أبي الحسن الرضى عن آبائه 10/ 343 .

(5) رواه الترمذي في سننه عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده كتاب الأدب 4/ 545 وقال حديث حسن .

(6) رواه ابن أبي الدنيا كتاب الشكر باب حبيب الله وبغيض الله عن بكر بن عبد الله رفعه ص 91 وذكره القرطبي في تفسيره 20/ 102 .

الصلاة على رسول الله وحكمها

(والصلاة والسلام على رسول الله) : الصلاة من الله رحمة مقرونة بتعظيم ، ومن الملائكة استغفار ، ومن الآدميين تضرع ودعاء . والصلاة لفظ مشترك يطلق ويراد به الرحمة كهذا ، ويطلق ويراد به الصلاة المشتملة على الركوع والسجود ، ويطلق ويراد به الدعاء ، كقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (من كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ)[1] أي فليدع . واعلم أن أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ إيّانا بالصلاة والسلام على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إما للتعبد وهو الأمر الذي لا نعقل له معنى ، أو ليكون ذلك عن طريق الشكر منا ، والمكافأة له ـ عليه الصلاة والسلام ـ بما هو في الوسع والطاقة ؛ لأن جميع الخيرات الحاصلة لنا ما حصلت لنا إلا به ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتجب مكافأته بذلك مرة في العمر ، ويستحب فيما عدا ذلك ، ويتأكد استحبابها يوم الجمعة وليلتها ، أو لطلب كمال في سعة كرم الله ـ سبحانه وتعالى ـ على حصوله[2] على ذلك الطلب منا ؛ ولإظهار فضله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومحبته ، واحترامه ، وتعظيمه الواجب علينا ، والظاهر أن ذلك من الخيرات الواصلة إلينا ، بسببه ـ عليه الصلاة والسلام ـ حال حياته وبعد وفاته ، إذ منفعتها في الحقيقة عائدة على المصلي ؛ لأنه داع ومكمل لنفسه لأنه (إذا صلى أَحدُنا عليه صَلاةً صلى الله عليه بِهَا عشرًا)[3] كما في الخبر قاله الديلمي[4]

---

(1) رواه مسلم في صحيحة بشرح النووي كتاب الصوم باب الأمر بإجابة الداعي عن أبي هريرة 9/ 236 والترمذي في سننه كتاب الصوم باب ما جاء في إجابة الصائم الدعوة 3/ 93 .

(2) (على حصوله) سقطت من م .

(3) رواه النسائي في سننه كتاب الصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أبي هريرة 3/ 50 والترمذي في سننه كتاب الصلاة باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أبي هريرة 2/ 276 وقال حديث حسن صحيح .

(4) هو نور الدين علي بن سليمان الديلمي الإمام الورع الزاهد . أخذ عن صهره الناصر اللقاني وغيره . له طرر على مختصر خليل توفي سنة 947هـ (ينظر : شجرة النور الزكية 266) .

واستحب العلماء كما تقدم البداية بالصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - كالحمد لله لكل مصنف ومدرس وخطيب وبين يدي كل أمر مهم انتهى .

وقال ابن التلمساني[1] في حواشي الشفاء : وأما ما فرضه مرة في العمر فالشهادتان[2] والحمد لله ، والحج والعمرة ، والصلاة على محمد - صلى الله عليه وسلم - انتهى قال الرصاع[3] : والذين يظهر لي أن السلام كذلك فرض مرة في العمر ، والزائد على ذلك مستحب متأكد ، وما نقل عن بعض شيوخ المغرب من التوقف فيه لا أصل له ، بل الحق أن حكمهما في الوجوب والندب المتأكد سواء ، وكذلك على قدر الشوق والمحبة ، وتتأكد الصلاة عليه عند دخول المسجد ، والخروج منه ، ودخول البيوت الخالية ، والتشهد في الصلاة ، وعند زيارته - صلى الله عليه وسلم - وعند سماع ذكره ، أو اسمه أو كتابته ، وعند الأذان ، وفي صلاة الجنائز ، وبعد البسملة في الرسائل كما أحدث في ولاية بني هاشم ومضى به العمل ، وقد تقدم هذا مع بعض أشياء[4] . ومنهم من يختم به الكتاب أيضًا ، ويستحب إكثارها يوم الجمعة ، وعند طنين الآذان ، والفراغ من الطهارة ، وعند الصباح والمساء ، ويوم السبت والأحد ، وتكره عند العطاس ، والذبح في أحد القولين ، وعند الجماع ، والعثرة[5] وشهرة المبيع ، وحاجة الإنسان ، والأكل ،

---

(1) ينظر : نصه في عمدة المريد ورقة 11 . وابن التلمساني هو : محمد بن علي بن أبي الشريف الحسنى أخذ عن الإمام السنوسي وابن غازي . ألف المنهل الأصفى في شرح ألفاظ الشفا . كان حيا في حدود 920هـ (ينظر : كفاية المحتاج ص 466) .

(2) أضفت الفاء ؛ لأن السياق اللغوي يقتضيها .

(3) هو محمد بن قاسم أبو عبد الله الأنصاري التونسي عرف بالرصاع ، أخذ عن جماعة منهم : البُرزلي ، والعبدوس ، والقلشاني . له تآليف في الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - والشواهد القرآنية . توفي سنة 894هـ . (ينظر : كفاية المحتاج 442 ، ومعجم المؤلفين 11/ 137) .

(4) في ص 156 من هذا البحث

(5) العثرة : الكبوة (ينظر : مختار القاموس ص 406) .

والتعجب . قال الرصاع : ويلحق بهذا عندي[1] ما يصدر من[2] العامة في الأعراس وغيرها ، فإنهم يشهرون أفعالهم للنظر إليها بالصلاة عليه - صلى الله عليه وسلم - مع زيادة عدم الاحترام والوقار بمن أضحك ولعب .. انتهى[3] .

قال بعضهم بل يحرفون اللفظ بما يكفر قاصده ككسر السين من السلام - نعوذ بالله من ذلك - وتكره في أماكن القذر والنجاسات . وحاصله أنها واجبة ، ومستحبة ، ومكروهة ، ومحرمة ، ولا أعرف الآن تصوير الإباحة .

تتمة : ذكر بعض العارفين أن من فاته شيوخ التربية ولم يجتمع بهم قامت له الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - مقام ذلك . انتهى من شرح الشيخ إبراهيم اللقاني[4] على الجوهرة ، وإذا تكرر بعض الأشياء فذلك لأمر اقتضاه إما لجمع النظائر ، أو إذا سقنا كلام بعض العلماء نقلناه على ما هو - والله يتولى الجميع بلطفه آمين - (**والسلام**) الأمان[5] والتحية والإكرام ، والسلامة من النقائص (**على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -**) والمراد به نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - لأنه متى أطلق لا ينصرف إلا إليه ، وأتى المؤلف بالصلاة والسلام على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد حمد المولى - تبارك وتعالى - لأن الله قد قرن ذكره بذكره ، وطاعته بطاعته ومعصيته بمعصيته في غير ما موضع ، وأوقف - سبحانه - الإيمان به على الإيمان به ، وجعل الكفر به

---

(1) (عندي) سقط من م .

(2) في م (عند العامة) .

(3) ينظر : عمدة المريد ورقة 12 .

(4) عمدة المريد لجوهرة التوحيد ورقة 12 . واللقاني هو : إبراهيم بن إبراهيم بن حسن من فضلاء العلماء متصوف . من أشهر كتبه : جوهرة التوحيد وشرحها ، قضاء الوطر في مصطلح الحديث . توفي وهو عائد من الحج سنة 1041هـ (ينظر : الأعلام 1/ 28 ، ومعجم المفسرين من صدر الإسلام حتى الوقت الحاضر 1/ 8) .

(5) في م . (الإيمان) .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ كفرًا به ـ جل وعلا ـ قال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[1] وقال : ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾[2] إلى غير ذلك مما هو كثير في القرآن الكريم في هذا المعنى ، مع ما في الصلاة عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من التبرك بذكره واستمطار الرحمة بذلك من المولى الكريم ، والتعرض لنفحاته وجزيل ثوابه بذكره مصطفاه ، وحبيبه ، وعروس مملكته ، وفي الصلاة عليه فضل كثير ، قال المصنف الإمام السنوسي في شرحه على صغرى الصغرى[3] : لو لم يكن للصلاة عليه من الفضل العظيم إلا ما ورد في الصحيح أنه : "من صلى على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرة واحدة صلى الله ـ تعالى ـ عليه بها عشرًا"[4] لكان كافيًا ، كيف وقد ورد في فضلها العظيم ما ألف أئمتنا فيه على الانفراد تواليف عديدة ؛ ومن ذلك ما رواه الطبراني في الأوسط عن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال (**كلُّ دعَاء مَحجُوبٌ حَتَّى يُصَلّى عَلَى مُحَمَّدٍ**) ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال المنذري[5] : رواته ثقات ورفعه بعضهم ، والوقف أصح ، ورواه الترمذي موقوفًا على عمر ـ رضي الله عنه ـ بلفظ : (**إنّ الدُّعاءَ موقُوفٌ بينَ السَّماء والأرضِ لا يصعَدُ مِنهُ شَيءٌ حَتَّى يُصَلّي عَلَى نبِيِّنَا** ـ صلى الله عليه وسلم ـ)[6] ومنها ما رواه الحاكم أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (**من صلَّى عليَّ مِائَةَ مَرَّةٍ كَتَبَ اللهُ بَينَ عَيْنَيهِ بَرَاءةً مِن النِّفَاقِ ، وَبَراءَةً مِنَ النَّار ، وأَسكَنَهُ الله يومَ القِيَامَةِ مَعَ الشُّهَدَاءِ**)[7] ومنها ما رواه أبو

---

(1) سورة النساء ، الآية 14 .

(2) سورة المائدة ، الآية 92 .

(3) ينظر ورقة 4 ب من المخطوطة رقم 415 توحيد بمكتبة الأزهر الشريف القاهرة .

(4) سبق تخريجه في ص 61 . وينظر : نص الشيخ السنوسي في شرح صغرى الصغرى ص 5 .

(5) ينظر : الترغيب والترهيب للمنذري 2/ 505 .

(6) رواه الترمذي موقوفًا على عمر كما قال الشارح 2/ 277 وقال أحمد شاكر : هذا موقوف في حكم المرفوع ، ورواه الترمذي أيضًا في باب 65 عن فضالة بن عبيد وقال حديث سحن صحيح .

(7) أخرجه الطبراني في الكبير عن أنس 7/ 232 وقال المنذري رجاله ثقات . ينظر : الترغيب والترهيب 2/ 495.

عاصم والطبراني أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (**مَنَ صَلَّى عَلَيَّ كُلَّ يَوم ثَلاثَ مَـرَّاتٍ حُبًّا وشَوقًا كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَن يَغفِر لَهُ ذُنُوبَهُ تِلكَ اللَّيلَـة وَذَلِـكَ اليَـوْم**)[1] . وحقيقة الرسول هو : إنسان أُوحي إليه بشرع ، وأمر بالتبليغ ، قال بعضهم : والرسول لا يكون إلا مؤيدًا بالمعجزة من الله ـ تعالى ـ .

المعجـزة ولمـن تكـون

وحقيقتها أمر خارق للعادة يظهره الله ـ تعالى ـ على يدي مدّعي الرسالة مقارنًا لدعواه إيّاها يعجز البشر عن الإتيان بمثلها ، والنبي ليس كذلك ، وإنما هو مخبر بالغيب خاصة ، فكل رسول نبي ولا ينعكس ، واختلف هل يعلم عدد الأنبياء والرسل أم لا ؟ فقيل لا يعلم ، وقيل يعلم . ففي صحيح ابن حبان والحاكم وابن عساكر من حديث أبي ذر : (**قُلْتُ يَا رَسُولَ الله كَم الأَنْبِيَاءُ ؟ قَالَ مِائَـةُ أَلْفِ نَبيٍّ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا ، قُلْتُ يَا رَسُولَ الله كَمْ الرُّسُلُ مِنْهُمَ ؟ قَالَ ثَلاثُمَائَـةٍ وَثَلاثَـةَ عَشَرَ**)[2] وفي رواية لابن حبان وغيره (**الرُّسُلُ مِن ذَلِكَ ثَلاثُمائَـةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ**)[3] ، والرسل كلهم عجم إلا خمسة : محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإسماعيل ، وهودًا ، وصالحًا وشعيبًا ، ـ عليهم السلام ـ وبعضهم قال العرب منهم خمسة هود وصالح وإبراهيم[4] وإسماعيل ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والوحي إلى جميعهم كان في المنام ، إلا أولي العزم وهم خمسة : محمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى قاله

---

(1) عزاه المنذري في الترغيب والترهيب للطبراني في الكبير عن أبي كاهل كتاب الذكر باب الترغيب 4/ 263 وقال هو منكر .

(2) رواه ابن حبان في صحيحه 2/ 76 .

(3) ينظر : المستدرك للحاكم كتاب التاريخ 2/ 597 .

(4) هذا سهو منه فإبراهيم سرياني كما سيذكر في ص 337 .

الأقفهسي[1] .. انتهى من تحقيق المباني .. وقال الأقفهسي أيضًا لم ينزل كتاب إلا على ثمانية منهم وجميع ما أنزل مائة وأربعة عشر منها عشرة على آدم ـ عليه السلام ـ وخمسون على ولده شيت[2] وثلاثون على إدريس وعشرون على إبراهيم ، ويقال في جميعها صحف ، والتوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، والزبور على داود ، والفرقان على نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعليهم أجمعين[3] .

واختلف في مريم هل هي[4] نبية أم لا ؟ قال ابن العربي : والصحيح أنها ليست بنبية[5] ، واختلف الناس في الجن هل بعث إليهم رسول منهم أو الرسول من الإنس بعث إلى الإنس والجن ؟ والصحيح أن نبينا محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعث إلى الإنس والجن[6] .

تتميم : كان ينبغي للمؤلف أن يدخل الآل والأزواج مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الصلاة ، فقد نقل بعض الشافعيين أن كلام الرافعي[7] في أوائل التهذيب

---

(1) هو جمال الدين عبد الله بن مقداد الأقفهسي إليه رئاسة المذهب والفتوى بمصر ، له شرح على مختصر خليل توفي في رمضان 823هـ (ينظر : كفاية المحتاج ص 165وشجرة النور الزكية ص 240) .

(2) قال الزبيدي في تاج العروس 1/ 559 ومما استدركه شيخنا (أي على القاموس) شيت بن آدم ـ عليه السلام ـ في قوله من ضبطه بالمثناة الفوقية .

(3) ينظر : عمدة المريد ورقة 12 .

(4) (هي) سقطت من م .

(5) قال إبراهيم اللقاني : "اختار القرطبي في شرح مسلم نبوة مريم محتجًا بأن الله أوحى إليها بتكليف بحكم شرعي بعد الاصطفاء ... وليس النبوة إلا هذا . قلت وهو مردود إذ كلام الله لها إن كان شفاها فكرامة ، أو معجزة لزكريا ، أو إرهاصًا لنبوة عيسى وإن كان إلهامًا فلا إشكال في عدم دلالته على الوحي". (عمدة المريد ورقة 316) .

(6) ينظر : فتح الباري 7/ 4 .

(7) الرافعي هو : عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن الفضل ، إمام الدين ، أبو القاسم القزويني . من كبار فقهاء الشافعية . مفسر ، محدث ، مؤرخ ، نسبته إلى رافع بن خديج الصحابي . من كتبه : الأمالي =

يقتضي استحباب الصلاة على غير النبي - صلى الله عليه وسلم - بطريق التبع ، أما استقلالاً فتكره كراهة تنزيه على المعروف ، لكن قال عياض[1] قال ابن عباس : لا تجوز الصلاة على غير النبي[2] ، وقال سفيان : يكره أن يصلى إلا على النبي ، وقال مالك : أكره الصلاة على غير الأنبياء ولا ينبغي لنا أن نتعدى ما أُمرنا به ، والذي ذهب إليه المحققون وأميل إليه ما قاله مالك وسفيان . وذكر الصلاة على الآل والأزواج مع النبي - صلى الله عليه وسلم - بحكم التبع ، والإضافة إليه على التخصيص ، وصلاة النبي على من صلى عليه مجراها مجرى الدعاء[3] والمواجهة ليس فيها معنى التوقير والتعظيم . انتهى فتأمله قاله الشاذلي .

الحكم العقلي وتقسيمه

(اعلم) - بكسرة الهمزة - من علم يعلم ، وهو أمر ، والأمر على ثلاثة أقسام من العلى للأدنى كقوله تعالى : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[4] وهو أمر تكليف ، ومن الأدنى للأعلى كقوله : رب وفقني ، ويسمى دعاء ، ومن المتماثلين ويسمى التماسًا ، وهو أمر إرشاد ، وقصد المفرد بخطابه إشارة إلى أن هذا العلم يجب على كل فرد من أفراد المكلفين ، ولو قال : اعلموا لكان فرض كفاية يحمله من قام به ؛ لأن الأمر إذا توجه لجماعة وقع فيه

=الشارحة لمفردات الفاتحة . توفي بقزوين سنة 23 . (ينظر : تراجم المفسرين من صدر الصحابة حتى الوقت الحاضر 1/ 289) .

(1) هو عياض بن موسى بن عياض اليحصبي البستي أبو الفضل ، عالم المغرب ، وإمام الحديث ، من مؤلفاته : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، وترتيب المدارك . توفي سنة 544هـ (ينظر : وفيات الأعيان 2/ 230 ، وتذكرة الحفاظ 4/ 1304 ، والإعلام 5/ 99) .

(2) الشفا بتعريف حقوق المصطفى 2/ 99 .

(3) نقل ابن كثير في تفسيره 2/ 283 أن صلاة النبي - صلى الله عليه وسلم - لتدرك الرجل وولده وولد ولده .

(4) سورة الإسراء ، الآية 78 .

التفريط والاتكال ، وإذا توجه على مفرد وقع فيه الاهتمام وحرص في القلب ، قال سيدي حسن الدراوي : نزل الشيخ - رحمه الله - اعلم منزلة أما بعد في الدلالة على الشروع في المقصود ، ونبه به[1] على أن غير العلم لا يفيد ولا يغني واقتداء بقوله تعالى : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[2] وقال : ﴿ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾[3] انتهى ، وقال سيدي عبد القادر بن خدة أمر الشيخ وأرشد باعلم ، ولم يقل اعرف ؛ لكون متعلق العلم هنا مركبًا لا مفردًا ، وهو الحكم بانحصار الحكم العقلي في الأقسام الثلاثة ، والمعرفة متعلقها مفرد يقال عرفت الله ، وعرفت زيدًا - مثلاً - ولا يقال علمت الله وعلمت زيدًا في ذاته ، ولذلك يقول النحويون : إن علم إذا كان بمعنى عرف تعدى إلى مفعول واحد[4] ، وهو مفرد ، وإن كانت على بابها تعدت إلى مفعولين ، كقولك علمت زيدًا قارئًا ، أو راكبًا ، وهما مفعولان أحدهما محكوم عليه وهو زيد ، والثاني محكوم به ، وهو الركوب أو القراءة ، وإذا قلت عرفت زيدًا فلم تدل على حكم ، بل تدل على إدراك الماهية من غير أن تحكم عليها بشيء . وكلام المؤلف مركب من المحكوم به والمحكوم عليه ، فالمحكوم به هو الانحصار والمحكوم عليه هو العقلي . ووقعت المغايرة بين التعبير بالمعرفة والعلم في خطبة نسبت للنبي - صلى الله عليه وسلم - لتغاير متعلقاتها حيث قال : (**ألا وإن أعقل الناس عبد عرف ربه فأطاعه ، وعرف عدوه فعصاه ، وعلم دار إقامته فأصلحها ، وعلم سرعة رحلته فتزود لها**)[5] فلفظ الرب في

---

(1) (به) سقطت من م .

(2) سورة محمد ، الآية 19 .

(3) سورة إبراهيم : الآية 52 .

(4) ينظر : شرح ابن عقيل 1ـ2/ 345 .

(5) لم أجده هكذا ، ولكن ورد في كتاب الزهد لابن أبي عاصم 1/ 279 عن الحسن : "من عرف ربه - تبارك وتعالى - أحبه ، ومن أبصر الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل ، وإذا فكر حزن" .

كلامه مفرد ، وكذلك العدو ، وعبر عن ما تعلق بهما بالمعرفة ، وحكم على الآخرة بأنها دار إقامة ، وحكم على رحلة العبد من الدنيا إلى الآخرة بالسرعة ، وعبر عن ما تعلق بالحكم الذي هو مركب بالعلم . انتهى كلامه باختصار وبزيادة شيء : (**أن الحكم**) هو لغة المنع ومنه قول الشاعر :

بنو حنيفة أحكموا سفهاءكم　　إني أخاف عليكم أن أغضبا[1]

وسميت الحديدة في فم الفرس حَكمة ؛ لأنها تمنع بها الدابة ، والحكم هنا إثبات أمر ونفيه ، إثبات أمر[2] يعني لأمر ، ونفي أمر يعني عن أمر ، فمثال الأول زيد عالم ، ومثل الثاني زيد ليس بعالم ، والحكم مصدر يستدعي حاكمًا ومحكومًا به ومحكومًا عليه ، والحاكم بذلك إما العقل ، أو الشرع ، أو العادة ، والمحكوم به هو الإثبات والنفي ، والمحكوم عليه الذات ؛ لأن الثبوت والنفي إما أن يسندا إلى الشرع بحيث لا يمكن أن يعلما إلا منه ، أو لا ، فالأول هو الشرعي ، والثاني : إما أن يكتفي العقل في إدراكه من غير احتياج إلى تكرار واختيار أو لا ، فإن اكتفى العقل في إدراكه فهو العقلي ، وإن لم يكتف في إدراكه بل توقف على تكرار واختبار فهو العادي ، فمثال الحكم الشرعي في الإثبات ، الصلوات الخمس واجبة ، ومثاله في النفي ، صوم يوم عاشوراء ليس بواجب ، ومثل العقلي في الإثبات : العشرة زوج ، ومثاله في النفي السبعة ليست بزوج ، ومثال العادي في الإثبات شراب السكنجين مسكن للصفراء ، والسكنجين خل وعسل ، ومثاله في النفي : الفطير من الخبز ليس بسريع الانهضام ، والمراد بالفطير ما ليس فيه خمير ، وكل واحد من هذه الأقسام الثلاثة ينقسم إلى ضروري ونظري ، فالضروري ما يدرك ثبوته أو نفيه بلا تأمل ، والنظري ما لا يدرك إلا

---

(1) البيت لجرير بن عبد الله في ديوانه ص 68 وهو من بحر الكامل ومطلعه فيه أبني حنيفة .

(2) (أمر) سقط من م .

بالتأمل ، فمثال الحكم الشرعي الضروري الحكم بأن الصلوات الخمس واجبة ، والزنى حرام ، ونحو ذلك ، ومثال النظري : الحكم بأن اقتضاء الطعام عن ثمنه لا يجوز ، والزعفران ليس بربوي ، ومثال الحكم العقلي الضروري : الحكم بأن النفي والثبوت لا يجتمعان . ومثال نظريه الحكم بأن الواحد ربع عشر الأربعين . ومثال الحكم العادي الضروري : الحكم بأن النار محرقة ، وأن الثوب ساتر ، ونحو ذلك ، ومثال نظريه ما تقدم من مثال السكنجين والخبز والفطير .

وفائدة معرفة الضروري والنظري في الحكم الشرعي : معرفة ما يوجب إنكاره الكفر وما لا يوجبه ، فإن من أنكر ما علم من الدين ضرورة فهو كافر ، بخلاف من أنكر الخفي الذي لا يعلمه إلا القليل كاقتضاء الطعام عن ثمنه لا يجوز ، فإنه لا يحكم عليه بالكفر عند كثير من المحققين .

(العقلي) أي الذي يدرك حقيقته العقل [وهو نور يقذفه الله في قلب العبد فيصير مميزًا به بين الحق والباطل ، وينقسم إلى ثلاثة أقسام شرعي ، وعقلي ، وعادي .

فالشرعي كقولنا الصلاة واجبة ، والعقلي كقولنا الواحد نصف الاثنين ، والعادي كقولنا النار محرقة][1] ثبوته أو نفيه ، واحترز بالعقلي عن الحكم العادي والشرعي . أما الأول فهو إثبات الربط بين أمر وأمر ، وجودًا أو عدما بواسطة تكرر القران بينهما على الحس ، مثال ذلك كالحكم على النار بأنها محرقة ، فهذا حكم عادي ، إذ معنى الإحراق يقترن بمس النار في كثير من الأجسام ، بمشاهدة تكرر ذلك من الحس ، وليس معنى هذا الحكم أن النار هي التي أثرت في إحراق ما مسته أو في تسخينه ، إذ هذا المعنى لا دلالة للعادة عليه أصلاً ، وإنما غاية ما دلت عليه العادة الاقتران فقط بين الأمرين ، وقس على هذا سائر الأحكام العادية فجعلوها عقلية .

---

(1) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح و د)

قال الشيخ في المقدمات "وأقسام الحكم العادي أربعة ربط وجود بوجود كربط وجود الشبع بوجود الأكل ، وربط عدم بعدم كربط عدم الشبع بعدم الأكل ، وربط وجود بعدم كربط وجود الجوع بعدم الأكل ، وربط عدم بوجود كربط عدم الجوع بوجود الأكل" .. انتهى[1].

وأما الحكم الشرعي فهو خطاب الله ـ تعالى ـ المتعلق بأفعال المكلفين بالطلب ، أو الإباحة ، أو الوضع لهما ، فدخل في الطلب أربعة أشياء : الإيجاب : وهو طلب الفعل طلبًا جازمًا كالإيمان بالله ـ تعالى ـ ورسله وقواعد الإسلام الخمس ، والندب : وهو طلب الفعل طلبًا غير جازم كصلاة الفجر ، والتحريم وهو طلب الكف عن الفعل طلبًا جازمًا كالكفر ، والزنى ، وشرب الخمر ، والكراهة : وهو طلب الكف عن الفعل طلبًا غير جازم كقراءة القرآن في الركوع والسجود ، وأما الإباحة فهو التخيير بين الفعل والترك ، كالنكاح والبيع ونحوهما ، وأما الوضع لهما أي للطلب والإباحة فعبارة عن نصب الشرع أمارة على حكم من تلك الأحكام الخمسة الداخلة تحت الطلب والإباحة .

والأمارة ثلاثة أشياء :

سبب وهو ما يلزم من عدمه العدم ، ومن وجوده الوجود بالنظر إلى ذاته ، كالزوال ـ مثلاً ـ فإن الشرع وضعه سببًا لوجود الظهر ، فيلزم من وجوده وجوب الظهر ، ومن عدمه عدم وجوبها .

وشرط هو ما يلزم من عدمه العدم ، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته . مثاله : الحول بالنسبة إلى وجوب الزكاة في العين والماشية ، فإنه يلزم من عدم

(1) المقدمات ورقة 3 من المخطوط رقم 114 توحيد بمكتبة الأزهر الشريف ـ القاهرة .

تمام الحول عدم وجوب الزكاة فيما ذكر ، ولا يلزم من وجود تمام الحول وجوب الزكاة ولا عدم وجوبها ؛ لتوقف وجوب الزكاة على ملك النصاب ملكًا كاملاً .

ومانع هو ما يلزم من وجوده العدم ، ولا يلزم من عدمه وجود ولا عدم لذاته كالحيض ؛ لوجوب الصلاة . انتهى كلام المصنف[1] وقوله **(ينحصر)** . عبر بينحصر ولم يقل ينقسم ، لأن الانحصار يفهم منه حصر الأقسام في الثلاثة ، بخلاف الانقسام فإنه لا يفهم منه حصرها في الثلاثة إلا في ذكرها ، فالانحصار أخص ، والانقسام أعم ، فكل منحصر منقسم ، وليس كل منقسم منحصرًا ، فبعض المنقسم منحصر كهذه الثلاثة الآتية ، وبعض المنقسم ليس بمنحصر كصفات الباري ـ تعالى ـ ووجه انحصاره في هذه الثلاثة أن كل ما يحكم به العقل إما أن يقبل الثبوت فقط ، أو النفي فقط ، أو هما معًا على سبيل البدلية ، فالأول هو الواجب ، والثاني هو المستحيل ، والثالث هو الجائز .

(في ثلاثة أقسام) والمراد بالأقسام الأجزاء ؛ لأن القسمة تصدق على ذات المقسوم ، مثاله كما في أقسام الحيوان من ناطق ، وصامت ، فيصح أن تشير إلى الإنسان وحده فإنه حيوان ، وكذلك يصح أن تشير إلى شيء من الصامت كالفرس ـ مثلاً ـ فإنه حيوان ، وعليه فيكون الوجوب وحده حكمًا عقليًا ، والاستحالة وحدها حكمًا عقليًا ، والجواز وحده حكمًا عقليًا ، وذلك لا يصح ، فيتوجه الاعتراض على العبارة فيحتاج اللفظ إلى صرفه للفظ آخر صحيح ، ولذا قلنا المراد بالانقسام الأجزاء ، والتقدير : أجزاء الحكم الذي يتركب من مجموعها لا من واحد منها ثلاثة ـ والله أعلم ـ .

والمحصور في هذه الأقسام الثلاثة متعلق الحكم ، أي ما يحكم به العقل محصورة أقسامه في ثلاثة لا أكثر ، وإنما حملنا كلامه على هذا الحذف والتقدير ؛ لأن الحكم الذي هو العقلي معنى من المعاني لا يقبل التجزئة ، فالمحصورة في الأقسام الثلاثة متعلق

---

(1) ينظر : شرح أم البراهين للشيخ السنوسي ص 10 .

الحكم الذي هو النفي والإثبات ـ والله أعلم ـ قاله ابن المصري[1] .

وقال سيدي عبد القادر بن خدة هذه أقسام لمتعلق الحكم لا أنها أقسام للحكم ، إذ لو قال الحكم العقلي ينقسم إلى هذه الثلاثة لكانت أقسامًا له فيحتاج إلى تقدير المضاف ؛ ليصح صدق المقسوم على كل قسم من أقسامه كما فعل في المقدمات ، وإنما قصد هنا إلى الإخبار بانحصار الحكم العقلي في الأقسام الثلاثة بمعنى أنه لا يخرج عنها ؛ لأنها أقسام له حتى يصح صدقه عليها وهذا نحو قول القائل : انحصر حكم الحاكم أو الأمير في البلدة الفلانية بمعنى أنه لا يتعدى تلك البلدة ومعلوم أن البلدة ليست بحكم ، وإنما هي متعلقة للحكم ، وكذا قول القائل انحصرت فكرتي في ذنوبي بمعنى أنه لا فكرة له إلا الذنوب لا أن الفكرة هي الذنوب ، وإنما الذنوب متعلقة للفكرة أيضًا ، وهذا نبه عليه الشيخ السنوسي في بعض أجوبته .. انتهى .

(الوجوب) : وحقيقته عبارة عن نفي قبول العدم في العقل **(والاستحالة)** وهي عبارة عن نفي قبول الوجود في العقل **(والجواز)** وهو عبارة عن قبولهما معًا ، وهذه الثلاثة نظرية قديمة ؛ لأنها غير أي الوجوب الذي علمه الله لنفسه في أزله ، ولصفاته ولأسمائه ورسله ، والاستحالة التي[2] علم الله نفيها عن نفسه وعن رسله في أزله ، والجواز الذي علمه الله لنفسه ولرسله في أزله ، قال الديلمي لا بد من حذف مضاف في هذا الكلام تقديره إثبات الوجوب ، وإثبات الاستحالة ، وإثبات الجواز ، وإنما احتيج إلى هذا الحذف ؛ لأن الحكم العقلي ليس هو نفسه هذه الثلاثة المذكورة فلا تكون أقسامًا له ؛ لأن من شرط القسمة صدق اسم المقسوم على كل واحد من أقسامه فلا يصدق

(1) ينظر : بغية الطالبين مخطوط رقم 2015 بدار الكتب الوطنية بتونس ورقة 5 وابن المصري هو : محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد المصري ، كانت ولادته سنة 880هـ بمصر ، وكان ضريرًا ، وله مصنفات كثيرة نافعة . لم يعرف تاريخ وفاته . (ينظر : البدر الطالع ص 756) .

(2) في (أ و د) الذي ، وما أثبت من م .

على الوجوب ، أو الاستحالة ، أو الجواز اسم الحكم ، وإنما يصدق عليها أنها محكوم بها ، أي بالوجوب ، والاستحالة ، والجواز وإثباتها هو الحكم ! واعلم أن حكم تقديم أحد الثلاثة على الذي يليه لفائدة ، فحكمة تقديم الواجب شرفه ، وحكمة إتيانه بالمستحيل عقبه ؛ لأنه ضده ، وثلث بالجائز ؛ لأنه مستو طرفاه أي أخذ طرفًا من الواجب وطرفًا من المستحيل فرتبته التأخير . فإن قيل ومن لنا على انحصار القسمة في ثلاثة ولا رابع قيل الزائد المدّعَى لا يخلو إما أن يقبل الثبوت والانتفاء معًا ، أو يقبل الثبوت فقط ، أو قبل الانتفاء فقط ، فالأول الجائز ، والثاني الواجب ، والثالث المستحيل ، ولا رابع لها قاله شيخنا محمد الخرشي في شرحه .

معنى الواجب

(فالواجب) : هذا الجواب واقع في جواب شرط محذوف ، والشرط وجوابه جواب عن سؤال مقدر محذوف ، كأن قائلاً قال يا سيدي أنت قلت الحكم العقلي ينحصر في ثلاثة أقسام : الوجوب ، والاستحالة ، والجواز ، ما حقيقة الواجب العقلي وبأي شيء يعرف عن قسميه ؟ أجاب بقوله : إن أردت معرفة الواجب العقلي وما يتميز به من قسيميه فالواجب العقلي **(ما)** أي الذي **(لا يُتصور)** بالبناء للمجهول لا يدرك **(في العقل عدمه)** يعني أن حقيقة الواجب العقلي هو ما لا يتصور في العقل عدمه أي ما لا يدرك في العقل نفيه عن شيء اتصف به ، سواء كان وجوديًا كذات مولانا ، أو نفييًا كالقدم ، ونفي الشريك ، فلا يرد شيء على الحد فيكون مطردًا ومنعكسًا ، وله مثالان ضروري ونظري . أما الضروري أي ابتداء بلا تأمل كالتحيز للجرم ، وهو أخذه قدر ذاته من الفراغ فإن ثبوت هذا المعنى لا يتصور في العقل ضرورة نفيه ، ونظير هذا في الجواب الضروري كون الاثنين أكثر من واحد ، وإما نظرًا أي بعد تأمل كثبوت القدم لمولانا ـ تبارك وتعالى ـ فإنه لا يتصور في العقل نفيه عنه ـ جل وعلا ـ لكن بعد التأمل

فيما ترتب على نفيه من المستحيلات كالدور[1] والتسلسل[2] وتعدد الإله وتخصيص كل واحد منهم بنوع من الممكنات بلا مخصص ، ونظير هذا في الوجوب النظري كون الواحد ربع عشر الأربعين ، وهذا هو الواجب الذاتي ، وأما الواجب العرضي وهو ما يجب لتعلق إرادة الله ـ تعالى ـ كتعذيب أبي جهل ـ لعنه الله ـ فإنه بالنظر إلى ذاته جائز في العقل وجوده وعدمه ، وبالنظر إلى ما أخبر به الصادق المصدوق ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من إرادة الله ـ تعالى ـ بعذابه هو واجب لا يتصور في العقل عدمه ، وإنما لم يحتج إلى تقييد الواجب بالذاتي ؛ لأنه عند الإطلاق لا يحمل إلا على الذاتي ، ولا يحمل على العرضي إلا بالتقييد . انتهى من شرح المقدمات للمؤلف[3] . والعقل لغة المنع ، من عقل البعير وهو منعه بالعقل من أن يقوم ، ويمنع صاحبه من الرذائل والقبائح .

وعرفا[4] هو : قوة للنفس بها يستعد للعلوم والإدراكات ، وعرفه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي[5] بأنه : صفة يميز بها بين الحسن والقبيح ، وهو معنى قول الشافعي : إنه آلة التمييز ، وأقوال أهل السنة مطابقة على عرضيته ، وجلها أنه من قبيل العلوم ، والذي عليه المحققون تفاوت العقول ، ومحله القلب ، ونوره في الدماغ كما ذهب إليه مالك والشافعي وجمهور المتكلمين ، وهو الصحيح الذي تدل عليه نصوص الشريعة ، قال

---

(1) الدور هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه ، ويسمى : الدور المصرح ، كما يتوقف أ على ب ، وبالعكس ، أو بمراتب ويسمى الدور المضمر كما يتوقف أ على ب ، و ب على ج ، و ج على أ . (ينظر : التعريفات للجرجاني 1/ 140) .

(2) التسلسل هو : ترتب أمور غير متناهية . (ينظر : المنهج السديد ص 52 هامش) .

(3) ينظر : حاشية الدسوقي على أم البراهين ص 43 .

(4) ذكر الجرجاني للعقل تعريفات عدة منها : جوهر روحاني ، وقيل نور في القلب وقيل جوهر مجرد عن المادة يتعلق بالبدن وقيل قوة للنفس الناطقة . (ينظر : التعريفات 1/ 196) .

(5) هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروز أبادي الشيرازي العلامة المناظر . ولد في فيروز أباد بفارس ، وانتقل إلى الشيراز فالبصرة فبغداد . له المهذب في الفقه ، والتبصرة في الأصول توفي ببغداد سنة 476هـ (ينظر : وفيات الأعيان 1/ 22 ، والأعلام 1/ 51) .

تعالى : ﴿ وَلَـٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾[1] وأما فساده لفساد الدماغ فلا يدل على أنه محله ، كما نقله أكثر الحكماء وبعض الفقهاء ؛ لجواز أن يكون سلامة الدماغ شرطًا في اتصال القلب به عادة وابتداؤه عند نفخ الروح ، ولا يزال ينمو للبلوغ ، وتنتهي زيادته لأربعين ، وهل على هذا القول بأن له حقيقة تدرك ؟ وقيل ليس له حقيقة تدرك وهو مما استأثر الله بعلمه كالروح . انظر اللقاني[2] .

معنى المستحيل

(والمستحيل) العقلي **(ما)** أي الذي **(لا يتصور)** أي لا يدرك **(في العقل وجوده)** أي ثبوته لأن القدم ونحوه من السلوب لا يتصور في العقل وجودها ، بل يتصور ثبوتها للمولى ـ تبارك وتعالى ـ واتصافه بها لا أنه معنى موجود في الخارج ، وكذلك الأحوال كالعالمية لا يتصور في العقل وجودها ، مع أنها ليست مستحيلة بل واجبة ، نعم يتصور ثبوتها فيصح طرد الحد إلا أنه يرد عليه الشك والظن من المستحيلات ، ويتصور وجودها لا ثبوتها له . قوله وجوده : صوابه ثبوته ، بدليل قوله بعد لا يتصور ثبوت هذا المعنى للجرم . قال الشيخ أحمد المقري : وله مثالان ضروري ونظري ، فالضروري كتعري الجرم عن الحركة والسكون أي خلوه عنهما معًا بحيث لا يوجد فيه واحد منهما ، فإن العقل ابتداء لا يتصور فيه ثبوت هذا المعنى للجرم ، ونظيره كون الاثنين ـ مثلاً ـ ربع الأربعة ونصف الثمانية ، أو نحو ذلك من المستحيلات الضرورية ، وأما نظريًا كالشريك لمولانا ـ جل وعلا ـ فإن استحالته لا يدركها العقل إلا بعد سبق النظر فيما يترتب على ذلك من المستحيلات كالدور ، والتسلسل ، وغير ذلك من المستحيلات

(1) سورة الحج: الآية 46 .

(2) (اللقاني) سقط من أ و ج و م وما أثبت من د ، وينظر : تحفة المريد ص 182 .

ونظيره كون الواحد نصف عشر الأربعين - مثلاً - في كونه لا يدرك إلا بعد التأمل وسبق النظر . هذا هو المستحيل الذاتي ، وأما المستحيل العرضي فهو من القبيل الجائز كاستحالة إيمان أبي جهل لما عرض له من إرادة الله - تعالى - لعدمه .

معنى الجائز

(و) إن أردت معرفة (**الجائز**) العقلي وما يتميز به عن قسيميه فالجائز العقلي (**ما**) أي الذي (**يصح في العقل وجوده و**) يصح في العقل (**عدمه**) معناه أن الجائز هو الذي لا يلزم على تقديره على البدلية محال لذاته ، أي لا يترتب على تقدير وجوده ولا على تقدير عدمه محال لذاته ، وهو على خمسة أقسام : جائز مقطوع بوجوده كنعيم أهل الجنة في الجنة ؛ لأنه وعد الله ، والله لا يخلف وعده ، وجائز مقطوع بعدمه كدخول من مات كافرًا الجنة ؛ لأن الكافر لا يناله غفران قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾[1] وجائز محتمل الأمرين كوقوع الطاعة ، وجائز مشكوك فيه كقبول الطاعة وفوزنا بحسن الخاتمة ، وجائز جوزه الشرع كسائر المباحات .

الكلام على الرؤية

ومن الجائز رؤية الباري - جل ثناؤه - ومعنى كون الرؤية جائزة في حقه - تعالى - أنه يجوز عقلاً أن تتعلق قدرته بإيجادها لخلقه ، فيخلقها لهم على وفق مراده ، ويجوز عقلاً أن يخلقها لهم فلا يستحيل خلقها ولا يجب ، وهو مذهب أهل السنة بجواز ذلك عقلاً وسمعًا ، خلافًا لجميع الفرق ، إلا أن السمع جاء بالوعد به في الآخرة ، والمنع في الدنيا ، أما الجواز العقلي فلأن علة الرؤية الوجود ، فإذا جازت رؤية موجود جازت

---

(1) سورة النساء ، الآية 48 .

رؤية كل موجود ، وقد سأل موسى ربه أن يراه ولا يجهل نبي ما يجوز على بارئـه ، لكونـه معصومًا من ذلك قطعًا ، فسؤال موسـى ـ عليـه السـلام ـ دليـل عـلى إمكانهـا وعـدم امتناعها ، قالوا ومن الحكمة في ذلك أنه لو رآه المطيع لقال العاصي لـو رأيتـه لعبدتـه ، ولو رآه العاصي وحده لكان أفضل من المطيع ، ولو رأياه معًا لبطل سر الاختـصاص ، وأيضًا فالرؤية أكبر الكرامات والدنيا محل العلل والآفات ، فلو رآه الخلق لاشتغلوا بـه عن معاشهم فأدى ذلك إلى ضررهم . فعروس الأحديـة لا تـرى بهـذه الـدار الدنيـة ، والمحققون على أنه ـ عليه السلام ، "رآه بعيني رأسه ليلة الإسراء"[1] وقاله ابن عبـاس وتبعـه أحمـد وغـيره وأنكرتـه عائـشة ـ رضي الله عنهـا ـ مـستدلة بقولـه تعـالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ﴾[2] ورد بأن الممتنـع الإدراك المفـضي للإحاطـة وأن قوله : ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ﴾ يقتضي الرؤيـة لأنـه يـري نفـسه لمخلوقاتـه (**بـأَن ينكشِفَ لَهم انكِشافَ القَمَرِ لَيلَةَ البَدرِ**)[3] كـما صـح ورواه أحمـد وعـشرون مـن أكـابر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ودل عليه قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾[4] بالـضاد أي ناعمة ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[5] بالظاء المشالة من النظر الذي هو الرؤية وقولـه تعـالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[6] إذ اقتضت الآية أن المـؤمنين ليـسوا كـذلك وقد قالوا في قوله : كما ترون القمر ليلة البدر . إنه شبه النظر بالنظر ، لا المنظور بالمنظور ،

---

(1) في الرؤية أحاديث ، ولكنها ليست صريحة في تعيينها بالعين في اليقظة وقد ورد حديث الرؤية في صحيح مسلم كتاب الإيمان عن أبي سعيد الخدري . (ينظر : صحيح مسلم بشرح النووي 3/ 25) .

(2) سورة الأنعام ، الآية 103 .

(3) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري 2/ 292 كتاب الأذان ، ومسلم في صحيحه بشرح النووي كتاب الإيمان 3/ 17 .

(4) سورة القيامة ، الآية 22 .

(5) سورة القيامة ، الآية 23 .

(6) سورة المطففين ، الآية 15 .

فقال بعضهم : هي رؤية وجود لا أنه في مكان محدود وقد مر أن رؤيته ـ تعالى ـ في الدنيا ممنوعة سمعًا وذلك بالبصر لا بالقلب ، وفي اليقظة لا في النوم ؛ لأنها بالقلب جائزة بلا خلاف حتى قال عمر ـ رضي الله عنه ـ : رأى قلبي ربه .وهي في النوم نوع مكاشفة للروح بلا خلاف في جوازها ، ورويت عن كثير من السلف والأئمة كأحمد بن حنبل والترمذي الحكيم وعلي بن الموفق من الصوفية وغيرهم . انتهى من شرح سيدي أحمد زروق لعقيدة الغزالي[1] باختصار ، وبأشياء تخللت ألفاظه من غيره . ومن الجائزات إرسال الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ على مذهب أهل السنة ، خلافًا للمعتزلة ، لأن بعضهم ذهب إلى وجوب إرسال الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ على مذهبهم الفاسد بمراعاة الصالح والأصلح ، وذهبت البراهمية[2] إلى استحالة إرسال الرسل . والجائز على قسمين ضروري ونظري ، أما الضروري كالحركة لنا معشر الأجرام ، فإنها يدرك ثبوتها للجرم بالمشاهدة بلا تأمل ، وأما النظري كتعذيب من أطاع الله ولم يعصه قط . . فإن هذا في الابتداء قد ينكر جوازه ، بل يتوهمه مستحيلاً كما توهمه المعتزلة ، وأما بعد النظر في وحدانيته ـ تعالى ـ وانفراده بخلق جميع الكائنات وإرادتها وإبرازها بلا واسطة خيرًا كانت أو شرًا . وأن الأفعال كلها بالنسبة إليه سواء ، لا نفع له ـ تعالى ـ في طاعته ولا ضرر ولا نقص يلحقه ـ جل وعز ـ بكفر كافر ، ولا معصية عاص ، ولا حجر عليه ولا حكم لأحد عليه ، فنعلم حينئذ على القطع أن ما رتبه على الكفر من العذاب الأليم ، وعلى الطاعة من النعيم المقيم لو عكس ـ تعالى ـ في ذلك ولم يرتب ـ جل وعلا ـ عليهما شيئًا أصلاً لم يلزم على ذلك بالنظر إلى حقيقة الطاعة والكفر نقص ولا محال أصلاً . وقدم المصنف رضي الله عنه ـ الواجب ؛ لشرفه ، إذ به

---

(1) ينظر : اغتنام الفوائد للشيخ زروق مخطوط بمكتبة الأزهر تحت رقم : 374/ 5125 ورقة رقم 11 .

(2) البراهمية : فرق انتسبت إلى رجل يقال له براهم ، هو ينفي النبوات أصلاً . (ينظر : الملل والنحل للشهرستاني 2/ 250) .

يتصف المولى ـ جل وعلا ـ ولأن منه يعرف المستحيل والجائز في حقه ـ تعالى ـ وقدم المستحيل على الجائز ؛ لأنه أقرب إلى الواجب ؛ لأنه يقابله ، وأخر الجائز بما يثبت للواجب من الثبوت ، وما يثبت للمستحيل من النفي ، فهو مركب منهما . والواجب والمستحيل أشبه بسيطين لم يثبت لكل واحد منهما إلا أحد الأمرين ، ولا شك أن رتبة البسيطين تكون قبل المركب .

ولما انقضى كلامه ـ رضي الله عنه ـ على ما جعله مقدمة ووسيلة للمقصود ، شرع في ذكر المقصود الذي هو معرفة الله ـ تعالى ـ ومعرفة رسله ؛ لأنها أصل الدّين ، وعليها تبنى قواعده ، لأن قواعد الإسلام خمس ، فلا ثبوت لواحد من الأربعة إلا بثبوت ذلك الأصل فقال :

(**ويجب**) أي يفرض ، إذ يجب ويفرض ويتعين ويلزم ألفاظ مترادفة معناها واحد ، والواجب معناه لغة : السقوط ، ومنه وجبت الشمس ، ﴿ وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ﴾[1] وفي الحديث : (**إِذَا وَجَبَ الْمَرِيضُ فَلاَ تَبْكِيَنَّ بَاكِيَةٌ**)[2] ، والوجوب في الشرع اقتضاء فعل غير كف يتضمن تركه في جميع أوقاته سبب العقاب ، وهو على قسمين وجوب عيني ، وهو ما لا يسقط فيه الطلب في من لم يفعل بفعل غيره ، وكفاية وهو بخلافه ، وعبر ـ رحمه الله ـ بالمضارع لكونه أبلغ من الماضي ؛ لدلالته على الدوام والاستمرار . ولما كانت أفراد المكلف لا تنحصر أتى الشيخ ـ رحمه الله ـ بكلية شملت جميع أفراد المكلف فقال : (**على كل مكلف**) الكل هنا من باب الكلية التي هي الحكم فيها على كل فرد ، وهو وجوب الأعيان لا من باب الكل الذي هو وجوب الحكم فيه على المجموع ، وهو

---

(1) سورة الحج آية : 36 وفي قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

(2) رواه مالك في الموطأ بشرح الباجي 2/ 25 كتاب الجنائز باب النهي عن البكاء على الميت ، والنسائي في سننه كتاب الجنائز عن جابر بن عتيك 4/ 13 ، وأبو داود في سننه 3/ 188 .

فرض الكفاية ؛ لأن معرفة الله واجبة على كل فرد من الأفراد المكلفين ، والمكلف هو البالغ العاقل الذاكر القادر الذي بلغته الدعوة ، وخرج بالمكلف غيره فلا يجب عليه ما ذكر على الأصح ، والصواب أن العبيد والنسوان والعوام والخدم مكلفون بمعرفة العقائد على الأصح متى كان فيهم أهلية فهمها ، وإلا كفاهم التقليد .

والصحيح أن الإنسان مركب من الروح والبدن ، وأنه مكلف بكل من جزئيه ، فحظ الروح من التكليف هو الإيمان ، وحظ البدن منه هو الإسلام ، فكما أن البدن لا يقوم إلا بالروح ، كذلك الإسلام لا يقوم إلا بالإيمان ، وكما أن الروح لا يكسب كمالًا إلا بالبدن ، كذلك الإيمان لا يكسب كماله إلا بالإسلام .

والمكلف اسم مفعول لمن وقع عليه التكليف ، والتكليف هو إلزام ما فيه كلفة من الأوامر والنواهي ، أو طلب ما فيه كلفة ، على القول الآخر .

فيدخل في الأول الواجبات والمحرمات فقط ، ويدخل في الثاني الواجبات ، والمندوبات ، والسنن ، والمحرمات ، والمكروهات ، والمباحات ، فكل إلزام طلب ، وليس كل طلب إلزامًا ، فبعض الطلب إلزام كالواجبات ، والمحرمات ، وبعض الطلب ليس بإلزام كالمكروهات ، والمندوبات ، والسنن ، والمباحات ، قاله العلامة النووي في شرح مسلم[1] .

الثاني هو المشهور ، والأول لابن أبي شريف وجماعة انتهى . وبعبارة أخرى : المراد بالمكلف من يعد من الثقلين ذكرًا كان أو أنثى ، حرًا كان أو رقيقًا ، مسلمًا كان أو كافرًا ، إنسيًا كان أو جنيًا ، على ما حكى عليه الإجماع السبكي من بعثة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - للجن خلافًا لمن وهم فيه ، وأما بقية الرسل - عليهم الصلاة والسلام - فلم يرسل أحد منهم إليهم كما ، قاله الكلبي . احترز بالثقلين عن الملائكة ؛ لأن

(1) ينظر : صحيح مسلم بشرح النووي 1/ 204 .

معرفتهم لأحكام الألوهية ضرورية في حقهم فلا يكلفون بها ، ولو على القول بخطابهم بأحكام شريعتنا ، إذ لا تكليف إلا بفعل اختياري ، قاله بعض المتأخرين . تنبيه ـ قال البرهان الحلبي[1] : فائدة : الجن أولاد إبليس كما أن الإنسان أولاد آدم ، والكفار منهم شياطين ولهم ثواب وعقاب واختلف في دخولهم الجنة فالعموميات تقتضيه ، وبه قال الشافعي وغيره ، وأما أبو حنيفة فعنه روايتان : الأولى التردد ، وقال لا أدري أين مصيرهم ، والثاني يصيرون يوم القيامة ترابًا . وقيل ليسوا بشياطين ، ومنهم كافر ومؤمن ويموتون والشياطين ليسوا منهم ، وليسوا بمؤمنين ، ولا يموتون إلا مع إبليس ، وروي عن وهب بن منبه أنه قال : الجن أجناس فخالص الجن لا يأكلون ، ولا يشربون ولا يتناكحون ، ومنهم من يأكل ويشرب ، وينكح ويولد ، ومنهم الغيلان[2] والسعالي[3] والغطارفة[4] ، ذكر ذلك المحب الطبري[5] عن وهب بن منبه ، وقد اختلف في أنهم يأكلون حقيقة أم لا ، فزعم بعضهم أنهم يتغذون بالشم ويرد هذا ما في

---

(1) ينظر : عمدة المريد لإبراهيم اللقاني ورقم 47 والبرهان الحلبي هو : الحافظ أبو الوفاء إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي الأصل الشافعي . تخرج بالحافظ العراقي . له تصانيف منها : شرح البخاري ، وشرح الشفا للقاضي عياض . توفي سنة 841هـ . (ينظر : ذيل الطبقات ص 379) .

(2) الغيلان : جمع غُول ـ بضم الغين ـ وهو من السعالي ، وكل ما اغتال الإنسان فأهلكه ، والغضب غول الحلم ؛ لأنه يذهب به . (مختار الصحاح ص 484 مادة غول) .

(3) والسعالي : جمع سعلاة وهي الغول أو ساحرة الجن (القاموس المحيط 3/ 407 مادة سعل) .

(4) والغطارفة : جمع غطريف وهو العابث (القاموس المحيط 3/ 187 مادة غطرف) والغطريف أيضًا السيد قال عبد المسيح الغساني لما بعثه كسرى إلى سطيح الكاهن :

أصم أم يسمع غطريف اليمن   أم فاد إن لم به شأو العنن

(ينظر : شرح الوسطى للشيخ السنوسي مخ رقم 135 بدار الكتب الوطنية ، تونس) .

(5) هو الإمام المحدث فقيه الحرم أبو العباس أحمد بن عبد الله بن أبي بكر المكي الشافعي مصنف الأحكام الكبرى . ولد سنة 615هـ . وتوفي سنة 694هـ (ينظر : طبقات الحفاظ للسيوطي ص 540 ، ومعجم المفسرين 1/ 45) .

الحديث : (يصيرُ العظمُ كَأَوفرِ مَا كَانَ لحمًا والرَّوْثُ لِدَوَابِّهِم)[1] ولا يصير كـذلك إلا للأكل حقيقة ، وهو الراجح عند جماعة من العلماء ، ومنهم من قال هما طائفتان طائفة تشم ، وطائفة تأكل ، ثم قال : فائدة ، سمعت مـن شـيخنا شـيخ الإسـلام البلقينـي سراج الدين نقل عن الحارث بن أسد المحاسبي بعد أن رجح شـيخنا أنهـم يـدخلون الجنة ، قال يكونون في أسفل الجنة ، ونـراهم ولا يروننـا عكـس الـدنيا ، انتهـى وفي تذكرة القرطبي[2] في باب ما جـاء أن للجنـة ربـضًا ورحابًـا عـن الزهـري والكلبـي ومجاهد إن مؤمني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها .. انتهى . قاله شيخ الإسلام إبراهيم اللقاني في شرح الجوهرة[3] .

(شرعًا) متعلق بقوله يجب ، يعني أنه يجب عندنا بالشرع عـلى جميـع المكلفـين مـن الثقلين معرفة ما يجب لله ـ تعالى ـ عقلاً وما يجوز في حقه سبحانه كـذلك ، ومـا يمتنـع عليه ـ سبحانه ـ كذلك ، ولو بدليل إجمالي يخرج المكلف بـه مـن التقليـد للإجمـاع عـلى ذلك والنصوص الـواردة بـه كقولـه تعـالى : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[4] وخـبر : (أمِرْتُ أنْ أُقَاتِل النَّاس حتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إلاَّ الله)[5] الحـديث وهـو متـواتر ، ولقولـه

---

(1) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري عن أبي هريرة كتاب مناقـب الأنـصار بـاب ذكـر الجـن 7/ 171 والترمذي في سننه عن ابن مسعود كتاب التفسير 5/ 221 بلفظ : "كل عظم يذكر اسـم الله عليـه يقـع في أيديكم أوفر ما كان لحمًا" وقال حديث حسن صحيح .

(2) ص 420 .

(3) ينظر : عمدة المريد ورقة 47 .

(4) سورة محمد ، آية 19 وتمامها قولـه : ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾ .

(5) رواه البخاري في صحيحة بفتح الباري عن عمر كتاب الزكاة 3/ 262 ومسلم في صحيحه بشرح النووي عن أبي هريرة كتاب الإيمان 1/ 210 .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (إِنَّ اللهَ[1] أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ)[2] رواه مسلم . ومعلوم قطعًا أن المرسلين لم يؤمروا بالتقليد ، وإنما أمروا بالمعرفة فقبل ورود الشرع لا حكم أصلاً كما تقدم لا أصليًا ولا فرعيًا ، وهو المنقول عن الأشاعرة ، وجمع من غيرهم ، وبه صرح إمام الحرمين حيث قال : إذ لا تعبد أي لا تكليف أصلاً وفرعًا إلا بعد البعثة ، وأخرج بقوله شرعًا : مذهب المعتزلة القائلين بأن معرفة الله واجبة عقلاً بناء على أصل مذهبهم الفاسد من التحسين العقلي الذي بطلانه لا يخفى ـ عافانا الله من الضلالة بمنه وكرمه ـ فالخلاف إنما هو في طريق وجوب المعرفة هو الشرع أو العقل ، فبعد ورود الشرع تكون واجبة اتفاقًا من الفريقين ، كما أنها متى حصلت كفت عندنا ، كما حصلت لقس بن ساعدة الأيادي ، وزيد بن عمرو بن نفيل ممن تنصر في الجاهلية ، فإنهم ناجون على الصحيح ، وقوله شرعًا : قال سيدي عبد القادر منصوب على الحال ، ويحتمل أن يكون منصوبًا على التمييز ، وعلى إسقاط الخافض[3] .

حقيقة المعرفة وحكمها

(أن يعرف) حقيقة المعرفة : الجزم المطابق لما في نفس الأمر عن ضرورة أو برهان ، فقوله الجزم احترز به عن الظن ، وهو الاحتمال الراجح ، وعن الشك وهو الاحتمال المساوي ، وعن الوهم وهو الاحتمال المرجوح ، فلا يكفي عن المكلف فيما طلب اعتقاده منه في حقه ـ تعالى ـ وفي حق رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وقوله المطابق احترز به عن المجهول المركب ، ويسمى الاعتقاد الفاسد ، فإنه جزم غير مطابق لما في

---

(1) (إن الله) سقط من أ .

(2) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي عن أبي هريرة كتاب الزكاة . 7/ 100 ، والترمذي في سننه 5/ 220 .

(3) ينظر : حاشية ابن خدة مخطوط رقم 8523 بدار الكتب الوطنية بتونس ورقة رقم 3 .

نفس الأمر ، كجزم الفلاسفة بقدم الأفلاك وكجزم النصارى واليهود بسلامتهم من الخلود في النار يوم القيامة ، فالإجماع أيضًا على كفر صاحبه ، وأنه آثم غير معذور ، ومخلد في النار ، اجتهد أو قلد ، ولا يغني خلاف ذلك ، وقوله عن ضرورة أو برهان احترز به عن التقليد ، وهو في اللغة العمل بقول الغير بلا حجة ، فالشيخ نص[1] على وجوب المعرفة ، وعدم الاكتفاء بالتقليد . ذهب جمهور أهل العلم كالشيخ الأشعري والقاضي أبي بكر الباقلاني وإمام الحرمين وحكاه ابن القصار عن مالك أيضًا ، ثم اختلف الجمهور القائلون بوجوب المعرفة فقال بعضهم : المقلد مؤمن إلا أنه عاص بترك المعرفة التي ينتجها النظر الصحيح ، وقال بعضهم : إنه مؤمن ولا يعصي إلا إذا كانت فيه أهلية لفهم النظر الصحيح[2] ، وقال بعضهم : المقلد ليس بمؤمن أصلاً ، وقد أنكره بعضهم ، ولإمام الحرمين في الشامل[3] تقسيم المكلفين إلى أربعة أقسام فمن عاش بعد البلوغ زمانًا يسعه النظر ، ونظر لم يختلف في صحة إيمانه وإن لم ينظر لم يختلف في عدم صحة إيمانه ، ومن عاش بعده زمانًا لا يسعه النظر ، وشغل ذلك الزمان اليسير بما يقدر عليه فيه من بعض النظر لم يختلف في صحة إيمانه قولان ، والأصح عدم الصحة ، قلتُ ولعل هذا التقسيم إنما هو في حق من لا جزم معه بعقائد الإيمان أصلاً ولو بالتقليد ، وذهب غير الجمهور إلى أن النظر ليس بشرط في صحة الإيمان ، بل ليس بواجب أصلاً ، وإنما هو من شروط الكمال فقط ، وقد اختار هذا القول الشيخ العارف الولي ابن أبي جمرة[4]

---

(1) ينظر : هذا النص في شرح الشيخ السنوسي على أم البراهين ص 14 .

(2) ورجح إبراهيم اللقاني هذا الرأي . ينظر : عمدة المريد ورقة 59 .

(3) لا يوجد في الجزء المطبوع من الشامل هذا التقسيم وإنما يوجد به وجوب النظر المبني على النصوص الشرعية وليس بناء على الأدلة الفعلية ينظر : ص 27 .

(4) ينظر : بهجة النفوس 1/ 41 . وابن أبي جمرة هو : عبد الله بن أبي جمرة له اختصار صحيح البخاري وشرحه بأسلوب جيد . أخذ عن جماعة منهم أبو الحسن الزيات . له كرامات ، توفي سنة 699هـ . (ينظر : كفاية المحتاج ص 155 وشجرة النور الزكية ص 199) .

والقشيري وابن رشد[1] والإمام أبو حامد الغزالي[2] وجماعة . والحق الذي يدل عليه الكتاب والسنة وجوب النظر الصحيح ، مع التردد في كونه شرطًا في صحة الإيمان أو لا ، والراجح أنه شرط[3] وقد استشكل القول بأن المقلد ليس بمؤمن ؛ لأنه يلزم عليه تكفير أكثر عوام المؤمنين ، وهو معظم هذه الأمة ، وذلك مما يقدح فيما علم أن سيدنا ونبينا ومولانا محمداً[4] ـ صلى الله عليه وسلم ـ أكثر الأنبياء أتباعًا ، وورد أن أمته المشرّفة ثلثا أهل الجنة . وأجيب بأن المراد بالدليل الذي تجب معرفته على جميع المكلفين هو الدليل الجُملي ، الذي يحصل في الجملة للمكلف العلم والطمأنينة بعقائد الإيمان ، بحيث لا يقول قلبه فيها سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته ، ولا يشترط معرفة النظر على طريق التكميل من تحرير الأدلة ، وترتيبها ، ودفع الشبه الواردة عليها ، ولا القدرة على التعبير عما حصل في القلب من الدليل الجملي الذي حصلت به الطمأنينة ، ولا شك أن النظر على هذا الوجه غير بعيد حصوله لمعظم هذه الأمة ، أو لجميعها قبل آخر الزمان الذي يُرفع فيه العلم النافع ، ويثبت فيه الجهل المضر[5] ولا يبقى فيه التقليد المطابق فضلاً عن المعرفة عند كثير ممن يظن به العلم ، فضلاً عن كثير من العامة ، ولعلنا أدركنا هذا الزمان بلا ريب ـ والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[6] ـ انتهى باختصار .

(1) ينظر : نصه في المقدمات 1/ 60 . وابن رشد هو محمد بن أحمد بن رشد ، أبو الوليد قاضي الجماعة بقرطبة من أعيان المالكية ، له تآليف منها : المقدمات الممهدات ، والبيان والتحصيل ، وغيرهما ، توفي سنة 520هـ . (ينظر : شجرة النور الزكية 129 ، والأعلام 5/ 316) .

(2) ينظر : المواقف للأيجي ص 71 ، والإرشاد للجويني ص 8-11 .

(3) ينظر : شرح أم البراهين للشيخ السنوسي ص 15 .

(4) (ومولانا) سقط من م .

(5) (المضرّ) سقط من أ و د .

(6) (العلي العظيم) سقط من أ و ح .

قال الجلال المحلي[1] : وقد اتفقت الطرق الثلاثة يعني الموجبة للنظر ، والمعرّفة ، والمجوّزة على صحة إيمان المقلد ، وإن كان آثمًا بترك النظر على الأول .

ومحل هذا الاختلاف في غير النظر الموصل لمعرفة الله ـ تعالى ـ وأما الموصل إليها فواجب إجماعًا ، كما أن الخلاف إنما هو فيمن نشأ في شاهق جبل ـ مثلاً ـ ولم يتفكر في ملكوت السموات والأرض ، فأخبره إنسان غير معصوم بما يفترض عليه اعتقاده فصدقه فيما أخبره به بمجرد إخباره من غير تفكر ولا تدبر ، وليس الخلاف فيمن نشأ في ديار الإسلام من الأمصار ، والقرى ، والصحاري ، وتواتر عندهم حال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما أتى به من المعجزات ، ولا في الذين يفكرون في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، فإنهم من أهل النظر والاستدلال .

ثم الخلاف في إيمان المقلد إنما هو النظر إلى أحكام الدنيا ، فالإيمان للكافر فيها هو الإتيان على ما يدل عليه الإقرار ، وهو الشهادتان على الاختيار ، فمن أقر أجريت عليه الأحكام الإسلامية في الدنيا ، ولم يحكم بكفره إلا إن اقترن به قيد على كفره كالسجود للصنم ، ونحوه قاله الشيخ عبد السلام في شرح عقيدة الجزائري[2] وفي شرح عقيدة أبيه[3] .

تنبيه ـ المراد بمعرفة الله تمييزه عن خلقه بما يجب له ، أو يستحيل ، أو يجوز لا معرفة الكنه والحقيقة ، فهي معجوز عنها ، فلسنا مكلفين بها ، حارت عقول الورى طرًّا

---

(1) ينظر : المواقف للأيجي ص 71 والجلال المحلي هو محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي ، أصولي مفسر كان صداعًا بالحق ، يواجه الظلمة والحكام . له تفسير لم يتمه وأتمه جلال الدين السيوطي سمي تفسير الجلالين ، وألف في الفقه والأصول . (ينظر : البدر الطالع ص 631 ، والأعلام 6/ 333).

(2) هي منظومة في التوحيد لامية القافية ، للشيخ السنوسي عليها شرح اسمه "كفاية المريد (ينظر : ص 32 من هذا الكتاب) .

(3) ينظر : إرشاد المريد مخطوط رقم 4411 بمكتبة الأزهر الشريف ورقة رقم 28أ .

وعجزت عن جلاله ـ تعالى ـ انتهى قال الأبي ناقلاً عن عياض : عقيدة[1] الإيمان الموقوف عليها دخول الجنة ، هي الاعتراف بوقوع الجزاء عليه في الدار الآخرة ، انتهى . ابن التلمساني[2] : قد قامت البراهين على وجوب واجب الوجود لذاته ، ليس بجوهر ، ولا عرض ، منزه عن الأين ، والمتى ، والموضع ، والكيف ، والكم ، وأن كل ما يخطر بالبال أو يتوهم بالخيال فهو خلافه ـ سبحانه وتعالى ـ وأن حياته بغير مزاج ، وفعله بغير علاج ، وأن علمه لا يوصف بضرورة ولا نظر ، وإرادته لا عن فكرة وتردد ، وأنه يرى من غير حدقة ولا مقابلة ، ويسمع من غير أصمخة ولا آذان ، ويتكلم بلا حرف ولا صوت . ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[3] فجميع صفاته كذلك ، ووجب اعتقاد ذلك والإيمان به ، وإن نازع العقل الوهمُ بعدم نظره . صح من حاشية المقّري . روى عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أنه مر ذات يوم بصحراء فوجد فيها راعيًا يرعى غنمًا فسلم عليه فرد عليه السلام ، فقال له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يا راعي من تعبد ؟ فقال أعبد مقلب القلوب والأبصار ، فقال له : بماذا عرفت ربك ؟ فقال : يا صبيح الوجه نظرت إلى السماء وإلى النجوم ، وإلى الليل ، والنهار ، فعلمت أن لهم صانعًا صنعهم ، وخالقًا خلقهم ، ومن ذلك أني رجل راع مع غنم أرعاها فإن أنا غبت عنها شردت ، وجاعت وعطشت ، وإن أنا رجعت إليها دللتها على طريق الصواب ، فلما قست ذلك في خاطري أقررت أنه الله الذي لا إله إلا هو[4] رب السموات والأرض ، قال : فعجب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ منه ، ثم قال له بماذا عرفت نبيك ؟ قال : يا صبيح الوجه ألا ترى أن الحديث الكذب عندنا يتناقص ، والصحيح يتزايد ،

---

(1) هكذا في جميع النسخ (عقيدة) ، ولعل الصواب حقيقة .

(2) ينظر : إرشاد المريدين ص 117 .

(3) سورة الشورى ، الآية 11 .

(4) في أ (أنه لا إله إلا الله الذي هو) ، وفي و (لا إله إلا هو) .

وأحاديث هذا النبي كل يوم في زيادة فلما تحققت ذلك أقررت أنه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال فقال له النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فها أنا إذًا نبيك ، **فقام الراعي** فقبل يده ، وقال للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يا خير البشر)[1] صح من المختار من شفاء القلوب بواسطة[2] .

(ما) أي الذي **(يجب)** ومعنى يجب الأول بمعنى يفرض ، وهذا بمعنى الواجب فالأول يقابله الندب ، والتحريم ، والكراهة . وهذا يقابله المستحيل والجائز **(في حق مولانا)** أي سيدنا ومالكنا **(جل)** أي اتصف بالرفعة التي لا تماثل ، ومعناه عظم **(وعز)** : أي المنفرد بصفات الجلال .

(وما يستحيل) : هو امتداد العشرين الواجبة **(وما يجوز)** وهو فعل كل ممكن وتركه **(وكذا يجب عليه)** : أي المكلف شرعًا **(أن يعرف مثل ذلك في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام)** يعني أنه يجب بالشرع أيضًا على كل مكلف أن يعرف للرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من الواجب والجائز والمستحيل ، مثل ما عرف له ـ تعالى ـ من هذه الأحكام فيعرف ما يجب لهم وما يجوز في حقهم وما يستحيل عليهم ، فالمثلية راجعة إلى مجرد الأقسام لا إلى نفس الأقسام كأنه يقول : كما يجب عليه أن يعرف في حق الله ثلاثة أقسام كذا يجب أن يعرف في حق الرسل ـ صلوات الله عليهم ـ ثلاثة أقسام .

والرسل جمع رسول تقدم بيانه . قال سيدي عبد القادر بن خدة : "يحتمل أن يكون الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ذكر الرسل وسكت عن الأنبياء مراعاة للقول بالترادف بينهما ، ويحتمل مراعاة للقول بأن الرسل أخص ، ومعرفة الخاص تستلزم معرفة العام"[3] .

---

(1) بحثت كثيرًا عن هذا الحديث فلم أجده .

(2) لم أجد من ذكر هذا الكتاب أو نسبه .

(3) حاشية ابن خدة على أم البراهين ورق 3 .

ما يجب لله ـ تعالى ـ من الصفات

(فمما يجب) أشار بمن التبعيضية إلى أن صفات مولانا الواجبة له لا تنحصر في هذه العشرين ، إذ كمالاته ـ تعالى ـ لا نهاية لها بحسب علمنا ، ولم يكلفنا الله إلا بمعرفة ما نصب لنا عليه دليلاً .

قال سيدي عبد القادر بن خدة : والفاء وما بعدها جواب لشرط محذوف تقديره : إن أردت أن تعرف ما يجب في حق مولانا ـ عز وجل ـ وتجب معرفته على المكلف[1] والشرط وجوابه عن سؤال مقدر ، كأن قائلاً قال له أي شيء يجب في حقه ـ تعالى ـ وتجب معرفته على المكلف ؟ وما هو ؟ فأجاب بقوله : فمما يجب (لمولانا) أي مالكنا وسيدنا (جل) أي عظم واتصف بالرفعة التي لا تماثل (وعز) أي انفرد بصفات الجلال (عشرون صفة) والصفة هي المعنى القائم بالذات ، والموصوف من قام به المعنى ، والاتصاف قيام المعنى به ، والوصف هو الإخبار عن قيام الصفة بالموصوف ، والواصف هو المخبر بذلك ، وقد تطلق الصفة على الوصف ، والوصف عليها قاله الشيخ عبد السلام اللقاني في شرح الجوهرة[2] .

معنى صفة الوجود

(وهي) أي العشرون أولها (الوجود) الذاتي أي اعتقاد أن الله موجود بمعنى أنه وجد لذاته لا لعلة ، فلا يقبل العدم لا أزلاً ولا أبدًا لوجوب افتقار العالم وكل جزء من أجزائه إليه ـ تعالى ـ وكل من وجب افتقار العالم إليه لا يكون وجوده إلا واجبًا لا جائزًا ، وإلا لزم الدور أو التسلسل ، ولذا اتفق جميع الملل مؤمنها وكافرها على وجوب وجود

---

(1) حاشية ابن خدة على أم البراهين ورقة 3 .

(2) ينظر : إرشاد المريد ورقة 23 أ .

الصانع[1] في الجملة ، وتقديم الوجود في مباحث الصفات لكونه أصلاً ، إذ الحكم بوجوب الواجبات له ـ تعالى ـ واستحالة ما يتنزه عنه ، وجواز ما يجوز في حقه فرع له ، واختلف فيه هل هو ضروري أو نظري ؟ فعلى الأول وبه قال الفخر لا يحد ، وهو ظاهر قول المؤلف في الشرح[2] معناه ظاهر ، وعلى الثاني قيل لا يحد لعسر تعريفه ، وقيل يحد بأنه الحقيقة المقابلة للعدم ، وقيل هو الحقيقة التى لا يمكن الوصف بدونها ، وارتضاه الشيخ سيدي عبد القادر بن خدة ـ حفظه الله ـ . وقيل حقيقته تحقق ثبوت الشيء في الأعيان انظر الدراوي . واعلم أيضًا أن المتكلمين اختلفوا في الوجود ، فذهب الإمام الأشعري ومن تبعه إلى أنه عين الذات ونفسها ، وليس بزائد عليها أي ليس بصفة بل هو عين الذات ، وعلى هذا فعد الوجوب صفة على مذهب الشيخ الأشعري تسامح كما قاله المؤلف في شرحه[3] لكن لما كان الوجود توصف به الذات في اللفظ فيقال ذات مولانا ـ عز وجل ـ موجودة ، صح أن يعد صفة على الجملة ، وأما على مذهب من جعل الوجود زائدًا على الذات كالإمام الرازي[4] فعده من الصفات صحيح لا تسامح فيه انظر شرح المؤلف[5] وهذا القول الثاني هو المشهور

(1) قال الشيخ السنوسي في شرح صغرى الصغرى ص 15 : "كل ما سوى الله ـ تعالى ـ أجرام وأعراض ، وهي جائزة الحدوث ، فتحتاج إلى مرجح ؛ لوجودها ؛ أو عدمها ، ولا يكون المرجح إلا واجب الوجود وهو الله ـ تعالى ـ فدل ذلك على أمرين :

أ) وجوب وجود المولى ـ تبارك وتعالى ـ . ب) وحدوث ما سواه".

(2) ص 20 .

(3) قال الشيخ : في شرح أم البراهين ص20 . "وفي عد الوجود صفة على مذهب الشيخ الأشعري تسامح ؛ لأنه عنده عين الذات ، وليس بزائد عليها ، والذات ليست بصفة .. وأما على مذهب من جعل الوجود زائدًا على الذات كالإمام الرازي فعده من الصفات صحيح لا تسامع فيه" .

(4) ينظر : إرشاد المريدين ص 79 .

(5) شرح أم البراهين ص 20 .

الذي عليه الجمهور ، وإلى ترجيح هذا القول ذهب الشيخ عبد السلام اللقاني في شرح الجوهرة ونصه : "فإن قلت قد تسامح المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ في عد الوجود من الصفات لما سيأتي[1] أن مذهب أبي الحسن الأشعري أن وجود الشيء عينه ، قلت لا تسامح ؛ لأن المذهب الحق ما ذهب إليه الرازي أنه صفة زائدة على الذات ، فيؤول مذهب الأشعري بما وافق الحق بأن يراد بالعينية في كلامه عدم زيادته خارجًا عن الذات ، كزيادة الحمرة ، والبياض على الذات المتصفة بأحدهما لا الاتحاد في المعنى ، حتى يكون معنى الوجود هو بعينه معنى الذات الذي هو نفس الذات ، وتغاير المعنيين معلوم ضرورة لا يخفى" انتهى[2] .

تتمة ـ اعلم أن الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ قدم الوجود وأتبعه بالسلوب ، ثم أتبع السلوب بالمعاني ، ثم ختم بالمعنوية ، وهو ترتيب حسن جدًا ، ووجه حسنه أن الوجود الذي ابتدأ به هو الصفة النفسية ، والصفة النفسية هي التي لا يعقل الموصوف بدونها والذات لا توصف حتى تعقل بالوجود ، فقدم الوجود لذلك ، ثم أتبعه بالسلبية ؛ لأنها للتقديس والتخلية ، والتخلية مقدمة على التحلية عادة ، فقدمها في وضعه ؛ لأنه هو الشاهد من أراد أن يجلي شيئًا فلا بد أن يخليه أولاً ، أي ينظفه من الأوساخ والأدناس ، ثم يحلّيه بأنواع الحليّ . والشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ بعد ما وصف الله ـ تبارك وتعالى ـ بالوجود نزهه عن النقائص بالسلوب ، ثم بعد تنزيهه وصفه بالكمالات الوجودية التي هي كالحلي ، والاتصاف بها كالتحلية ، ثم وصفه ـ تعالى ـ بلوازم تلك الكمالات ؛ إذ لا يعقل اللازم إلا بعد ما يعقل الملزوم ، فترتيبه حسن جدًا ـ رحمه الله ـ قاله شيخنا محمد ابن عمر في شرحه لعقيدة المقّري .

---

(1) ص 195 .

(2) إرشاد المريد ورقة 13 .

معنى القدم

(والقدم) أي ووجب لله ـ تعالى ـ القدم بمعنى أنه يجب له ـ تعالى ـ أن يكون وجوده ليس بمسبوق بعدم ، وإلا لزم افتقاره إلى محدث ، وافتقار محدثه إلى محدث ، ثم كذلك فيتسلسل ، والقدم صفة سلبية[1] ليست بموجودة نفسها ؛ لأنها تنفي عن مولانا أمرًا لا يليق به ، وهو كما تقدم[2] العدم السابق لوجوده وإن شئت قلت عبارة عن عدم الأولية للوجود ، وإن شئت قلت عبارة عن عدم افتتاح الوجود ، وهو ما انفرد به ـ سبحانه وتعالى ـ فمن أثبته لغيره كالفلاسفة حيث أثبتوه للأفلاك ، فهو مخطئ ، آثم ، كافر عند الأشاعرة بشرط تكليفه ، وبلوغه الدعوة ، وما ذكره المصنف ـ رحمه الله ـ فيما يأتي من أن القدم صفة سلبية هو مختار المحققين ، وذهبت طائفة من المعتزلة إلى أنه صفة نفسية ومن القوم من ذهب إلى أنه صفة ثبوتية ، وكلاهما مردود بما يأتي بعد ، وإذا أطلق في حق الحادث ، فالمراد به طول المدة كبناء قديم و ﴿ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴾[3] و ﴿ ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴾[4] ونحوه ، وهل يجوز إطلاق القديم في حقه ـ تعالى ـ أو لا يجوز ؟ انظر شرح الشيخ[5] والقديم أخص من الأزلي ؛ إذ هما ما لا ابتداء لوجوده وجوديًا كان ، أو عدميًا ، فكل قديم أزلي كذات الله ، وليس كل أزلي قديمًا ، كما إذا ملكت مالاً الآن فهو أزلي ؛ لأنه قبل أن تملكه معدوم فقد سبقه عدم ، ويفترقان من وجه آخر ، وهو القديم يستحيل أن يطرأ عليه التغيير ، بخلاف الأزلي

---

(1) (سلبية) سقط من م .

(2) ص 193 .

(3) سورة يس ، الآية 39 .

(4) سورة يوسف ، الآية 95 .

(5) أي على أم البراهين فإنه ذكر عن الحليمي تردد بعض الأشياخ فيه ، وأنه لم يرد في الكتاب ولكن جاءت به السنة . (ينظر : ص 21) .

الذي ليس بقديم ، كعدم الحوادث المنقطع بوجودها . والقدم على ثلاثة أقسام قدم ذاتي كقدمه ـ تعالى ـ وهو راجع إلى وجوب الوجود ، فهو صفة نفسية ، وزماني ، بمعنى مرور الأزمنة على الشيء مع بقائه كقدم أمس بالنسبة لليوم ، وهو محال عليه ـ تعالى ـ لأنه لا يدخل في الزمان عقلاً ، وإضافي كقدم الأب بالنسبة للابن .

معنى البقاء

(والبقاء) هو عبارة عن سلب العدم اللاحق للوجود ، وهو الصفة الثانية من الصفات السلبية على الأصح عند المحققين[1] ، لا صفة نفسية كما نقل عن القاضي[2] والإمام ، ولا صفة معنى كما نقل عن الأشعري . ومعنى القدم البقاء عند من قال إنهما صفتان نفسيتان ، فهما عنده عبارة عن استمرار الوجود في الماضي ، والمستقبل ، والوجود نفسي ؛ لعدم تحقق الذات بدونه ، وهو مذهب ضعيف ؛ لأنهما لو كانا نفسيين لزم أن لا تعقل الذات بدونهما ، وذلك باطل بدليل أن الذات يعقل وجودها ، ثم يطلب البرهان على وجوب قدمها وبقائها ، وعلى القول بأنهما وجوديتان قائمتان بالذات يلزم عليه أحد أمرين ، قيام المعنى بالمعنى ، والتسلسل ، وإن كان قديمًا لا بقدم لزم عليه نقض الدليل العقلي ؛ لأنه قد قام الدليل على كونه معنى ، فإذا قيل إنه قديم بذاته لا بقدم فقد انتفى المدلول الذي هو معنى من المعاني مع وجود الدليل ، وهذا هو نقض الدليل .

معنى مخالفته ـ تعالى ـ للحوادث

(ومخالفته تعالى للحوادث) بمعنى أنه يجب له ـ تعالى ـ أن لا يماثل شيئًا من

(1) ينظر : إرشاد المريدين 1/ 80 .

(2) ينظر : المصدر نفسه ص 85 .

الحوادث ، لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، وهي الصفة الثانية من الصفات السلبية ، وحقيقة المخالفة سلب الجرمية والعرضية ولوازمهما ؛ لأن ما سوى الله ـ تبارك وتعالى ـ وسوى صفاته منحصر في الأجرام والأعراض ، والله ـ تبارك وتعالى ـ يتعالى عن ذلك قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(1) أي ليس مثل ذاته شيء ، فذاته لا تشبه الذوات ، وصفاته لا تشبه الصفات ، فلوازم العرضية ثلاث الحدوث ، ووجودها في زمان ، وقيامها بمحل .

فالأولان تشاركها الأجرام فيهما ، والثالث تفرد به الأعراض ، ولوازم الأجرام كثيرة : الحيز والتحيز ، والجهة ، والمقدار ، والأزمنة ، والأمكنة ، وقبولها للأعراض إلى غير ذلك ، والجرم ما أخذ قدره من الفراغ ، وهو الهواء المنخرق بين السماء والأرض ، والعرض ما لا(2) يستقل بنفسه ولا يبقى ، بل يسيل كالماء .

معنى قيامه ـ تعالى ـ بنفسه

(و) الصفة الرابعة من الصفات السلبية (قيامه ـ تعالى ـ بنفسه) بسكون الفاء أي بذاته ، واستعمال النفس بمعنى الذات وارد سمعًا ، قال تعالى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾(3) وحقيقته القيام بالنفس عبارة عن سلب الافتقار إلى المحل والمخصص ، وفسر المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ القيام بالنفس بقوله (أي لا يفتقر) أي يحتاج (إلى محل) ـ بفتح الميم والحاء ـ أي ذات يَحُل فيها ويصير صفة لها ، كما تَحُل الصفة في الموصوف . (ولا) يفتقر أيضًا إلى (مخصص) ـ بكسر الصاد مع التشديد ـ أي فاعل

---

(1) سورة الشورى ، الآية 11 .

(2) (لا) سقط من أ .

(3) سورة المائدة ، الآية 116 .

يخصه بالوجود لا في ذاته ، ولا في صفة من صفاته ، فعدم افتقاره إلى المحل يتضمن أنه ـ جل وعز ـ ذات لا صفة وعدم افتقاره إلى المخصص يتضمن أن ذاته ليست كسائر الذوات ، أي لا يحتاج إلى ذات ؛ لأنه ذات ، ولا إلى فاعل ؛ لأنه قديم ، والقديم لا يحتاج إلى فاعل ، فوجب له الغَناء المطلق ، والموجودات بالنسبة إلى المحل والمخصِّص أربعة أقسام :

فقسم غني عن المحل والمخصص ، وهي ذات مولانا ـ جل وعز ـ .

وقسم مفتقر إليهما معًا ، وهو الأعراض ، وقسم غنى عن المحل ، مفتقر إلى المخصص ، وهو الأجرام ، وقسم موجود في المحل غني عن الفاعل ، وهو صفاته ـ تبارك وتعالى ـ لأنها قديمة بقدم الذات فلو افتقر ـ تعالى ـ إلى محل يقوم له لزم أن يكون عرضًا وهو محال ، ولو افتقر إلى فاعل لكان حادثًا وهو محال ، فوجب أن يكون ـ تعالى ـ ذاتًا موصوفة بصفات الكمال ، غنية عن الاحتياج إلى شيء ، وغيره من الخلق مفتقر إليه ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴾[2] والصمد هو الذي يحتاج إليه غيره ، ولا شك أن كل مخلوق مفتقر إليه ـ تعالى ـ ابتداء ودوامًا ، فلا غَناء لأحد عن مولانا ـ جل وعز ـ فإذا عرف العاقل أنه مفتقر إلى مولاه ـ تعالى ـ وأن النفع والضرر بيده قطع النظر والالتفات إلى غيره ، واعتمد في جميع أموره عليه ، وأسلم وجهه إليه ، ولا يتوكل إلا عليه ؛ لأن من يتوكل عليه في كل شيء كان الله حسبه ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾[3] وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (**لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى الله حَقَّ**

---

(1) سورة فاطر ، الآية 15 .

(2) سورة الإخلاص ، الآيتين 2 ، 3 .

(3) سورة الطلاق ، الآية 3 .

تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وتَرُوحُ بِطانًا)[1] انتهى . واعلم أن سورة الإخلاص المشرفة قد احتوت على توحيد الحق ـ سبحانه ـ ولذلك قال : ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيها (تعدلُ ثُلُثَ القُرْآنِ)[2] قال العلماء[3] ـ رضي الله عنهم ـ : القرآن دل على توحيد ، وأحكام ، وأخبار . وهذه السورة العظيمة قد احتوت على التوحيد ، الذي هو ثلث ما دل عليه ؛ فمن فهمها على حقيقتها فقد حصّل معرفة الله ـ تعالى ـ وبيان احتوائها على التوحيد أنه ـ تعالى ـ أثبت بقوله : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[4] الوحدانية لنفسه في الذات ، والصفات ، والأفعال ، وأثبت بقوله : ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾[5] افتقار كل ما سواه إليه ابتداء ودوامًا ؛ لأن الصمد هو السيد المفتقَر إليه ، وليس ذلك في الحقيقة إلا الله ـ تعالى ـ وإذا افتقر إليه غيره غني عن غيره ، وأثبت لنفسه بقوله ـ جل وعلا ـ ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾[6] التنزه عن الأغراض ، وقضاء الأوطار ، والاستعانة في الأشياء التنجيزية ، وغير ذلك مما هو من أوصاف الحوادث ؛ لأن الولد يتخذ لغرض ، ويكون عند قضاء شهوة ، ويستعان في تحصيله بمصاحبة زوجة ، ويكون الولد جزءًا من الوالد ، فهذه أوصاف الحوادث ـ تعالى الحق أن يتصف بشيء من أوصاف الحوادث ـ وأثبت لنفسه ـ جل وعلا ـ بقوله : ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾[7] وجوب وجوده ونفي كونه ناشئًا عن شيء

---

(1) رواه ابن ماجة في سننه عن عمر ـ رضي الله عنه ـ باب التوكل واليقين 3/ 489 والترمذي في سننه عن عمر كتاب الزهد باب التوكل على الله 4/ 573 .

(2) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري كتاب التوحيد 13/ 347 ومسلم في صحيحه بشرح النووي عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ في صلاة المسافرين 4/ 94 .

(3) ينظر : تفسير القرطبي 20/ 247 وجواهر القرآن ص 27 ، وتفسير أبي السعود 9/ 213 .

(4) سورة الإخلاص ، الآية 1 .

(5) سورة الإخلاص ، الآية 2 .

(6) سورة الإخلاص ، الآية 3 .

(7) سورة الإخلاص ، الآية 3 .

ومستندًا وجوده لشيء ، بل الأشياء مستندة لوجوده واختياره ، ولو كان هو مستندًا في إيجاده لزم الدور والتسلسل المحالان ، وأثبت لنفسه ـ جل وعلا ـ بقوله : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[1] نفي النظير في الذات والصفات والأفعال ، فهذا وجه احتوائها على التوحيد والله أعلم . قاله أبو علي بواسطة .

معنـــى الوحدانيـــة

(و) الصفة الخامسة من الصفات السلبية (**الوحدانية أي لا ثاني له في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله**) يعني أن الوحدانية عبارة عن نفي الاثنينية ، وإن شئت قلت عبارة عن نفي الكم المتصل والمنفصل . والكم عبارة عن شيء يقبل القسمة ، والكم المتصل في الذات هو أن تكون ذاته قابلة للقسمة ، وذاته ـ تعالى ـ لا تقبل القسمة ؛ لأنها غير مركبة ، ولا يقبل القسمة إلا الأجرام المركبة من جواهر مفردة ، والله ـ تبارك وتعالى ـ يستحيل في حقه الجرمية . والكم المنفصل في الذات هو أن يكون لذاته نظير ، ولا نظير لذاته . والكم المتصل في الصفات هو أن تكون صفاته متعددة ، وذلك مستحيل ؛ لوجوب الوحدانية ، لها قدرة واحدة وإرادة واحدة ، وعلم واحد ، ولا يلزم من تعدد ما تتعلق به تعددها خلافًا لمن يذهب إليه . والكم المنفصل في الصفات هو أن توجد صفاته في غيره ، وذلك محال أيضًا ، وواحد في أفعاله ؛ لأنه المنفرد بالاختراع لا مؤثر سواه قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[2] ومعنى الاختراع هو الإيجاد على غير مثال سابق ، والإبداع كذلك ، فتلخص من هذا أن الوحدانية في حقه ـ تعالى ـ تشتمل على ثلاثة أوجه : أحدها نفي الكثرة في ذاته ، وتسمى الكم المتصل ، الثاني نفي

---

(1) سورة الإخلاص ، الآية 4 .

(2) سورة القمر : الآية 49 .

النظير له ـ جل وعلا ـ في ذاته أو في صفة من صفاته ، وتسمى الكم المنفصل . الثالث انفراده ـ تعالى ـ بالإيجاد والتدبير العام بلا واسطة ، ولا معالجة ، فلا مؤثر سواه ـ تعالى ـ في أثر ما عمومًا قال ـ جل من قائل ـ ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾[2] وقال ـ جل وعز ـ : ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[3] وقال ـ تبارك وتعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[4] فلو جاز إلهان لأمكن التمانع بينهما بأن يريد أحدهما صحة ذات زيد ، ويريد الآخر سقمه ـ مثلاً ـ لأن كل واحد منهما في نفسه ، وتعلق الإرادة به كذلك ، ولا تضاد بين الإرادتين بل بين المرادين ، وحينئذ إما أن يحصل مرادهما معًا فيجتمع الضدان ، أو لا ، فيلزم عجزهما أو عجز أحدهما ، وهو علامة الحدوث والإمكان ؛لما فيه من دلالة الاحتياج ، فتعددهما مستلزم لإمكان التمانع المستلزم للمحال ، فيكون محالاً ، وهذا الدليل يسمى برهان التمانع وهو المشهور بين المتكلمين المراد من قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[5] (**فهذه ست صفات : الأولى نفسية وهي الوجود**)أي هذه التي تقدمت في العشرين الواجبة ست صفات ، الأولى منها تسمى صفة نفسية : وهي التي لا تعقل الذات بدونها ، وإنما قال وهي الوجود مع قوله الأولى نفسية لأن لا يتوهم أنه أراد العدد من آخرها ، وهو الوحدانية ، فرفع ذلك بقوله : وهي الوجود . والمصنف تجوز في هذه العبارة من وجهين : أحدهما تسمية الوجود صفة ، وقد تقدم[6]

---

(1) سورة القمر : الآية 49 .

(2) سورة الأنعام : الآية 102 .

(3) سورة الحديد : الآية 2 .

(4) سورة الصافات : الآية 96 .

(5) سورة الأنبياء : الآية 22 .

(6) ص 193 .

أنه تسامح فيه على مذهب الأشعري ، والثاني جَعْلُه إياه صفة نفسية ؛ لأنه إذا لم يثبت له مطلق الوصفية فكيف يثبت له كونه نفسيًا إلا على قول من يجعله أمرًا زائدًا على الذات كالرازي ، وقد تقدم أنه الحق . واعلم أيها الواقف على هذا المحل أن الصفة النفسية تصف بعض الصفات وتتصف ببعضها ، تصف المعاني باعتبار الذهن ؛ والخارج لكون المعاني لها وجود في الذهن والخارج ، وتصف المعنوية باعتبار الذهن لا باعتبار الخارج لكون المعنوية لها وجود في الذهن دون الخارج ، فتقول قدرته موجودة ، كونه ـ تعالى ـ قادرًا موجودٌ .. إلخ ، وتتصف بالسلوب ، فتقول وجوده ـ تعالى ـ قديم ، ووجوده ـ تعالى ـ باق ، ووجوده ـ تعالى ـ مخالف لوجود الحوادث ، ووجوده ـ تعالى ـ واحد ، ويتصف بالقيام بالنفس على قول الأشعري من أنه عين الذات ، وعلى قول الرازي الذي جعله صفة يتصف بجزء القيام بالنفس وهو الغني عن المخصص ؛ لأن الصفة لا بد لها من محل تقوم به ، تأمل ! (و) الصفات (**الخمسة**) المذكورة من (**بعدها**) أي بعد الأولى (**سلبية**) والسلبية هي التي دلت على نفي ما لا يليق به ـ تعالى ـ وهي الخمسة المذكورة بعد الوجود ، فالقدم عبارة عن نفي العدم السابق للوجود ، والبقاء عبارة عن نفي العدم اللاحق للوجود ، والمخالفة عبارة عن نفي المماثلة للحوادث ، والقيام بالنفس عبارة عن نفي الافتقار إلى المحل والمخصص ، والوحدانية عبارة عن نفي التعدد في الذات والصفات والأفعال . معنى سلبية نفيية ؛ لأن كل واحد منها نفي ما لا يليق بالله ـ تعالى ـ ، ثم يحتمل أن الشيخ أثبت التاء في قوله : والخمسة بتأويل الصفة بالوصف ، أو لكونه لم يصرح بالمعدود ، فيقول والخمس صفات سلبية ، أي مدلول كل واحدة سلب أمر لا يليق بالمولى ـ تبارك وتعالى ـ ولم يقل سالبة ؛ لأن السالب أعم من السلب فكل سلبي سالب وليس كل سالب سلبيًا ، فبعض السالب سلبي كالسلوب ، وبعض السالب ليس سلبيًا كالمعاني مثلاً ، والفرق بينهما أن السلبي

هو الأمر الذي يدل على سلب ما ينافيه مطابقة كالقدم ـ مثلاً ـ فإنه دل على نفي العدم السابق الذي هو معنى الحدوث مطابقة ، وكذلك سائر السلوب ، وإن دل على سلب ما ينافيه بالالتزام فهو السالب وليس سلبيًا كالقدرة تدل على صفة يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه بالمطابقة ، وتدل على سلب العجز بالالتزام . انتهى من ابن خدة[1] باختصار ، فتلخص من هذا أن بين السالب والسلبي عمومًا وخصوصًا مطلقًا ، فكل سلب سالب وليس كل سالب سلبيًا ، فبعض السالب سلبي ، وبعض السالب ليس بسلبي ، فالوصف السلبي هو عبارة عن عدم ما لا يليق بجلاله ، كالقدم إلى الوحدانية كما تقدم آنفًا[2] فإن القدم عبارة عن عدم الحدوث وهلمّ جرا ، وأما السالب فهو عبارة عن كل ما سلب ضده وجوديًا كان كالمعاني ، أو عدميًا كالسلوب ، فإن وجود المعاني سَلَب عن الله الاتصاف بأضدادها ، وكذلك المعنوية ، والنفسية ، والسلبية ، فظهر لك بهذا أن العشرين كلها تسمى سوالب ، ولا يسمى منها بالسلبية إلا الخمسة فقط ، ثم إن الصفات السلبية تصف بعض الصفات ، ولا تتصف بشيء منها ، فإنها تصف النفسية كما تقدم وتصف المعاني والمعنوية فتقول قدرته ـ تعالى ـ قديمة ، قدرته باقية ، قدرته مخالفة للحوادث .. إلخ وكونه ـ تعالى ـ قادرًا قديم باق مخالف للحوادث إلى آخر الصفات (ثم) بعد تحقق[3] وجوده وتنزيهه عما لا يليق به ـ جل وعلا ـ

صفات المعاني

(يجب له تعالى سبع صفات تسمى صفات المعاني) لا تطلق الصفة في الحقيقة إلا على المعاني ، وأما إطلاقها على غيرها فبطريق المجاز ، وحقيقة المعاني هو عبارة عن كل

(1) ينظر : حاشية ابن خدة ورقة رقم 5 .
(2) ص 195 .
(3) في م (تحقيق) .

صفة موجودة قائمة بموجود أوجبت له حكمًا ، فموجودة : احترازًا من السلبية ، ومعنى قائمة بموجود : اتصافه بها ، ومعنى إيجابها الحكم : أنه يلزم من قيامها بالمحل ثبوت أحكامها له ، وهي المعنوية . فكون القدرة قائمة بالمحل يستلزم كون المحل قادرًا .. إلخ السبع . واعلم أن الصفة إما أن يكون مدلولها نفيًا لما لا يليق بالله فهي السلبية كالقدم وما ذكر معه ، وإن كان مدلولها إثباتًا فإما أن تكون موجودة أم لا ، فإن كانت موجودة فهي المسماة بالمعاني ، كالقدرة والإرادة ، والعلم ، وما معها ، وإن لم تكن موجودة فهي المسماة حالاً ، فإن لازمت صفة معنى سميت حالاً معنوية كقادر ، ومريد ، وإن لم تلازم معنى قائمًا بالذات سميت حالاً نفسية ، كالوجود ، فثُم هنا لترتيب الأخبار لا لترتيب الوجود من الحدوث ، وهي مع كونها لترتيب الأخبار تدل على بعد منزلة المعاني من منزلة غيرها كالسلوب ، وإن كانت كلها واجبة للمولى ـ تعالى ـ ، إذ المعاني صفات الله حقيقة موجودة قائمة بذاته ـ تعالى ـ يتعلق منها ما يتعلق بكل ما يصح أن يكون متعلقًا له ، ولذلك لم يُثبت بعض أئمتنا كالشيخ الأشعري ونحوه من الصفات للمولى إلا المعاني ، ولو كان يقول بوجود قدمه وبقائه وغيرهما من صفات السلوب ، إذ ليس بصفات حقيقة قائمة ومرجعها إلى القدم .

وأما المعنوية فهي عبارة عن قيام المعنى بالذات ومثل كون ثُم لبعد المنزلة قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾(1) وقوله ـ تعالى ـ ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَٰمٌ ﴾ إلى ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾(2) انتهى(3) .

---

(1) سورة طه : الآية 82 ، وقال الزمخشري في الكشاف 2/ 248 "وكلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين الوقتين في (جاء زيد ثم عمرو) أعني أن منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه ؛ لأنها أعلى منها وأفضل".

(2) سورة البلد : الآيات 13 ـ 17 .

(3) ينظر المواقف للأيجي ص 279 .

واعلم أن صفات المعاني لها وجود في الذهن والخارج ومعنى وجودها في الذهن جزم العقل بأنها موجودة ، ومعنى وجودها في الخارج أن لها حقائق موجودة لو كشف لنا الغطاء وخلق الله لنا إدراكًا لأدركناها عيانًا . واعلم أن الشيء له وجود في الأذهان ، ووجود في الأعيان ، فالوجود في الأذهان هو عبارة عن جزم العقل بوجود شيء ، وأما الوجود في الأعيان فهو عبارة عن ما له حقيقة موجودة تدرك بنوع من أنواع الإدراكات ، ومثال ذلك في الحوادث كبياض الورق مثلاً له وجود في الذهن ، أي يجزم العقل ببياضه بعد مشاهدته ، وله وجود خارج الذهن ، وهو الوجود في الأعيان ، وهو وجود حقيقة البياض التي تعاين بحاسة البصر ، ثم اعلم أيضًا أن صفات المعاني تتصف ببعض الصفات ، ولا تصف البعض ، تتصف بالسلوب والنفسية ، تقول : قدرته موجودة ، قدرته قديمة ، قدرته باقية .. إلخ ، وتقول : إرادته موجودة ، إرادته باقية .. إلخ ، تقول : علمه موجود قديم باق .. إلخ الصفات ، ولا تصف صفة ، بل لا تتصف بها إلا الذات ، كما أشار له المصنف في ما يأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ بقوله : والصفة لا تتصف بصفات المعاني المعنوية ، وإنما لم تتصف بها الصفات ؛ لأنها لا بد لها من محل تقوم به ، أي ذات توجد فيها والصفة ليست بذات حتى تقوم بها المعاني والمعنوية ؛ لأنها لا تعقل بدون الذات .

معنى القدرة

(وهي) أي صفات المعاني السبعة أولها (القدرة) والقدرة الأزلية عبارة عن صفة يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة ، فالأزلية احترازًا عن الحادثة فلا تأثير لها فيما قارنها ، ومعنى يتأتى بها أي يحصل ويتيسر بها إيجاد كل ممكن ، والإيجاد إخراج الممكن من العدم إلى الوجود ، وكل ممكن يتناول أفعالنا الاختيارية كحركاتنا وسكناتنا ، ويتناول ما له سبب كالإحراق الموجود عند مماسة النار للشيء

المحروق ، وما لا سبب له كخلق السماء والأرض . والإعدام هو أن يصير الشيء لا شيء كما كان أولاً .

تعريف الإرادة

(و) ثانيها (الإرادة) وهي عبارة عن صفة يتأتى بها تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه[1] . فالقدرة تؤثر في إيجاد الممكن وإعدامه ، والإرادة تؤثر في اختصاص أحد طرفي الممكن من وجود ، أو عدم ، أو طول ، أو قصر بالوقوع بدلاً عن مقابله ، فصار تأثير القدرة فرع تأثير الإرادة ؛ إذ لا يوجد ممكن من الممكنات ، أو يعدم بقدرته إلا ما أراد الله وجوده أو عدمه[2] وتأثير الإرادة عند أهل الحق على وفق العلم فكل من علم الله أنه يكون من الممكنات أو لا يكون فذلك مراده ـ عز وجل ـ وتعلق العلم تابع للحياة . والمعتزلة ـ قبحهم الله ـ جعلوا تعلق الإرادة تابعًا للأمر ، فلا يريد عندهم مولانا ـ جل وعز ـ إلا ما أمر به من الإيمان والطاعة ، سواء وقع ذلك أم لا . فعندنا إيمان أبي بكر الصديق مأمور به ومراد له ـ تعالى ـ وإيمان أبي جهل مأمور به غير مراد له ـ تعالى ـ لأنه ـ جل وعز ـ علم بوقوع إيمان أبي بكر ، وعلم بعدم وقوعه من أبي جهل ، وكفره منهي عنه ، وهو واقع بإرادة الله ـ تعالى ـ وقدرته ، وعند المعتزلة ـ قبحهم الله وقبح رأيهم ـ إيمان أبي جهل ـ لعنه الله ـ هو المراد لله ـ تعالى ـ لا كفره ، فلزمهم أنه وقع نقص في ملك الله ـ تعالى ـ إذ وقع على قولهم ما لا يريد ، تعالى من له ملك السموات والأرض وما بينهما عن ذلك علوًا كبيرًا .

فائدة : وهل التأثير للقدرة والإرادة حقيقة ، وللذات مجاز ، أو العكس ؟ قولان .

---

(1) (عليه) سقط من م .

(2) لو قال : إيجاد أو إعدامه لكان أحسن .

وكان شيخنا ـ حفظه الله تعالى ـ يقول[1] : والذي يدل عليه كلام المصنف في قوله يتأتى بها أن التأثير للذات أي يتأتى للذات بهذه الصفة . انتهى قاله سيدي حسن الدراوي والمراد بشيخه : سيدي عبد القادر بن خدة والقول بأن التأثير للذات حقيقة هو الحق الحقيق . ونسبة التأثير للصفات لا يصح إلا من باب المجاز لا من باب الحقيقة ، وبه جزم الشيخ العلامة سيدي أحمد المقّري في عقيدته المسماة بإضاءة الدجنة حيث قال[2] :

ومسند الأحكام للصفات ... فقط على المجاز ذو التفات

والحق أن تنسب للذات التي ... قد وصفت بذي الصفات جلت

هذا الذي نص عليه المقترح[3] ... وغيره والصدر من ذاك انشرح

وقولهم ـ سبحان ـ من تواضعا ... كل لعزه أبى من نازعا[4]

تعلقات القدرة والإرادة

ولما كان القدرة والإرادة متعلقهما واحد ، وهو الممكنات ، أفاد ذلك بقوله : **(المتعلقتان)** ومعنى التعلق طلب الصفة أمرًا زائدًا بعد قيامها بمحلها تتعلق به ، وأثبت التاء ؛ لأن القدرة والإرادة لفظهما مؤنث وقوله : **(بجميع الممكنات)** أي مطلقًا سواء كانت موجودة أو معدومة ، وهو المختار ، قال شيخنا محمد بن عمر الغدامسي ـ رحمه الله ـ : اعلم أن هذا التعلق على قسمين صلاحي وتنجيزي ، والتنجيزي أيضًا على قسمين أزلي وحادث ، وتحقيق ذلك أن تقول : القدرة لها تعلقان صلوحي وتنجيزي ،

(1) ينظر : قوله في شرحه على أم البراهين ورقة 5ب .

(2) من بحر الرجز .

(3) والمقترح هو : مظفر بن عبد الله بن علي تقي الدين المصري . إمام في الفقه والخلاف ، وأصول الدين . من كتبه : شرح الإرشاد . توفي سنة 612هـ . (ينظر وفيات الأعيان 12/ 229 ، والأعلام 7/ 257) .

(4) إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة ص 41 .

فالصلوحي لا يكون أبدًا إلا أزليًا ، والتنجيزي قد يكون أزليًا[1] ، وقد يكون حادثًا ، والقدرة ليس لها إلا تنجيزي واحد حادث ، وهو عبارة عن وقوع الشيء المقدر ، وأما الإرادة والعلم والسمع والبصر فلكل[2] واحد منها ثلاث تعلقات : صلوحي أزلي ، وتنجيزي أزلي ، وتنجيزي حادث ، وأما القدرة فليس لها إلا تعلقان فقط صلوحي أزلي ، وتنجيزي حادث ، وبيان ذلك على التفصيل أن تقول : قال المقري في حواشيه[3] على هذه العقيدة التي هي الصغرى فمعنى الصلوحي التأتي والصلاح ، فالقدرة قبل وجود الممكنات تتعلق بها تعلقًا صلوحيًا ؛ أي لو قدر وجود الممكنات في الأزل لتأتى أن تتعلق بها القدرة وتصلح تعلقها ؛ لكونها موجودة في الأزل ، وهذا هو التعلق الصلوحي لها ، وأما بعد وجود الممكنات فتعلقت تعلقًا تنجيزيًا ، أي أوجدته وتنجز إيجاده له ووقع . فإيجاد الممكن وإعدامه ، هو التعلق التنجيزي للقدرة ، وكل من إيجاد الممكن وإعدامه حادث قطعًا ؛ القديم إنما هو موجد الممكنات لا إيجاد الممكنات ، وإلا لزم أن تكون قديمة ولا قديم إلا الله ـ تعالى ـ وصفاته ، فإيجاد الممكن وإعدامه فعلان من أفعال الله ـ تبارك وتعالى ـ وأفعاله ـ تبارك وتعالى ـ حادثة كمفعولاتها ، والذي يوضح لك هذا أن تقول : مفعولات الفعل أربعة : الفاعل وهو الله ـ تبارك وتعالى ـ قديم قطعًا ؛ والذي وقع به الفعل هي القدرة قديمة أيضًا ؛ والفعل نفسه حادث وهو الإيجاد والإعدام ، وهما تعلق القدرة التنجيزي ، ولذلك قلنا بحدوثه ، ومفعول الفعل أيضًا حادث وهو الموجودات من المخلوقات والمعدومات منها ، فظهر لك بهذا أن أفعال الله حادثة ، وفاعلها قديم كما قال ـ تعالى ـ :

---

(1) (قد يكون أزليًا) سقط من أ .

(2) كثيرًا ما يترك الشيخ الفاء في جواب أما ولذا فإني أضيفها في كل موقع تركت فيها .

(3) كلام المقري في حواشيه على تعلقات الإرادة خلاصته أن للإرادة ثلاث تعلقات 1) صلوحي قديم . 2) تنجيزي قديم . 3) تنجيزي حادث . (ينظر : حاشيته على أم البراهين ورقة 21)

﴿ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴾[1] أي باعتبار أفعاله لا باعتبار ذاته وصفاته ؛ لأن أفعال الله ـ تبارك وتعالى ـ تتجدد وتحدث في كل وقت وحين ، يحيي أقوامًا ، ويميت أقوامًا ، ويرفع أقوامًا ، ويضع أقوامًا ، ويعز أقوامًا ، ويذل أقوامًا في كل وقت وحين ، فقد اتضح لك الحق كالشمس في فسيح الفيافي تأمل . فإذا فهمت هذا فلتعلم أن الممكنات أربعة أقسام : ممكن وجد وانعدم كآبائنا ، وممكن موجود كنحن ، وممكن علم الله أنه سيوجد كقيام الساعة[2] . وممكن علم الله أنه لا يوجد كدخول الكفار الجنة . فتعلق القدرة بالذي وجد وانعدم صلوحيًا قبل وجوده ، وتنجيزيًا بعد وجوده إيجادًا ، وبعد عدمه إعدامًا ، والممكن الموجود تعلقت به قبل وجوده صلوحيًا ، وبعد وجوده تنجيزيًا ، وأما الممكن الذي علم الله أنه سيوجد فتعلقت به تعلقًا صلوحيًا ولا تتعلق به تنجيزيًا تأمل . وأما الإرادة فلها ثلاث تعلقات : تنجيزي قديم ، وتنجيزي حادث ، وصلوحي قديم ، فأما التنجيزي القديم فهو عبارة عن إرادة الله في الأزل إيجاد ما يوجد وإعدام ما يعدم من الممكنات ، وأما الصلوحي فهو عبارة عن تعلق الإرادة فيما يقابل المراد من الممكنات ، فكل ما أراد الله إيجاده في الأزل فإبقاؤه في العدم صالح لإرداته أيضًا ، وكل ما أراد الله إبقاءه في العدم فإيجاده صالح لإرادته أيضًا ، إذ لا يجب عليه ـ تعالى ـ إيجاد ، ولا يمتنع من إيجاد ولا يجب عليه ترك ، ولا يمتنع من ترك : يفعل ما يشاء ويختار ـ جل الرب العزيز القهار ـ وأما التعلق التنجيزي الحادث للإرادة فهو عبارة عن تأثير الإرادة في وقوع المراد ، أي تنجز وقوع تخصيص المخصَّص ـ بالفتح ـ بما اختص به ، ولا مخصَّص ـ بالفتح ـ في الأول ، وهو المراد بقول المقّري في حواشيه : إذ لا أثر في الأزل . ومن أراد التحقيق فليراجع كلام المقري[3] الذي نقله عن ابن التلمساني هناك حيث

---

(1) سورة الرحمن : الآية 29 .

(2) قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا ﴾ سورة غافر : الآية 59 .

(3) ينظر : حاشية المقري على أم البراهين ورقة 11 .

قال ـ جزاه الله خيرًا ، وهو كلام حسن لمن أراد التدقيق في تعلقات الإرادة ، فلا نطيل الكلام بنقله هنا . فإذا تمهد لك هذا فلتعلم أن الإرادة تعلقت بجميع الممكنات الأربعة ، أي تعلقًا تنجيزيًا أزليًا ، وبأضدادها تعلقًا صلوحيًا كما مر ، وتعلقت بالممكن الذي وجد وانعدم وبالممكن الموجود تعلقًا تنجيزيًا حادثًا أيضًا ، وستتعلق بالممكن الذي علم الله أنه سيوجد تعلقًا تنجيزيًا حادثًا أيضًا ، وأما الممكن الذي علم الله أنه لا يوجد فقد تعلقت بعدم وجوده تنجيزيًا قديمًا ، وبضد ذلك صلوحيًا ، ولا تتعلق به تعلقًا تنجيزيًا حادثًا ـ والله أعلم ـ انتهى كلام شيخنا .

تتمة ـ وإنما بدأ ـ رحمه الله ـ من صفات المعاني بالقدرة لمناسبة بينها ، وبين الوحدانية التي ختم بها السلوب ، وذلك أنه قال لا ثاني له في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، وختمها بوحدانية الأفعال ، والأفعال إنما يتأتى إيجادها وإخراجها من العدم إلى الوجود بالقدرة ، وذكر الإرادة بأثرها ؛ لتوقف تأثيرها على تأثير الإرادة ، وذكر العلم بأثر الإرادة لتوقف تأثيرها على العلم ، إذ القصد إلى إيجاد شيء مع الجهل به محال ، وذكر الحياة بعد هذه الصفات لكونها شرطًا فيها ؛ ولتوقف الفعل عليها والثلاث صفات ، ولما كان الحي لا يخلو عن السمع والبصر والكلام وأضدادها تكلم عن السمع والبصر والكلام بعد الحياة وقدم السمع والبصر على الكلام لكثرة الكلام مع المعتزلة في صفة الكلام ؛ حتى قيل سمي علم الكلام بعلم الكلام لكثرة الكلام بين أهل السنة والمعتزلة ، وقدم السمع على البصر لتقديمه في القرآن والسنة قال الله العظيم : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[1] ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[2] قاله سيدي عبد القادر بن خدة .

---

(1) سورة طه : الآية 46 .

(2) سورة الشورى : الآية 11 .

بيان صفة العلم

(و) ثالثها : **(العلم)** وحقيقة العلم : صفة ينكشف بها المعلوم على ما هو به انكشافًا لا يحتمل النقيض بوجه ، فمعنى ينكشف يتضح ويتميز عن غيره اتضاحًا لا خفاء معه ، فخرج الظن ، والشك ، والوهم ؛ لأن احتمال المظنون والمشكوك والموهوم يوجب له خفاء فخرج أيضًا الاعتقاد الجازم مطابقًا كان ـ وهو التقليد ـ وغير مطابق ، وهو الجهل المركب ؛ لأنه يحتمل النقيض بتشكيك مشكك فلا يستمر معه الانكشاف ، وعبر بينكشف مضارعًا ؛ ليقتضي دوام الانكشاف واستمراره بحيث لا يحتمل النقيض بوجه ما ، لاستناده إلى ضرورة ، أو برهان .

تعلقات العلم

(المتعلق بجميع الواجبات) التي لا يتصور في العقل عدمها كذاته وصفاته . (و) بجميع **(الجائزات)** التي يصح في العقل وجودها وعدمها ، وهي كل ممكن وجوديًا كان ، أو عدميًا (و) بجميع **(المستحيلات)** التي لا يتصور في العقل وجودها كالشريك لمولانا والولد والنقائص ، وأراد بهذا التعميم أنه يجب شرعًا أن يعتقد أن علمه ـ تعالى ـ متناه من حيث تعلقه لا بالانقطاع ولا بخروج معلوم ما عن علمه فهو شامل لجميع المتصورات واجبة كذاته وصفاته ، أو ممكنة كالعالم بأسره ، أو مستحيلة كشريك له ـ تعالى ـ ومع هذا فهو واحد لا تعدد فيه ولا تكثر ، وإن تعددت معلوماته وتكثرت ، أما وجوب عموم تعلقه سمعًا فكمثل قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1] ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ ﴾[2] . قاله شيخنا محمد بن عمر الغدامسي . وأما تعلق العلم

---

(1) سورة البقرة : الآية 282 .

(2) سورة الأنعام : الآية 73 .

فهو[1] أيضًا ثلاث : صلوحي وتنجيزي أزليان ، وتنجيزي حادث ، أما التنجيزي الأزلي فهو عبارة عن علمه - تعالى - في الأزل بوجوب الواجبات ، واستحالة المستحيلات ، وجواز الجائزات ، وعلمه - تعالى - بأن ذاته العلية وصفاته الوجودية موجودة ؛ لأنها موجودة في الأزل ، وعلمه - تعالى - بإيجاد ما يوجد من الممكنات ، وفي أي زمان توجد وفي أي مكان وعلى أي حال ووصف .

وأما التعلق التنجيزي الحادث فهو عبارة عن علمه - تعالى - بأن المخلوق موجود فلا يعلم أنه موجود إلا إذا كان موجودًا ، ولا مخلوق موجود في الأزل فيعلم في الأزل أنه سيوجد ، وبعد وجوده يعلم أنه موجود ، فتعلق علمه بأن المخلوق موجود حادث ، فظهر بهذا أن تعلق علمه - تعالى - بأن العالم سيوجد أزلي ، وتعلق علمه بأن العالم موجود حادث . وقد أشار الشيخ إبراهيم اللقاني إلى أن تعلق علمه - تعالى - بأن العالم سيوجد أزلي متغير بأنه موجود ونصه في كلامه على تعلقات العلم ، وعلى القول بأنه نسبة بين العلم والمعلوم "فلا يمتنع عليه التغير والتبدل ، بأن يتعلق العلم أزلاً بأن كذا سيوجد ، فإن أوجد انقطع ذلك التعلق وخلفه التعلق بأنه وجد الآن . والأزلي إنما يمتنع عليه التغير إذا كان قديمًا ؛ وقد مر الفرق بينهما . ثم قال : ويؤيد انقطاع الأعدام الأزلية بوجودات العوالم فليتأمل ، فإنه الحق" انتهى المراد منه[2] . وأما تعلقه الصلوحي فهو بمعنى التأني والصلاح أي فلو قدر أن العالم موجود في الأزل لتأتى أن يتعلق علمه - تعالى - في الأزل بأنه موجود وعلمه صالح لذلك فيتأمل انتهى كلام شيخنا .

---

(1) في (أ و م) فهي .

(2) إرشاد المريد ورقة رقم 62 ، 63 .

الكلام على صفة الحياة

(و) رابعها (الحياة : وهي لا تتعلق بشيء) أي لا تطلب أمرًا زائدًا على قيامها بمحلها ، بل هي صفة تصحح لمن قامت به الإدراك ، أي أن يكون سميعًا بصيرًا عالمًا ، وهي شرط في جميع الصفات ، يلزم من عدمها العدم ، أي عدم جميع صفات المعاني ولا يلزم من وجودها وجود ولا عدم ؛ لأن هذه حقيقة الشرط ، وحاصل ما ذكره أن الصفات الثبوتية قسمان : غير متعلقة وهي الحياة ، ومتعلقة وهي ما عداها ، وأن المتعلقة إما أن تتعلق بجميع أقسام الحكم العقلي كالعلم والكلام أو ببعضها كالقدرة والإرادة بالممكن ، والسمع والبصر وكذلك الإدراك على القول به بالواجب والجائز الموجود . والخوض في تعلقات الصفات واختصاصاتها من تدقيقات علم الكلام والعجز عن إدراكه غير مضر في الاعتقاد كما نقله أستاذنا عن القرطبي[(1)] ـ رحمه الله ـ قاله سيدي عبد السلام اللقاني في شرح الجوهرة[(2)] .

السمع والبصر وتعلقاتهما

(و) خامسها (السمع و) سادسها (البصر) وهما صفتان ينكشف بهما كل موجود انكشافًا يباين ما سواه ضرورة (المتعلقان) التذكير باعتبار لفظهما وقوله (بجميع الموجودات) أي مطلقًا سواء كانت واجبة الوجود كذاته ـ تعالى ـ وصفاته ، أو ممكنة الوجود كسائر الحوادث الموجودة ، وهما صفتان موجودتان زائدتان على علمه تعالى

---

(1) والقرطبي هو : محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي ، من كبار المفسرين ، من تآليفه : تفسيره المشهور القرطبي ، والتذكرة توفي سنة 671هـ . (ينظر : الأعلام 2/ 322 ، ومعجم المفسرين من صدر الإسلام حتى الوقت الحاضر 2/ 479) .

(2) ينظر : النص في عمدة المريد ورقة 210 .

على الأصح ، قال المصنف : السمع والبصر صفتان ينكشف بهما الشيء ويتضح كالعلم ، إلا أن الانكشاف بهما يزيد على الانكشاف بالعلم ، بمعنى أنه ليس عينه ، وذلك أنه معلوم في الشاهد بالضرورة ، وهما زائدان على العلم لا الانكشاف بالعلم ، بل حقيقتهما وتعلقهما ، فالسمع والبصر لا يزيدان في حقيقة كشف العلم شيئًا . انتهى[1] .

فتلخص من كلامه أنه يسمع ويرى الذوات ، والألوان ، والأكوان ، والحركة والسكون ، والاجتماع ، والافتراق ، والطعوم ، والروائح ، والحب ، والبغض ، وحديث النفس ، وسائر الأعراض الوجودية . فإن قلتَ كيف يتعلق السمع والبصر بغير الأصوات من سائر الموجودات ؟ وما الدليل عليه ؟ فالجواب أن يقال : الدليل على وجوب تعلق السمع بكل الموجودات النقل والعقل ، أما النقل فقوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾[2] ثم سماع موسى ـ عليه السلام ـ لكلامه القديم ، وكلامه ـ تعالى ـ ليس بحرف ولا صوت ، فلو كان السمع مختصًا بالأصوات لزم أن لا يسمع موسى ـ عليه السلام ، كلامه ـ تعالى ـ فيبطل اختصاص تعلق السمع بالأصوات ، ووجب تعلقه بكل موجود ، وهو المطلوب ، وهذا في سماع الحادث فكيف بالسمع القديم ، وأما العقل فلأنه لو اختص السمع بالأصوات ، ولم يتعلق بغيرها من الموجودات ، لزم الافتقار إلى المخصص ، والمفتقر أبدًا لا يكون إلا حادثًا ، وهو محال ، فوجب تعلقه بكل موجود كالبصر ، وهو المطلوب ، وليس سمعه ـ تعالى ـ وبصره بجارحة كما في حق المخلوق ؛ لاستحالة مماثلته ـ تعالى ـ للحوادث . قاله الملالي[3] . ونبه بقوله بجميع الموجودات إلى

---

(1) ينظر : شرح السنوسي لأم البراهين ص 30 .

(2) سورة النساء : الآية 164 .

(3) ينظر : شرح الملالي ورقة 6 مح بمكتبة الأزهر الشريف . والذي قاله هو المشهور في هذا المسألة ، وإن ذكر الشيخ البيجوري أن كلام السعد محتمل للعموم والخصوص حيث ذكر أن السمع الأزلي صفة تتعلق بالمسموعات ، والبصر الأزلي صفة تتعلق بالمبصرات . (ينظر : حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد ص 148) .

أن سمعه وبصره مخالفان لسمعنا وبصرنا في التعلق ؛ لأن سمعنا إنما يتعلق عادة ببعض الموجودات وهي الأصوات ، وعلى وجه مخصوص من عدم البعد والقرب جدًا ، وبصرنا إنما يتعلق عادة ببعض الموجودات ، وهي الأجسام ، وألوانها ، وأكوانها في جهة مخصوصة وعلى صفة مخصوصة ، أما سمع مولانا - جل وعز - وبصره فيتعلقان بكل موجود قديمًا كان أو حادثًا ، ويسمع - جل وعز - ويرى في أزله ذاته العلية وجميع صفاته الوجودية ، ويسمع ويرى - تبارك وتعالى - مع ذلك فيما لا يزال ذوات الكائنات كلها وجميع صفاتها الوجودية كانت من قبيل الأصوات أو من غيرها أجسامًا كانت ، أو ألوانًا ، أو أكوانًا ، أو غيرها انتهى[1] . فإذا تمهد لك هذا فلتعلم أن للسمع والبصر ، أي لكل واحد منهما ثلاث تعلقات : تنجيزي أزلي ، وصلوحي أزلي ، وتنجيزي حادث ، فأما التنجيزي الأزلي فيتعلقان بذاته - تعالى - وبصفاته الوجودية ، أي تنكشف لهما ذاته وصفاته في الأزل ، وأما التنجيزي الحادث فهو تعلقهما بالمخلوقات بعد وجودها ، أي انكشاف المخلوقات بعد وجودها للسمع والبصر ، وكل ما كان بعد وجود المخلوقات فهو حادث ، وأما التعلق الصلوحي لهما فهو تأتّي تعلقهما بالمخلوقات قبل وجودها ، أي لو قدر هناك في الأزل مخلوق موجود لكان سمعه وبصره - تبارك وتعالى - صالحًا لأن يتعلق به ، لكن لم يكن في الأزل مخلوق موجود فليتأمل . فإذا تحقق هذا فليعلم أن السمع والبصر يتعلقان بأقسام الممكنات الأربعة تعلقًا صلوحيًا أزليًا ، ولا يتعلقان بواحد منهما تعلقًا تنجيزيًا أزليًا ، أو يتعلقان بالممكن الذي وجد وانعدم ، وبالممكن الموجود تعلقًا تنجيزيًا حادثًا وسيتعلقان بالممكن الذي يعلم الله أنه سيوجد تعلقًا تنجيزيًا حادثًا أيضًا ، وأما الممكن الذي علم الله أنه لا يوجد فلا يتعلقان به تعلقًا تنجيزيًا حادثًا ،

---

(1) ينظر : إرشاد المريدين 1/ 95 ، 99 .

وقد مر[1] أنهما يتعلقان به صلوحيًا فليتأمل . قاله شيخنا محمد بن عمر الغدامسي في عدة كتب .

معنى صفة الكلام

(و) سابعها (الكلام الذي ليس بحرف ولا صوت) قال الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ "كلام الله القائم بذاته هو صفة أزلية ليس بحرف ولا صوت ولا يقبل العدم ولا ما في معناه من السكوت ، ولا التبعيض ، ولا التقديم ، ولا التأخير ثم هو مع وحدته متعلق ، أي دال أزلاً وأبدًا على جميع معلوماته التي لا نهاية لها وقد يعبر عنه بالنظم المعجز المسمى أيضًا بكلام الله ـ تعالى ـ حقيقة لغوية لوجود كلام الله ـ تعالى ـ فيه بحسب الدلالة لا بالحلول ، ويسميان بالقرآن أيضًا ، وكنه هذه الصفة وسائر صفاته ـ تعالى ـ محجوب عن العقل كذاته ـ عز وجل ـ فليس لأحد أن يخوض في الكنه بعد معرفة ما يجب لذاته ـ تعالى ـ ولصفاته ، وما يوجد في كتب علماء الكلام[2] من التمثيل بالكلام النفسي في الشاهد عند ردهم على المعتزلة القائلين بانحصار الكلام في الحروف ، والأصوات لا يفهم منه تشبيه كلامه ـ جل وعز ـ بكلامنا النفسي في الكنه ـ تعالى وجل أن يكون له شريك في ذاته وصفاته وأفعاله ـ وكيف يتوهم أن كلامه ـ تعالى ـ مماثل لكلامِنا النفسي ، وكلامُنا النفسي أعراض حادثة يوجد فيه التقديم والتأخير ، وطرو البعض بعد عدم البعض الذي يتقدم ويترتب ، وينعدم حسب وجود جميع ذلك في الكلام اللفظي ، فمن توهم هذا في كلامه فليس بينه وبين الحشوية ونحوهم من المبتدعة القائلين بأن كلامه ـ تعالى ـ حروف وأصوات فرق ، وإنما مقصد العلماء بذكر كلامنا النفسي في الشاهد النقض على المعتزلة في حصرهم

---

(1) ص 208 .

(2) ينظر : الموقف للأيجي ص 294 ونهاية الإقدام ص 323 .

الكلام في الحروف والأصوات ، فقيل لهم : يُنقض حصركم ذلك بكلامنا النفسي ، فإنه كلام حقيقة ، وليس بحرف ولا صوت ، وإذا صح ذلك فكلام مولانا أيضًا كلام ليس بحرف ولا صوت ، فلم يقع الاشتراك بينهما إلا في هذه الصفة السلبية ، وهو أن كلام مولانا ـ جل وعز ـ ليس بحروف ولا صوت ، كما أن كلامنا النفسي ليس بحرف ولا صوت ، أما الحقيقة فمباينة للحقيقة كل المباينة ، فاعرف هذا فقد زلّت هنا أقدام لم تؤيد بنور الملك العلام . انتهى[1] .

(ويتعلق) الكلام أي تعلق دلالة **(بما يتعلق به العلم)** وهو كل واجب ومستحيل وجائز ، وبيان ذلك أن من علم أمرًا صح أن يتكلم به ، والله ـ تعالى ـ عالم بما كان ، وما يكون ، وما لا يكون ، فصح أن يتكلم بها ، فتعلُّق العلم الانكشاف ، وتعلق الكلام الدلالة . وقوله : **(من المتعلقات)** ـ بفتح اللام مع التشديد ـ اسم مفعول ، أي الذي يتعلق بها العلم فما تعلق به علمه دل عليه كلامه ـ سبحانه وتعالى ـ فمثال دلالته على الواجب قوله تعالى : ﴿ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾[2] وقوله : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۞ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾[3] والصمد هو الذي يحتاج إليه غيره ، وقوله : ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[4] ومثال دلالته على المستحيل قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدًا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلۡمُلۡكِ ﴾[5] .

وقوله : ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[6] ،

---

(1) شرح أم البراهين للشيخ السنوسي ص 31 .

(2) سورة طه : الآية 14 .

(3) سورة الإخلاص : الآيتين 1 ، 2

(4) سورة البقرة : الآية 163 .

(5) سورة الإسراء : الآية 111 .

(6) سورة الأنبياء : الآية 22 .

وقوله ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[1] ومثال دلالته على الجائز قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[2] ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾[3] ؛ لأن الخلق من الجائزات . واعلم أن الكلام ينقسم على أربعة أقسام : كلام بالحرف والصوت ككلامنا ، وكلام ليس بحرف ولا صوت ككلام الله ـ تعالى ـ وكلام النفس ، وكلام صوت بلا حرف كالمكحلة ، وصوت البهائم ، وكلام حرف بلا صوت كالذي في المصحف ، لقول أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ « **مَا بَيْنَ دَفَّتَي الْمُصْحَفِ كَلامُ اللهِ تَعَالَى** »[4] انتهى .

واعلم أنك إذا سمعت كلام الله ـ تعالى ـ من البشر سمعته متلوًا مقروءًا ، وإن سمعناه من الله ـ تعالى ـ في الآخرة فلا تسمعه لا متلوًا ولا مقروءًا ، فإن القرآن راجع في حق البشر إلى التلاوة ، والقراءة ، والحروف ، والأصوات ، واللغات ، فإن الله ـ عز وجل ـ إذا تكلم لا يلفظ ولا ينطق ، وكلام الله ـ تعالى ـ شيء واحد يفهم منه النهي والأمر والترهيب والترغيب ، وليس هو بعربي ، ولو كان عربيًا لكان لغة من اللغات ، وإنما التلاوة عندنا بالعربية فقط ، وتسمية كلام الله قرآنًا تسمية إلهية لا تسمية اصطلاح ، فإن قال قائل إذا كانت حادثة فما معنى قوله ـ عز وجل ـ : ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[5] فالجواب أن يحتمل أن يكون جبريل هو التالي ، ويضيف هو ـ سبحانه ـ ذلك إلى نفسه كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴾[6] وهم

---

(1) سورة الإخلاص : الآيتين 3 و 4 .

(2) سورة الصافات : الآية 96 .

(3) سورة القصص : الآية 68 .

(4) رواه أحمد في مسنده بمعناه 1/ 415 ، وروى البخاري في صحيحه بفتح الباري 9/ 64 عن ابن عباس ، ومحمد بن الحنفية في فضائل القرآن بلفظ : (ما ترك إلا ما بين الدفتين) .

(5) سورة آل عمران : الآية 58 .

(6) سورة عبس : الآية 26 .

الحارثون يشقون الأرض وأضاف الله ـ تعالى ـ ذلك إلى نفسه . ومن زعم أن الله ـ عز وجل ـ قارئ أو تال فقد خرج عن مذهب المسلمين ؛ لأن معنى التلاوة والقراءة عند أهل السنة ـ رضي الله عنهم ـ صوت القارئ ونغمته ـ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ، ومن هنا نفهم بفضل الله ـ تعالى ـ قوله ـ عز وجل ـ : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[1] وروح القدس هو جبريل ـ عليه السلام ـ قيل معنى ذلك أن جبريل ـ عليه السلام ـ كان في جهة الفوق فسمع كلامًا من الله ـ تعالى ـ أو بوحي أو تلقاه من اللوح المحفوظ والله ـ عز وجل ـ ليس في جهة فهبط جبريل لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بلسان عربي عن ما فهم من كلام الله ـ عز وجل ـ وحفظها من اللوح المحفوظ وأداها إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فالعبارة عربية والمعبر عنه هو كلام الله ـ عز وجل ـ غير عربي فهذا معنى النزول ، وكمعنى سماع موسى ـ عليه السلام ـ لكلام ربه ليس المراد منه أنه كان ساكتًا وتكلم ، ولا انقطع كلامه بعد السماع وإنما المراد أنه ـ تعالى ـ أزال المانع عنه وقواه حتى سمع كلامه ، ورد المانع فلم يسمع ، وبالله التوفيق انتهى . ملخصًا من شرح الملالي[2] .

وذكر شيخنا محمد بن عمر في عقيدته المسماة "بكشف القناع" وفي عقيدته "نور اليقين المحتوى على معارف رب العالمين" وفي غيرهما نبذة قليلة اللفظ كثيرة المعنى لا يسعنا تركها ؛ لكونها جامعة لجميع شوارد أهل هذا الفن المتشتتة ، وحاوية لجميع أقوالهم المختلفة ، فأقول ـ وعلى الله أعول وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ـ .

قال ـ رحمه الله ـ : "اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن كلام الله والقرآن اسمان تسمى بهما

(1) سورة النحل : الآية 102 .

(2) ينظر : شرح الملالي على أم البراهين ورقة 8 .

ستة أشياء فيطلق كل واحد منها على الصفة الأزلية القائمة بالذات العلية كقولنا : القرآن صفة الله ، والقرآن صفة من صفات الله ، ويطلق أيضًا على المعاني التي دلت عليها الصفة الأزلية القائمة بالذات العلية كقولنا : القرآن ينقسم إلى أمر ونهي ، ووعد ووعيد ، وقصص وأخبار ، ونحو ذلك ، وكذلك نقول أيضًا في كلامه : ينقسم إلى أمر ، ونهي ، ووعد ، ووعيد ، وقصص ، وأخبار ، ونحو ذلك ، فالمراد هنا مدلولات الكلام لا صفة الكلام ، ويطلق أيضًا على الأدلة الأربعة التي نستدل بها نحن الآن على المعاني المدلولة لصفة الكلام ، وهذه أدلة تكتب وهي الحروف التي تكتب في المصاحف والألواح ، فيطلق عليها كلام الله ، كقولنا : ما بين دفتي المصحف كلام الله ، وكتبت كلام الله ، فالمراد بكلام الله والقرآن هذه الحروف ، إذ لا يكتب إلا الحروف ولم يكن بين دفتي المصحف إلا الحروف . وأدلة تقرأ وهي اللفظ المعجز الذي أعجز الله العرب بأقصر سورة منه ، فيطلق عليه كلام الله كقولنا قرأت كلام الله ، وتلوت كلام الله ، فالمراد بكلام الله الألفاظ إذ لا يقرأ ولا يتلى إلا الألفاظ ، وأدلة تسمع وهي صوت القارئ ، فإذا قلت سمعت كلام الله فالمراد بكلام الله : صوت القارئ إذ لا يسمع لنا إلا الأصوات ، وأدلة تحفظ وهو النور الذي يخلقه الله ـ تعالى ـ في قلب الحافظ مع الدرس غالبًا فيحركه الحافظ فيخلق الله مع تلك الحركة فهمًا للمعاني المدلولة لصفة الكلام . فإذا فهمت هذا وعلمت أن كلام الله اسم لهذه الستة فتعلم أن الصفة القائمة بذاته ـ تعالى ـ التي هي من صفات المعاني السبعة التي تسمى بالكلام على جهة الحقيقة في هذا الفن الذي هو فن التوحيد ، وهي التي عرفها أهل الفن بقولهم : صفة أزلية قائمة بالذات العليا يعبر عنها بأنواع العبارات المختلفات ، المباينة لجنس الحروف والأصوات ، المتنزهة عن الكل ، والبعض ، والتقدم ، والتأخر ، واللحن ، والإعراب ، وسائر أنواع التغييرات ، المتعلق بجميع الواجبات ، والجائزات ، والمستحيلات ،

فيعنون بذلك أن الصفة القائمة بذاته ـ تبارك وتعالى ـ الأزلية يعبر عنها بأنواع العبارات المختلفات ، أي لتسمى بأسماء عديدة مختلفة كالقرآن ، والفرقان ، والتوراة ، والإنجيل ، ونحو ذلك من أسماء عديدة ومسماها واحد ، وقولهم المباين لجنس الحروف والأصوات يعني المخالف لجنس الكلام المشتمل على الحروف والأصوات ، يعني كلامه ـ تبارك وتعالى ـ صفة من صفاته الوجودية لا هواء وأصوات خارج الفم مركب من الحروف والأصوات ـ تعالى الله أن تكون صفاته كصفات الحوادث ـ وقولهم المنزهة عن الكل والبعض .. إلخ يعني أن صفته[1] ـ تبارك وتعالى ـ التي تسمى بصفة الكلام منزهة عن الاتصاف بالكلية والبعضية ؛ لأنه لا يتصف بالكلية وبالبعضية إلا ما له أجزاء ومتركب من أبعاض كالأجسام . وصفة الله ليست كذلك ، ولا يتصف بالتقدم والتأخر إلا ما كان حادثًا فانيًا ، وكلام الله ـ تعالى ـ قديم باق ، ولا يتصف باللحن ، والعربية ، والعجمية إلا الألفاظ ، وكلام الله ـ تعالى ـ ليس بلفظ ، وقولهم وسائر أنواع التغيرات أي كالسكوت والتحول والنسخ والنسيان والنزول وغير ذلك ، فإن كلام الله منزه عنها .

فإن قلت كيف يفهم تنزه كلام الله عن النزول ، مع قولكم : جبريل ـ عليه السلام ـ نزل إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالقرآن وسائر الكتب المنزلة ، قلت لا إشكال ولا معارضة عند من فهم ما قدمناه أولاً من أن القرآن والكلام اسمان لستة أشياء ، وقد تقدمت[2] ، فالمراد بالمنزل على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الألفاظ الدالة على المعاني المدلولة لصفة الكلام لا صفة الكلام نفسها ـ تعالى أن تكون الصفة القائمة بذاته تحول وتنزل ـ وإن قلت : ما معنى قولكم كلام الله لا يتجزأ ، ولا يتبعض ، مع عدم الرد منكم على من يقول : القرآن ينقسم إلى أمر ونهي ، ووعد ووعيد ، ونحو ذلك ،

---

(1) في (أ و م) : صفاته .

(2) في ص 225 من هذا البحث .

وقولكم : فلان حفظ بعض القرآن ، فلان كتب بعض القرآن ، قلت : لا معارضة ، ولا إشكال لمن فهم ما قدمناه من أن القرآن اسم لستة أشياء ، فالمراد بقولهم : القرآن ينقسم إلى أمر ونهي ، ووعد ووعيد ، ونحو ذلك فالمراد بالقرآن : المعاني المدلولة لصفة الكلام لا صفة الكلام وقولهم : القرآن ينقسم إلى سور وأحزاب ، وآي ، ونحو ذلك ، فالمراد بالقرآن هنا الألفاظ الدالة على المعاني المدلولة لصفة الكلام ، لا صفة الكلام ، وقولهم : حفظ بعض القرآن ، فالمراد بالقرآن هنا النور الذي يخلقه الله في قلب العبد الدال على المعاني المدلولة لصفة الكلام ، لا صفة الكلام ، فإذا تمهد لك هذا فلتعلم أن هذه الأشياء الستة التي تسمى بالقرآن ، وكلام الله فيها ما هو قديم قطعًا ، ولا يتجزأ ولا يتبعض ، وهو الصفة القائمة بذاته ـ تبارك وتعالى ـ ، وفيه ما هو قديم بعضه وبعضه حادث ، وهو المعاني المدلولة لصفة الكلام ، وهي المدلولة التي ذكرها القرافي[1] حيث قال في شرح الأربعين للإمام الرازي : فائدة يعلم بها ما هو قديم من كلام الله ، وما ليس بقديم ، وأراد بكلام الله هذه المعاني المدلولة لصفة الكلام ، لا صفة الكلام التي تنوع ، ونصه : فإن أكثر الناس من علماء الأصول في زماننا يعتقدون أن الألفاظ محدثة ، وأن مدلولها قديم ، أي المعاني المدلولة لصفة الكلام ، ثم قال : وليس كذلك بل الحق أن في ذلك تفصيلاً ، وهو أن مدلول ألفاظ القرآن قسمان أدلات ومدلولات ، فالأدلات هي الأربعة التي هي أدلة تحفظ : وهو النور الذي يخلقه الله في قلب العبد ، وأدلة تكتب : وهي الحروف التي تكتب في الألواح والمصاحف ، وأدلة تقرأ : وهي الألفاظ ، وأدلة تسمع : وهي الأصوات ، وكلها حادثة قطعًا . والمدلولات قسمان : مفردات ، ومسندات فالمفردات قسمان : ما يرجع إلى ذات الله ـ تبارك وتعالى ـ وصفاته كالله والرحمن ، وقدرته ، وكلامه ، فمدلولات ذلك ذات الله وصفاته وذات الله وصفاته

---

(1) ينظر حاشية الدسوقي ، ص 112 ، 113 .

قديمة ، وأما ما يرجع إلى الحوادث كموسى وهارون وهامان وقارون فلا شك أن مدلول اللفظ في ذلك حادث ؛ لأنه ذات الحوادث . والمسندات قسمان : حكائيات ، وإنشائيات ، فأما مدلولات الإنشائيات فكلها قديمة كالأمر والنهي والوعد والوعيد والإذن ونحو ذلك ؛ لأن معنى ذلك راجع إلى حكمه وقضائه ، وقضاء الله قديم قطعًا ، والحكايات قسمان : حكاية كلامه ، وحكاية كلام غيره ، فأما حكاية كلامه ـ تعالى ـ كقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[1] ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ ﴾[2] فحكى الله كلامه بكلامه ، فالحاكي قديم وهو الله ـ تبارك وتعالى ـ والحكاية قديمة ، وهي كلامه الذي حكى به كلامه ، والمحكي قديم وهو كلامه الذي حكاه بكلامه ، وأما حكاية كلام غيره كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾[3] ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ ﴾[4] ونحو ذلك فحكى كلام غيره بكلامه فالحاكي قديم وهو الله ـ تعالى ـ والحكاية قديمة وهي كلامه ـ تعالى ـ الذي حكى به كلام غيره والمحكي حادث ، وهو كلام غيره الذي حكاه بكلامه ـ جل الرب الكبير المتعال ـ فظهر بهذا أن الأشياء الستة التي تسمى بكلام الله فيها ما هو قديم قطعًا ، ولا يتجزأ ، ولا يتبعض ، وهي الصفة القائمة بذاته ، وفيها ما بعضه قديم ، وبعضه حادث وهو المعاني المدلولة لصفة الكلام ، وقد مر التفصيل فيها ، وأربعة منها حادثة قطعًا وهي : الأدلة التي تسمع ، والأدلة التي تقرأ ، والأدلة التي تحفظ ، والأدلة التي تكتب ، فالحاصل أن الله ـ تبارك وتعالى ـ موصوف بهذه الصفة القديمة التي تسمى بالكلام ويدل بها على الواجبات والجائزات والمستحيلات والله

(1) سورة البقرة : الآية 30 .
(2) سورة البقرة : الآية 34 .
(3) سورة البقرة : الآية 55 .
(4) سورة البقرة : الآية 61 .

ـ تبارك وتعالى ـ بحكمته حجبنا في الدنيا غالبًا بالاستدلال بصفته عن مدلولاتها لما اقتضته الحكمة العظيمة الأزلية أن لا يُسمع الباقي بالفاني كما أن لا يرى الباقي بالفاني غالبًا ، وتفضله علينا بمحض فضله أن جعل لنا هذه الأدلة الأربعة الحادثة نستدل بها على المعاني المدلولة لصفته القديمة ، وأما في الآخرة فيخلق الله لنا أسماعًا باقية نسمع بها كلامه القديم ، ويخلق الله فينا أبصارًا باقية ننظر بها ذاته العلية الباقية وصفاته السنية الوجودية . وقولنا حجبنا في الدنيا غالبًا احترزنا بقولنا : غالبًا بما يقع في غير الغالب للأنبياء من رؤيته ـ تبارك وتعالى ـ وسماع كلامه من غير واسطة ، كما وقع لسيدنا ونبينا ومولانا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ليلة الإسراء ، فقد رأى فيها ـ صلى الله عليه وسلم ـ ربه عيانًا ، وهو المشهور وعليه الجمهور ولله در سيدي أحمد المقري حيث قال في عقيدته[1] :

وقد رأى خير الورى الديانا ليلة أسرى ربه عيانا
في المذهب المصحح المشهور هذا الذي يُنمى إلى الجمهور

وكذا سيدنا موسى ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ سمع كلام الله حقا من غير واسطة فقيل له : بماذا علمت أن الذي تسمعه كلام ربك ؟ قال : لي في ذلك أدلة قطعية : منها أن كلام الخلق أسمعه بأذني ، وكلام الحق أسمعه بجميع الجوارح ، ومنها أن كلام الخلق أسمعه من جهة واحدة ، وكلام الحق سمعته من كل جهة ، ومنها أن كلام الخلق لا يدهشني وكلام الحق يدهشني ، ومنها أن كلام الخلق أجده متركبًا من حروف وأصوات ، وكلام الحق لا صوت فيه ولا حرف .

وكان ـ صلى الله على نبينا وعليه ـ إذا سمع كلام الله يمكث مدة لا يسمع فيها

---

(1) إضاءة الدجنّة ـ ص 53 .

كلام الخلق الأتقياء ؛ لقبح كلام الخلق ؛ ولصفة الكلام تعلقـان ؛ لأنـه قـد تقـدم أن تعلق الكلام الدلالة ، والدلالة تستدعي وجود المدلول ، ولا مدلول في الأزل ، إذ لا موجود في الأزل إلا الله ـ تعالى ـ فيستحيل أن يكـون الإلـه ـ تعـالى ـ مـدلولاً ؛ لأن المدلول عليه حدث بعد الدلالة ، وعلم الله قديم ليس بحادث ، وحيث علمت ذلك عرفت أنه لا يصح أن يكون الإله مدلولاً ، بل هو ـ تعالى ـ دال حقيقة ، ومدلول عليه لا مدلول ، فإذا تقرر هذا علمت أن كـلام الله ـ تعـالى ـ قبـل وجـود المـدلول يتعلـق بالمعلومات تعلقًا صلوحيًا ، فلو قدر أن هناك في الأزل مدلول [لدل كلامه ـ تعـالى ـ ؛ إذ كلامه في الأزل صالح في الدلالة ؛ إذ لو كان مـدلول لكـن لم يكـن في الأزل مـدلول ، تأمّل][1] . وأما بعد وجود المخلوقات التي هـي المـدلولات تعلـق بالمعلومـات تعلقـا تنجيزيًا ، فقد اتضح بهذا ولله الحمد أن للكلام تعلقان صلوحيًا أزليًـا وتنجيزيًـا حادثًـا كما أشار له الشيخ إبراهيم اللقاني[2] ، أي دلها كلامه ـ تعالى ـ دلالة تنجز وقوعهـا بعـد وجود المخلوقات ، فليتأمل فـإذا تمهـد هـذا فلـتعلم أن كلامـه يتعلـق بجميـع أقـسام الممكنات الأربعة تعلقًا صلوحيًا ، وتعلـق بـالممكن الـذي وجـد وانعـدم ، وبـالممكن الموجود ، وبالممكن الذي علم الله أنه سيوجد ، وبالممكن الذي علـم الله أنـه لا يوجـد تعلقًا تنجيزيًا حادثًا ؛ لأنه ـ تبارك وتعالى ـ أعلمنا بكلامه بما كان ، وما يكـون ، ومـا لا يكون ، وأما الإدراك على القول به فله ثـلاث تعلقـات : تنجيـزي قـديم ، وصـلوحي قديم ، وتنجيزي حادث ، كالسمع والبصر مثلاً بمثل ، سواء بسواء ، فإذا فهمت هـذا فتعلم أن صفاته التي ثبت لهـا التعلـق تنقـسم إلى ثلاثـة أقـسام : قـسم يتعلـق بجميـع الصفات العشرين ، وهـو العلـم والكـلام ؛ لأن مـتعلقهما الواجبـات ، والجـائزات ،

---

(1) ما بين المعقوفين سقط من (ح)

(2) ينظر : حاشية البيجوري على الجوهرة ـ ص 147 .

والمستحيلات ، ومن جملة الواجبات الصفات العشرون ، وقسم لا يتعلق بصفة من العشرين ، وهو القدرة ، والإرادة ؛ لأن متعلقهما الممكنات ، ولا شيء من العشرين بممكن ، وقسم يتعلق بالبعض دون البعض ، وهو السمع والبصر ، فيتعلقان بالوجودية دون السلبية اتفاقًا ، والنفسية والمعنوية على أحد القولين[1] ، وأما ذاته - تعالى - فيتعلق بها أربع ، وهي السمع والبصر ؛ لأن متعلقهما الموجودات وذاته - تعالى - واجبة الوجود ، والعلم والكلام ومن جملة متعلقهما الواجبات وذاته - تعالى - واجبة الوجود ولا يتعلق بها صفتان ، وهما القدرة والإرادة ؛ لأن متعلقهما بالممكنات ، وذاته - تعالى - ليست من الممكنات .

الصفات المعنوية

(ثم) يجب له - تعالى - « **سبعٌ تسمى صفات معنوية** » فثم هنا أيضًا لترتيب الخبر لا لترتيب الوجود ، والتنوين عوض عن المضاف إليه ، وهو صفات ، وهو معطوف على سبع من قوله قبل ، ثم يجب له - تعالى - سبع صفات ، ولا يعطف على ما قبله من السلوب ؛ لأنه لما كرر العامل الذي هو يجب في قوله ثم يجب قطع بذلك النظر لما قبله ، وصار كأنه افتتاح كلام فلا يتخلص عنه لغيره ، والمعنوية منسوبة إلى المعاني ؛ لأن الاتصاف بالمعنوية فرع الاتصاف بالمعاني ، والفرق بين صفات المعاني والمعنوية ياء النسبة ، والواو فيها بدل من الألف في المعاني ، والفرق بين صفات المعاني والمعنوية أن صفات المعاني صفات وجودية ، والصفات الوجودية تعقل في الذهن كما تقدم ، والصفات المعنوية صفات ثبوتية ، والصفات الثبوتية تعقل في الذهن لا خارجًا عن الذهن ، وحقيقة المعنوية الحال الواجبة للذات ما دامت الذات معللة بعلة ، وهي قيام

---

(1) ينظر حاشية البيجوري ، ص 148 ، والمنهج السديد ، ص 74 .

المعاني بالمحل ، أي ملزومة لها . قال المصنف ـ رحمه الله ـ [1] : إنما سميت هذه الصفات معنوية ؛ لأن الاتصاف بها فرع الاتصاف بالسبع الأولى ، فإن اتصف محل من المحال بكونه عالمًا ، أو قادرًا ـ مثلاً ـ لا يصح إلا إذا قام به أي بالمحل العلم ، والقدرة ، وقس على هذه ، فصارت السبع الأولى وهي صفات المعاني عللاً لهذه ، أي ملزومة لها فلهذا نسبت هذه إلى تلك فقيل فيها صفات معنوية ؛ ولهذا كانت هذه سبعًا مثل الأولى (**أي**) الصفات المعنوية (**ملازمة للسبع الأولى**) أي صفات المعاني ، ويعنى بملازمتها أن يلزم من ثبوت المعاني ثبوت المعنوية إذ المعنوية في الحقيقة راجعة إلى المعاني (**وهي**) أي الصفات المعنوية أولها (**كونه**) أي الله ـ سبحانه وتعالى ـ فضمير كونه عائد عليه ـ تعالى ـ ، والكون هو التقرير والثبوت ، فمعنى كون الله (**تعالى قادرًا**) أي ثبوت القدرة وتقررها له ـ تعالى ـ ملازم لقيام القدرة بالذات ، والقادر هو الذي إن شاء فعل وإن شاء ترك ، فهو المتمكن من الفعل والترك ، يصدر عنه كل منهما بحسب الدواعي المختلفة (**و**) ثانيهما كونه ـ تعالى ـ (**مريدًا**) أي ثبوت الإرادة وتقررها له ملازم لقيام العلم بالذات ، وهو الذي علمه شامل لكل ما من شأنه أن يعلم (**و**) رابعها كونه ـ تعالى ـ (**حيا**) أي ثبوت الحياة وتقررها ملازم لقيام الحياة بالذات ، كما علم من الدين ضرورة ، وثبت بالكتاب والسنة بحيث لا يمكن إنكاره ، ولا تأويل أنه ـ تعالى ـ حي سميع وبصير ، انعقد الإجماع عليه ، وما ثبت من كونه ـ تعالى ـ عالمًا قادرًا إذ العالم القادر لا يكون إلا حيًا ضرورة ، وحقيقة الحي هو الذي تكون حياته لذاته ، وليس ذلك لأحد من الخلق (**و**) خامسها كونه ـ تعالى ـ (**سميعًا**) أي ثبوت السمع وتقرره له ملازم لقيام السمع بالذات (**و**) سادسها كونه ـ تعالى ـ (**بصيرًا**) أي ثبوت البصر وتقرره له ملازم لقيام البصر بالذات ؛ لأن كل حي يصح أن يكون سميعًا بصيرًا ،

---

(1) شرح أم البراهين للشيخ السنوسي ـ ص 32 .

وكل ما يصح للواجب من الكمالات يجب أن يثبت له بالفعل لبراءته عن أن يكون له ذلك بالقوة والإمكان ، والجميع صفات كمال قطعًا ، والخلو عن صفة كمال في حق من يصح اتصافه بها نقص ، وهو محال عليه ـ تعالى ـ ، ومن خصائصه ـ سبحانه ـ أنه لا يشغله ما يبصره عمّا يسمعه ولا ما يسمعه عمّا يبصره ، بل يحيط علمًا بالمسموعات ، والمبصرات من غير سبقية إدراك بإحدى الصفتين على الأخرى ، فلا يشغله شأن عن شأن (و) سابعها كونه (**متكلمًا**) أي ثبوت الكلام وتقرره له ملازم لقيام الكلام بالذات ، وهذا رأي من أثبت الأحوال وهو الإمام الرازي ـ رضي الله عنه ـ ، وأما على مذهب الأشعري ـ رضي الله عنه ـ فلا يظهر الفرق بينهما ؛ لأنه يقول بنفي الأحوال ، وأن الصفات المعنوية والمعاني شيء واحد ، فقادر هو عين القدرة القائمة بالذات ، ومريد هو عين الإرادة القائمة بالذات ، وهكذا ... إلخ الصفات[1] ، وقدم الشيخ ـ رضي الله عنه ـ صفات المعاني على المعنوية اعتناء بثبوتها ، ووجوب وجودها له ـ تعالى ـ ، وردًا على المعتزلة النافين لها ؛ ولكونها أصلاً في التعلق ، والمعنوية تابعة لها في التعلق ، وقدم الشيخ ـ رضي الله عنه ـ المعنوية على المعاني في غير هذا الموضع ، لمناسبة أخرى ، وهي أن هذه لم يقع النزاع من المعتزلة فيها ، إذ هم قائلون بثبوتها ؛ ولقلة الكلام فيها ، وهذه قدمها في غير هذا الموضع ، ومن شأن ما قل فيه الكلام التقديم . الحاصل أن لكل مقام مقالاً وينبغي لأئمتنا أن يلتمس لهم ما يليق بقدرهم ، فإذا غاب عنا مقاصدهم فمن قصور فهمنا ، قاله ابن خدة .

ولما فرغ الشيخ ـ رحمه الله ـ من القسم الأول الذي يجب على المكلف معرفته وهي الواجبات في حق الله ـ تعالى ـ شرع في ذكر القسم الثاني الذي يجب على المكلف أيضًا معرفته ، وهو المستحيل في حقه ـ تعالى ـ فقال :

---

(1) ينظر حاشية الصاوي على شرح الخريدة ، ص 28 .

ما يستحيل في حقه ـ تعالى ـ

(**ومما يستحيل**) الواو استئنافية ، والسين والتاء للطلب ، أي طلب الشارع من المكلف أن ينفي عن الله ـ تعالى ـ المحالات ، ومن للتبعيض ، وما اسم موصول بمعنى الذي ، والمعنى من بعض الذي يستحيل (**في حقه**) أي بالنسبة إليه (**تعالى عشرون صفة**) وإطلاق الصفة على المستحيل مجاز ؛ لأنه عدم ، والصفة عبارة عن المعنى القائم بالموصوف كما تقدم[1] ، وأتى ـ رحمه الله ـ بمن التبعيضية ؛ ليفيد أن المستحيل في حقه ـ تعالى ـ لا نهاية له ؛ إذ كل ما لا يليق بجلاله مستحيل عليه ، ولا يحصر في هذه العشرين ، إلا أنها لما كانت أضدادًا لما قام الدليل عليه من الواجبات لله اقتصر عليها (**وهي**) أي العشرون صفة المستحيلة (**أضداد**) أي منافية (**العشرين الأولى**) يقول يستحيل في حقه ـ تعالى ـ كل ما ينافي صفة من الصفات الأولى ؛ لأن الصفات الأولى لما تقرر وجوبها له عقلاً وشرعًا وقد عرفت أن حقيقة الواجب ما لا يتصور في العقل عدمه لزم ألا يقبل ـ عز وجل ـ الاتصاف بما ينافي شيئًا منها فأطلق ـ رحمه الله ـ الضد عليها بحسب وضع اللغة ؛ لأن أهل اللغة يطلقون الضد على مطلق المنافي ، وأما في الاصطلاح فليست كلها أضدادًا ، بل بعض بالنقيض ؛ لما تقدم ، وبعضها أضداد كما ستقف عليه إن شاء الله ـ تعالى ـ ، وذلك لأن حقيقة الضدين : هما الأمران الوجوديان اللذان بينهما غاية الخلاف ، كالبياض ، والسواد ، والحركة ، والسكون ، والنقيض عبارة عن ثبوت الشيء ونفيه ، نحو زيد موجود ، وزيد ليس بموجود ، وهذا هو اصطلاح الأصوليين ، ولأهل المنطق اصطلاح غير هذا ، فانظره في شرح الشيخ[2] لهذا المحل اهـ

---

(1) ص 197 من هذا البحث

(2) ينظر : شرح أم البراهين للشيخ السنوسي ، ص 34 .

من الهدهدي[1] . ولما كانت هذه المحالات منافيات للواجبات ، كان عددها كعددها ، وترتيبها كترتيبها ، الأول من المحالات للأول[2] من الواجبات ، والثاني للثاني .. إلخ ، ذكر ما ينافي أول الواجبات بقوله (وهي :) أي العشرون صفة المستحيلة .

نقيض الوجود

أولها (**العدم**) وهو نقيض الوجود وليس بضد ؛ لأنّ العدم والوجود ثبوت أمر ونفيه .

أضداد صفات السُلوب

(**والحدوث**) وهو نقيض القدم ليس بضد ؛ لأن القدم والحدوث ثبوت أمر ونفيه (**وطرو**) أي لحوق (**العدم**) أي الفناء وهو نقيض البقاء ، وليس بضد ؛ لأن البقاء والفناء ثبوت أمر ونفيه ، وعطف الحدوث وطرو العدم على العدم من عطف الخاص على العام ، أو اللازم على الملزوم ، كما قال الشيخ[3] . وسبب تنويعه العطف اختلاف النظرين في الألف واللام ، هل هما للاستغراق ، أو الجنس الذي هو الحقيقة لصحة الأمرين هنا ، فعلى أن الألف واللام في الأول للاستغراق أن يكون عطف الحدوث ، وطرو العدم على العدم من عطف الخاص على العام ، كأنه يقول يستحيل في حقه

---

(1) ينظر : حاشية الدسوقي على أم البراهين ، ص 121–122 ، حيث ذكر الشيخ أن أنواع المنافاة على ما تقرر في المنطق أربعة : تنافي النقيضين ، وتنافي العدم والملكة ، وتنافي الضدين ، وتنافي المتضايفين ، وذكر الدسوقي الملكة بأنها : الأمر الوجودي القائم بالشيء ، كالبصر فإنه وجودي ، قائم بالعين ، وأما العدم فهو انتفاء ذلك الأمر عن المحل الذي من شأنه أن يتصف به .

(2) في (أ و م) : من الواجبات للأول .

(3) ينظر شرح أم البراهين ، ص 36 .

ـ تعالى ـ كل عدم، سابقًا كان أو لاحقًا أو مستمرًا ، وعطف استحالة الحدوث وطرو العدم ، وهما عدمان خاصّان ، فاستحالة الحدوث التي معناها استحالة عدم خاص ، وهو السابق ، واستحالة طرو العدم معناها استحالة عدم خاص وهو اللاّحق ، وعلى أن الألف واللام للحقيقة يكون عطف الحدوث وطرو العدم على العدم من عطف اللازم على الملزوم ، وبيانه أن حقيقة العدم أعم من كل فرد من أفرادها ، ولازمة له في الثبوت ، وأفرادها السابق ، واللاحق ، والمستمر ، وهو الذي ثبت للمستحيلات والجائزات التي أراد بقاءها في العدم ، واستحالة الحقيقة ملزومة لاستحالة كل فرد من أفرادها ؛ لما علم أن استحالة اللازم تؤذن باستحالة الملزوم ، فثبت لنا بهذا[1] أن عطف الحدوث ، وطرو العدم على العدم من عطف اللازم على الملزوم ، قاله سيدي عبد القادر ابن خدة الراشدي[2] . (**والمماثلة للحوادث**) ـ المماثلة للحوادث نقيض المخالفة ؛ لأن المماثلة عبارة عن الاتفاق في جميع صفات النفس فيما يجب ، ويستحيل ويجوز ، والمخالفة عبارة عن نفي المماثلة ، والتقابل بين النفي والإثبات تقابل النقيضين ، والحوادث جمع حادث ، والحادث المتجدد بعد عدم ، وهو المعبر عنه بالعالم ، وهو منحصر في الجواهر والأعراض ، كما هو مذهب المتكلمين خلافًا للحكماء[3] ولذا قال (**بأن يكون جرما**) ـ أي بسبب كونه جرما يكون مماثلًا للحوادث ، فالباء سببية والجرم ـ بكسر الجيم ـ ، وحقيقته ما ملأ قدرًا من الفراغ كسائر الأجرام ـ تقدس عن ذلك ـ واعلم أن الجرم أعم من الجسم ، ومن الجوهر الفرد على الانفراد ؛ لصدقه على كل منهما ، ولهذا عبر به[4] ،

---

(1) في (أ ، ح ، د) : بها ، وما أثبت من م .

(2) ينظر حاشية الدسوقي ، ص 127 .

(3) ينظر حاشية السعد على العقائد النسفية ، ص 62 .

(4) في (أ ، م) : عبر عنه .

فكل جوهر أو كل جسم جرم ، ولا ينعكس إلا جزئيًا[1] ؛ لأن معنى الجرم كل ما أشغل فراغا من الذوات ، مركبًا أو غيره ، والجسم ما تركب من جوهرين فأكثر ، والجوهر ما لم يتركب وهو ما بلغ في الدقة إلى حد لا يقبل القسمة عقلاً ، وفسر الشيخ ـ رحمه الله ـ الجرم بقوله (**أي تأخذ ذاته**) ـ الذات بمعنى الشيء ، والتاء فيه للوحدة لا للتأنيث ، ووصف الذات بقوله (**العلية**) أي علو رفعة وسلطان وعظمة وبرهان (**قدرًا**) أي مقدارا (**من الفراغ**) قال سيدي يحيى الزواوي[2] : هذا تفسير للجرم ، كأن سائلا سأله عن حقيقة الجرم فقال : الجرم ما شغل فراغًا ، وهذا هو التحييز الذي هو المانع ، ويختص بالجرم الكثيف ، إذ هو الذي يمنع غيره ، أو يحل في حيزه ، وأما الأجسام الشفافة فلا تمانع بينها وقوله (**أو يكون عرضا يقوم بالجرم**) ـ هذا أيضًا من أنواع المماثلة المستحيلة ، وهي كونه ـ تعالى ـ عرضًا ، وحقيقة العرض هو المعنى القائم بالجرم ، ولا يصح أن يقوم بنفسه ، وذلك كالبياض ، والسواد ، والحمرة ، والصفرة ، وسائر الألوان ، والطعوم ، والروائح ، والأصوات ، والحركة ، والسكون ، فهذه كلها أعراض يستحيل قيامها بنفسها ، وإنما تفتقر إلى أجرام تقوم بها ، وبهذا تعرف أن كل مخلوق منحصر في الأجرام والأعراض ، وأن الموجودات بالنسبة إلى المحل والمخصص على أربعة أقسام : قسم غني عن الذات والفاعل ، وهو ذات الله ـ تعالى ـ ، وقسم مفتقر إلى الذات والفاعل ، وهي الأعراض أي الصفات القائمة بالأجرام ؛ لاستحالة استغنائه عنها ، وقسم مفتقر إلى الفاعل ولا يحتاج إلى ذات يقوم بها ، وهي الأجرام ، وقسم موجود في الذات ولا يحتاج إلى فاعل ، وهي صفات مولانا ـ جل وعز ـ وقد تقدم هذا .

---

(1) أي بعض الجرم جوهر أو جسم .

(2) ينظر حاشية الشرقاوي ، ص 79 ، والزواوي قد يكون هو يحيى بن عتيق التدليسي أبو زكرياء المتوفى سنة 877هـ ، ينظر نيل الابتهاج ، ص 637 .

(**أو يكون**) ـ تبارك وتعالى ـ (**في جهة للجرم**) بأن يكون فوقه ، أو تحته ، أو يمينه ، أو شماله ، أو أمامه ، أو خلفه ؛ لأنه لو كان في جهة للجرم لزم أن يكون متحيزًا ، إذ لا يعمر الجهة إلا الأجرام ، فيؤدي إلى المماثلة ؛ لأن كون الشيء في جهة من خصائص الأجرام ، وإذا كان جرما ماثل الحوادث (**أو له**) ـ سبحانه وتعالى ـ (**جهة**) من الجهات الست ؛ لأن الجهة من لوازم الأجرام ؛ لأن فوق من عوارض عضو الرأس ، وتحت من عوارض عضو الرجلين ، ويمين من عوارض عضو اليمين ، وشمال من عوارض عضو الشمال ، وأمام من عوارض البطن ، وخلف من عوارض الظهر ؛ لأن الجهة لا تكون إلا للعاقل ، وغير العاقل لا جهة له ، فإذا قلنا عن يمين المسجد ، وعن يساره ، فإنما هو بالنظر إلى العاقل . والحاصل أن كونه له جهة ، أو الجهة له محال في حقه ـ تعالى ـ ، ولا غرابة في هذا لوجود ذلك في حق بعض الحوادث ، كالليل والنهار ـ مثلاً ـ فإنهما ليسا في جهة ولا جهة لهما فإذا تعقلناه في حق الحوادث فما بالك به في حق من بعد عن الأوهام . قال الشيخ الملالي : "من اعتقد الجهة في حقه ـ تعالى ـ فقيل إنه يكفر ، وقيل إنه لا يكفر ، بل هو فاسق مبتدع ، وبالله التوفيق"(1) (**أو يتقيد**) ـ سبحانه وتعالى ـ (**بمكان**) يعنى أنه يستحيل استقرار ـ تعالى ـ على المكان كالعرش ـ مثلاً ـ ؛ لأن الأمكنة محدثة لا يستقر عليها إلا من هو مفتقر إليها ، وهو ـ تعالى ـ لا يحل في مخلوق ، ولا يجاوره ، ولا يقابله ، ولا يماسه ، ولا يلاصقه ، ولو حل ربنا في مكان لكان محتاجًا إلى المكان ، ولو احتاج إلى مكان لعجز عن تكوين المكان وغيره ، وكل كائن في مكان لا يخلو من ثلاثة أوجه : إما أن يكون أصغر من المكان ، أو يتقدر بتقدير المكان ، أو أكبر منه . ومن كانت هذه صفاته جاز عليه التحيز والخصوصية

---

(1) شرح الملالي على أم البراهين ، ورقم رقم 10 ، وقد أسند الشيخ البيجوري عدم الكفر للشيخ عز الدين ابن عبد السلام مطلقًا ، وللنووي بقيد أنه من العامة ، ولابن أبي جمرة بعسر فهم نفيها ، (ينظر : حاشية البيجوري على الجوهرة ـ ص 165) .

بالجهات ، وكان وجوده وجودًا على التقييد لا وجودًا على الإطلاق ، فيلزم أن يكون جسمًا ، وإن كان جسمًا ماثل الحوادث . وأحسن تفريعات المكان أن يقال : إذا تمكن جرم على جرم بحيث يثبت عليه فالمستقر عليه مكان ، فالمكان إذا جرم فيؤدي إلى المماثلة (**أو**) يتقيد وجوده (**بزمان**) هذا من لوازم الجرمية والعرضية معًا ؛ لأنه لو تقيد وجوده بزمان لكان حادثًا ؛ لأن وجوده ـ تعالى ـ مطلق لا أول له ، فيستحيل تقييد وجوده ـ تعالى ـ بزمان ، إذ الزمان عبارة عن حركة الفلك ، وهذا محال عليه ـ تعالى ـ أن يكون في شيء ، إذ لا يكون في الأشياء إلا الأجرام ، وإذا قلنا الزمان اقتران حادث بحادث فالحق ـ سبحانه ـ محال عليه أن يقترن بالحوادث أو يقترن به حادث . "كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما هو عليه كان"[1] ، ـ فسبحان الغني عن المكان والزمان ـ (**أو تتصف ذاته العلية بالحوادث**) أي بصفات الحوادث ، مثال المماثلة المستحيلة باعتبار الصفات أن يستحيل عليه ـ تعالى ـ أن تكون صفاته حادثة كصفاتنا ؛ لأن الاتصاف بالحوادث من لوازم الأجرام ، فلو اتصف بالحوادث للزم حدوثه ؛ لأن المتصف بالشيء لا يخلو عنه ، أو مثله ، أو ضده ، وإذا كان الوصف حادثًا وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ، والحدوث على الله محال ، فوصفه لا يكون إلا قديمًا (**أو يتصف بالصغر أو الكبر**) ـ الصغر والكبر من لوازم الجرمية أيضًا ؛ لأن حقيقة الصغر ما قلت جواهره بالنسبة إلى ما فوقه ، والكبر : ما كثرت جواهره بالنسبة إلى ما دونه ، والصغر والكبر في حقه ـ تعالى ـ مستحيلان ، فأما قولهم : الله أكبر يفسر بوجوده ، فقيل معناه أكبر مكانة ، ورفعة ، وشرفًا ، وقيل معناه من أن يدرك بالحواس ، وقيل معناه الله الكبير ، والكبير هو الذي يصغر ويضمحل عند ذكره كل شيء ، وليس ـ تعالى ـ كبيرًا بعظمة جثة وكبر سن ، بل ـ العليّ ـ وصفه ،

---

(1) في (ح و م) على ما كان عليه ، وقد سبق تخريجه.

وهو استحقاقه لنعوت الجلال . والكبرياء نعت من صفات الجمال ، ومن علوه وكبريائه لأنه لا يصير بتكبير العباد له كبيرًا ، ولا بإجلالهم له جليلاً ؛ بل من وفقه لإجلاله فتوفيقه إجلاله ، ومن وفقه بتكبيره وتعظيمه فقد رفع محله ، ولا يلحقه نقص فينجبر بتعظيم المخلوقين ، ولا يحل بساحته وهم فينتفي بوجود عبادة العابدين أو (**يتصف**) ـ تبارك وتعالى ـ (**بالأغراض**) ـ بالغين والضاد المعجمتين ـ فالغرض محال في حقه ـ تعالى ـ ، وهو عبارة عن باعث يبعثه على إيجاد فعل من الأفعال أو على حكم من الأحكام الشرعية لمصلحة تعود إليه أو إلى خلقه ؛ لأن المصلحة إن كانت ترجع إليه ، لزم اتصافه بالحوادث ، إذ لا تحصل إلاَّ بعد الفعل ، أو الحكم فتكون حادثة ، وقد تقدم استحالة اتصافه ـ تعالى ـ بالحوادث ، ولو كانت ترجع إلى خلقه لزم احتياجه في إيصاله لخلقه إلى واسطة ، وأيضًا لو لم يكن يوصلها على هذا التقدير الفاسد لكان ناقصًا ، وبإيصالها يرفع النقص ، ورفع النقص كمال ، فيكون قد اتصف بكمال حادث ، وقد تقدم استحالة اتصافه ـ تعالى ـ بالحوادث ، فتعين أن أفعاله وأحكامه بلا غرض ، بل بمحض اختياره ـ جل وعلا ـ ، وأن المماثلة عليها محال ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1] في (**الأفعال**) . جمع فعل كالخلق ، والرزق ، والإحياء ، والإماتة ، ونحو ذلك وفي (**الأحكام**) . جمع حكم والمراد به الأحكام الشرعية الخمسة : الإيجاب ، والندب ، والتحريم ، والكراهية ، والإباحة ، وما قررناه من رجوع المماثلة للذات والصفات ، والأفعال ، كلام بيّن لا إشكال فيه أصلاً ، إذ لو كان جرمًا لماثَلَنَا في الذات ، ولو اتصف بالحوادث لماثلنا في الصفات ، ولو كانت أفعاله وأحكامه لأغراض لماثلنا في الأفعال ، إلا أن قوله بأن يكون جرمًا .. إلخ ، وقوله أو يكون عرضًا يقوم بالجرم مثال للمماثلة حقيقة وقوله أو يكون في جهة لجرم أو له هو

(1) سورة الشورى ، الآية 11 .

جهة ، أو يتقيد بمكان ، أو زمان ـ مثلاً ـ لا يؤدي إلى المماثلة ؛ لأن كون الشيء في جهة أو له جهة ، والتقييد بالأمكنة والأزمنة من خصائص الأجرام وقد تقدم بيان ذلك كله ـ والله أعلم ، فتلخص لنا مما تقدم أن أسباب المماثلة عشرة ، فتنتفي المماثلة بنفي جميعها ، وتثبت المماثلة بثبوت واحد منها ، وهي كونه جرما ، وكونه عرضا ، وكونه في جهة للجرم ، وكونه له جهة ، وكونه متقيدًا بمكان ، وكونه متقيدًا بزمان ، وكون ذاته متصفة بالحوادث ، وكون ذاته متصفة بالصغر ، وكون ذاته متصفة بالكبر ، وكونه متصفًا بالأغراض في فعل ، أو حكم . وعطف المماثلة للحوادث على الحدوث وطرو العدم من عطف اللازم على الملزوم ، إذ المماثلة للحوادث على الحدوث وطرو العدم من حيث إن كل ما ثبت حدوثه وطرو عدمه ، فهو مماثل للحوادث ، واللازم هنا مساو للملزوم ؛ إذ يلزم أيضًا من ثبوت المماثلة للحوادث وجوب سبق العدم الذي هو معنى الحدوث ، وجواز خرق العدم الذي هو الفناء (**وكذا يستحيل عليه تعالى ألا يكون قائمًا بنفسه**) هذا نقيض حقيقة ، لصدق حقيقة النقيض عليه ، إذ حقيقته كما تقدم إثبات أمر ونفيه ، قاله الدليمي . أي وكاستحالة ما ذكر يستحيل عليه ألا يكون قائمًا بنفسه ، وحقيقة نفي القيام بالنفس عبارة عن الافتقار إلى المحل والمخصص . قال سيدي عبد القادر بن خدة إنما أتى هنا بكذا لطول الكلام في أوجه المماثلة[1] ولتعدد وجوهها ، فلو قال وأن لا يكون قائمًا بنفسه لتوهم أن عدم القيام بالنفس من وجوه المماثلة ، وهو باطل ؛ إذ عدم القيام بالنفس أعم من المماثلة بدليل صدقه على الصفة القديمة ، وعلى الجرم ، والعرض (**بأن يكون**) ـ تبارك وتعالى ـ (**صفة**) من بياض ، وسواد ، ونحو ذلك (**يقوم بمحل**) أي ذات فهو تفسير للصفة ؛ لأن الصفة يستحيل قيامها بنفسها ؛ بل هي قائمة بالذات ، إذا استحال عليه القيام

---

(1) ينظر حاشية الدسوقي ، ص 133 .

بالمحل استحال اتحاده به ، أي صيرورته معه شيئًا واحدًا ، والاتحاد مطلقًا في القديم والحادث ، وإذا عرفت استحالة قيامه بمحل ، أو استحالة اتحاده عرفت استحالة قيام صفته بذات غيره واتحاده به ، فيبطل ما قالت النصارى (**أو**) للتنويع (**يحتاج**) أي يفتقر (**إلى**) **مخصص** ـ بكسر الصاد مع التشديد ـ أي فاعل ؛ لأنه لا يحتاج إلى المخصص إلا الحوادث ؛ لأن الأثر المخصص لا يكون حادثًا ، وقد وجب له القدم والبقاء فلا تقبل ذاته العلية ، ولا صفاته المرتفعة السنية العدم أصلاً ، فهو المنفرد بالغنى المطلق وحده ـ تبارك وتعالى ـ ، وإذا وجب له الغنى المطلق فلا يكون محتاجًا إلى شيء عمومًا ؛ لأن الحاجة نقص ، والمحتاج مفتقر للتكميل وذلك في حق الله محال ، ولله در أبي الفضل ابن عطاء الله في قوله : "أنت الغني لذاتك عن أن يصل إليك النفع منها فكيف لا تكون غنيًا عنها ؟"[1] وأحدث العالم من غير احتياج ولو شاء ما أحدثه قاله سيدي أحمد المقري[2] (**وكذا يستحيل عليه تعالى ألا يكون واحدًا**) هذا نقيض حقيقة أيضًا ، ولا نافية ، أي وكاستحالة عدم القيام بالنفس يستحيل عدم الوحدانية ، وحقيقة نفي الوحدانية عبارة عن ثبوت التعدد في الذات ، والصفات ، والأفعال ، وقوله (**بأن يكون مركبًا في ذاته**) والتركيب : هو اجتماع جوهرين فأكثر ، وهذا هو الحكم المتصل في الذات ، وأشار بقوله (**أو يكون له مماثل في ذاته**) ـ إلى نفي الكم المنفصل في الذات ، وبقوله : (**أو في صفاته**) ـ إلى نفي الكم المنفصل في الصفات بأن يكون لأحد من المخلوقات صفة مثل صفة من صفات الله ، والاعتبار في الموافقة بالتسمية ، وإنما المحال أن يكون للعبد قدرة يخرج بها الأشياء من العدم إلى الوجود ، أو إرادة عامة بالتعلق بالممكنات أو علم محيط بجميع المعلومات ، أو نحو ذلك من

---

(1) الحكم العطائية بشرح زروق ، ص 445 .

(2) ينظر الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، ص 223 ، 224 .

خصائص صفات الألوهية ، فوحدانية الذات تنفي التركيب في ذاته ـ تعالى ـ ووجود ذات أخرى تماثل ذاته العليا ، ووحدانية الصفات تنفي التعدد في حقيقة كل واحد منها متصلاً كان ، أو منفصلاً فعلمه ـ جل وعز ـ ليس له ثان يماثله لا متصلاً أي قائمًا بالذات العلية ؛ ولا منفصلاً أي قائمًا بذات أخرى ، بل هو ـ تعالى ـ يعلم المعلومات التي لا نهاية لها بعلم واحد لا عدد له ، ولا ثاني له أصلاً ، ويقدر على جميع المقدورات بقدرة واحدة ولا تتعدد بعدد المقدورات ، وقس على هذا سائر صفاته ـ جل وعز ـ وأشار بقوله (**أن يكون معه في الوجود مؤثر في فعل من الأفعال**) إلى استحالة الشريك في فعل من الأفعال ، وهذا هو الكم المتصل في الأفعال ، وهو أعم مما قبله ، وذلك ينفي أن يكون لشيء من الأسباب العادية تأثير فيما قارنها ، فلا أثر للنار في الإحراق ، ولا للطعام في الشبع ولا للسكين في القطع ، وإلا لزم ألا يكون مولانا واحدا في أفعاله ، فمن اعتقد أن شيئًا من الأسباب العادية يؤثر بطبعه أي بذاته وحقيقته فلا نزاع في أنه كافر ، وإن اعتقد حدوث الأسباب العادية ، وليست تؤثر بطبعها ، وإنما الله خلق فيها قوة ، وتلك القوة تؤثر فهو فاسق ، وفي كفره قولان ، والصحيح عدم الكفر ، وإن اعتقد حدوث الأسباب وأنها لا تؤثر بطبعها ولا بقوة جعلها الله فيها ، وإنما المؤثر هو الله لكن التلازم بينها وبين ما قارنها عقلي لا يمكن تخلفه فهذا جاهل بحقيقة الحكم العادي ، وربما جره ذلك إلى الكفر ، بأن يجحد بعث الأجسام ؛ لأنه خلاف المعتاد وكذلك معجزات الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ، ومن اعتقد حدوث الأسباب ، وأنها لا تؤثر بطبعها ، ولا بقوة جعلها الله فيها ، ويعتقد صحة التخلف في أن يوجد السبب العادي ، كالأكل ، ولا يوجد الشبع الذي هو المسبب ، وإنما المؤثر في السبب هو الله ـ تعالى ـ فهو الموحد الناجي بفضل الله من

الهلاك ، قاله الهدهدي[1] . وعطف عدم الوحدانية على عدم القيام بالنفس من عطف اللازم على الملزوم ؛ إذ عدم الوحدانية إما ثبوت التعدد في الذات ، أو الصفات ، أو ثبوت الشريك في الأفعال ، والتعدد في الثلاثة أو في بعضها يستلزم العجز ، والعجز يستلزم الحدوث ؛ لمماثلة للحوادث فيما لها من العجز ، والمماثلة للحوادث تستلزم عدم القيام بالنفس وملزوم الملزوم ملزوم ، وعدم القيام بالنفس لا يستلزم نفي الوحدانية لثبوت عدم القيام بالنفس ؛ لصفاته ـ تعالى ـ مع وحدتها ، والعطف هنا في قوله : وكذا وما بعده كالعطف فيما قبله ، وقد سبق الكلام عليه آنفًا قاله سيدي عبد القادر بن خدة .

أضداد صفات المعاني

(**وكذا يستحيل عليه العجز**) لما فرغ الشيخ ـ رضي الله عنه ـ من أضداد السلوب شرع يتكلم على أضداد المعاني ، أي وكاستحالة المذكور من جميع المستحيلات يستحيل عليه ـ تعالى ـ العجز ، فالعجز ضد القدرة ، والتنافي الحاصل بين العجز والقدرة من باب تنافي الضدين حقيقة ؛ لصدق حقيقة الضدين عليهما ؛ لأن القدرة وجودية والعجز كذلك والعجز في حقه ـ تعالى ـ مستحيل من أوجه : أحدها أنه ضد القدرة الأزلية ، وكل ما كان ضدها فهو محال ، والثاني أنه نقص والنقص في حقه محال ، والثالث أن العجز لا يقبل الأزلية ؛ لأنه لا يثبت بمعنى الصلاحية ، ولا يكون إلا بالفعل ، وبيانه العجز يستدعي معجوزًا عنه ولا معجوز عنه في الأزل فلا عجز في الأزل ، ومهما لا يقبله في الأزل لا يقبله فيما لا يزال لاستحالة اتصافه ـ تعالى ـ

---

(1) ينظر حاشية الشرقاوي على شرح الهدهدي ، ص 82 ، وقال الصاوي في حاشيته على الدردير ، ص 36 : (ومن اعتقد عدم تأثيرها فيما قارنها وإنما جعلت دليلاً عليها فهو المؤمن والسني صدقًا كما تفيده عبارة السنوسي في كتبه) .

بالحوادث قاله الدليمي ، وقوله (**عن ممكن ما**) عدى الشيخ - رضي الله عنه - **العجز** بعلى ، وهو إنما يتعدى بعن ، إنما لكونه من باب حمل الضد على الضد ، فعدى العجز بما يتعدى به ضده الذي هو القدرة ، وهو يتعدى بعلى ، أو على بمعنى عن في كلامه ، إذ حروف الجر ينوب بعضها عن بعض كقول الشاعر[1] :

إذا رضيت عليَّ بنو تميم إذا والله يعجبني رضاها

وقوله ممكن ما هو موصوف مع صفته ، فممكن نكرة ، وصفتها ما ، تقديره ، أي ممكن ، كأنه قال أي ممكن قدره جرمًا ، أو عرضًا ، أو غيرهما قليلاً ، أو كثيرًا ، أو متوسطًا ، فما اسمية صفة ليمكن ، فيكون وصف نكرة بنكرة ، فيفيد عموم الممكنات ، قلّت أو كثرت ، ويحتمل أن تكون حرفية زائدة ؛ لتأكيد التنكير ، على كل حال فهي لتأكيد القلة (**و**) كذا يستحيل عليه - تعالى - (**إيجاد شيء من العالم**) - بفتح اللام - : كل ما سوى الله - تعالى - (**مع كراهته لوجوده**) مع - بفتح العين - اسم بمعنى المصاحبة ، والضمير في كراهته عائد على الله - تعالى - وفي قوله لوجوده عائد على الشيء ، أي يستحيل عليه - تعالى - أن يوجد شيئًا من العالم مصاحبًا إيجاده لكراهة وجوده .

ولما كان المراد من الكراهة هنا الكراهة العقلية التي لا يتأتى معها الفعل فسرها المؤلف بقوله (**أي عدم إرادته له تعالى**) هذا ضد الإرادة ، ومعناه : يستحيل على الله أن يخلق شيئًا من غير إرادة له - تعالى - بل ما أوجدها إلا وهو يريدها إذ يتعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد ، وإنما فسر الشيخ - رضي الله عنه - الكراهة بعدم الإرادة احترازًا عن الكراهية الشرعية ، فإنه يتأتى معها الفعل ؛ إذ يجوز أن يكون المكروه

---

(1) البيت من البحر الوافر ، وهو للقحيف العقيلي من كلمة يمدح بها حكيم بن المسيب القشيري والشاهد فيه مجيء على بمعنى عن كما استشهد به الشيخ الغدامسي ، وهو في شرح ابن عقيل ، 2/ 26 الشاهد رقم 209 (إذا رضيت علي بنو قشير) .

كراهة شرعية مرادًا لله ـ تعالى ـ ، والمحرم ما وقع إلا بإرادة الله ـ عز وجل ـ إذ لا ملازمة بين الأمر والإرادة على مذهب أهل السنة[1] ؛ بل بينهما عموم وخصوص من وجه ، فقد يأمر ويريد كإيمان الأنبياء ، والملائكة ، وسائر المؤمنين ، وقد لا يأمر ، ولا يريد كالكفر في حقهم ، وقد يأمر ولا يريد ، كإيمان من سبق في علم الله أنه لا يؤمن كأبي جهل وأضرابه ، فإنه مأمور بالإيمان ، ولم يرده الله ـ تعالى ـ منه ، وقد يريد ولا يأمر كالمحرمات ، والمكروهات ، فإنه أرادها بدليل وقوعها ولم يأمر بها قاله الشيخ الهدهدي[2] (**أو**) إيجاد شيء من العالم مع (**الذهول**)[3] هذا معطوف على قوله مع كراهته ؛ لوجوده ، أي ومما يستحيل في حقه ـ تعالى ـ إيجاد شيء من العالم المذهول ، والذهول ـ بالذات المعجمة ـ هو عدم العلم بالشيء مع تقدمه ، ومعناه على التقدير الفاسد أن يكون المولى يعلم الممكنات قبل إيجادها ، ويذهل عنه حالة الإيجاد قيل وسببه عدم إثبات التصور حيرة ودهشًا قال ـ تعالى ـ : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ ﴾[4] الآية ، ووجه منافاته للإرادة أن الإرادة هي القصد إلى تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه ، والقصد إلى الشيء يستلزم العلم به ، والعلم بالشيء مع الذهول عنه محال فيكونان ضدين بواسطة العلم ـ والله أعلم ـ انظر المقّري : (**أو**) إيجاد شيء من العالم مع (**الغفلة**) الغفلة عبارة عن عدم العلم بالشيء ، وسواء تقدم له ذكر أم لا ، فهو أعم من الذهول ، ومعنى ذلك على التقدير الفاسد أن يكون المولى يوجد شيئًا من الممكنات في حالة غفلة عنه سواء كان يعلمه قبل ذلك أو لا ،

(1) ينظر حاشية البيجوري ، ص 124 .

(2) ينظر : شرح الهدهدي بحاشية الشرقاوي ، ص 85 .

(3) قال في مختار الصحاح ، ص 24 ذهل عن الشيء نسيه وغفل عنه ، وقال : الزمخشري في الأساس ، تناساه عمدًا أو شغل عنه (مادة ذهل) .

(4) سورة الحج ، الآية 2 .

وعدم علمه بها قبل وجودها ، وعند وجودها وبعده محال ، ووجه منافاتها للإرادة أن الإرادة هي القصد إلى تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه والقصد إلى الشيء يستلزم العلم به ، والعلم بالشيء مع الغفلة عنه محال ، فتكون ضدًا بواسطة العلم ـ والله أعلم ـ (أو) إيجاد شيء من العالم (**بالتعليل**) بأن تكون الذات العلية علة لوجود شيء من الممكنات بمعنى أن يكون وجوده يلزم منه وجود الكائنات كلزوم المعلول لعلته ، ووجه منافاته للإرادة أن هذا يستلزم عليه قدم ذلك الممكن لوجوب اقتران العلة بمعلولها ، وذلك ينفي إرادة وجود ذلك الممكن القديم ؛ لأن القصد إلى إيجاد الموجود محال ؛ إذ هو من باب تحصيل الحاصل ، فلهذا لما اعتقد الملحدة من الفلاسفة ـ أهلكهم الله تعالى وأخلى منهم الأرض ـ إن إسناد العالم إليه ـ تعالى ـ إنما هو على طريق إسناد المعلول إلى العلة قالوا بقدم العالم ونفوا ـ لعنهم الله ـ جميع الصفات الواجبات لمولانا ـ جل وعز ـ من القدرة ، والإرادة ، وغيرهما ، وذلك كفر صراح (أو) إيجاد شيء من العالم (**بالطبع**) أي بغير قصد واختيار ، كما هو مذهب الطبائعيين[1] ـ لعنهم الله تعالى ـ حيث زعموا أن الذات العلية مؤثرة في الممكنات بالطبع ، يعنى جعلوا وجود الطبيعة وجود مطبوعها ، ووجه منافاته للإرادة أن ذلك لمقارنة وجود العالم بوجود الذات ، ويلزم عليه قدم ذلك الممكن ؛ لوجوب اقتران الطبيعة بمطبوعها ، وذلك ينفي إرادة وجود ذلك الممكن القديم لأن القصد إلى إيجاد الموجود محال ؛ إذ هو من باب تحصيل الحاصل فلو كان ـ سبحانه ـ مؤثرًا في العالم بالتعليل ، أو الطبع لزم عدم الاختلاف في العامل ؛ بل يكون كله على مقدار واحد ، وصفة واحدة ، كيف وفاعل العوالم قد خالف بينها في المقدار ، والصفة ، والأزمنة ،

(1) قال الغزالي في المنقذ من الضلال ، ص 14 : (هم قوم يذهبون إلى أن النفس تموت ، ولا تعود ، فجحدوا الآخرة وأنكروا الجنة ، والنار ، والحشر ، والنشر ، والقيامة ، والحساب ، فلم يبق للطاعة ثواب ، ولا لمعصية عقاب) .

والأمكنة تخالفًا لا يمكن حصره ، بل الذات الواحدة يتنوع فيها اختلافًا لا يمكن ضبطه ، والإحاطة به ، كذات الإنسان ، وغيره ، وقد برهن الله ـ سبحانه وتعالى ـ على تكذيبهم بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ ﴾[1] الآية : وتقديره أنه لو كان ـ تعالى ـ فاعلاً بالتعليل ، أو الطبع[2] كما زعموا لما اختلفت أفعاله مع اتحاد[3] أسبابها ، كالنار في إحراقها ، والماء في إغراقه وتبريده ، والشمس في تسخينها لكن أفعاله مختلفة مع اتحاد أسبابها ؛ لأن الجنس الواحد[4] من الشجر كالرمان ـ مثلاً ـ يسقى بماء واحد ، ثم يختلف طعمه ، فمنه حلو ، ومنه حامض ، وهذا دليل على أن الصانع فاعل بالاختيار ، لا بالتعليل والطبع ، انتهى قاله الزركشي انظر أبا الحسن[5] على القرطبية ومثال العلة عند القائل بها تحريك الإصبع فإنها علة لحركة الخاتم ، ويلزم من حركة الإصبع حركة الخاتم ، ومثال الطبيعة عند القائل بها : النار فإنها طبيعة تؤثر في الإحراق ، ولكن إذا وجد شرطها ، وهو مماستها للحطب ـ مثلاً ـ وانتفاء مانعها وهو البلل ، وهذا هو الفرق بينها وبين العلة ؛ إذ العلة لا يتوقف تأثيرها على شيء بخلاف الطبيعة ، ووجه منافاة هذه الأمور للإرادة أن الكراهية تستلزم نفي الإرادة ، والذهول والغفلة يستلزمان نفي العلم المستلزم نفي الإرادة ؛ لأن الإرادة هنا القصد إلى تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه ، والقصد

---

(1) سورة الرعد ، الآية 4 .

(2) التعليل : أي تأثير العلل في معلولها بحيث إذا وجدت العلة وجد المعلول ، كحركة الخاتم تبعًا لحركة الإصبع . والطبع هو : تأثير الأشياء بطبيعتها وحقيقتها ، ولكن تأثيرها متوقف على وجود الشرط ، وانتفاء المانع كالنار تحرق بطبعها بشرط مماستها للشيء المحرق ، وانتفاء المانع هو البلل ، هذا هو مذهب الفلاسفة الطبائعيين ، (ينظر : شرح الخريدة للدردير ، ص 25) .

(3) في (م) إيجاد .

(4) الواحد سقط من (أ و ح) .

(5) ينظر شرح الخريدة ، ص 26 .

إلى ما يجهل محال كما تقدم آنفا ـ والله أعلم ـ (**وكذا يستحيل عليه تعالى الجهل**) أي وكاستحالة العجز وما عطف عليه ، يستحيل عليه الجهل . وحقيقة الجهل اعتقاد الشيء على خلاف ما هو به ، وهو مستحيل في حقه ـ تعالى ـ ، بسيطًا كان أو مركبًا ، وحقيقة الجهل البسيط هو عدم إدراك أمر من الأمور ، وحقيقة الجهل المركب اعتقاد أمر على خلاف ما هو به ، يعني جهلك للشيء ، وجهلك لجهله ، والتنافي الحاصل بين العلم والجهل المركب من باب تنافي الضدين ، والتنافي الحاصل بينه وبين الجهل البسيط من باب المساوي للنقيض (**و**) كذلك يستحيل عليه ـ تعالى ـ (**ما في معناه**) الذي في معنى الجهل والذي في ذلك كالظن ، والشك ، والوهم ، والنوم ، والنسيان ، والغفلة ، والذهول ، والتفكر في الأشياء ، وكون العلم ضروريًا أو نظريًا . ووجه منافاة هذه الأشياء للعلم أن العلم بالشيء يوجب حضوره بالبال ، وهذه توجب غيبته عنه ، وحقيقة الظن هو احتمال الراجح ، والوهم هو احتمال المرجوح ، والشك ما استوى طرفاه كما تقدم (**بمعلوم ما**) موصوف وصفته فمعلوم : نكرة وصفتها ما ، والتقدير : أي معلوم كان ولو قل ؛ لأن ما لتأكيد القلة (**و**) كذا يستحيل عليه ـ تعالى ـ (**الموت**) وهو عبارة عن ضد الحياة فهما ضدان حقيقة خلافا لمن جعل الموت عدم الحياة ؛ لأن المحل الذي يقبلها إذا لم يتصف بها يتصف بضدها ، ولا يخلو عنها ، أو عن ضدها ، والدليل على كون الموت وجوديًا قوله ـ تعالى ـ : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾[1] وهذا الحد عام في القديم ، والحادث والخاص ، فالحادث عبارة عن مفارقة الروح البدن ، والخاص بالله ـ تعالى ـ هو عبارة عن كون حياته بروح أو مزاج (**و**) وكذا يستحيل عليه ـ تعالى ـ (**الصمم**) وهو عبارة عن ضد السمع ، فهما ضدان حقيقة ؛ لأن حقيقته غيبة موجود ما عن سمعه ـ تعالى ـ والغيبة معنى من المعاني ، وهو في حق

---

(1) سورة الملك ، الآية 2 .

الله محال ، وفي حقنا جائز ، وحقيقة الخاص بالحوادث عبارة عن تعذر سماع الكلام المركب من الحروف والأصوات (و) يستحيل عليه - تعالى - (**العمى**) وهو عبارة عن ضد البصر بوجود آفة تمنعه ، هذه حقيقة عامة ، ومعناها في حق الله محال ، وفي حقنا جائز ، وحقيقة الخاص بالله - تعالى - عبارة عن غيبة موجود ما من الموجودات عن صفة البصر ، وحقيقة الخاصة بالحوادث عبارة عن تعذر رؤية الأجسام ، وألوانها ، وأكوانها ، والتنافي الحاصل بينهما من تنافي الضدين (و) وكذا يستحيل عليه - تعالى - (**البكم**) وهو عبارة عن ضد الكلام بوجود آفة تمنعه ، هذه حقيقة عامة ، ومعناها في حق الله محال ، وفي حقنا جائز ، وحقيقته الخاصة به - تعالى - عبارة عن كون كلامه بالحرف ، والصوت والسكوت المركب من الحروف والأصوات ، والتنافي الحاصل بينهما تنافي الضدين قال الشيخ الملالي[1] : ولا يقال : لأي شيء نبه المؤلف - رحمه الله تعالى - على استحالة الموت ، وما بعدها مع أن هذه الأشياء نقائص بالنسبة إلى المخلوق، فكيف بالخالق - جل وعلا - فلا يتوهم اتصاف الباري بها ؛ لأنا نقول يصح نفي النقائص عنه - تعالى - ولو لم يتوهم اتصاف الباري - تعالى - بها بدليل قوله - صلى الله عليه وسلم - في الدجال : "**أَعْورُ وَرَبُّكُمْ لَيْسَ بِأَعْورَ**"[2] وقوله - صلى الله عليه وسلم - "**إِنَّكُم لا تدْعُونَ أَصَمَّ ، ولا أعْمَى ، وَلاَ غَائبًا**"[3] اهـ والحاصل أن التقابل بين الصمم ، والعمى ، والبكم ، والسمع ، والبصر ، والكلام على مذهب أهل السنة - رضي الله عنهم - ومن وافقهم من علماء الكلام من باب تقابل الأضداد لا من باب

---

(1) شرح الملالي على السنوسية ورقم رقم 11 .

(2) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري ، كتاب الجهاد والسير عن ابن عمر - رضي الله عنهم - 6/ 172 ومسلم في صحيحه بشرح النووي ، كتاب الفتن وأشراط الساعة عن ابن عمر أيضًا ، 18/ 59 .

(3) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري ، كتاب الجهاد والسير عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - 6/ 135 ، والترمذي في سننه ، كتاب الدعوات عن أبي موسى كذلك ، 5/ 287 .

تقابل العدم والملكة ، خلافًا للفلاسفة من المناطقة فإن حقيقة الصمم عندهم عبارة عن عدم السمع عما من شأنه أن يتصف بالسمع ، وحقيقة العمى عبارة عن عدم البصر عما من شأنه أن يتصف بالبصر ، وحقيقة البكم عبارة عن عدم الكلام عن ما من شأنه أن يتصف بالكلام ، وأهل السنة ومن وافقهم ليست عندهم حقائق عدميات من الصمم ، والعمى ، والبكم ، بل هو عندهم حقائق وجودية وأنها عبارة عن وجود مانع من آفات ونحوها في محل أضدادها وانظر كلام المؤلف في شرحه على ماذا يحمل هل على مذهب أهل الحق ويحمل على المجاز في تعبيره بالعدم ، حيث قال[1] : والمراد بالصمم .. إلخ ، عدم السماع .. إلخ أو يحمل على مذهب أهل المنطق حملاً لكلامه على الحقيقة ، وهو الظاهر من لفظه ، هذا مما كان يتردد فيه بعض شيوخنا اهـ من الدراوي وبعض بالمعنى .

أضداد الصفات المعنوية

(**وأضداد**) أي منافيات (**الصفات المعنوية**) الملازمة لصفات المعاني (**واضحة**) أي ظاهرة من (هذه) أي من أضداد صفات المعاني ، وذلك إذا تحققت أن ضد القدرة على الممكنات العجز عن ممكن ما علمت أن ضد كونه قادرًا على جميع الممكنات كونه عاجزًا عن ممكن ما ، وذلك إذا علمت أن ضد الإرادة الكراهية علمت أن ضد كونه مريدًا كونه كارهًا للفعل ، أي غير مريد له مع إيجاده له ، أو كونه يفعل فعلاً بالتعليل ، أو الطبع ، أو مع الذهول ، أو الغفلة ، وضد كونه ـ تعالى ـ سميعًا كونه ـ تعالى ـ أصم ، أي يغيب عن سمعه موجود ما ، وضد كونه ـ تعالى ـ بصيرًا كونه ـ تعالى ـ أعمى أي يغيب عن بصره ـ جل وعلا ـ موجود ما ، وضد كونه

---

(1) في شرحه لأم البراهين ، ص 42 .

ـ تعالى ـ متكلمًا كونه ـ جل وعلا ـ أبكم ، أي يقصر كلامه عن معلوم ما ، أو كونه ـ تعالى ـ متكلمًا بالحرف والصوت ، أو كونه ساكتًا عن معلوم ما .

ولما فرغ ـ رحمه الله ـ من ذكر القسمين الأولين مما يجب على المكلف معرفته ، وهما : الواجب ، والمستحيل ، شرع في ذكر القسم الثالث مما يجب على المكلف معرفته ، وهو الجائز في حقه ـ تعالى ـ فقال :

الجائز في حقه تعالى

(**وأما الجائز في حقه**) أي بالنسبة إليه (**تعالى**) لأن الجائز بالنسبة إلى غيره ، يطلق على معان (**ففعل كل ممكن أو تركه**) فلا يجب عليه ـ تعالى ـ فعل شي منها ، ولا يمتنع من فعل ، ولا يجب عليه ترك[1] ولا يمتنع من ترك ، ولا يجب عليه حكم ، ولا يمتنع من حكم ، بل يجوز في حقه الفعل ، ويجوز في حقه الترك ، ويجوز في حقه الحكم ، يفعل ما يشاء ، ويترك ما يشاء ، ويحكم بما يشاء ، ـ جل الرب الكبير المتعال ـ ، ويدخل في ذلك الثواب والعقاب وبعث الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كما تقدم، والصلاح ، والأصلح للخلق ، والبعث لعين هذا البدن لا لمثله ، والحوض ، والشفاعة ، ورؤية الله ـ تعالى ـ على ما يليق بكماله ؛ لأنها ممكنة خلافًا للمعتزلة الذين رأوا استحالتها ، وأما رؤيته في الدار الآخرة في حق المؤمنين فهي واجبة سمعًا ، يجب الإيمان بها ، وكذا ما أخبر به الشارع من ثواب وعقاب بعد صحته فهو واجب سمعًا ، وأما قبل صحته فهو جائز في العقل يصح وجوده وعدمه ، والفرق بين الصلاح والأصلح هو إثبات الله ـ تعالى ـ لعبيده الطائعين الثواب منه ؛ لأعمالهم تكرمًا ، والأصلح هو إعطاؤهم الثواب بلا عمل يوجب ذلك فعلى هذا لو وجب على الله

(1) في ح : زيادة شيء منها .

أمران[1] الصلاح والأصلح لما وقع على العباد تكليف بالعمل ، ولا وقعت عليهم محنة في الدنيا والآخرة ، فتعين أن يكون حينئذ الصلاح والأصلح في حقه ـ تعالى ـ جائزين لا واجبين قال سيدي يحيى الزواوي قول الشيخ فعل كل ممكن أو تركه يعني على البدلية ، وأما فعل[2] جميعها في آن واحد محال وليس بجائز لما يلزم عليه من دخول ما لا نهاية له في الوجود (**أما**) وهي كلمة فصل وافتتاح تستعمل مقرونة ببعد ، وقد تجرد من بعد كما فعل المؤلف ـ رحمه الله ـ ، وقد يكتفي ببعد عنها ، وهي من فصيح الكلام لأنها تشعر بانقطاع ما بعدها عن ما قبلها ، وتنبه السامع للإصغاء ؛ لأمر غير الأول ، وهي فصل الخطاب الذي أوتيه داود ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ وهل هو أول من نطق بها أو قس ابن ساعدة[3] أو كعب بن لؤي[4] ، أو سحبان[5] وائل[6] أو يعرب[7] بن قحطان[8] أقوال .

---

(1) في جميع النسخ : أمران ، ولعل الصواب : أمرا بالإضافة .

(2) (فعل) : سقط من ح .

(3) هو قس بن ساعدة بن عمرة بن عدي بن مالك ، ويقال إنه أول عربي خطب متوكئًا ، أدرك النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل النبوءة ، قال عنه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (يُحشر أُمةً وَحْدهُ) ، توفي سنة 600م ، (ينظر : الأعلام ، 5/ 196) .

(4) هو كعب بن لؤي بن غالب ، من قريش ، من عدنان ، خطيب من سلسلة النسب النبوي ، كان عظيم القدر عند العرب حتى أرخوا بموته إلى عام الفيل ، وهو أول من سن الاجتماع يوم العروبة ، توفي سنة 173 قبل الهجرة ، (ينظر : الأعلام ، 5/ 228) .

(5) في (ح) : جابر ، وهو تحريف .

(6) هو سحبان بن زفر بن إياس الوائلي ، من باهلة ، يضرب به المثل في البيان فيقال : أخطب من سحبان ، فقد كان لا يعيد كلمة قالها ، ولا يتوقف ، ولا يقعد حتى يفرغ ، اسم في زمن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يجتمع به ، له شعر قليل ، توفي سنة 54هـ ، (ينظر : الأعلام ، 3/ 97) .

(7) في (ح) يعقوب ، وهو تحريف .

(8) هو يعرب بن قحطان بن عامر أحد ملوك العرب في جاهليتهم الأولى يوصف بأنه من خطبائهم وحكمائهم ، مات بصنعاء بعد أبيه بنحو ثلاثين عامًا ، (ينظر : الإعلام ، 8/ 192) .

وقال بعض المحققين[1] : فصل الخطاب : الفصل بين الحق والباطل ، وقيل : فصل الخطاب : البينة على المدعي واليمين على من أنكر .

برهان وجود الله تعالى

(**برهان وجوده تعالى**) وحقيقة البرهان ما تركب من مقدمتين يقينيتين لإنتاج يقين ، ومثال ذلك العالم متغير[2] ، وكل متغير[3] حادث ، فالعالم حادث هو النتيجة ، والبرهان أحد أقسام الحجة العقلية ، وهو أقواها ، مأخوذ من البره ، وهو القطع ، برهت العود أي قطعته . ولا شك أن البرهان على هذا المعنى موجود فيه القطع ، والدليل أعم من أن يكون مركبًا ، أو غير مركب قطعيًا ، أو غير قطعي ، ولما كانت العقائد لا يكتفى فيها إلا بالقطع ، والظنُّ والشك لا يكفي إجماعًا أتى المصنف ـ رضي الله عنه ـ بالأخص الذي هو البرهان وقوله[4] (**فحدوث العالم**) يعني أن برهان وجوده ـ تعالى ـ حدوث العالم ، أي وجوده بعد العدم ، فحدوثه هو وجوده بعد عدم ، ووجوده بعد أن لم يكن دليل على أن له موجدًا أوجده وذلك هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ والعالم ـ بفتح اللام ـ وهو كل ما سوى الله .

وقال السبكي[5] : من الألفاظ التي اصطلح عليها أهل الفن العالم ، وهو ما

(1) ينظر تفسير الكشاف ، 3/ 365 ، والتسهيل 36/ 181 .

(2) في (ح) : مفتقر .

(3) في (ح) : مفتقر .

(4) (وقوله) : سقط من ح .

(5) هي تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي شيخ الإسلام في عصره له عدة كتب منها : السيف الصقيل في الرد على ابن القيم ، والسيف المسلول على من سب الرسول ، توفي سنة 756هـ ، (ينظر : طبقات الحفاظ للسيوطي ، ص 551 ، والأعلام ، 4/ 302) .

نصب علما على العلم بصانعه ، مأخوذ من العلم بمعنى العلامة ، فمن ثم تعددت العوالم ، فيقال عالم الإنسان وعالم الجن وعالم الملائكة وغير ذلك كما نبه عليه صاحب الكشاف[1] ولما كان منشأ التسمية في الجميع العلامة وكانت في مجموع الفن[2] أجلى وأوضح خص المتكلمون العالم بجملة ما سوى الله ـ تعالى ـ تغليبًا واختصارًا[3] . وسمي عالمًا ؛ لأن كل حادث فيه علامة تميزه عن وجود المولى القديم ، حتى لا يلتبس به أصلاً قال ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ ﴾[4] انتهى باختصار من الزناتي بواسطة . وإذا تقرر هذا فالعالم صنعة[5] دلت على الصانع ، فهو دليل ، ووجه دلالتها وجودها بعد أن لم تكن وهو حدوثها ، وكذلك تخصيص ما اختص من لون ، أو قدر ، أو طول ، أو غير ذلك (**فلأنه**) الضمير يحتمل أن يكون ضمير الشأن ، ويحتمل أن يعود على العالم ، فالمطلوب العالم له محدث وهو الله ـ تعالى ـ وأتى ـ رحمه الله ـ بالفاء لأنها تدل[6] على الارتباط . (**لو لم يكن له**) ـ أي العالم ـ (**محدث**) . أي فاعل مباين . وأما إحداثه نفسه فضروري الاستحالة فلا يحتاج لدليل ، وأما نفي وجوده اتفاقيًا ، وهو حدوثه بنفسه فانتقل إليه بقوله (**بل حدث بنفسه**) حدوثًا اتفاقيًا من غير محدث ؛ لأن بل إذا كانت بعد نفي تكون للانتقال من نفي المحدث

---

(1) (ينظر : الكشاف ، 1/ 53) ، وصاحب الكشاف هو محمود بن عمر بن محمد ، أبو القاسم ، جار الله الزمخشري ، من أئمة العلم بالبيان والتفسير ، واللغة ، والأدب وكان معتزلي المذهب ، من أهم مصنفاته : الكشاف ، التفسير المشهور ، وأساس البلاغة ، والفائق في غريب الحديث ، توفي سنة 538هـ . (ينظر : طبقات المعتزلة ، 6/ 26 ، ووفيات الأعيان ، 3/ 86) .

(2) (الفن) : انفردت به أ .

(3) ينظر الكشاف مع حاشية الشريف الجرجاني ، 1/ 54 ، وتاج العروس ، 8/ 407 (مادة علم) .

(4) سورة آل عمران ، الآية 190 .

(5) في ح : (صفة) .

(6) في ح : لأنه (يدل) .

المباين إلى جعل الملزوم حدوثه لنفسه ، وركب عليه اللازم وهو قوله (**لزم أن يكون أحد الأمرين**) أي الوجود والعدم (**المتساويين**) أي في الجواز ، وفي قبول كل ممكن لهما (**مساويا لصاحبه**) أي الوجود مساويا لصاحبه الذي هو العدم حال كونه (**راجحًا عليه**) أي على صاحبه الذي هو سبب العدم (**بلا سبب**) وهو الفاعل المختار ، ثم أشار لبطلان اللازم بقوله (**وهو**) أي التساوي والرجحان بلا مرجح (**محال**) للجمع بين متنافيين وهو كون الوجود مساويًا للعدم لنفسه راجحًا عليه لنفسه ، وهو محال فلا بد من مرجح خارج عن ذاته ، ولا مرجح إلا الله ـ تعالى ـ . وذكر الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ المقدمة الصغرى وحذف الكبرى والنتيجة للعلم بهما ، وما كان معلومًا عندهم يجوز حذفه ، والمقدمة الصغرى التي ذكرها هي قوله : العالم حادث ، والكبرى التي حذفها تقديرها : وكل حادث له محدث والنتيجة العالم له محدث ؛ لأنه لو لم يكن له محدث لزم الترجيح حال المساواة ، ولزم الجمع بين الجواز ، والوجوب ، والغنى ، والافتقار ، والأزلية ، والحدوث ، والوجود ، والعدم ، فظهر استحالة وجود العالم بنفسه بل هو مفتقر إلى غيره بتخصيصه بالوجود دون العدم المساوي له وفي وتخصيصه بالمكان المخصوص دون سائر الأمكنة ، وفي تخصيصه بالزمان المخصوص دون سائر الأزمنة ، وفي تخصيصه بالمقدار المخصوص دون سائر المقادير ، وفي تخصيصه بالصفات المخصوصة دون سائر الصفات ، فهذه الأشياء كلها متساوية ؛ لأن وجوده مساو لعدمه ، ومقداره المخصوص مساو لسائر المقادير ، فاختصاصها وترجيحها يدل على أن المرجح غيرها ، وهو الله ـ تعالى ـ مثال ذلك كفتا الميزان فلا تترجح إحداهما على الأخرى إلا بسبب ومرجح فإذا علمنا أن هذا العالم كان معدومًا ، وعلمنا أن عدمه ترجح بوجوده علمنا قطعًا أن ذلك كان لسبب حدث ترجح به الوجود على العدم السابق فبان[1]

---

(1) في (ح) : زيادة لك .

أن ما حدث لا بد لحدوثه من سبب ، وذلك السبب هو الله ـ تعالى ـ المنفرد بإيجاد الكائنات كلها .

واعلم أن معرفة حدوث العالم أصل عظيم لمعرفة سائر العقائد ، ورأس كبير لتحقيق ما تقدم أو يأتي من الفوائد ، ـ والله أعلم ـ .

دليل حدوث العالم

ولما استدل ـ رحمه الله ـ بحدوث العالم على وجوده ـ سبحانه ـ الذي هو المقصود الأهم كأن قائلاً قال له : وأي دليل على حدوث العالم الذي جعلته دليلاً على وجود الله ـ تعالى ـ ؟ فأجاب بقوله : (**ودليل حدوث العالم ملازمته للأعراض الحادثة من حركة وسكون وغيرها**) كاجتماع ، وافتراق ، وهم ، وحزن ، ومرض ، وصحة ، وغير ذلك من الأعراض الحادثة ، وإنما اقتصر ـ رحمه الله ـ على الحركة والسكون ؛ لأنه معرفة ملازمة الجرم لها ضرورية لكل عاقل ، (**وملازم الحادث حادث**) مثله إذ لا يلزم الحوادث إلا حادث مثلها لا قديم مخالف لها . واعلم أن الشيخ استدل على حدوث العالم بدليل اقتراني ذكر الصغرى ، والكبرى ، وحذف دليل كل واحدة ، وحذف النتيجة للعلم بها . فقوله ملازمته للأعراض الحادثة هي الصغرى ، لأن معناه : العالم ملازم للأعراض ، وقوله وملازم الحادث حادث هي الكبرى ؛ إذ معناه : وكل ملازم لحادث فهو حادث . بيان الصغرى استحالة عرو الأجرام عن ما تقبله من حركة ، وسكون ، واجتماع ، وافتراق ، وغير ذلك ؛ إذ لا يعقل جرم إلا وهو متصف بأحدها ، وأما بيان الكبرى : فالسابق على أحد المتلازمين سابق على الآخر ضرورة فالأعراض حادثة سبقها عدم ، والجرم لا ينفك عنها بالضرورة يسبقه ما يسبقها وهو العدم ، فيكون حادثًا وهو المطلوب . قاله أبو علي

بواسطة ابن المصري[1] . ولما استدل الشيخ - رضي الله عنه - على حدوث العالم بملازمته للأعراض كأن قائلاً قال له : وأي دليل على حدوث الأعراض التي جعلت ملازمة الجرم لها دليلاً على حدوثها فأجاب بقوله (**ودليل حدوث الأعراض**) المستدل بحدوثها على حدوث الأجرام المستدل بها على وجود الله - سبحانه - وإنما لم يقدمه المصنف اشتغالاً بالأهم - والله أعلم - ، والألف واللام في الأعراض للجنس (**مشاهدة**) أي تيقن (**تغيرها**) أي الأعراض (**من عدم إلى وجود ومن وجود إلى عدم**) يعني أن الدليل على حدوث الأعراض تيقن تغيرها من عدم إلى وجود ، ومن وجود إلى عدم ، وبيان ذلك : الجرم إذا كان متحركًا ، ثم سكن ، فقد تغيرت حركاته من وجود إلى عدم وتغيرت سكناته من عدم إلى وجود ، وإن كان الجرم ساكنًا ثم تحرك فالعكس ، وما لم نشاهد فيه التغير فهو قابل لهما ؛ لأن ما تغير مثله[2] ، وما وجب لأحد المثلين يجب للآخر . انظر الهدهدي[3] . وقرنا المشاهدة بالتيقن ؛ لأنه لا يشاهد إلا مطلق التغير ككونه من عدم إلى وجود ، وبالعكس ؛ لاحتمال أن يكون من كمون إلى ظهور ، ومن ظهور إلى كمون ، فإذا كان الجرم متحركًا فقد كمن السكون ، وظهرت الحركة ، وإذا كان ساكنًا فقد كمنت الحركة وظهر السكون ،

---

(1) (ينظر : بغية الطالبين ورقة رقم 51 مخ بدار الكتب الوطنية / تونس) ، وقد قرر هذا الدليل الشيخ السنوسي نفسه حيث قال : (لا شك في وجوب الحدوث لكل واحد من الحركة والسكون ، إذ لو كان واحد منهما قديمًا لما قبل أن ينعدم أبدًا أصلاً لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه ، ولا خفاء أن كل واحد من السكون والحركة قابل للعدم ، لأنه شوهد عدم كل واحد منهما بوجود ضده في كثير من الأجرام فلزم استواء الأجرام في ذلك ، وإذا ثبت حدوثها استحال وجودها في الأزل قطعًا ، لاستحالة انفكاكها عن الحركة والسكون ... إلى أن يقول : وإذا استبان بهذا حدوث العالم لزم افتقاره إلى حدث) ، (حاشية الدسوقي على شرح السنوسي لأم البراهين ، ص 154) .

(2) في (ح) : زيادة جاز عليه مثله .

(3) ينظر : حاشية الدسوقي على شرح الهدهدي على السنوسية ، ص 93 ، 94 .

ولكن الكمون والظهور باطلان ابتداء ؛ لقيام المعنى بالمعنى ، وهو محال ، فأطلق ـ رحمه الله ـ المشاهدة على التيقن ، ولا شك أن تيقن هذا المعنى بالبرهان ، كأنه مشاهدة ؛ إذ البرهان المنزل منزلة الشاهد دل على أن ذلك التغير هو من عدم إلى وجود حقيقة ، الحاصل ، كأنه يقول دليل حدوثها المشاهدة ويكون قد نزل المتيقن بالبرهان منزلة الشهادة ـ والله أعلم ـ . واستدل ـ رحمه الله ـ على حدوث الأعراض بدليل اقتراني ذكر صغراه ، وحذف كبراه ، والنتيجة للعلم بهما ، وتركيبه : الأعراض متغيرة ودليلها المشاهدة ، وكل متغير حادث ، ودليلها استحالة التغير على القديم ، فالنتيجة : الأعراض حادثة .

والاستدلال على أربعة أقسام : الأول استدلال بالحادث على القديم ، كالاستدلال بحدوث العالم على وجود الله ، الثاني الاستدلال بالحادث على الحادث كالاستدلال بحدوث الأعراض على حدوث الأجرام ، والثالث الاستدلال بالقديم على القديم كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1] الرابع الاستدلال بالقديم على الحادث كما هو مذهب الصوفية ـ رضي الله عنهم ـ[2] .

أقول لما كانت همم أهل الزمان قاصرة عن التحقيق والتدقيق كما قاله شيخنا العلامة محمد بن عمر الغدامسي سيما أهل بلدنا ، فقل منهم من يروم أن يعرف أكثر مما يعرفه أولاً ؛ إذ لو كان الأمر كذلك لخلا العلم من الدنيا ، واستأصل الجهل ، ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ـ . ولما رأيت قصور همم أهل هذا الزمان خصوصًا أهل بلدنا مقتضية عدم التحقيق فلم يوافقها إلا ذكر البراهين إجمالاً أردت أن آتي ببرهان كل صفة إجمالاً للمبتدئين مثلي ، وإعانة للمتوسط ، وتذكيرًا للمنتهين انتهى .

---

(1) سورة الشورى ، الآية 11 .

(2) ينظر رسالة القشيرية ، ص 393 .

من كلام شيخنا محمد بن عمر الغدامسي[1] : ومن أراد التحقيق فليراجع شرحه لعقيدة المقري . وهنا اخترته إلى هذا المحل لأمر اقتضى ذلك ، وفي بقية البراهين أذكرها ابتداء ، وبعد ذلك أقفوه بشرح كلام المؤلف ، وأقول ـ وعلى الله أعول ، وهو حسبي ونعم الوكيل ـ : لما قدم برهان الوجود على جهة التفصيل أذكره الآن على جهة الإجمال ، وبيانه أن تقول : لو لم يكن الإله الموجد للحوادث موجودًا لزم أن يكون معدومًا ، ولو كان معدومًا لزم أن يكون هذا العالم قديمًا ، ولو كان هذا العالم قديمًا لزم ألا يتغير منه شيء كيف [وتغير العالم مشاهد ومعلوم باليقين والقطع ، فيلزم من مشاهدة تغير العالم أن لا يكون قديمًا ، ويلزم من عدم][2] كونه قديمًا أن يكون حادثًا ، ويلزم من كون العالم حادثًا أن يكون له محدث ، وكون محدث العالم[3] هو بعينه وجود الإله ، وهو المطلوب .

برهان وجوب القدم لله تعالى

ولما قدم المصنف ـ رحمه الله ـ وجوب القدم له ـ تعالى ـ واستحالة ما ينافيه أخذ يتكلم على برهان ذلك فقال : (**وأما برهان وجوب القدم له تعالى**) تقدم معنى البرهان والقدم سابقًا فلا حاجة لإعادتها ، وقد التزمت أن أبين أولاً كل برهان على طريق الإجمال ، ثم أوقفوه بشرح كلام المصنف تفصيلاً ، تقول في تركيبه لو لم يكن قديمًا لكان حادثًا ، ولو كان حادثًا لافتقر إلى محدث ، ولو افتقر إلى محدث لافتقر محدثه إلى محدث آخر ، ثم كذلك فليلزم الدور ، أو التسلسل ، لكن الدور والتسلسل

---

(1) ينظر : إرشاد خالقي ومصوري ، الورقة الأولى .

(2) ما بين المعقوفتين زيادة اختصت بها النسخة (م) وهي مما أضيفت في اللحق وبعدها ما نصه : ليست هذه الزيادة فيما رأينا من النسخ إلا في نسخة واحدة . اهـ . وقد أثبتها ؛ لأنها مما يتم بها البرهان .

(3) كذا ، ولعل صحة العبارة : وكون محدث العامل قديمًا هو بعينه .

مستحيلان ، فيلزم من استحالتهما استحالة ما أدى إليهما وهو افتقار الإله إلى محدث ، وحيث استحال افتقار الإله إلى محدث استحال ما أدى إليه وهو حدوث الإله ، وحيث استحال حدوث الإله ثبت قدمه ، وهو المطلوب . فاستفيد من هذا وجوب قدمه ـ تعالى ـ واستحالة ضده ، وهو الحدوث . ثم قال (**فلأنه**) أي الله ـ سبحانه وتعالى ـ (**لو لم يكن قديمًا**) أي واجب الوجود (**لكان حادثًا**) أي جائز الوجود ؛ لانحصار الموجود في القدم ، والحدوث ، ولا واسطة بينهما في حق كل موجود ، والدليل على انحصار الموجودات في القدم والحدوث : الموجود لا يخلو أن يكون واجب الوجود ، أو جائز الوجود ، فإن كان واجب الوجود فهو قديم كذاته ـ تعالى ـ وصفاته الوجودية ، وإن كان جائز الوجود فهو حادث كالجرم والعرض فيثبت انحصار الموجود في القدم والحدوث وإن كان حادثًا (**فيفتقر**) أي يحتاج (**إلى محدث**) ، أي فاعل إذ الحادث مفتقر إلى المحدث ابتداء ودوامًا لما تقدم من أن كل حادث لا بد له من محدث ومحدثه مثلاً مفتقر إلى محدث (**ويلزم الدور أو التسلسل**) ومعنى كلامه ـ رحمه الله ـ لو لم يكن ـ تعالى ـ قديمًا لكان حادثًا ، ولو كان حادثًا لافتقر إلى محدث ، ثم محدثه يجب أن يكون حادثًا مثله فيفتقر أيضًا إلى محدث ، فإن كان محدثه الأول الذي كان محدثًا له لزم الدور وإن كان غيره لزم في الغير أبدا ما لزم في الأول ، ويتسلسل ، وكل منهما محال : أما الدور فلما يلزم عليه من تقدم الشيء على نفسه ؛ لأن كل واحد من المحدثين الذين فرض أن كل واحد منهما أوجد صاحبه يلزم أن يتقدم عليه ، والمقدم على المقدم عليه شيء مقدم على ذلك الشيء ، وبمثل ذلك يلزم أن يتأخر عن نفسه بمرتبتين ؛ لتأخره عمّا يجب أن يتأخر عنه والمتأخر عن المتأخر عن الشيء متأخر على ذلك الشيء ضرورة ، وأما التسلسل فهو محال ؛ لاستحالة حوادث لا أول لها ، وحقيقة التسلسل ترتب أمور غير متناهية أو توقف شيء على شيء قبله ، أي في الوجود ثم كذلك إلى غير نهاية ،

وهو مستحيل أيضًا ، وبيان استحالته ظاهر ، لأنه يؤدي إلى الجمع بين النقيضين ، وهو الفراغ ، وعدم النهاية ، وبيان ذلك : أن وجود العالم مشروط بانتهاء العدد في واحد قديم والفرض أنه غير متناه ، أي فرض مسألة التسلسل أنه ترتيب أمور غير متناهية فيكون وجودنا مستحيلاً ، ووجودنا محقق ، فالتسلسل مستحيل انتهى بعضه من المقرى بالمعنى . وقال بعض الفضلاء الدور والتسلسل لا يعقلان ؛ لأن الدور والتسلسل يؤديان إلى نفي الإله ، ونفي الإله يؤدي إلى نفي العالم مع وجوده ومشاهدته وهو محال ـ والله أعلم ـ قاله ابن المصري .

برهان وجوب البقاء لله تعالى

ولما قدم ـ رحمه الله ـ وجوب البقاء له ـ تعالى ـ واستحالة ما ينافيه أخذ يتكلم على برهان ذلك فقال : (**وأما برهان وجوب البقاء له تعالى**) تقول في تركيبه لو لم يكن باقيًا لكان فانيًا ، ولو كان فانيًا لكان متغيرًا ، ولو كان متغيرًا لكان حادثًا ، إذ لا يقبل التغير إلا الحوادث ، ولو كان حادثًا لافتقر إلى محدث أحدثه ، فيفتقر محدثه إلى آخر ، ثم كذلك فيلزم الدور أو التسلسل لكن كلا من الدور والتسلسل مستحيل فيلزم من استحالتهما استحالة ما أدى إليهما وهو افتقاره ـ تعالى ـ إلى محدث ويلزم من عدم[1] افتقاره ـ تعالى ـ إلى محدث استحالة ما أدى إليه وهو كونه ـ تعالى ـ حادثًا ويلزم من استحالة كونه ـ تعالى ـ حادثًا استحالة ما أدى إليه وهو تغيره ـ تعالى ـ ، وحيث استحال تغيره استحال ما أدى إليه وهو كونه ـ تعالى ـ فانيًا ، ووجب ضده الذي هو البقاء ، وهو المطلوب . ثم قال (**فلأنه**) أي الله ـ سبحانه وتعالى ـ (**لو**) لم يجب له البقاء (**أمكن**) أي جاز (**أن يلحقه العدم**) أي الفناء (**لانتفى عنه القدم**)

---

(1) (عدم) : ساقط من ح .

الواجب بالبرهان القاطع ثم ذكر بيان الملازمة بقوله : (**لكون وجوده**) أي لأجل ثبوت وجوده (**حينئذ**) أي حين أمكن لحوق العدم له ـ تعالى ـ (**يصير**) وجودًا (**جائزًا لا**) وجودًا (**واجبًا ، والجائز لا يكون وجوده إلا حادثًا**) أي مسبوقًا بالعدم وقال المصنف ـ رضي الله عنه ـ والجائز لا يكون وجوده إلا حادثًا . ولم يقل والجائز لا يكون إلا حادثًا ؛ إذ لو قال والجائز لا يكون حادثًا لدل كلامه على أن كل جائز حادث ، ولا يصح أن يكون كل جائز حادثًا ؛ إذ لم يثبت الحدوث إلا لمن حصل في الوجود ، أو وقع ، ولو لم يكن موجودًا ، وأما الجائز الذي لم يُرد الله وقوعه كإيمان أبي لهب ، وأبي جهل ـ مثلاً ـ وكوجود شموس كثيرة ، أو جبال من ذهب فليست بحادثة ، ولو كانت جائزة ـ والله أعلم ـ ، قاله ابن خدة[1] .

ولعل تمثيله بالجائز الذي لم يرد الله وقوعه بجبال من ذهب لعله على غالب جبال الدنيا لا على عمومها ؛ لأنه قد ذكر سيدنا عمر ابن الوردي في كتابه المسمّى "بخريدة العجائب وفريدة الغرائب"[2] أن جزائر الواق واق خلف بلاد الصين جبالها من ذهب ، وأحجار ذلك الموضع ، كلها من ذهب ، ومعاملة أهلها بالودع ، وسكان

---

(1) قال الدسوقي في حاشيته على أم البراهين ، ص 157 : ذكر لفظ وجود ، ولم يقل : والجائز لا يكون إلا حادثًا ؛ لأنه لا يوصف بالحدوث إلا الموجود المسبوق بالعدم ، وأما ما كان من الجائزات غير موجود فلا يوصف بالحدوث كإيمان أبي جهل فإنه جائز عقلاً غير حادث . إذ لم يوجد حتى يوصف بالحدوث ، فنتج من هذا أن الجائزات أعم من الحادث فكل حادث جائز ولا عكس .

(2) ينظر (خريدة العجائب وفريدة الغرائب لابن الوردي ، ص 107 ، وابن الوردي هو : عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس أبو حفص زين الدين ، المعري الكندي ، شاعر أديب ، ومؤرخ له عدة كتب منها : شروح على ألفية ابن مالك ، ومنطق الطير (منظومة في التصوف) وبهجة الحاوي في فقه الشافعية ، واللامية المشهورة بلامية ابن الوردي ، توفي سنة 749هـ ، (ينظر : الأعلام ، 5/ 67) ، وأما ما ذكره من وجود جبال من ذهب فليس بمستغرب فقد جاء في الحديث الصحيح : (لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل عليه) ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، 13/ 78 ، كتاب الفتن ، ومسلم بشرح النووي ، 18/ 18 .

ذلك الموضع كلهم[1] نساء ليس بينهن ذكر ، وعندهم بركة ماء ، إذا اغتسلت المرأة من الحيض تجلس في تلك البركة وتحمل ولا تحمل إلا أنثى بقدرة الله ـ تعالى ـ وهذا الموضع خلف بحر الظلمات ، وفيها أشجار تطرح ثمارًا على صفة الآدميين[2] ـ والله تعالى أعلم ـ.

وإنما وجب البقاء له ـ تعالى ـ لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه ؛ ولأنه ـ سبحانه ـ لو قدر لحوق العدم له لكانت نسبة الوجود والعدم إلى ذاته ـ تعالى ـ سواء فيلزم افتقار وجوده إلى موجد يخترعه بدلاً من العدم الجائز عليه فيكون حادثًا ، واللازم الذي هو الافتقار باطل ، فكذا الملزوم وهو جواز العدم ؛ لما مر[3] من وجوب الوجود له ـ تعالى ـ.

ثم أخذ ـ رحمه الله ـ يتعجب ويستفهم على جهة الإنكار فقال : (**كيف**) يكون ذلك أي حدوثه ـ تعالى ـ ونفي قدمه (**وقد سبق قريبًا**) بالبرهان القاطع (**وجوب قدمه تعالى**) وقد أجمع العقلاء كما قدمته[4] آنفا أن من ثبت قدمه استحال عدمه .

برهان وجوب مخالفته تعالى للحوادث

ولما قدم ـ رحمه الله تعالى ـ وجوب مخالفته ـ تعالى ـ للحوادث واستحالة ما ينافيها أخذ يتكلم على برهان ذلك ردًا على المشبهة والمجسمة فقال : (**وأما برهان وجوب مخالفته تعالى للحوادث**) أي الأشياء الموجودة بعد العدم تقول في تركيبه : لو لم يكن ـ تعالى ـ مخالفًا للحوادث لزم أن يكون مماثلاً لها ، ولو كان مماثلاً لها لكان حادثًا مثلها ؛ لفرض المماثلة ولو كان حادثًا لزم أن لا يوجد شيء من الحوادث ؛ لاستحالة إيجاد من غير موجد وإحداث من غير محدث ؛ لأن الحادث لا يتأتى منه الإحداث مشاهدة ؛

---

(1) (كلهم) : سقط من أ وهي في ح : (كلمة) ، وفي م : (كلها) ، وما أثبت من د .

(2) (الآدميين) : هي صيغة ح ، وباقي النسخ : الآدمي .

(3) في ص 262 من هذا البحث .

(4) في ص 260 من هذا البحث .

لأنه معلوم بالضرورة أنه لو اجتمع أهل السموات وأهل الأرض بأسرهم لم يقدروا أن يخلقوا بعوضة ، ولا أن ينبتوا حبة وحيث استحال ذلك من جميع الحوادث فيستحيل قطعًا من مماثل الحوادث ؛ لأن مماثل الحوادث حادث ، وحيث كان ذلك لزم أن لا يوجد شيء من الحوادث ، لما تقدم من استحالة الإحداث من الحادث لكن الحوادث موجودة مشاهدة فيلزم من مشاهدة المخلوقات أن يكون لها موجد ليس بحادث إذ الحادث لا يتأتى منه الإيجاد كما مر ، ويلزم من كونه ليس بحادث أن يكون غير مماثل للحوادث ، ويلزم من كونه غير مماثل للحوادث أن يكون مخالفًا لجميع الحوادث وهو المطلوب . ثم قال : (**فلأنه**) أي الله ـ سبحانه وتعالى ـ (**لو**) لم يكن مخالفًا للحوادث و (**ماثل شيئًا منها**) أي الحوادث (**لكان حادثًا مثلها**) ؛ لأن كل مثلين لا بد أن يجب لأحدهما ما وجب للآخر ، ويستحيل عليها ما استحال عليه ، ويجوز له ما يجوز له ، وذلك أي حدوثه ـ تعالى ـ لا يتصور في العقل وجوده إذ لو كان حادثًا لافتقر إلى محدث ولزم الدور والتسلسل المحالان ، وأيضًا لو ماثل ـ تعالى ـ شيئًا من الحوادث لزم حدوثه لأجل مماثلته ، ولزم قدمه لأجل ألوهيته ، وكون الشيء قديمًا حادثًا محال للجمع بين النقيضين (**لما**) أي لأجل الذي (**عرفت**) يا مكلف (**قبل**) بالبراهين الساطعة والأدلة القاطعة (**من وجوب قدمه ـ تعالى ـ وبقائه**) فحيث ما ثبت له القدم والبقاء استحالت مماثلته ـ تعالى ـ للحوادث ، إذ القديم الباقي لا يكون مماثلاً للحوادث ـ والله أعلم ـ .

ولما قدم ـ رضي الله عنه ـ وجوب قيامه ـ تعالى ـ بنفسه ، واستحالة ما ينافيه ، أخذ يتكلم على برهان ذلك ردا على النصارى والباطنية[1] فقال :

---

(1) ذكر في الملل والنحل ، 1/ 192 أنهم هم الإسماعيلية من الشيعة سموا بذلك لأنهم يقولون لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل ، وقال عبد الرحمن بدوي : الباطنية لقب عام مشترك تندرج تحته مذاهب=

برهان وجوب قيامه ـ تعالى ـ بنفسه

(**وأما برهان وجوب قيامه ـ تعالى ـ بنفسه**) ـ بسكون الفاء ـ أي ذاته تقول في تركيبه : لو لم يكن قائمًا بنفسه لكان محتاجًا إلى المحل والمخصص ، ولو كان محتاجًا إلى أحدهما لكان عاجزًا عن دفع الاحتياج عنه ، ولو عجز عن دفع الاحتياج عن نفسه لكان عاجزًا عن إيجاد الحوادث بالأولى ولو عجز عن إيجادها لما[1] وجدت كيف والحوادث موجودة مشاهدة ، فيلزم من وجودها أن يكون موجدها قادرًا على إيجادها ، ولذلك وجدت ، ويلزم من كونه قادرًا على إيجادها أن لا يكون عاجزًا عنها ، ويلزم من كونه غير عاجز عنها ألا يكون عاجزًا عن شيء ، ويلزم من كونه غير عاجز عن شيء أن لا يكون عاجزًا عن دفع الاحتياج عن نفسه ، ويلزم من كونه غير عاجز عن دفع الاحتياج عن نفسه ألا يكون محتاجًا إلى شيء ، ويلزم من كونه غير محتاج إلى شيء ألا يكون محتاجًا إلى محل ، ولا إلى مخصص ، ويلزم من كونه غير محتاج لهما أن يكون غنيًا عنهما ، وهو قيامه ـ تعالى ـ بنفسه وهو المطلوب . ثم قال (**فلأنه**) أي الله ـ سبحانه وتعالى ـ (**لو**) لم يكن قائمًا بنفسه (**احتاج**) أي افتقر (**إلى محل**) أي ذات يحل فيها كما تحل الصفة في الموصوف (**لكان صفة**) لأنه لا يحتاج إلى المحل إلا الصفات ، والذات لا تحتاج إلى ذات تقوم بها ؛ لأنه لو كانت الذات تقبل أن تقوم بذات أخرى لما عريت ذات عن هذا القبول ؛ لأنه نفسي فيلزم ألا تعري ذات عن أن تقوم بها ذات ، ثم هذه القائمة بغيرها لا بد أن تقوم بها غيرها ثم كذلك فيؤدي ذلك إلى دخول ما لا نهاية له في الوجود ، وأن الشيء الواحد أشياء في زمان واحد ، والكل

=وطوائف عديدة ، الصفة المشتركة بينها هي تأويل النص الظاهر بالمعنى الباطن تأويلاً يذهب مذاهب شتى . فهم يرون أن النصوص الدينية رموز وإشارات إلى حقائق خفية وأسرار ، (ينظر : موسوعة الأديان الميسرة ، ص 128) .

(1) في (ح) عن إمدادها ، وهو تحريف .

محال ، فيتعين أنه لا يحتاج إلى المحل إلا الصفات ، لكن كونه ـ تعالى ـ صفة محال . وأشار إلى بيان ذلك بقوله : (**والصفة**) لكونها معنى (**لا**) يجوز أن (**تتصف بصفات المعاني**) التي هي القدرة ، والإرادة ، والعلم .. إلخ (**ولا**) بالصفات (**المعنوية**) التي هي كونه ـ تعالى ـ قادرًا ، ومريدًا وعالمًا .. إلخ ، لأن الصفة لو قبلت أن تتصف بصفة وجودية ، أو لازمة للوجودية وهي المعنوية لما عرت عنها ، أو عن مثلها ، أو عن ضدها وهو محال ، فإذا[1] الصفة لا تقبل أن تتصف بصفة ثبوتية تقوم بها ، ومفهوم المعاني والمعنوية أن الصفة تتصف بالصفة النفسية والسلبية وهو كذلك ، وقد تقدم ذلك اهـ . (**ومولانا**) : أي سيدنا ومالكنا (**جل وعز يجب اتصافه بهما**) أي بصفات المعاني والمعنوية وثنى المؤلف الضمير باعتبار أنهما نوعان لو أفرد الضمير باعتبار عوده إلى جمع كثير لجاز كما قال ـ تعالى ـ ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ ثم قال : ﴿ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾[2] . وإذا وجب اتصاف الباري بصفات المعاني والمعنوية (**فليس بصفة**) بل هو ذات لا تشبه الذوات ، ولها صفات لا تشبه الصفات ، وهذا برهان الجزء الأول من معنى القيام بالنفس ، وهو الاستغناء عن المخصص بقوله (**ولو احتاج**) أي افتقر (**إلى مخصص**) ـ بكسر الصاد مع التشديد ـ أي فاعل (**لكان**) ـ جل وعلا ـ (**حادثًا**) لأن أثر التخصيص[3] لا يكون إلا حادثًا فلا يحتاج إلى المخصص إلا الحادث ، وحدوثه ـ تعالى ـ محال لوجوب القدم والبقاء له ـ تعالى ـ ، ولذلك أشار بقوله : (**وقد قام البرهان**) القاطع (**على وجوب قدمه ـ تعالى ـ وبقائه**) ـ فحيثما ثبت له القدم والبقاء استحال احتياجه وحدوثه ـ تعالى الله ـ عن ذلك الاحتياج علوًا كبيرًا ـ فتبين بهذين البرهانين وجوب الغنى المطلق لمولانا ـ جل وعز ـ عن كل

---

(1) في ح : (فإن) .

(2) سورة التوبة ، الآية 36 .

(3) في ح : (المخصص) .

ما سواه وهو معنى قيامه ـ جل وعز ـ بنفسه ، ـ والله أعلم ـ .

ولما قدم ـ رحمه الله ـ وجوب الوحدانية له ـ تعالى ـ واستحال ما ينافيها أخذ يتكلم على برهان ذلك فقال :

برهان وجوب الوحدانية

(**وأما برهان وجوب الوحدانية له ـ تعالى ـ**) تقول في تركيبه إجمالاً كما التزمت ذلك لو لم يكن واحدًا لكان متعددًا ، ولو كان متعددًا لزم أن يريد أحدهما إيجاد شيء[1] مثلاً والآخر إعدامه فيستحيل أن تنفذ إرادتهما معًا لما يلزم عليه من اجتماع النقيضين ، واجتماع النقيضين محال ، فيلزم من استحالة اجتماع النقيضين نفوذ إرادة أحدهما فقط ، ويلزم من ذلك امتناع الآخر كذلك ، لفرض المماثلة[2] بينهما إذ ما جاز على المثل يجوز على مثله فهذا هو التمانع ، ويسمى هذا البرهان عند علماء هذا الفن ببرهان التمانع ، ويلزم من تمانعهما قهرهما ، إذ الممنوع مقهور ، ويلزم من قهرهما عجزهما عن إيجاد جميع الممكنات ، ويلزم من عجزهما عن جميع الممكنات أن لا يوجد ممكن من الممكنات ، ويلزم من عجزهما عن جميع المكان أن لا يوجد ممكن من الممكنات ، كيف والممكنات موجودة مشاهدة ، فيلزم من مشاهدة الممكنات أن يكون للعالم موجد قادر غير عاجز ، ويلزم من عدم عجزه عن إيجاد الممكنات عدم عجزه عن إزالة القهر ، ويلزم من عدم عجزه عن إزالة القهر أن يكون غير مقهور ، ويلزم من عدم قهره ـ تعالى ـ عدم التمانع ، إذ الممنوع مقهور ، ويلزم من عدم التمانع عدم تعدد الإله ، ويلزم من عدم تعدد الإله وجوب وحدانيته ـ تعالى ـ وهو المطلوب .

---

(1) ما أثبت من أ ، وفي سواها : (الشيء) .

(2) (لفرض) : سقط من ح .

ثم قال : (**فلأنه**) أي الله ـ سبحانه ـ (**لو لم يكن واحدًا**) في ذاته أو في صفاته أو في أفعاله وكان معه ثان فيها (**لـزم ألا يوجـد شيء مـن العـالم**)[1] أجرامًا كانت أو أعراضًا (**لـ**) أجل (**لزوم عجزهما**) ـ أي (**الإلهين حينئذ**) ـ أي حين فرضهما إلهين وذلك مستلزم لاستحالة وجود الحوادث كلها والمشاهدة تقتضي بطلان ذلك ضرورة . وإذا استبان وجوب عجزهما مع الاتفاق على ممكن واحد كان مع الاختلاف فيه على سبيل التضاد أظهر فتعين وجوب وحدانية مولانا ـ جل وعز ـ في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله ، وبهذا تعرف بأن لا أثر[2] لقدرتنا في شيء من أفعالنا الاختيارية كحركاتنا ، وسكناتنا ، وقيامنا ، وقعودنا ، ومشينا ، ونحوها ، بل جميع ذلك مخلوق لمولانا ـ جل وعز ـ بلا واسطة ، وقدرتنا مثل ذلك عرض مخلوق لمولانا ـ جل وعز ـ يقارن تلك الأفعال ويتعلق بها من غير تأثير في شيء من ذلك أصلاً ، وإنما أجرى الله العادة أن يخلق عند تلك القدرة لا بها ما شاء من الأفعال ، وجعل بمحض اختياره وجود تلك القدرة فينا مقترنة[3] بتلك الأفعال شرطًا في التكليف ، وهذا الاقتران والتعلق لهذه القدرة الحادثة بتلك الأفعال من غير تأثير لها أصلاً هو المسمى في الاصطلاح والشرع[4] بالكسب والاكتساب ، وبحسبه تضاف الأفعال للعبد كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾[5] وهذه المسألة من غوامض مباحث الكلام حتى ضرب بها المثل فقيل (**أخفى من كسب الأشعري**) وادعى بعضهم أنه اسم بلا مسمّى ، والحق عندنا أن العبد لا يخلق أفعال نفسه ، وإنما هو كاسب لها ضرورة ؛ لتعلق التكليف بها ،

---

(1) في (ح) : (الحوادث) .

(2) في (ح) : (تأثير) .

(3) في (ح) : (مقرونة) .

(4) (والشرع) : سقط من ح .

(5) سورة البقرة ، الآية 286 .

بإيجاد تلك الأمور عندها لا بها ، وقس على هذا ما يوجد من القطع عند السكين والألم عند الجرح والشبع عند الطعام ، والري[1] والنبات عند الماء والضوء عند الشمس والسراج ونحوهما ، والظل عند الجدار والشجر ونحوهما ، وبرد الماء الساخن عند صب ماء بارد فيه وبالعكس ونحو ذلك مما لا ينحصر ، فاقطع بذلك كله بأنه مخلوق لله بلا واسطة البتة ولا أثر فيها أصلاً لتلك الأشياء التي جرت العادة بوجودها معها ، وبالجملة فتعلم أن الكائنات كلها يستحيل منها الاختراع لأثر ما ، بل جميعها مخلوق لمولانا ـ عز وجل ـ ابتداء ودوامًا بلا واسطة ، فبهذا شهد البرهان العقل ودل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح قبل ظهور البدع ، ولا تصغ بأذنيك لما ينقله بعض من أولع بنقل الغث والسمين عن مذهب[2] بعض أهل السنة[3] مما يخالف ما ذكرنا لك ، فشد يدك على ما ذكرناه فهو الحق الذي[4] لا شك فيه ولا يصح غيره ، واقطع تشوفك إلى سماع الباطل تعش سعيدًا وتمت كذلك ـ إن شاء الله ، والله الموفق للصواب ـ أهـ من شرح المؤلف باختصار وبأشياء تخللت لفظه[5] .

الخواطر الخمسة

والعزم أحد الخواطر الخمسة الواردة على القلب .

أولها ـ الهاجس : وهو أن يهجس الشيء في القلب مرة أو مرتين ثم يروح ولم تفعله فلا إثم فيه ولا أجر .

---

(1) في (ح) : زيادة عن الشراب .

(2) (بعض) : اختصت بها النسخة ح وأما باقي النسخ ففيها كلمة غير مفهومة .

(3) مثل إمام الحرمين ، لكنه لم يصح عنه كما قال البيجوري في حاشيته ، ص 168 .

(4) (الذي) : سقط من ح .

(5) ينظر : شرح أم البراهين للشيخ السنوسي ، ص 52 .

الثاني ـ الوارد : وهو أن يترك الشيء في القلب ترددًا مرجوحًا فلا ثواب فيه ولا إثم حيث لم يفعل .

الثالث ـ حديث النفس : وهو أن يتردد الشيء في القلب ترددًا مستويًا فلا ثواب فيه ولا إثم .

الرابع ـ الهم : وهو أن يتردد الشيء في القلب ترددًا راجحًا ففيه الفرق بين أن يكون خيرًا فيثاب عليه أو شرًا فلا عقاب عليه لحديث **"مَن هَمّ بحَسَنَةٍ وَلَمْ يَعمَلْها كُتِبَت لهُ حَسنةً وَإنْ هَمّ بِسيّئةٍ وَلَمْ يَعمَلهَا لَم يُكْتَب عَلَيهِ شيءٌ"**[1] .

الخامس ـ العزم : وهو أن يعزم القلب على الشيء عزمًا لا تردد فيه وهو المراد عند أهل السنة بإرادة العبد كما تقدم .

ويترتب عليه الثواب والعقاب وإن لم يعمل أو يتكلم . والحسنة بعشر في النوافل وبسبعمائة في الواجبات هو متصل ببرهان الوحدانية على الإجمال[2] قال شيخنا محمد ابن عمر الغدامسي مدار هذا الفن على هذه الصفة التي هي الوحدانية وهي شمس ضحاها وقطب رحاها إذ لا ينفى الشريك[3] إلا بإثباتها ، ولا يعقل الإيمان إلا بها .

ولذلك قال علماء الفن كل ما وقع من الخلاف بين المتكلمين في وجوب الدليل التفصيلي ، وعدم وجوبه إنما هو في ما عدا الوحدانية ، وأما الوحدانية فلا بد فيها من الدليل التفصيلي ، وذكر ـ رحمه الله ـ لهذه الصفة من أنواع البراهين العقلية في شرحه لعقيدة المقّري ـ جزاه الله عن الإسلام خيرًا ـ واقتصرنا على هذا البرهان الواحد طلبًا

---

(1) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري ، كتاب الرقاق 11/ 323 ، ومسلم في صحيحه بشرح النووي باب تجاوز الله ـ تعالى ـ عن حديث النفس عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ 2/ 149 .

(2) في (ح) : الإجماع ـ وهو تحريف .

(3) في (ح) : الشرك .

للاختصار ولكون هذا البرهان هو المشهور بين المتكلمين ومن أراد التحقيق فليراجع كلام شيخنا . ولما قدم ـ رحمه الله ـ وجوب اتصافه ـ تعالى ـ بالقدرة ، والإرادة ، والعلم ، والحياة ، واستحالة أضدادها أخذ يتكلم على برهان ذلك فقال :

برهان وجوب اتصافه ـ تعالى ـ بالقدرة

(**وأما برهان وجوب اتصافه**) ـ سبحانه ـ و (**تعالى بالقدرة**) تقول في تركيبه لو لم يكن قادرًا لكان عاجزًا ، ولو كان عاجزًا لما وجد شيء من المخلوقات ، كيف وهي موجودة مشاهدة فيلزم من وجودها أن يكون موجدها غير عاجز عن إيجادها ، ولذلك وجدت ، ويلزم من كونه غير عاجز عن إيجادها أن يكون قادرًا على إيجادها ويلزم من كونه قادرًا على إيجادها أن يتصف بالقدرة ، وهو المطلوب ، ويلزم من اتصافه بالقدرة أن يتصف بالكون قادرًا ، ويلزم منه استحالة العجز والكون عاجزًا .

برهان وجوب اتصافه ـ تعالى ـ بالإرادة

(و) وأما برهان وجوب اتصافه ـ تعالى ـ (**بالإرادة**) تقول في تركيبه لو لم يكن مريدًا لكان مكرهًا (**ولو**) كان مكرهًا لكان مقهورًا ولو كان مقهورًا لما وجد شيء من الحوادث ، كيف وهي موجودة مشاهدة[1] ، فيلزم من وجودها أن يكون موجدها ليس بمكره ويلزم من كونه ليس بمكره أن يتصف بالإرادة ، وهو المطلوب ، ويلزم من اتصافه بالإرادة أن يتصف بالكون مريدًا ، ويلزم منه استحالة اتصافه بالإكراه وبالكون مكرهًا ، وحذفنا بعض الوسائط للعلم بها من برهان الوحدانية .

---

(1) (موجودة) : سقط من ح .

برهان وجوب اتصافه - تعالى - بالعلم

(و) أما برهان وجوب اتصافه - تعالى - (**بالعلم**) تقول في تركيبه : لو لم يكن عالمًا لكان جاهلاً ولو كان جاهلاً لكان - تعالى عن ذلك - موصوفًا بنقيصة الجهل ولو اتصف بها - تعالى عن ذلك - لكان عاجزًا عن دفع النقص عن نفسه ولو عجز عن دفع النقص عن نفسه لكان عاجزًا عن إيجاد المخلوقات بالأولى ولو عجز عن إيجادها لما وجد شيء منها ، كيف وهي موجودة مشاهدة ، فيلزم من وجودها أن يكون موجدها قادرًا على إيجادها ولذلك وجدت ، ويلزم من كونه قادرًا على إيجادها أن لا يكون عاجزًا عن إيجادها ، ويلزم من كونه غير عاجز عن إيجادها ألا يكون عاجزًا عن شيء ، ويلزم من كونه غير عاجز عن شيء ألا يكون عاجزًا عن دفع النقص عن نفسه ، ويلزم من كونه غير عاجز عن دفع النقص عن نفسه ألا يتصف بنقيصة من النقائص ، ويلزم من كونه غير موصوف بنقيصة من النقائص ألا يتصف بنقيصة الجهل ، ويلزم من كونه غير موصوف بنقيصة الجهل أن يتصف بكمال العلم ، وهو المطلوب ، ويلزم من اتصافه بالعلم أن يتصف بالكون عالمًا ويلزم من اتصافه بالعلم والكون عالمًا استحالة اتصافه بالجهل والكون جاهلاً .

برهان وجوب اتصافه - تعالى - بالحياة

(و) أما برهان وجوب اتصافه - تعالى - (**بالحياة**) تقول في تركيبه : لو لم يكن متصفًا بالحياة لكان متصفًا بالموت ، ولو اتصف بالموت ، لكان ميتًا ، ولو كان ميتًا لما وجد شيء من الحوادث ، كيف وهي موجودة مشاهدة ، فيلزم من وجودها أن يكون موجدها غير ميت ، ولذا وجدت ويلزم من كونه غير ميت أن يتصف بالحياة وهو المطلوب ، ويلزم من اتصافه بالحياة أن يتصف بالكون حيًا ، ويلزم من اتصافه بالحياة

وبالكون حيًا استحالة اتصافه بالموت وبالكون ميتًا ، ثم قال ـ رحمه الله ـ (**فلأنه**) أي[1] الأمر والشأن فالضمير هنا عائد على الأمر والشأن وهو الذي يفسره ما بعده ولم يتقدم ما يعود عليه كذا قال النحويون[2] (**لو انتفى شيء من هذه الصفات**) أي صفات المعاني الأربعة[3] المذكورة ، فالإشارة راجعة إلى صفات خاصة لا إلى مطلق الصفات ثم أشار إلى بيان الملازمة بقوله : (**لما وجد شيء من الحوادث**) وإذا كان انتفاء بعضها يوجب ألا يوجد شيء من الحوادث فمن باب أولى انتفاء جميعها فلو انتفت القدرة كان عاجزًا والعاجز لا يتأتى منه الفعل فلا يوجد ، وإن انتفت الإرادة انتفى ترجيح أحد طرفي الممكن على الآخر فلا يوجد وإن انتفى العلم استحال القصد إلى المجهول ، وإذا انتفى القصد إلى المجهول انتفى الإيجاد ، وإن انتفت الحياة انتفت هذه الصفات ، فينتفي الفعل . خالف المصنف ـ رحمه الله ـ عادته واكتفى ببرهان واحد في هذه الصفات نظرًا للازم[4] لأن تأثير القدرة متوقف عقلاً على تأثير الإرادة إذ لا يوجد ـ سبحانه ـ إلا ما أراده ، وتأثير الإرادة على وفق العلم إذ لا يخصص بإرادته وجودًا أو عدمًا إلا ما ينكشف لعلمه[5] ؛ لاستحالة القصد إلى المجهول ، ولا يصح الاتصاف بهذه الصفات إلا عند وجود شرطها الذي هو الحياة ، ووجود المشروط بدون شرط محال . ولما قدم ـ رحمه الله ـ وجوب اتصافه ـ تعالى ـ بالسمع والبصر والكلام واستحالة أضدادها أخذ يتكلم على برهان ذلك فقال :

---

(1) (أي) سقط من ح .

(2) ينظر مغني اللبيب ، 2/ 490 .

(3) (الأربعة) : سقط من ح .

(4) في ح ، د : (زيادة لاتحاد) .

(5) في ح : (لعلم) .

برهان وجوب اتصافه - تعالى - بالسمع والبصر والكلام

(**وأما برهان وجوب السمع له - تعالى - والبصر والكلام**) جمع المصنف - رضي الله عنه - هذه الثلاثة أيضًا لاتفاق دليلها النقلي ، والعقلي ، كما جمع الأربعة قبلها لاتفاق دليلها ، وتركيب برهانها العقلي تقول فيه : لو لم يتصف بها لزم أن يتصف بأضدادها وهي نقائص ، ولو اتصف - تعالى - بنقيصة من النقائص لكان محتاجًا إلى دفعها ، ولو احتاج إلى دفعها لكان عاجزًا عن دفع الاحتياج عن نفسه ، ولو احتاج[1] لدفع الاحتياج عن نفسه لكان عاجزًا عن إيجاد المخلوقات بالأولى ، ولو عجز عن إيجاد المخلوقات لما وجد شيء منها ، كيف وهي موجودة مشاهدة ، فيلزم من وجود المخلوقات ومشاهدتها أن يكون موجدها قادرًا على إيجادها ، ويلزم من كونه قادرًا على إيجادها ألا يكون عاجزًا عن إيجادها ، ويلزم من كونه غير عاجز عن إيجادها ألا يكون عاجزًا عن شيء ، ويلزم من كونه غير عاجز عن شيء ألا يكون عاجزًا عن دفع النقص عن نفسه ، ويلزم من كونه غير عاجز عن دفع النقص عن نفسه ألا يتصف بنقيصة الصمم والعمى والبكم ، ويلزم من كونه غير موصوف بها أن يتصف بالسمع والبصر والكلام وهو المطلوب ، ويلزم من اتصافه بها أن يتصف بالكون سميعًا بصيرًا متكلمًا ، ويلزم من اتصافه بها استحالة اتصافه بالصمم والعمى والبكم ، ويلزم منه استحالة الكون أصم أعمى أبكم - تعالى ربنا وتقدس عن اتصافه بذلك - .

ثم ذكر - رحمه الله - جواب أمّا بقوله (**فالكتاب**) أي القرآن وهو قوله - تعالى - في كتابه العزيز : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[2] وقوله - تعالى - :

(1) في م : لمن دفع .

(2) سورة الشورى ، الآية 11 .

﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[1] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾[2] وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾[3] (و) أما (**السنة**) فقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **"إِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ أَعْمَى ، وَإِنَّما تَدْعُون سَميعًا بَصيرًا"**[4] وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **"مَا مِنكُم مَنْ أَحَدٍ إلاّ يُكَلمُهُ ربُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرجُمان"**[5] وتواتر النقل عن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ أن الله متكلم ، ولا معنى له إلا أنه يوصف بالكلام (و) أما (**الإجماع**) فقد أجمع المسلمون من أهل الحق على أنّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ سميع وبصير ومتكلم .

واعلم أن عقائد الإيمان على أربعة أقسام :

الأول ـ لا يعلم إلا بالعقل ، وهو ما تتوقف عليه دلالة المعجزة ، وهي الصفات الأربع : القدرة ، والإرادة ، والعلم ، والحياة .

والثاني ـ ما لا يثبت إلا بالشرع وهي كل ما لا تتوقف عليه دلالة المعجزة ، ويرجع إلى وقوع جائز كأحوال الآخرة .

والثالث ـ ما يصح إثباته بالدليل العقلي والنقلي ، ولكن الدليل الشرعي فيه أقوى من العقلي ، وهو ما تتوقف عليه دلالة المعجزة يرجع إلى وقوع جائز كالسمع ، والبصر والكلام . ووجه ضعف الدليل العقلي هنا أن ذاته ـ تعالى ـ لم تعرف حتى يحكم بمجرد العقل على أنها كمالات في حقه فحيث لم يتصف بها لزم أن يتصف

---

(1) سورة طه ، الآية 46 .

(2) سورة النساء ، الآية 164 .

(3) سورة الأعراف ، الآية 144 .

(4) سبق تخريجه .

(5) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري ، عن عدي بن حاتم ، كتاب الرقاق ، باب من نوقش الحساب عذب ـ 11/ 400 ، والترمذي في سننه ، كتاب صفة القيامة 4/ 335 ، بلفظ رجل مكان أحد .

بأضدادها ، لاحتمال أن يكون موصوفًا بكمالات أخر ، وحجة من استدل بالعقل قياس الغائب على الشاهد ؛ ولما رأوا أن هذه كمالات في حق الشاهد [طردوها في حق الغائب ، وهذا غير لازم ، لأنا وجدنا بعض الأشياء كمالات][1] وهي نقص في حقه ـ تعالى ـ كالذكاء ، والفطنة ، والنوم ، واللذة ، وغير ذلك ، وذهب الشيخ سعد[2] الدين التفتازاني إلى أن هذه كمالات لذاتها ، والباري موصوف بكل كمال[3] .

الرابع ـ ما اختلف فيه هل هو من القسم الأول ـ أي لا يثبت إلا بالعقل أو من القسم الثالث ، أي يثبت بالسمع ، وبالعقل ، كالوحدانية ، فإنه اختلف فيها هل يكفي فيها الدليل السمعي ، بناء على عدم توقف دلالة المعجزة عليها في علم الناظر في المعجزة ، وإن توقف وجود المعجزة عليها في نفس الأمر ؛ لاستحالة وجود الفعل مع وجود الشريك ، أو لا بد فيها من الدليل العقلي نظرًا إلى توقف دلالة المعجزة على صحة وجود المعجزة المتوقف على الوحدانية ، لأن المعجزة فعل ، والفعل يستحيل وجوده على تقدير الأثنينية في الألوهية ، والمتوقف على المتوقف على شيء متوقف على ذلك الشيء . ثم قوى الشيخ ـ رضي الله عنه ـ الدليل النفسي بإردافه بدليل عقلي فقال : (**وأيضًا**) ـ منصوب على أنه مفعول مطلق (**لو لم يتصف بها**) أي بكل واحدة من هذه الصفات الثلاث (**لزم أن يتصف بأضدادها**) ؛ لأن المحل القابل للشيء لا يخلو عنه ، أو عن ضده ، أو عن مثله (**وهي**) أي أضداد الصفات المذكورة (**نقائص**) جمع نقيصة ، وهى الخصلة الدنية ، أي رذائل لا يجوز نسبتها إلى المولى العظيم ولذا قال ـ رضي الله عنه ـ (**والنقص عليه ـ تعالى ـ محال**) ؛ لأنه يلزم عليه[4] أن يكون بعض

---

(1) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح و د)

(2) في (ح) : سعيد وهو تحريف .

(3) ينظر : شرح المقاصد 4/ 138 ، وحاشية البيجوري ، ص 135 .

(4) (عليه) : زيادة اختصت بها ح .

مخلوقاته أكمل منه - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا - لسلامة كثير من المخلوقات من تلك النقائص ، والمخلوق يستحيل أن يكون أشرف وأكمل من خالقه ، قال المصنف - رضي الله عنه - [هذا الدليل وإن كان لا يسلم من الاعتراض فذكره على سبيل التبعية والتقوية لما هو مستقل ولا يرد عليه شيء ، وهو الدليل النقلي حسن أهـ][1] ولما قدم - رحمه الله - جواز فعل الممكنات ، وجواز تركها بالنسبة إليه - تعالى - حيث قال : وأما الجائز في حقه - تعالى - ففعل كل ممكن ، أو تركه - أخذ يتكلم على برهان ذلك فقال :

برهان كون فعل الممكنات أو تركها جائزًا في حق الله - تعالى -

(**وأما برهان كون**) أي ثبوت (**فعل الممكنات أو تركها**) أي الممكنات فالترك عنده ليس بفعل ، ولذا عطف عليه ، - والله أعلم - (**جائزًا في حقه**) أي بالنسبة إليه (**تعالى**) فالممكن في اصطلاح المتكلمين مرادف للجائز ، وهو الذي يصح في العقل وجوده وعدمه ، معنى كلامه - رضي الله عنه - أن الدليل على ثبوت[2] جواز فعل الممكنات ، وثبوت جواز تركها هو البرهان ، وكأنه جواب نشأ عن سؤال مقدر محذوف ، كأن قائلاً قال له : أنتم يا معشر أهل السنة أثبتم وقررتم أن فعل الممكنات وتركها بالنسبة إلى الله جائز ، من أين لكم ذلك ؟ فأجاب الشيخ - رضي الله عنه - بأن الدليل على ذلك هذا البرهان ، ثم أخذ - رحمه الله - في تقرير البرهان فقال (**فلأنه**) أي الله - سبحانه وتعالى - (**لو وجب عليه - تعالى - فعل شيء منها**) أي بعض شيء منها (**عقلاً**) أي من جهة تحسين العقل كما تقوله المعتزلة ، وذلك كالصلاح والأصلح

(1) شرح أم البراهين ، ص 54 ، وما بين المعقوفتين سقط من ح .

(2) (ثبوت) : سقط من ح .

ونحوها (**أو استحال**) بعض شيء منها عقلاً من جهة تحسين العقل كما تقوله البراهمة وذلك كبعث الرسل ونحوها (**لانقلب الممكن**) أي كل ممكن ، فالألف ، واللام للاستغراق (**واجبا**) لا يتصور في العقل عدمه (**أو مستحيلاً**) لا يتصور في العقل وجوده ، لكن كونها تنقلب كلها واجبة ، أو مستحيلة محال ؛ إذ قلب الحقائق يؤدي إلى الجمع بين النقيضين ؛ لأنه يصير الممكن يقبل الوجود والعدم ، ولا يقبلها ، وهذا لا يعقل كما قاله المصنف ـ رضي الله عنه ـ (**وذلك**) أي انقلاب كل الممكنات واجبة أو مستحيلة (**لا يعقل**) أي لا يتصور في العقل وجوده ، وبيان الملازمة بين وجوب الشيء منها واستحالته ، وبين انقلاب الممكن واجبًا ، أو مستحيلاً ، هو أنه لو وجب البعض وجب الكل ؛ لاستوائهما وتماثلهما والمثلان يجب لأحدهما ما يجب للآخر ، فلو وجب لبعض الممكنات وجب للكل ، وكذلك في استحالته فإذا استحال البعض استحال الكل للتماثل وتقول في تركيبه على جهة الإجمال لو وجب عليه ـ جل وعز ـ فعل أو حكم أو ترك لكان مقهورًا تعالى الله عن ذلك ، ولو كان مقهورًا لكان عاجزًا عن دفع القهر عن نفسه ، ولو كان عاجزًا عن دفع القهر عن نفسه لكان عاجزًا عن إيجاد المخلوقات بالأولى ، ولو عجز عن إيجادها لما وجدت ، وكيف وهي موجودة مشاهدة فيلزم من وجودها أن يكون موجدها قادرًا على إيجادها ؛ ولذلك وجدت ، ويلزم من كونه قادرًا على إيجادها أن لا يكون عاجزًا عنها ويلزم من كونه غير عاجز عنها ، أن لا يكون عاجزًا عن شيء ، ويلزم من كونه غير عاجز عن شيء أن لا يكون عاجزًا عن دفع القهر عن نفسه ، ويلزم من كونه غير عاجز عن دفع القهر عن نفسه ، أن لا يكون مقهورًا ، ويلزم من كونه غير مقهور أن لا يجب عليه فعل ، ولا حكم ، ولا ترك ، ولا يمتنع عليه فعل ، ولا حكم ، ولا ترك ، بل يجوز في حقه الفعل ، والحكم ، والترك ، وهو المطلوب .

الإيمان بالرسل - عليهم الصلاة والسلام

ولما كان الإيمان مركبًا من جزأين أحدهما : الإيمان بالله - تعالى - والثاني : الإيمان بالرسل - عليهم الصلاة والسلام - وكان الجزء الثاني موقوفًا على الجزء الأول إنما يعرف ويحصل بعد معرفته قدم المصنف - رضي الله عنه - الكلام على الجزء الأول ، وأتى بالجزء الثاني بأثره فقال : (**وأما الرسل - عليهم الصلاة والسلام -**) والرسل جمع رسول ، وهو إنسان بعثه الله - سبحانه - إلى عبيده وإمائه ليبلغهم أمره ، ونهيه ، ووعده ، ووعيده ، ويبين إليهم ما يحتاجون إليه من أمور الدنيا والدين ؛ إذ قد خلق الله - تعالى - الجنة والنار ، وأعد فيهما من الثواب والعقاب : (ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر)[1] ، ولا شك أن تفاصيل أحوالهما وطريق الوصول إلى الأول ، والاحتراز من الثاني مما لا يستقل به العقل على ما يشير إليها - تعالى - بقوله[2] : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾[3] أي ولا مثيبين مع ما في ذلك من قطع التعللات[4] المشير إليها قوله - تعالى - : ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾[5] فلم يبق - سبحانه - للعبد سببا للاعتذار يتمسك به ، ولم يعاقب إلا بعد حجة ، وهذا هو الاعتذار ، وأشار بلفظ الجمع في قوله : وأما الرسل إلى تعددهم وكثرتهم وحديث ابن حبان : "أنه - صلى الله عليه وسلم - سئل عن عدد الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا ، ويروى مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفًا ، الرسل منهم

---

(1) سبق تخريجه في ص 131 .

(2) في (ح و م) : بقوله تعالى .

(3) سورة الإسراء : الآية 15 .

(4) في (ح) : التعلقات .

(5) سورة طه ، الآية 134 .

ثلاث مائة وثلاثة عشر جمًا غفيرًا"[1] والحديث من أصله متكلم فيه ، ولو سلمنا صحته واستيفاء جميع الشرائط لم يفد القطع ؛ لكونه من الآحاد وإنما قصاراه إفادة الظن ، ولا عبرة به في المباحث اليقينية ؛ فلهذا ينبغي ألا يحصروا في عدد معين فقد قال الله : ﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾[2] ولا يؤمن مع ذكر أكثر عددهم أن يدخل فيهم من ليس منهم ، ولا مع ذكر عدد أقل من عددهم ، أن يخرج من هو منهم[3] ، وجميعهم عجم[4] ، إلا خمسة : محمد ، وإسماعيل ، وهود ، وصالح ، وشعيب . وألسنتهم ثلاثة : سريانية ، وهم نوح ، وإبراهيم ، ولوط ، وعبرانية وهم بنو إسرائيل ، وعربية وهم محمد ، وهود وصالح ، وشعيب ، وإسماعيل - عليهم الصلاة والسلام - ، والوحي إلى جميعهم كان منامًا إلا أولي العزم الخمسة : محمد ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ونوح - عليهم الصلاة والسلام - فإنه أوحي إليهم منامًا ويقظة ، وقد ورد كما ذكره الحافظ الديلمي : "أن جبريل نزل على آدم اثنتي عشرة مرة ، وعلى إدريس أربعًا ، وعلى نوح خمسين ، وعلى يعقوب أربعًا ، وعلى إبراهيم أربعين ، وعلى موسى أربع مائة ، وعلى أيوب ثلاثًا ، وعلى عيسى عشرًا ، وعلى نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - أربعًا وعشرين ألف مرة"[5] وقد اختلف في نبوءة أربع نسوة: مريم[6] ، وآسية[7] ،

---

(1) رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر ، 1/ 287 ، والحاكم في المستدرك 2/ 597 .

(2) سورة غافر ، الآية 78 .

(3) ينظر : حاشية ابن الأمير على إتحاف المريدين ، ص 211 .

(4) في (ح و د) : من العجم .

(5) لم أجده فيما توفر لي من مراجع .

(6) مريم ذكرت قصتها في القرآن مفصلة ، تراجع سورة مريم .

(7) هي آسية بنت مزاحم زوجة فرعون ملك مصر زمن موسى - عليه السلام - لم تنجب أولادا ، أشار إليها القرآن الكريم بأنها هي التى دفعت فرعون إلى تبني موسى - عليه السلام - آمنت سرًا ثم كشفت عن إيمانها فعذبت عذابًا شديدًا وصفها النبي - صلى الله عليه وسلم - بأنها من النساء اللائي كملن ، ذكر=

وسارة[1] ، وهاجر[2] والحق أن لا نبوءة لواحدة منهن. كما وقع الخلاف[3] في نبوءة إسكندر الرومي[4] صاحب الخضر[5] والحق أنه ملك عادل لا نبي ، وأما الإسكندر اليونان[6] فإنه مشرك . وكذلك اختلف في لقمان[7] والحق أنه حكيم وليّ تتلمذ لألفي نبي ، وكذلك اختلف في الخضر صاحب موسى - عليهما السلام - والحق أنه نبي انتهى باختصار من كلام الشيخ إبراهيم اللقاني وابنه الشيخ عبد الله من شرحيهما على الجوهرة[8] .

=القرآن قولها في دعائها : ﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ سورة التحريم ، الآية 11 (ينظر : معجم أعلام النساء ، ص8) .

(1) هي سارة بنت ناصور ، الزوجة الأولى لإبراهيم - عليه السلام - وهي ابنة عمه تزوجها بوحي أتاه وهو ابن سبع وثلاثين سنة ، ثم هرب من سطوة النمروذ فرافقته نحو الأردن ، كما رافقته إلى مصر ، فطمع فيها فرعون لجمالها ، لكن الله حال بينها وبينه ، بل أهداها جارية قبطية اسمها هاجر التى أنجبت إسماعيل - عليه السلام - ثم إن الله رزق سارة بعد بولد هو إسحاق - عليه السلام - توفيت ودفنت بالخليل بفلسطين ، (ينظر : معجم أعلام النساء ، ص99) .

(2) هي زوجة إبراهيم الخليل - عليه السلام - وأم إسماعيل - عليه السلام - كانت جارية لسارة فأهدتها إلى إبراهيم - عليه السلام - فتزوجها ثم لما ولدت غارت منها سارة ، فأتى بها إبراهيم - عليه السلام - إلى مكة ، وأنزلها هي وابنها هناك فكان من بركتها تفجر عين زمزم ، وترجع إليها شعيرة السعي بين الصفا والمروة ، (ينظر معجم أعلام النساء ، ص178) .

(3) الخلاف : سقط من ح .

(4) ذكر الشيخ إبراهيم اللقاني في عمدة المريد ورقة 317 أنه عبد صالح ، كما ذكر القرطبي في تفسيره - 11/ 84 ولايته .

(5) اختلف في اسم الخضر ونسبه وفي نبوءته وصحبته ، قال الشيخ البيجوري في حاشيته ، ص52 : (وأما الخضر فقيل ولي ، وقيل نبي ، وقيل رسول ، وخير الأمور أوسطها) .

(6) قال في عمدة المريد ورقة 317 : (وأما إسكندر اليوناني صاحب أرسطو فليس نبيًا بالإجماع) .

(7) هو لقمان ابن باعوراء ابن أخت أيوب - عليه السلام - أو ابن خالته عاش ألف سنة أدرك داود - عليه السلام - وأخذ عنه العلم قبل نبي ، وقيل حكيم ، ذكره الله في القرآن ، وسميت سورة باسمه ، (ينظر : الكشاف ، 3/ 231) .

(8) ينظر : عمدة المريد ورقة 317 ، وإرشاد المريد ورقة 126 .

ما يجب في حقهم - عليهم الصلاة والسلام -

واعلم أيضًا أنه يجب على كل مكلف أن يعتقد أن جميع الكمالات البشرية التي لا نهاية لها باعتبار علمنا وعقلنا واجبة في حق النبي - صلى الله عليه وسلم - وسائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وأضدادها مستحيلة ، لأن الواجب معرفة الله أولاً ، ثم معرفة النبي - صلى الله عليه وسلم - وبذلك يصح الإيمان . واعلم أن المعرفة الكلية الإجمالية في حقه - صلى الله عليه وسلم - هي أن تعرف بأنه موصوف بجميع الكمالات الإنسانية خلقًا وخُلقًا منها والباطنة ، وأنه أعطي من كل نوع منها أعلى درجة منه ، وبلغ من كل فرد منها غاية الغاية ، ونهاية النهاية ، وفي هذا المعنى قال ابن حجر في شرح الشمائل : اعلم أن تمام الإيمان به - صلى الله عليه وسلم - اعتقاد أنه لم يجتمع في بدن آدمي من المحاسن الظاهرة ما اجتمع في بدنه - صلى الله عليه وسلم - وذلك أن المحاسن آيات ودلائل على المحاسن الباطنية ، والأخلاق الزكية ، ولا أكمل منه - صلى الله عليه وسلم - ولا مساوي له في هذا المدلول فكذلك في الدالّ ، ثم قال ومن ثم نقل القرطبي - رحمه الله تعالى - عن بعضهم أنه قال : لم يظهر تمام حسنه - صلى الله عليه وسلم - رحمة بالعباد ، ولو ظهر تمام حسنه - صلى الله عليه وسلم - لما أطاقت الصحابة - رضي الله عنهم - النظر إليه[1] .

واعلم أن نبينا أُعطي من الجمال كله ، ويوسف - عليه السلام - أُعطي من الجمال شطره فالنسوة اللاتي نظرن إلى جمال يوسف الذي هو الشطر بهتن على قطعهن أيديهن : ﴿ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾[2] فما بالك بمن أعطي الجمال كله فلو لم يرحمنا الله - تعالى - بأن أخفى عن الصحابة أكثره لما نقلوا عنه من الشرائع

---

(1) ينظر حجة الله على العالمين ص 65 ، 76 .

(2) سورة يوسف ، الآية 31 .

شيئًا ، ولكانوا كلما رأوه بهتوا[1] ودهشوا حتى لا يدركوا بحواسهم شيئًا من أقواله ولا أفعاله ، لكن الله رحيم ، وأيضًا فنوره ـ صلى الله عليه وسلم ـ من نور الشمس والقمر ؛ إذ نورهما شيء يسير رشح من نوره ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولذلك **"لَمْ يُوجَدْ لَهُ ـ صلى الله عليه وسلم ـ ظِلٌّ في الشَّمْس"**[2] كما أنك إذا أوقدت سراجًا في الشمس فإنك لا ترى للأشخاص ظلاً من نور السراج في الشمس ، لعظم نور الشمس على نور السراج ، وأما في الآخرة فيخلق الله فينا أبصارًا قوية باقية نطيق بها ما هو أعظم ، وهو رؤية البارئ ـ جل جلاله ـ فهناك يتجلى لنا[3] تمام نوره ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكمال جماله نسأله بجاهه أن يجعلنا ممن يتمتع بذلك فإن قيل المعرفة الكلية عامة في جميع الأنبياء أو خاصة به ـ عليه الصلاة والسلام ـ ؟ فإن قيل عامة فما معنى كلام العارف ابن حجر المتقدم بالقرب من[4] أنه ما اجتمع في بدن آدمي من المحاسن الظاهرة ما اجتمع في بدنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلخ . كلامه فيقال أما هو ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتجب في حقه هذه المعرفة الكلية الإجمالية بدليل الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، أما الكتاب فقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[5] في آيات ذكرها القاضي في الشفا[6] تدل على ذلك جملة وإفرادًا ، وأما السنة فكما ورد في الآثار من أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يمت حتى استوفى جميع الكمال الإنساني ، واجتمعت الأمة على

---

(1) في أ و م : (ابهتوا) ، ومعنى بهتوا : دهشوا وتحيروا ، (ينظر : مختار الصحاح ، ص66 مادة بهت) .

(2) أورده الإمام النبهاني في حجة الله على العالمين باب لم يكن له ـ صلى الله عليه وسلم ـ ظل ، ص 668 ، والسيوطي في الخصائص ، 1/ 169 .

(3) (لنا) سقط من ح .

(4) في أ و م : (هل) .

(5) سورة القلم ، الآية 4 .

(6) ينظر : الشفا 1/ 19 ، 56 .

ذلك ، وأما بقية إخوانه من الأنبياء والمرسلين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فالظاهر من الآثار أنهم كذلك ، وأما الكمالات التكليفية الظاهرة ، والباطنة ، فقد ورد الشرع بوجوبها في حقهم ، واستحالة أضدادها ، وأما غيرها من سائر المحاسن فهي فيهم أيضًا على سبيل القربة ؛ لكونهم مظاهر للصفات المحمدية ، والجمالات الأحمدية . قال العلماء ـ رضي الله عنهم ـ صفات الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ على ما هي عليه من الكمال والجمال الحسي ، والمعنوي ، إنما هي مثل لصفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذ هي صفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ في المعنى فذواتهم ـ صلى الله عليهم وسلم ـ كالماء الصافي ترى فيها صفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ التي احتوت عليها ذواتهم فهم مظاهر صفاته ـ عليه وعليهم الصلاة والسلام ـ وقد مثلث ذواته صفاته كما مثّل الماء الصافي النجوم ، وعند ظهوره ـ صلى الله عليه وسلم ـ اطلع الناس على كنه حقيقتها ، وقبل ظهوره ، فالأنبياء مرايا لظهور صفاته فيهم ، ولله در القائل في ذلك المعنى[1]:

فعند الظهور بدا وصفه ... على غاية من بديع الكمال
وقبل الظهور ترى نوره ... في كل زمان مرايا الرجال

فظهر بهذا أن كمالاتهم كمالاته ، ومحاسنهم محاسنه ، فترى في ذاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ حقيقتها كما ترى النجوم في الماء ، وترى ذوات الأنبياء كما ترى صور النجوم في الماء لا حقيقتها ـ جعلنا الله ممن عرف قدره الكريم وتبع طريقه القويم ـ .

---

(1) لم أهتد لقائل هذين البيتين ، وهما يتفقان مع قول الإمام البوصيري في همزيته :

إنما مثلوا صفاتك للنا ... س كما مثل النجوم الماء

ينظر : القصائد البوصيرية ، ص 7 .

الصدق

قوله (**فيجب في حقهم**) أي شأنهم وبالنسبة إليهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ (**الصدق**) وهو مطابقة الخبر لما في نفس الأمر ، وافق الاعتقاد أم لا ، يعني أن جميع ما أخبر به موافق لما عند الله ـ تعالى ـ .

الأمانة

(**والأمانة**) وهي حفظ الجوارح الظاهرة ، والباطنة عن التلبس بما نهى الله عنه ، نهي تحريم ، أو كراهة ، والأمانة هي العصمة قال الشيخ المقّري : ولم يعبر بالأمانة غير المصنف على ما قال بعض الحفاظ أنه لم يقف عليه لغيره ، ووجه ما فعل ـ رحمه الله ـ أن الأمانة هي التكاليف قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴾[1] الآية قال ابن عباس : إنا عرضنا التكاليف والمراد بوجوب الأمانة حفظ التكاليف . والعصمة لغة المنع ، ﴿ لَا عَاصِمَ ﴾[2] : لا مانع ، واصطلاحًا قيل هي ملكة نفسانية تمنع الفجور والمخالفة وقيل صفة توجب امتناع عصيان موصوفها ، إلى هذا يرجع ابن عرفة ـ رحمه الله ـ ومن ثم منع اتصاف غير النبي والملك بها ؛ إذ الحكم بالامتناع إنما هو لهما لا لغيرهما والصواب أن اختصاص النبي والملك إنما هو بوجوب العصمة ، وعلى ذلك الاختصاص وجب الحكم بالامتناع ، وعلى هذا لا يمتنع عروضها لغيرهما .

التبليغ

(و) يجب في حقهم أيضًا ـ عليهم الصلاة والسلام ـ (**تبليغ**) أي إيصال (**ما أمروا**) به ، أي الشيء الذي أمرهم الله (**بإبلاغه**) أي إيصاله (**للخلق**) فهم

---

(1) سورة الأحزاب ، الآية 72 .

(2) سورة هود ، الآية 43 ، وتمامها : ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ .

ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بلغوا جميع ما أمرهم الله أن يبلغوه للعباد ، ولم يكتموا منه شيئًا ، فهذه الواجبات الثلاثة واجب اتصاف الرسل بها ، وواجب علينا اعتقادها في جقهم ، وإنما قال المؤلف ما أمروا بإبلاغه للخلق ؛ لأن الأشياء التي أوحى الله إليهم بها على ثلاثة أقسام : قسم أمر الله بإبلاغه فبلغوه على الوجه المطلوب ، وقسم لم يأمرهم الله بإبلاغه بل أمرهم بكتمه فلم يبلغوه ، وقسم خيرهم الله فيه[1] فمنه ما بلغوه ، ومنه ما لم يبلغوه ، ويدل لها التقسيم : "علمني ربي ليلة الإسراء علومًا شتى ، فعلم واحد أمرني بكتمه ، وعلم خيرني فيه وعلم أمرني أن أبلغه"[2] . قال علي ـ رضي الله عنه ـ فكان يسرّ إلى أبي بكر ، وعمر ، وعثمان وإليّ ما خيّر فيه ، ذكره جمع من شراح البردة . قال بعضهم ولم أقف على أصل له في كتب الحديث انتهى بالمعنى من ابن المصري[3] .

الفطانة

تتمة لم يذكر المصنف ـ رحمه الله ـ فيما يجب في حل الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ الفطانة ، وذكرها الشيخ إبراهيم اللقاني في الجوهرة فقال :

وواجب في حقهم الأمانة   وصدقهم وضف له الفطانة [4]

ومثل ذا تبلغيهم ... إلى آخر كلامه .

وقال في شرحه لها : "الفطانة بمعنى التفطن ؛ لإلزام الخصوم ، وحجاجهم ، وطرق إبطال دعاويهم الباطلة ، ومذاهبهم العاطلة ، فقد قال ـ تعالى ـ في مجادلة

---

(1) سقم من أ و م : (فيه) .

(2) لم أجد له أصلاً .

(3) ينظر : بغية الطالبين ، ورقة 76 .

(4) ينظر : حاشية البيجوري ، ص 200 .

إبـراهيم لقومـه : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾[1] وقـال ـ تعـالى ـ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾[2] الآية وقال ـ تعالى ـ حكاية عن قوم نوح : ﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا ﴾[3] وقد طالت مجادلـة فرعـون لموسـى حتى اتّخذ السحر لمعارضته سبيلاً ، وتصدى عند العجز لمقاتلته فأذيق عـذابًا وبـيلاً ، وقال ـ تعالى ـ في حق سيد الجميع محمد ـ صـلى الله عليـه وسـلم ـ ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[4] وقال أيـضًا : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[5] حتى إذا عجزوا عن مقابلـة حجتـه عـدلوا[6] عـن معارضـة الألفـاظ والحـروف إلى المقارعة بالرماح والسيوف ، والمغفل الأبله لا تمكنـه إقامـة المحجـة ، ولا يتـضح لـه سبيل الحجة ؛ ولأنهم شهود الله على العباد ، ولا يكون الشاهد مغفلاً انتهى"[7] . وما ذكره المصنف ـ رضي الله عنه ـ شروط عقلية للنبـوءة ، وشروطهـا الـشرعية العاديـة : البشرية ، والحرية ، والذكورية ، وكمال العقل ، والذكاء ، وقوة الرأي ، ولو في الـصبا كعيسى ويحيى ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ، والسلامة عن كل ما ينفر كدناءة الآبـاء ، وعهر الأمهات ، والغلظة ، والفظاظة ، والعيوب المنفرة للطباع كـالبرص والجـذام ، ونحو ذلك من الأمور المخلة بالمروءة كالأكل على الطريق ، والحرف الدنية كالحجامة ، وكل ما يخل بحكمة البعثة من أداء الشرائع وقبول الأمة ، ومنها كونه أعلم من جميع من بعث إليه بأحكام الشريعة المبعـوث بهـا أصـلية وفرعيـة ، واختلفـوا في اشـتراط

---

(1) سورة الأنعام ، الآية 83 .

(2) سورة البقرة ، الآية 258 .

(3) سورة هود ، الآية 32 .

(4) سورة النحل ، الآية 125 .

(5) سورة العنكبوت ، الآية 64 .

(6) في (ح) : عرضوا .

(7) عمدة المريد ، ورقم 315 .

البلوغ مع اتفاقهم على جواز أن يبعث الله نبيًا صغيرًا لكن اختلفوا في الوقوع وعدمه ، فذهب الفخر إلى الأول مستدلاً بأن عيسى ويحيى - عليهم الصلاة والسلام - أرسلا صبيين وهو ظاهر كلام السعد[1] ، وذهب القاضي أبو بكر بن العربي[2] وجماعة إلى أنه لم يقع ، وتأولوا آيتي عيسى ويحيى : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾[3] ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾[4] بأنها إخبار عما سيجب لهما حصوله لا عن ما حصل لهما بالفعل[5] ، نعم بعثه نبيًا - صلى الله عليه وسلم - كانت على رأس أربعين عامًا من مولده عام الفيل وقال الأبي : وهو الأعم الأغلب في إرسال الرسل إلى أممهم عند بلوغها الأشد وهو أربعون عامًا ، وجزم بها جماعة منهم شيخ الإسلام في حواشي البيضاوي[6] انظر شرح الشيخ[7] إبراهيم اللقاني على الجوهرة .

ما يستحيل في حقهم - عليهم الصلاة والسلام -

ولما فرغ - رحمه الله - من ذكر القسم الأول مما يجب على المكلف معرفته في حق الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وهو الواجب شرع في القسم الثاني وهو المستحيل ، فقال : (**ويستحيل في حقهم**) أي شأنهم بالنسبة إليهم (**عليهم الصلاة والسلام**

---

(1) قال السعد في شرح المقاصد ، 5/ 61 من شروط النبوة : الذكورة وكمال العقل ، والذكاء ، والفطنة ، وقوة الرأي ولو في الصبح كعيسى ويحيى - عليهما السلام - .

(2) ينظر أحكام القرآن ، 3/ 1251 .

(3) سورة مريم ، الآية 30 .

(4) سورة مريم ، الآية 12 .

(5) ذكر ابن جرير الطبري في تفسيره ، 20/ 42 أن الأشد ثلاث وثلاثون سنة وقيل ثلاثون ، والاستواء أربعون سنة ، وقال المخشري في الكشاف ، 4/ 168 : (واستوى : بلغ المبلغ الذي لا يزاد عليه ... وذلك أربعون سنة) وعن القشيري في لطائف الإشارات ، 5/ 60 : كمال السن ، وتمام العقل وكمال الخصال .

(6) ينظر : حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد ، ص 37 .

(7) ينظر : عمدة المريد ، ورقة 318 .

أضداد هذه الصفات) الثلاث المتقدم[1] ذكرها فالإشارة راجعة إلى الصفات الثلاث الواجبة في حقهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ (**وهي**) أضداد الصفات الواجبة (**الكذب**) وهو عدم مطابقة الخبر لما في نفس الأمر وافق الاعتقاد أم لا ، فهو ضد الصدق ، فالكذب مستحيل مطلقًا عمدًا كان أو نسيانًا (**والخيانة**) وهي ـ بكسر الخاء المعجمة ـ وهي التلبس (**بفعل شيء مما نُهي عنه**) بالبناء للمجهول وسواء كان ذلك النهي (**نهي تحريم**) وهو طلب الكف عن الفعل طلبًا جازمًا كالزنا ، وشرب الخمر ـ مثلاً ـ (**أو**) نهي (**كراهة**) وهو طلب الكف عن الفعل طلبًا غير جازم كقراءة القرآن في الركوع والسجود مثلاً ، فهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لا يصدر منهم صورة ذنب مطلقًا لا قبل النبوءة ولا بعدها ، ولا محرمًا ولا مكروهًا ، لا سهوًا ولا عمدًا ، لا قولاً ولا فعلاً ، هذا تحصيل المسألة على سبيل الإجمال ، وأما على سبيل التفصيل فاعلم أنها مسألة مبهمة قال ابن المصري هلك بعدم تحققها خلق كثير[2] . وتحرير القول في ذلك ما قاله شيخ الإسلام علامة الأنام الشيخ إبراهيم اللقاني ونص كلامه : "اعلم أنهم ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ معصومون من الكفر قبل النبوءة وبعدها بالإجماع ، وأما غيره من الكبائر فقد أجمع الناس أيضًا على امتناع صدورها عنهم عمدًا بعد البعثة ، وإنما اختلفوا في دليل امتناعها ، فقيل السمع وهو الراجح عند الجمهور من المحققين[3] وإليه ذهب القاضي أبو بكر ، وقيل العقل ، وهو قول الكافة وإليه ذهب الأستاذ أبو إسحاق[4] ، وبه جزم في النظم صاحب العبارة الشيخ اللقاني حيث عد الخيانة من

---

(1) في ص 287 من هذا البحث .

(2) ينظر : بغية الطالبين ورقة 53 .

(3) مثل عضد الأيجي ، ينظر : المواقف 358 .

(4) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأسفراييني ، من أئمة الفقه والأصول له الجامع في أصول الدين ، ورسالة في أصول الفقه ، توفي سنة 418هـ ، (ينظر : وفيات الأعيان ، 1/ 4 ، والأعلام 1/ 61) .

المستحيلات العقلية"[1] ، وأما الصغائر عقلاً فقد جوزها عليهم جماعة من السلف ، وغيرهم كإمام الحرمين[2] منا وأبي[3] هاشم[4] من المعتزلة[5] ، وإليه ذهب أبو جعفر الطبري[6] وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين ومنعها المحققون من الفقهاء والمتكلمين ، وبه جزم الشيخ إبراهيم اللقاني في أصل الجوهرة[7] ، وعليه فهم معصومون من الصغائر عمدا كعصمتهم من الكبائر ، قال الشيخ إبراهيم اللقاني : وهو الحق عندي ، وإليه أذهب وعليه أحيا وعليه أموت[8] ، وذهبت طائفة أخرى إلى الوقف ، وأما حكم الكبائر والصغائر في حقهم - عليهم الصلاة والسلام - سهوا فهو أن الكفر منتف بالاتفاق ، وأما غيره من الكبائر ففي امتناع صدوره عنهم سهوا خلاف ، عزا السعد[9] القول بجوازه للأكثر ، والحق وهو رأي المحققين منهم القاضي عياض[10] والسيد في شرح المواقف[11] امتناعه . وأما صدور الصغائر عنهم

---

(1) عمدة المريد ، ورقة 333 .

(2) ينظر : الإرشاد إلى قواطع الأدلة ، ص 298 .

(3) في المخطوط : ابن هاشم ، وهو تحريف .

(4) هو عبد السلام محمد بن محمد بن عبد الوهاب شيخ المعتزلة ، من صفاته : تذكرة العالم ، والعدة ، والشامل ، توفي سنة 321هـ ، ينظر : وفيات الأعيان 2/ 386 ، والأعلام 4/ 7 .

(5) ينظر : أصول الدين للبغدادي ، ص 167 .

(6) الطبري هو : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، ولد بطبرستان واستوطن بغداد ورحل في طلب العلم فسمع بالعراق والشام ومصر ومن خلق كثير ، كان حافظًا لكتاب الله عارفًا بالقراءات بصيرًا بالمعاني فقيها في الأحكام من مؤلفاته : كتاب التفسير الذي اشتهر به ، وتاريخ الأمم والملوك ، وكتاب اختلاف الفقهاء ، توفي سنة 310هـ ، ينظر : طبقات الشافعية 2/ 135 ، والأعلام 6/ 69 .

(7) حيث قال فيها : **بالمعجزات أيدوا تكرما ... وعصمة الباري لكل حتما** ، ينظر : حاشية الإمام البيجوري ص 220 .

(8) ينظر عمدة المريد ، ورقة 312 .

(9) ينظر شرح المقاصد ، 5/ 30 .

(10) ينظر الشفاء للقاضي عياض 1/ 173 .

(11) ينظر المواقف للأيجي ، ص 358 .

فاختار القول بجوازه المحققان السيد والسعد[1] ، بل حكيا عليه الاتفاق إلا ما دل على خسة وعليه فاشترط المحققون أن يُنبهوا عليه فورًا على الأرجح فينتبهوا قبل أن يتقرر شريعة والحق عندي وفاقًا للأستاذ أبي إسحاق الأسفراييني ، وأبي الفتح الشهرستاني والقاضي عياض والسبكي امتناعه ؛ لأنهم أكرم على الله ـ سبحانه ـ من أن يصدر عنهم صورة ذنب وقد عزا هذا الرأي ابن برهان لاتفاق المحققين . انتهى ملخصًا من شرح الشيخ إبراهيم اللقاني على جوهرته[2] وهذا نزر قليل من كلامه ـ رضي الله عنه ـ ومن أراد التحقيق فليراجعه ففيه العجب العجاب لله دره من إمام ما أنصحه للأمة ـ نسأل الله ـ تعالى ـ العظيم بجاه نبيه الكريم أن يقدس روحنا وروحه في أعالي الجنة ، بلا محنة يا رب العالمين ـ وحاصل المختار من الأقوال أنهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لا يصدر منهم صورة ذنب لا قبل النبوءة ولا بعدها ، لا محرمًا ولا مكروهًا ، لا سهوا ولا عمدًا ، لا قولا ولا فعلاً ، من حين خلقهم الله إلى حين انتقالهم إلى دار كرامته ، وهذا الذي نعتقده وندين الله به ، وهو الحق الذي لا يجوز العدول عنه ، وهو الذي كان يفتي به الشيخ سالم السنهوري[3] على ما نقل ابن المصري عن بعض تلاميذه وما يقع في بعض التواريخ والتفاسير مما يخالف ذلك فلا يعول عليه ، أو يؤول إن قبل التأويل[4] . (و) وكذا يستحيل في حقهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ (**كتمان شيء مما أمروا بتبليغه للخلق**) يعني أن الكتمان محرم بنص الكتاب ، والسنة ، فيجب شرعًا اعتقاد أنهم ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ أجمعين بلغوا ما أمروا بتبليغه للخلق

---

(1) ينظر شرح السعد على العقائد النسفية ، ص 136 .

(2) ينظر : عمدة المريد ، ورقة 320 ، 330 .

(3) السنهورية هو : سالم بن علي السنهوري ، فقيه محدث متفقه ، أدرك الناصر اللقاني وتفقه بالبنوفري ، درّس وأفتى ، وانتهت له رئاسة المالكية في وقته ، له تعليق على مختصر خليل ، توفي سنة 1015هـ ، (ينظر : كفاية المحتاج ، ص 140) .

(4) ينظر : بغية الطالبين ، ورقة 78 .

اعتقاديًا كان ، أو علميًا للإجماع على عصمتهم من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ ، ولو في قوة الخوف ، وزمان الفتنة ، كلاً أو بعضا ، ما لم ينسخ قبل التبليغ ، ولو جاز عليهم كتمان شيء لكتم الرئيس الأعظم والحبيب المقدم قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾(1) وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾(2) الآية . كيف وقد قال ـ تعالى ـ في حقه ـ عليه الصلاة والسلام ـ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾(3) وقال في حقهم جميعًا : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ ﴾(4) وكتمان شيء مما أمروا بتبليغه مفوت لإقامة حجة الله على عباده .

الجائز في حقهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ

ثم شرع في ثالث الحكم العقلي المتعلق بالرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وهو الجائز فقال : (**ويجوز في حقهم**) أي شأنهم أو بالنسبة إليهم (**ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ما**) أي الذي (**هو من الأعراض**) احترازًا من صفات الألوهية فيستحيل اتصاف الخلق بها رسلاً وغيرهم ، وفيه رد على النصارى في وصفهم(5) عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالصفات القديمة . (**البشرية**) احترازًا من صفات الملائكة فهي لا تجب في حقهم ، وفيه رد على الجاهلين القائلين بأنها تتعين في حقهم ، ويمنعون الأعراض البشرية ، وقد أحالوا اتصاف الرسل بها فأدّاهم إلى التكذيب برسالة البشرية كما أخبر الله عنهم بقوله

---

(1) سورة الأحزاب ، الآية 37 .

(2) سورة عبس ، الآيتين 1 ، 2 .

(3) سورة المائدة ، الآية 67 .

(4) سورة النساء ، الآية 165 .

(5) في (ح) : لوصفهم .

ـ تعالى ـ[1] : ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾[2] قاله ابن المصري[3] . وقولنا احترازًا من صفات الملائكة .. إلخ ، وهي غناؤهم عن هذه الأعراض التي وضعها الله ـ تعالى ـ في البشر فليس شرط ذلك في الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لعدم توقف الرسالة عليها وليس غناء الملائكة ـ عليهم الصلاة والسلام ـ عنها لذواتهم الرفيعة بل بجعل الله ـ تعالى ـ ذلك قاله شيخنا محمد الخرشي وقيد المصنف تلك الأعراض المذكورة بقوله : (**التي لا تؤدي إلى نقص**) أي دناءة .

(**في مراتبهم**) أي منازلهم (**العلية**) أي الرفيعة السنية عند الله ـ تعالى ـ واحترز بهذا من اعتقاد اليهود في تجويزهم المعاصي على الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فالنصارى ـ لعنهم الله ـ أفرطوا في التعظيم حتى جعلوا المسيح موصوفًا بأوصاف الألوهية ، واليهود ـ أذلهم الله ـ فرطوا حتى استعصوا الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ والملة المحمدية لم يفرطوا ، ولا أفرطوا ، وكانوا بين ذلك وهو الصراط المستقيم انظر أبا علي قاله ابن المصري[4] (**وذلك**) أي الأعراض المذكورة (**كالمرض ونحوه**) يعني أنه يجوز عليهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كل عرض بشري ليس محرمًا ، ولا مكروهًا ، ولا مباحًا مزريًا ، ولا مزمنًا ، أي نشأ عنه الزمانة ولا مما تعافه الأنفس ، ولا مما يؤدي إلى النفرة ، وسواء كان من توابع الصحة ولا يستغني عنه عادة كالأكل ، والشرب والحلال ، والنوم ، والجلوس ، والجماع[5] بالملك للمسلمات

---

(1) (بقوله ـ تعالى ـ) : اختصت به ح .

(2) سورة الفرقان ، الآية 7 .

(3) ينظر : بغية الطالبين ، ورقة 78 .

(4) ينظر : بغية الطالبين ، ورقة 79 ، وشرح صغرى الصغرى ، ص 33 .

(5) ومنع ذلك ابن العربي في الكتابية معللاً بأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ شريف أرفع أن يضع نطفته في رحم كافرة (ينظر : حاشية البيجوري ، ص 205) .

والكتابيات[1] ولا مجوسيات ، وبالنكاح لما عدا الكتابية ، والمجوسية ، والأمة ولو مسلمة ؛ لأنها إنما تنكح لأحد أمرين خوف العنت ، وعدم الطول . والثاني منتف بالبديهة ، والأول كذلك للعصمة ، والحاصل أنهم - صلى الله عليهم وسلم - من البشر وأرسلوا إلى البشر فظواهرهم خالصة البشرية يجوز عليها من الآفات ، والتغيرات ، والأسقام وتجرع كأس الحمام[2] ما يجوز على البشر ، وهذا كله لا نقيصة فيه ؛ لأن الشيء إنما يسمى ناقصًا بالإضافة إلى ما هو أكمل منه من نوعه ، وقد كتب الله - تعالى - على أهل هذه الدار ﴿ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾[3] وخلق جميع البشرية[4] بمدرجة الغير "فقد مرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واشتكى وأصابه الحر ، والقر ، وأدركه الجوع ، والعطش ، ولحقه الغضب ، والضجر ، والإعياء ، والتعب ، ومسه الضعف ، والكبر وسقط فجحش[5] بشقه ، وشجه الكفار وكسروا رباعيته ، وسقي السم ، وسحر ، وتداوى واحتجم[6] وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي - صلى الله عليه وسلم - ولحق بالرفيق الأعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى" وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها وأصاب غيره من الأنبياء ما هو أعظم من هذه الإصابات ، وابتلوا بأشق من هذه البلوات فقتلوا قتلاً ورموا في النار (ونشروا بالمناشير)[7] ومنهم من وقاه الله وذلك في بعض الأوقات ومنهم من عصمه الله كما

---

(1) في (ح) : للمسلمة والكتابية .

(2) الحِمام : قضاء الموت وقدره ، مختار القاموس من 156 (مادة حمم) .

(3) سورة الأعراف ، الآية 25 .

(4) في (ح) : كل الخلق .

(5) الجحش : سحج الجلد وقشره من شيء يصيبه ، مختار القاموس ، ص 93 (مادة جحش) .

(6) ورد بذلك الأخبار الصحيحة ، وينظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، 7/ 372 ، وصحيح مسلم بشرح النووي ، باب استحباب رقية المريض عن عائشة - رضي الله عنها - 14/ 182 .

(7) روى البخاري في صحيحه بفتح الباري ، كتاب الرقاق عن خباب بن الأرت عن النبي - صلى الله عليه=

عصم الله بعدُ نبيَّنا من الناس فلئن لم يَكفِ نبيَّنا ربُّه يـدا ابـن قَميئـة يـوم أحـد[1] ولا حجبه عن عيون عداه من أهل الطائف فلقد أخذ عن عيون قريش عنـد خروجـه إلى غار ثور[2] وأمسك عنه سيف غَوْرث[3] وحجر أبي جهل ـ لعنه الله[4] وفـرس سراقـة[5] ولئن لم يقه من سحر ابن الأعصم[6] فلقد وقاه ما هو أعظم منه من سـم[7] اليهوديـة وهكذا سائر أنبيائه مبتلى ومعـافى . قـال بعـض المحققـين وهـذه الطـواري وبعـض التغيرات المذكورة إنما تختص بأجسامهم البشرية المقصود بها مقاومـة البـشر ومعانـاة بني آدم لمشاكلة الجنس ، وأما بواطنهم فمنزهة غالبًا عن ذلك معصومة متعلقة بـالملأ

=وسلم ـ قال : كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيـشق بـاثنين . الحديث ، 6/ 619 .

(1) ذكر ابن كثير في السير أن أم عمارة قال : لما ولّى الناس عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أقبـل ابـن قميئـة يقول : دلوني على محمد لا نجوت إن نجا ، فقالت : فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير ، وأنا ممـن ثبـت مـع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فضربني هذه الضربة ـ تشير إلى جرح أجـوف ـ ولقـد ضربتـه ضربـات ، ولكن عدو الله كانت عليه درعان ، ينظر : السيرة النبوية ، 3/ 67 ، وابن قميئة هو : عمرو بـن قميئـة ، شـاعر جاهلي هو الذي كسر رباعية النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينظر : تاج العروس ، 1/ 104 ، (مادة فمأ) .

(2) غار ثور هو المكان الذى اختبأ فيه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن قريش عند الهجرة ، فوقف المشركون على فم الغار ولم يروا من فيه . قال البوصيري في بردته :

وما حوى الغار من خير ومن كرم وكـل طرف من الكفار عنه عمي

(ينظر : القصائد البوصيرية ، ص 41 ، والشفا للقاضي عياض ، 1/ 322)

(3) ورد ذلك فيما رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري ، 7/ 426 ، ومسلم في صـحيحه بـشرح النـووي ، 15/ 44 ، وغورث هو غورث بن الحارث كما في المصدرين المذكورين .

(4) ينظر : الشفاء للقاضي عياض 1/ 323 .

(5) ينظر : صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الأشربة ، باب جواز شرب اللبن عن البراء 13/ 179 .

(6) ينظر : ما رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري عن عائشة ـ رضي الله عنه ـ كتاب الطب باب السحر ، 10/ 221 .

(7) ينظر : ما رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري ، كتاب الطب عن أبي هريـرة ـ رضي الله عنـه ـ 10/ 244 ، وأبو داود في سننه ، كتاب الديات ، 4/ 194 .

الأعلى والملائكة لأخذهم عنهم وتلقيهم الوحي منهم وقد قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : "إِن عَينيَّ تَنَامَان ولا يَنامُ قَلْبي ، وَإِنِّي لَستُ كَهَيئتكُم إِنِّي أَبيتُ يُطعمُني رَبِّي وَيَسْقِينِي"[1] وقال : "لَستُ أَنسى وَلكِن أُنَسّى ليُسْتَنَّ بِي"[2] فأخبر أن سره الشريف ، وباطنه ، وروحه بخلاف جسمه وظاهره ، وأن الآفات التي تحل ظاهره من ضعف ، وجوع ، وسهو ، ونوم لا يحل منها شيء باطنه ، بخلاف غيره من البشر ، إذا نام استغرق النومُ جسمه ، وقلبه ، وهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ في نومه حاضر القلب كما هو في نومه ويقظته ، وغيره ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا جاع ضعف لذلك جسمه ولبه . واعلم أن امتحان الله ـ سبحانه ـ إياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ، ورفعة في درجاتهم ، وأسباب استخراج حالات الصبر ، والرضى ، والشكر والتسليم ، والتوكل ، والتفويض ، والدعاء ، والتضرع منهم ، وتأكيد لبصائرهم في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين وليتأسى[3] بهم من نزل به مثل ما امتحنوا ويقتدى بهم ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[4] ليلقوا الله طيبين مهذبين ، ويكون أجرهم أكمل ، وثوابهم أوفر ، وأجزل ، ولو لم يكن من فوائد الابتلاء والامتحان إلا مثل ما يترتب على فعله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من معرفة أحكام السهو في الصلاة ، وأحكام الصلاة في الخوف ، والمسايفة وأحكام الصلاة في المرض ، وأحكام الأكل والشرب ، والجماع ، واللباس ، وأحكام الحيض والنفاس ، لكان غاية المطلوب ، ونهاية المطلوب .

---

(1) رواه مسلم في صحيحه بشرخ النووي ، باب صلاة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودعاؤه بالليل ، عن سفيان ـ رضي الله عنه ـ 6/ 48 ، والترمذي في سننه ، كتاب الصلاة عن عائشة ـ رضي الله عنه ـ 2/ 234 وقال حديث حسن صحيح .

(2) رواه مالك في الموطأ بشرح الباجي ، 1/ 82 عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ باب النداء للصلاة بلفظ (إني لأنسى أو أنسى لأسن لكم) .

(3) في (أ و م) : وليتسلى .

(4) سورة الأنعام ، الآية 90 .

ومن فوائد الامتحان بيان أنهم ـ صلوات الله عليهم ـ بشر مخلوقون لا يملكون لأنفسهم ضرًا ، ولا نفعًا ، ولا موتًا ، ولا حياة ، ولا نشورًا[1] لا ملائكة ولا آلهة كما عساه يتوهمه من شاهد ظهور الخوارق على أيديهم ، كما وقع لمشركي العرب واليهود والنصارى ، ومن فوائد ذلك أيضًا إظهار خسّة الدنيا ، ودناءتها عند الله ـ تعالى ـ حيث لم يرضها دار خلود لأحبابه ، وأصفيائه ، حيث لم يرض لهم بسطة العيش ، وصحة الجسم ، وإدامة السرور إذ هي : "ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه"[2] .

تنبيه : احترزنا بقولنا ولا مزمنًا عما كان كذلك كالإقعاد ، والبرص ، والجذام ، والعمى ، والجنون ، وأما الإغماء فقال النووي لا شك في جوازه عليهم لأنه مرض ، والمرض يجوز عليهم بخلاف الجنون فإنه نقص ، قال ابن حجر : وقيد أبو حامد الإغماء بغير الطويل[3] وجزم به البلقيني[4] .

قال السبكي : وليس كإغماء غيرهم ؛ لأنه إنما يستر حواسهم الظاهرة دون قلوبهم ؛ لأنها إذا عصمت من النوم الأخف فمن الإغماء أولى ، قال ويمتنع عليهم الجنون قليله وكثيره ؛ لأنه نقص ، ويلحق به العمى ، ولم يُعْم نبي قط ، وما ذكر عن شعيب ـ عليه السلام ـ من كونه كان ضريرًا لم يثبت ، وأما يعقوب فحصلت له غشاوة وزالت انتهى ملخصًا من شرح الجوهرة للشيخ إبراهيم اللقاني[5] ومن أراد التحقيق فليراجعه .

---

(1) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾ (سورة الفرقان ، الآية 3) .

(2) رواه الترمذي في سننه ، كتاب الزهد عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ 4/ 293 ، وقال حديث حسن ، وابن ماجة في سننه ، كتاب الزهد ، باب مثل الدنيا 2/ 377 .

(3) ينظر حاشية البيجوري ، ص 206 .

(4) هو عمر بن رسلان بن نصر البلقيني الشافعي الفقيه المجتهد ، له تصانيف منها تصحيح المنهاج في الفقه ، ومحاسن الإصلاح في الحديث ، توفي سنة 805هـ (ينظر : الأعلام ، 5/ 46) .

(5) ينظر : عمدة المريد ، ورقم رقم 334 .

وكذلك الدود وما ينسبه جهلة المفسرين وكذبة المؤرخين لأيوب ـ عليه السلام ـ فهو مستحيل ، فالحق أن ما أصابه من مرض حاش أن يبلغ حد التدويد المنفر ، وكذلك الصمم ، والبكم ، والشلل فهو مستحيل عليهم ، صلوات الله عليهم أجمعين .

برهان وجوب صدق الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ

ولما قدم الشيخ ـ رضي الله عنه ـ وجوب صدق الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ واستحالة ما ينافيه وهو الكذب أخذ يتكلم على برهان ذلك فقال : (**وأما برهان وجوب صدقهم**) أي الرسل ـ (**عليهم الصلاة والسلام**) تقول في تركيبه على جهة الإجمال : لو لم يصدقوا للزم الكذب في خبرهم ، ولو كذبوا للزم الكذب في خبر من صدّقهم وهو الله ـ تبارك وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا ـ لأنه صدّق الرسل بأقواله ، وأفعاله ، المراد بالأفعال المعجزة النازلة منزلة قوله ـ تعالى ـ صدق عبدي في كل ما يبلغ عني . ولو كذب الحق ـ تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا ـ لكان موصوفًا بنقيصة ؛ لأن الكذب نقيصة في حقه ـ تعالى ـ ، ولو اتصف ـ تعالى ـ بنقيصة من النقائص كان عاجزًا عن دفع النقص عن نفسه ، ولو عجز عن دفع النقص عن نفسه لكان عاجزًا عن إيجاد المخلوقات ، كيف والمخلوقات موجودة مشاهدة ، فيلزم من وجود المخلوقات ومشاهدتها أن يكون موجدها قادرًا على إيجادها ولذلك وجدت ، ويلزم من كونه قادرًا على إيجادها أن لا يكون عاجزًا عن إيجادها ، ويلزم من كونه غير عاجز عن إيجادها ألا يكون عاجزًا عن شيء ، ويلزم من كونه غير عاجز عن شيء أن لا يكون عاجزًا عن دفع النقص عن نفسه ، ويلزم من كونه غير عاجز عن دفع النقص عن نفسه أن لا يتصف بنقيصة الكذب ، ويلزم من كونه غير موصوف بنقيصة الكذب أن لا يكذب من صدقه الله ، وهم الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ، ويلزم من استحالة كذبهم وجوب صدقهم ، وهو المطلوب ، ويلزم أيضًا من استحالة الكذب في حقهم

استحالة الزيادة فيما أمروا بإبلاغه للخلق سهوا ، واستحالة التبديل سهوا ، وهو المطلوب . ثم قال ـ رحمه الله ـ (**فلأنهم**) أي الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ (**لو**) كذبوا (**ولم يصدقوا للزم الكذب في خبره**) أي قوله (ـ **تعالى** ـ) إذ خبره موافق لعلمه ، وإذا كان الخبر موافقًا للعلم فهو الصدق ، وإلا لزم تبديل العلم جهلاً ، ثم ذكر الملازمة بقوله (**لـ**) أجل (**تصديقه ـ تعالى ـ لهم**) أي الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ (**بالمعجزة**) مأخوذة من الإعجاز مصدر أعجز ، وهو لفظ أطلق على الآية الدالة على صدق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (**النازلة**) أى المنزلة في الدلالة على صدق الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ (**منزلة قوله ـ جل وعز ـ صدق عبدي**) أي المدعي الرسالة في (**في كل ما يبلغ عني**) وحقيقة المعجزة أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة تتنزل من مولانا ـ جل وعز ـ منزلة قوله ـ جل وعز ـ : « صدق عبدي في كل ما يبلغ عني » ، فقوله أمر : أحسن من قول غيره فعل ؛ لأن الأمر يتناول الفعل كانفجار الماء من الأصابع ، وعدم الفعل كعدم إحراق النار ـ مثلاً ـ إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام[1] ـ ، وقوله خارق للعادة أخرج به الأمور المعتادة ، كطلوع الشمس من مطلعها ـ مثلاً ـ ليس بمعجزة ، ولا يشترط في الخارق أن يكون معينًا ، قال الآمدي[2] : اتفاقا فيكفي أن يقول آية صدقي أن يخرق الله عادة غدا من غير أن يعين الخارق للعادة فيحصل في غد فلق البحر أو شق القمر ـ مثلاً ـ لأن الله قد صدقه بفعل ذلك ، وأما لو عين الرسول الخارق فيشترط أن يحصل[3] ذلك المعين ، وقوله مقرون بالتحدي : التحدي : هو ادعاء الرسول المعجزة دليلاً على صدقه ، إما

---

(1) قال الله تعالى : ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ سورة الأنبياء ، الآية 69 .

(2) ينظر حاشية ابن الأمير ـ ص 4 ، والآمدي هو علي بن محمد بن سالم بن سيف الدين ، من تصانيفه ، الإحكام في أصول الأحكام ، ولباب اللباب ، توفي سنة 631هـ (ينظر الأعلام ـ 4/ 332) .

(3) في (ح) : يجعل وهو تحريف .

بلسان الحال، أو بلسان المقال، واحترز بقيد المقارنة، للتحدي عن كرامات الأولياء، والعلامات الإرهاصية التي تتقدم بعثة الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وعن أن يتخذ الكاذب معجزة من مضى من الأنبياء حجة[1] لنفسه، والإرهاص ـ بالصاد المهملة ـ هو العلامة الدالة على بعثة الرسول وهو صغير.

"كإظلال الغمام له ـ عليه الصلاة والسلام ـ"[2] فإن هذا الخارق ليس مقرونًا بدعوى الرسالة، وإنما هو قبل البعثة، والإرهاص مأخوذ من الرِّهْص ـ بكسر الراء وسكون الهاء ـ وهو أساس الحائط فأطلق على هذه العلامة ونحوها إرهاص؛ لأنها تأسيس لقاعدة النبوءة[3]، وقوله مع عدم المعارضة احترازًا من السحر والشعوذة فإنهما يعارضان بأن يتعلما، وأما المعجزة التي صدق الله بها الرسل فتنزلت منزلة صريح كلامه ـ سبحانه ـ بالتصديق، فلا يُمكن أن يتوصل إليها بحيلة من الحيل، بل كل الخلق مقرّون بالعجز، وعدم التوصل إليها، وإنما هي من الله من غير سبب كإحياء الموتى، ونبع الماء، وفلق البحر، وغير ذلك جعلها الله للرسل حتى يتحدّوا بذلك، واختلف هل يشترط في العارض أن يكون مماثلاً لما أتى به الرسل أولاً، قال الآمدي ينظر فإن كان تحديه بخارق غير معين فأكثر أصحابنا اشترطوا المماثلة، والذي اختاره القاضي[4] عدم اشتراط ذلك، قال الآمدي: وهو الحق، فإذا قال آية صدقي أن يخرق الله عادته فيحصل بفلق البحر فهل يعارض بشق القمر وهو الذي نقله

---

(1) في (ح): (معجزة).

(2) روى ذلك الترمذي في سننه، باب ما جاء في بدء نبوة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ 5/ 590 وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(3) ينظر: مختار القاموس، ص 264 مادة (رهص).

(4) هو القاضي الباقلاني وهو: محمد بن الطيب بن محمد أبو جعفر، من كبار علماء الكلام، تولى رئاسة المذهب الأشعري، له مؤلفات كثيرة، منها: إعجاز القرآن، والإنصاف، توفى سنة 403هـ، (ينظر وفيات الأعيان، 1/ 481، والأعلام، 6/ 167).

القاضي ، أو لا يعارض بذلك - وهو الذي اشترطه الأكثر ، وأما إن كانت معينة فشرط المعارض مماثلته ، فإذا قال آية صدقي أن ينشق القمر ووقع ذلك فلا يغارض بفلق البحر انظر شرح المصنف[1] ، وغيره[2] .

قيود المعجزة

واشتمل هذا التعريف ما اعتبره المحققون في المعجزة من القيود السبعة التي :

أولها - أن يكون فعلاً لله - تعالى - ، أو ما يقوم مقامه من الترك لتصور كونه تصديقًا منه - تعالى - للآتي بها فالفعل نبع الماء من بين الأصابع ، والترك عدم إحراق النار لإبراهيم مثلاً .

وثانيها - أن يكون خارقا للعادة ؛ لأن الإعجاز لا يكون بدونه .

وثالثها - أن يكون ظهوره على يد مدعي النبوة ليعلم أنه تصديق له .

ورابعها - أن يكون مقارنًا للدعوى حقيقة ، أو حكمًا ؛ إذ لا شهادة قبل الدعوى ، قال بعضهم وملحقة وقد علمت حال الشاهد المتأخر أي الذي لم يؤقته مدعيه .

وخامسا - أن يكون موافقًا للدعوى ؛ إذ المخالف لا يعد تصديقًا كفتق الجبل عند مدعي الرسالة أن معجزته فلق البحر[3] حيث عين الخارق .

وسادسها - أن لا يكون مكذبًا إن كان مما يعتبر تكذيبه كقوله معجزتي نطق هذا الجماد فنطق بأنه مفتر كذاب .

وسابعها - أن تتعذر معارضته إلا من نبي مثله ، فإن هذا هو حقيقة الإعجاز وزاد بعضهم .

---

(1) ينظر شرح أم البراهين للشيخ السنوسي ، ص 56 ، وشرح الكبرى ، ص 449 .

(2) ينظر شرح المقاصد ، 5/ 11 .

(3) (البحر) : سقط من ح .

ثامنها - وهو أن لا يكون الخارق واقعًا في زمن نقض العادات ، فما يقع عند قيام الساعة ، أو فيها لا يعد مصدقا انتهى . انظر شرح الشيخ إبراهيم اللقاني على الجوهرة[1] .

وهذه المعجزة تدل على صدق الرسل - عليهم الصلاة والسلام - إما بلسان الحال ، أو بلسان المقال ، فمن أمثلة الأول : "حديث جابر المشهور يوم الخندق"[2] وحديث سمرة بن جندب قال : **"أُتِي النبي - صلى الله عليه وسلم - بِقَصْعَةٍ فيها لَحْمٌ فَتعاقَبَ عَلَيهَا مِنْ أَوّل النّهار إلى آخِرِهِ ، يدخلُ قومٌ يَأكُلُون ، ويَشرَبون ويَخرجونَ ، ويَعقُبُهم آخَرُونَ إلى آخر النّهار"**[3] **"وحديث أنس حينَ بَنَى النبي - صلى الله عليه وسلم - بزوجَتِه زَيْنَبَ بِنتِ جَحْشٍ"**[4] وحديث أبي أيوب الأنصاري : **"أَنّه صنع للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأَبي بكرٍ مِن الطّعام زُهَاء مَا يَكْفِيهِمَا فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : ادعُ ثلاثينَ مِنْ أَشْرافِ الأَنصْار ، فَدَعَاهُم ، فَأَكَلوْا حتَّى تَرَكُوهُ ، ثُم قَالَ : ادْعُ سِتِّين فكَانَ مِثلَ ذَلِكَ ، ثُمّ قال ادْعُ سَبْعِين فأكَلُوا حتَّى تركُوهُ ، وَمَا خرجَ أحدٌ منهُمْ حتّى أَسْلَمَ وبَايعَ ، قال أَبو أَيُّوب فأَكَلَ مِنَ الطّعام مِائةٌ وثَمانُونَ رَجلاً"**[5] **"وحديث أبي طلحة المشهور وإطعَامُهُ - صلى الله عليه وسلم - ثَمانِيَن أو سَبعيَن مِنْ خُبز الشَّعير جَاء بِه أَنَسُ مِنْ تَحتِ يَدِهِ أَيْ إِبْطِهِ فَأَمَرهُ - صلى الله عليه وسلم - فَفَتَّهُ وقال فيهِ ما شَاءَ الله أن يقُولَ"**[6] .

---

(1) ينظر عمدة المريد ، ورقم 386 مخ .

(2) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري ، كتاب المغازي ، باب غزوة الخندق - 7/ 395 .

(3) رواه أحمد في مسنده عن سمرة بن جندب - رضى الله عنه - 5/ 12 .

(4) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري ، كتاب النكاح ، عن أنس - رضي الله عنه - باب هدية العروس - 9/ 226 ، ومسلم بشرح النووي ، كتاب النجاح - 9/ 227 ، والترمذي في سننه ، تفسير القرآن ، 5/ 198 .

(5) عزاه السيوطي في الخصائص الكبري ، 1/ 206 لابن سعد عن علي - رضي الله عنه - .

(6) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري ، عن أبي طلحة - رضي الله عنه - كتاب المناقب ، باب علامات النبوة - 6/ 587 ، والترمذي في سننه ، كتاب المناقب عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - 3/ 96.

وهذا باب لا ساحل له[1] . ومن أمثلة الثاني انشقاق القمر[2]، وتسليم الحجر[3] والشجر[4] عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وتكليم الظبية[5] ، وتسبيح الحصى في كفه[6]، وحنين الجذع الذي كان يخطب عليه قبل اتخاذ المنبر[7] ، وشهادة الضب[8] بنبوءته ، وكلام الجمل[9] ، وكلام الذراع المسموم[10] ، وما لا يعد كثرة ، وبالجملة فمعجزاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا حصر لها ، وقال بعضهم عدد آياته ـ صلى الله عليه وسلم ـ عدد الأنبياء فحديث : **"مَا مِنْ نَبيٍّ من الأَنبيَاء إلاَّ وقَدْ أُوتِيَ مَا مثلَهُ آمن عَلَيْهِ البَشَرُ وَإنَّما الذي أُوتيتُه وَحْيٌ يوحَى ، فأَرْجُو أن أَكُونَ أَكثَرَهم تَابعًا يومَ القيامة"**[11] اتفق

---

(1) وهكذا ولعل الصواب بحر لا ساحل له .

(2) روى حديثه البخاري في كتاب المناقب بفتح الباري ـ 6/ 631 ، ومسلم في صحيحه ـ 17/ 143 .

(3) روى حديثه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب عن علي ـ رضي الله عنه ـ 5/ 410 .

(4) روى حديثه البيهقي في دلائل النبوة عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ 6/ 15 .

(5) أورده النبهاني في حجة الله على العالمين ، ص448 ، وعزاه للطبراني في الكبير ، وأبي نعيم ، وقال الحافظ السيوطي : في إسناده أغلب بن تميم ضعيف ، ولكن للحديث طرق كثيرة تشهد بأن له أصلاً .

(6) ذكره القاضي عياض في الشفاء ، ص 283 ، عن أنس أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخذ كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن ثم في أيدينا فما سبحن .

(7) روى حديثه البخاري في صحيحه بفتح الباري ، كتاب المناقب عن جابر ـ رضي الله عنه ـ 6/ 602 ، والترمذي في سننه عن أنس ـ رضي الله عنه ـ 5/ 410 .

(8) أورد حديثه القاضي عياض في الشفاء ـ 1/ 286 ، والنبهاني في حجة الله على العالمين ـ ص 451 ، وعزاه للطبراني ، وابن عدي ، والحاكم في المعجزات ، والبيهقي ، وابن نعيم ، وابن عساكر عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ

(9) روى حديثه أبو داود في سننه كتاب الجهاز عن عبد الله بن جعفر ـ رضي الله عنه ـ 3/ 23 .

(10) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري عن عائشة كتاب الطب ، 10/ 211 ، وأبو داود في سننه ، كتاب الديات ، 4/ 174 ، والطبراني في الكبير ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ 2/ 34 .

(11) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في فضائل القرآن ، 9/ 3 ، ومسلم في صحيحه بشرح النووي ، 2/ 186 .

عليه علماء الأمة وتحققوا أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أوتي خاصة كل نبي ، وأفضل منها ، فإذا [1] لكل نبي خاصة ، وتلك الخاصة وأفضل أوتيها نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعدد الخواص على عدد الأنبياء ، وتلك الخواص معجزات فمعجزاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ عددها مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، وأكثر على الطريق الآخر ، بل قد يقال إن آياته لا يمكن عدّها ، لما قد علم من أن كل كرامة لولي هي معجزة له ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وجميع الأولياء منسوبون إليه ، بل وجميع الأنبياء فالكل منه [2] منسوبون إليه . فليس بالتحقيق كرامة ، ولا آية ، ولا خرق عادة إلا وهي له ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأعظم معجزاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ القرآن ، وهي المعجزة الباقية المستمرة إلى الأبد ، ولذا قال بعض المحققين : إنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع كثرة معجزاته لم يتحدّ الناس إلا بالقرآن وتمني الموت . انظر ابن المصري [3] . ومعجزة القرآن أظهر وأعجب ، حتى من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ؛ لأنه دعاهم إلى معارضته بالإتيان بمثل أقصر سورة منه ففروا إلى سفك دمائهم ، وسبي حريمهم ، وجلائهم عن وطنهم ولم يدع أحد منهم القدرة على ذلك مع كونهم أهل البلاغة وأرباب الفصاحة ورؤساء البيان والمتقدمين في اللسان ، فهذا أعجب من عجز من شاهد المسيح يحيي الموتى ، ويبرئ الأكمه والأبرص ؛ لأنهم لم يطمعوا فيه ، ولا تعاطوا نحوه ، وقريش كانوا يتعاطون الفصاحة والبلاغة فعجزهم مع ذلك عن المعارضة ، وفرارهم إلى ما ذكر دليل قاطع على نبوءة المتحدّي به ، وأوجه إعجاز القرآن كثيرة لا تنحصر ، فمن أراد ذلك فعليه بالكتب المطولة .. انتهى .

---

(1) (في الأصول) : فإذا ، ولعل الصواب : فإن .

(2) (منه) : سقط من ح .

(3) ينظر بغية الطالبين ، ورقة 82 .

برهان وجوب الأمانة والتبليغ لهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ

(وأما برهان وجوب الأمانة) أي العصمة (لهم) أي الرسل (عليهم الصلاة والسلام) تقول في تركيبه : لو لم يكونوا معصومين لفعلوا محرمًا ، أو مكروهًا ، ولو فعلوا ذلك لكنا مأمورين بفعل المحرمات والمكروهات ؛ لأن الله ـ تعالى ـ أمرنا باتباعهم بقوله : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾[1] ومنهيين عن فعل المحرمات والمكروهات ؛ لأن الله ـ تعالى ـ نهانا عن ذلك ، ولو أمرنا ـ تعالى ـ بفعل ونهانا عن ذلك الفعل بنفسه لكان كلفنا بما ليس في وسعنا ، وطاقتنا ، وهو الجمع بين النقيضين : الفعل ، وعدم الفعل ، ولو كلفنا بما ليس في وسعنا وطاقتنا للزم الكذب في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[2] لكن الكذب في خبره ـ تعالى ـ محال ، وقد تقدم برهان استحالته قبل هذا آنفا[3] ولا معنى لإعادته هنا . ويلزم من استحالة الكذب في خبره ـ تعالى ـ صدق قوله ـ تعالى ـ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ويلزم من صدق ذلك أن لا يكلفنا[4] الله إلا بما في وسعنا وطاقتنا ، ويلزم من عدم تكليفه إيانا بما ليس في وسعنا وطاقتنا أن لا يأمر ـ تعالى ـ بفعل شيء ، ثم ينهى عن فعل ذلك الشيء نفسه ، وذلك الجمع بين النقيضين الذي لم يكن في وسع العبد ، ويلزم من عدم أمره ـ تعالى ـ بالجمع بين النقيضين المحال أن لا يفعل الرسل محرمًا ولا مكروهًا ؛ لأن الله ـ تعالى ـ أمرنا باتباعهم في أقوالهم ، وأفعالهم ، ونهانا عن المحرمات ، والمكروهات ويلزم من عدم فعلهم المحرمات والمكروهات العصمة في حقهم ، وهو المطلوب . وهذا بعينه برهان

---

(1) سورة الحشر ، الآية 7 .

(2) سورة البقرة ، الآية 286 .

(3) ص 291 من هذا البحث .

(4) (لا) : سقط من ح .

وجوب التبليغ وذلك لأن هذا البرهان علمنا منه وجوب **عصمتهم** ، ومن المعلوم أن المعصوم لا يترك تبليغ ما أمره الله بإبلاغه للخلق فافهم . وإنما قررنا كلام المؤلف بعود الضمير إلى الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لأن سياق الكلام فيهم ؛ إذ هم الذين دلت المعجزة على صدقهم ، وأمروا الخلق باتباعهم ، وأما الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فوجب لهم العصمة بإخبار الرسل عنهم (**فلأنهم**) أي الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ (**لو**) لم يكونوا أمناء لخانوا ، ولو (**خانوا**) بأن تلبسوا (**بفعل محرم أو**) فعل (**مكروه لانقلب**) أي لصار (**المحرم والمكروه طاعة**) أي ما أمروا به (**في حقهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ**) . ثم أشار إلى بيان الملازمة بقوله : (**لـ**) أجل (**أن الله**) ـ تعالى ـ (**قد**) للتحقيق (**أمرنا بالاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم**) قال ـ تعالى ـ في حق سيدنا ومولانا محمد : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[1] وقال : ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[2] إلى غير ذلك من الآي ، وقد علم من دين الصحابة ضرورة اتباعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من غير توقف ولا نظر أصلاً في جميع أقواله ، وأفعاله إلا ما قام به دليل على اختصاصه به ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فقد خلعوا نعالهم لما خلع ـ صلى الله عليه وسلم ـ نعله ، ونزعوا خواتمهم لما نزع خاتمه ، وكانوا يبحثون البحث العظيم عن هيئة جلوسه ، ونومه ، وأكله ، وغير ذلك ؛ ليقتدوا به ، وقال لهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ لما أرادوا التبتل والانقطاع للعبادة ليلاً ونهارًا : "**أما أنا فآكل ، وأنام ، وآتي النساء**" أو كلاما يقرب من هذا "**فمن رغب عن سنتي فليس مني**"[3] فانظر كيف ردهم عما قصدوه للذي لا معدل عن الاقتداء به ، وقد قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

---

(1) سورة آل عمران ، الآية 31 .

(2) سورة الأعراف ، الآية 158 .

(3) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري ، كتاب النكاح ، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ 9/ 104 ، ومسلم في صحيحه بشرح النووي كذلك 9/ 176 .

"**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدي عضوا عليها بالنواجذ**"[1] .

لكن انقلاب المحرم والمكروه طاعة في حقهم محال ، إذ فيه الإذن في الفعل ، وعدم الإذن فيه ، وهو جمع بين النقيضين ، وأشار ـ رضي الله عنه ـ إلى بطلان هذا المحال بقوله : (**ولا يأمر ـ تعالى ـ بمحرم ولا مكروه**) لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ ﴾[2] وهي المحرمات ، والمكروهات ، فعلم من هذا عدم انقلاب المحرم والمكروه طاعة ، ووجب أنهم لا يفعلون محرمًا ، ولا مكروهًا للأمر بالاقتداء بهم ، ولو فعلوا المحرم والمكروه لم يأمر الله العباد بالاقتداء بهم ؛ لأنه ـ تعالى ـ لا يأمر بمحرم ولا مكروه . وبالجملة فاتباعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ في جميع أقواله وأفعاله إلا ما اختص به ـ صلى الله عليه وسلم ـ مما علم به من دين السلف ضرورة ، ولا شك أن هذا دليل قطعي إجماعي على عصمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ من جميع المعاصي ، وإلا لما اتبعوه ؛ لأنهم لا يتبعونه فيما هو غير طاعة عندهم ، وفي معناه سائر الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وأن أفعالهم دائرة بين الواجب ، والمندوب ، والمباح ، وهذا بحسب النظر إلى الفعل من حيث ذاته ، وأما لو نظر إليه بحسب عوارضه فالحق أن أفعالهم دائرة بين الواجب والمندوب لا غير ؛ لأن المباح لا يقع منهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بمقتضى الشهوة ونحوها كما يقع من غيرهم ، بل لا يقع منهم إلا مصاحبًا لنية يصير بها قربة وأقل ذلك أن يقصدوا به التشريع للغير وذلك من باب التعليم ، وناهيك بمنزلة قربة التعليم وعظيم فضلها عند الله ـ تعالى ـ ولأجل انحصار أفعالهم في الواجب والمندوب على هذا اقتصر المصنف في أصل العقيدة على ما يقتضي الاختصاص بهما ، وهو الاختصاص بقوله : لانقلب المحرم أو

---

(1) رواه أبو داود في سننه عن العرباض ـ رضي الله عنه ـ كتاب السنة 4/ 201 ، والترمذي في سننه ، كتاب العلم 4/ 469 .

(2) سورة الأعراف ، الآية 28 .

المكروه طاعة ، وزاد التقييد بقوله : في حقهم إشارة إلى أن بعض أفعالهم وإن كان يطلق عليها الإباحة بالنظر إلى الفعل نفسه ، وبالنظر إلى وجوده من عامة المؤمنين فهو في حقهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ لكمال معرفتهم بالله ـ تعالى ـ وسلامتهم من دعوى النفس والهوى ، وأمنهم طوارق الفترات والملل يقظة ونومًا وتأييدهم بعصمة الله ـ تعالى ـ في كل حال لا يقع منهم إلا طاعة يثابون عليها[1] ـ صلى الله وسلم عليهم أجمعين ـ وإذا كان أدنى أولياء الله يصل إلى رتبة يصيّر معها مباحاته كلها طاعة بحسب النية في تناولها فما بالك بخيرة الله من خلقه وهم أنبياؤه لا سيما أفضلهم سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ اهـ من شرح الشيخ[2] . والحاصل أن المكروه من حيث ذاته والمباح من حيث ذاته [وخلاف الأولى من حيث ذاته][3] لا يقع كلٌّ منهم[4] منه ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلا قربة لعروض ما يصيرها كذلك ، وكذا سائر الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ قاله شيخ الإسلام علي الأجهوري[5] (**وهذا**) أي قوله لانقلب المحرم والمكروه طاعة في حقهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ إلخ . (**بعينه**) ـ بالباء الموحدة فيه ـ ، وهو تأكيد معنوي لاسم الإشارة (**هو**) وخبره (**برهان وجوب الثالث**) أي وجوب تبليغ ما أمروا بتبليغه للخلق ، ومعنى كلامه ـ رضي الله عنه ـ أن قوله : لانقلب المحرم أو المكروه طاعة بعينه ، هو برهان وجوب التبليغ ، وبيان ذلك أنهم لو كتموا لانقلب المحرم أو المكروه طاعة في حقهم لأن الله قد أمرنا بالاقتداء بهم ،

---

(1) يثابون عليها : سقط من ح .

(2) ينظر : شرح أم البراهين ـ ص 59 ، 60 .

(3) ما بين المعقوفين سقط من (أ ، م) .

(4) في أ ، م : (لا يقع كل منهم ، ولعل الصواب لا يقع كل منها منه) .

(5) هو نور الدين علي بن زين العابدين بن محمد بن زين العابدين بن عبد الرحمن الأجهوري ، شيخ المالكية في عصره ، أخذ عن الكثيرين منهم جده عبد الرحمن ، والسنهوري ، والرملي ، والخرشي ، له شروح على خليل ، وعلى الرسالة ، وعقيدة منظومة وشرحها ، توفي سنة 1066هـ ، ينظر شجرة النور الزكية ـ ص 303 .

ولكن انقلاب الكتمان الذي هو محرم طاعة محال ؛ لأنه من باب اجتماع النقيضين اللذين هما الإذن وعدم الإذن . فإذا بطل اللازم الذي هو انقلاب الكتمان طاعة في حقهم بطل ملزومه الذي هو كتمان الرسل ، ووجب لهم التبليغ وهو المطلوب . وكيف يتصور وقوع الكتمان منهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومولانا ـ جل وعز ـ يقول لسيدنا ومولانا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[1] أي وإن لم تبلغ بعض ما أمرت بتبليغه من الرسالة فحكمك حكم من لم يبلغ شيئًا منها ، فانظر هذا التخويف العظيم لأشرف خلقه ، وأكملهم معرفة ، فكان خوفه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على قدر معرفته ، ولهذا كان يُسمع لصدره ـ عليه الصلاة والسلام ـ أزيز ، أي غليان كأزيز المرجل[2] من خوف الله ـ تعالى ـ وهذا وإن ورد في حق نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ فغيره من الأنبياء مُقاس عليه ، وقد شهد مولانا ـ جل وعلا ـ لنبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بكمال التبليغ فقد قال تعالى : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي ﴾[3] الآية . وقال ـ تعالى ـ : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾[4] وقال : ﴿ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ﴾[5] والآي في ذلك كثير اهـ من شرح المؤلف[6] بزيادة بعض الألفاظ .

---

(1) سورة المائدة ، الآية 67 .

(2) قال في الصباح ، ص 221 ، (مادة رجل) : (المرجل ـ بالكسر ـ قدر من نحاس ، وقيل يطلق على كل قدر) .

(3) سورة المائدة ، الآية 3 .

(4) سورة البقرة ، الآية 256 .

(5) سورة الذاريات ، الآية 54 .

(6) ينظر : شرح الشيخ السنوسي ، ص 61 .

برهان جواز الأعراض البشرية عليهم - عليهم الصلاة والسلام -

ولما قدم - رضي الله عنه - جواز الأعراض البشرية عليهم - صلوات الله وسلامه عليهم - أخذ يتكلم على برهان ذلك فقال : (**وأما دليل**[1] **جواز الأعراض البشرية - عليهم صلوات الله وسلامه - عليهم فمشاهدة**) أي معاينة (**وقوعها**) أي الأعراض بمعنى حلولها ونزولها (**بهم**) أي بالرسل - عليهم الصلاة والسلام - لمن كان في عصرهم ولمن بلغه ذلك بالتواتر عنهم ، والتواتر من اليقينيات أيضًا ، وهو نقل جمع عن جمع بحيث يستحيل تواطؤهم على الكذب عادة ، وهي أعظم من المشاهدة ؛ لأن المشاهدة قد يقع فيها الذهول والغفلة بخلاف التواتر ؛ لأن ناقليه جماعة عن جماعة ، ولا يمكن السهو عن جميعهم ، ولا الغفلة عن كلهم ، يعني أن من كان حاضرًا معهم شاهد تلك الأعراض منهم وعاين وقوع تلك الأعراض بهم - عليهم الصلاة والسلام - تارة ، وعدم وقوعها بهم تارة ، وما كان بهذا السبيل فهو جائز - والله أعلم - وقوله (**إما**) - بكسر الهمزة - لتنويع الفائدة وظاهر كلامه - رضي الله عنه - يوهم أنه لم يجزم بتعيين فائدة تلك الأعراض ؛ لأن إما تفيد [عدم][2] الجزم ، فكأنه قال يحتمل أن يكون كذا وكذا ، وليس كذلك بل جزم - رحمه الله - بتعيين الفائدة ، ولكن نوعها إلى أن بعضها (**لتعظيم**) أي تكثير (**أجرهم**) - عليهم الصلاة والسلام - باعتبار ما يطرأ على ظواهرهم من الآفات ، والتغيرات ، والآلام ، والأسقام ، وتجرع كأس الحمام "قد مرض - صلى الله عليه وسلم - واشتكى ، وأصابه الحر ، والقر ، وأدركه الجوع والعطش ، ولحقه الغضب والضجر ، وناله النصب والتعب ، ومسه

---

(1) في (ح) : (برهان) .

(2) في الأصول : تفيد الجزم ، والحق أن إما : تفيد عدم الجزم لا الجزم ، لذا زدنا عدم (وينظر : مغني اللبيب ، 1/ 60).

الضعف والكِبَر ، وسقط فجُحش شقه وشجه الكفار ، وكسروا رباعيته ، وسقي السم وسحر"[1] وقد تقدم[2] جميع هذا من كلام الشيخ إبراهيم اللقاني ، وإنما أعدناه لمزيد بيان وأشار إلى النوع الثاني من أنواع تلك الفائدة بقوله (**أو للتشريع**) أي لتعليم الأحكام الشرعية من أقوالهم وأفعالهم وسكوتهم كما عرفنا أحكام السهو في الصلاة من سهو نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

كيف تؤدي الصلاة في المرض وحالة[3] الخوف من فعله لها ـ عليه الصلاة والسلام ـ في هاتين الحالتين ، وعرفنا هيئة أكل الطعام ، والشراب من أكله وشربه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وإلا فهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ غني عن الطعام والشراب : "إذ هو يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه كما ورد عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ" [4] ولذا قال ابن حبان : يستدل بهذا الحديث على بطلان **"أنه كان يضع الحجر على بطنه"**[5] ؛ لأنه كان يُطعم ويُسقى من ربه إذا واصل ، فكيف يُترك جائعا مع عدم الوصال حتى يحتاج إلى شد الحجر على بطنه ، وإنما لفظ الحديث الحُجز بالزاي وهو طرف الإزار فتصحف بالراء انتهى . قلت قال الخطابي[6] : الحُجز ـ بضم الحاء وفتح الجسم وبعدها زاي ـ جمع الحجزة التي يشد بها الوسط[7] . قال الحافظ قد أكثر الناس من

---

(1) سبق تخريج هذا في ص 296 من هذا البحث .

(2) في ص 296 من هذا البحث .

(3) في (أ ، م) : زيادة في المرض .

(4) كما ورد ذلك الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري في كتاب الصوم عن أنس ـ رضي الله عنه ـ 4/ 252 ، ومسلم في صحيحه بشرح النووي كتاب الصوم ، 7/ 211 .

(5) سبق تخريجه في ص 298 .

(6) الخطابي هو : حمد بن محمد بن إبراهيم (أبو سليمان) الخطابي البستي الفقيه الأديب الشافعي المحقق ، له معالم السنن وغريب الحديث ، توفي سنة 388هـ ، (ينظر : الأعلام ، 2/ 273) .

(7) ينظر بغية الطالبين ، ورقة 86 .

الرد على ابن حبان وأبلغ ما يُردّ عليه أنه أخرج في صحيحه حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : "**خَرَجَ - صلى الله عليه وسلم - فَرأى أَبَا بكْرٍ وعُمَرَ ، فقال : مَا أَخْرَجكُما ؟ فَقَالَا ما أَخْرجَنَا إلاّ الجْوعُ ، فَقَالَ : والّذِي نَفْسِي بِيَدِه ما أَخْرَجَني إلَّا الجوعُ الحديث .. إلخ**" (1) . فإن قلت كيف الجمع بين الحديثين ؟ قلتُ لعل كل واحد محمول على حالة ، فحديث لست مثلكم محمول على حالة الصيام ، والآخر محمول على حالة الفطر ، قاله شيخ مشايخنا الشيخ علي الأجهوري في شرحه على عقيدته(2) ، وأشار إلى النوع الثالث من أنواع تلك الفائدة بقوله : (**أو للتسلي عن الدنيا**) أي التصبر ووجود الراحة ؛ لفقد المزهود من الدنيا الذي هو الحياة إن حصل له مرض وكذا فقد المال والولد ، ولكن هذا التسلي لا يحصل إلا لمن يعتبر بأحوالهم ، أي العاقل اللبيب إذا اعتبر في أحوال الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - من أنهم أكرم الخلق على الله - تعالى - وأكثرهم عبادة ، وأشدهم خشية ، وأقربهم إليه ، ومع هذا يُنزل بهم الأمراض ، وفقد المال والولد ، فإذا نزل بالعاقل ذلك الأمر واعتبر هكذا من أنها إذا أصابت أكرم الناس عليه - تعالى - فما الظن بغيره ، فيحصل له حينئذ راحة ولذة ، وأما من لم يعتبر بأحوالهم - بأن كان منهمكًا على عماية الغفلة والجهالة - فلا يحصل له تسل ، بل إنما يظهر منه الجزع ، وعدم الرضا بالقضاء ، وبهذا تعرف أن قوله فيما يأتي باعتبار أحوالهم متعلق بهذا ، وفيه أيضًا تنبيه الأمة على الزهد في الدنيا ؛ إذ الزهد فيها أصل كل خير في الدنيا والآخرة ؛ لأنه يريح البدن والقلب ، ويوصل لمحبة الله - تعالى - كما قال - صلى الله عليه وسلم - "**الزهد في الدنيا يريح**

---

(1) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - 13/ 210 ، والترمذي في سننه كتاب الزهد ، 4/ 583 .

(2) ينظر بغية الطالبين ، ورقة 86 .

القلب"[1] وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ "**ازهد في الدنيا يحبك الله**"[2] الحديث ، إذ هي خسيسة القدر ، والعاقل على الحقيقة لا يعلق نفسه بالخسيسة ، بل يقدرها كأنها جيفة ويجمعها من لا عقل له كما قال الكامل الحكيم ـ عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ "**الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له**"[3] .

وقد ورد : "أنها تعرضت لسيد الأولين والآخرين بزخارفها فقال : **إليك عني فلست من رجالك**"[4] كما ورد "**بل لا تزن عند الله جناح بعوضة**"[5] وورد أيضًا : "**أن حلالها حساب وحرامها عقاب**"[6] وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ "**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا ومتعلمًا**"[7] . وهذا إذا أخذها للتمتع والتفاخر ، وأما إذا أخذها للتزود للآخرة ـ بأن يستعين بها ويعين ـ فلا تذم ، وقد قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "**نعم الدنيا مطية المؤمن**"[8] فمن أخذها ليركبها في الوصول

---

(1) ورد ما يفيد معناه في سنن ابن ماجة باب الهم بالدنيا ، 3/ 468 .

(2) رواه ابن ماجة في سننه ، كتاب الزهد في الدنيا ، عن سهل بن سعد الساعدي ، 3/ 467 ، والحاكم في المستدرك ، كتاب الرقاق ، 4/ 313 ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد .

(3) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ، كتاب الزهد ، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ 10/ 288 ، والعراقي في تخريج أحاديث الإحياء ، كتاب ذم الدنيا ، 3/ 199 ، هامش رقم 1 .

(4) روى الترمذي في سننه ، عن ابن مسعود ، 4/ 316 أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (مالي وما للدنيا ؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها) ، وفي سنن ابن ماجة في الزهد مثله 3/ 469 .

(5) رواه الترمذي في الزهد باب ما جاء في هوان الدنيا على الله ـ عز وجل ـ عن سهل بن سعد ـ 4/ 292 ، وابن ماجة في سننه كتاب الزهد باب مثل الدنيا ، 3/ 470 عن سهل كذلك .

(6) رواه ابن الدنيا في كتاب ذم الدنيا ، باب وصف علي بن أبي طالب للدنيا ، ص 17 ، 18 ، والبيهقي في شعب الإيمان ، باب الزهد وقصر الأمل ، 7/ 371 ، بلفظ : (حلالها حساب ، وحرامها النار) عن علي موقوفًا عليه .

(7) سبق تخريجه ص 299 .

(8) في المستدرك للحاكم ، كتاب الرقاق ، 4/ 312 (نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لآخرته ، حتى يرضى ربه ـ عز وجل ـ وبئست الدار لمن صدته عن آخرته ، وقصرت به عن رضا ربه) وقال هذا حديث حسن=

لرضى الله ـ تعالى ـ فهي نعم المطية ، ومن أخذها لغير ذلك فهي الملعونة اهـ ملخصًا من ابن المصري[1] . وأشار إلى النوع الرابع من أنواع تلك الفائدة بقوله (**أو التنبه**) أي التيقظ . (**لخسة قدرها**) أي الدنيا عند الله يعني أن من أنواع تلك الفائدة التنبيه للعاقل أن الدنيا خسيسة القدر عند الله ـ تعالى ـ لا قيمة لها أصلاً ، ولكن إنما يحصل التنبيه لمن يعتبر بأحوالهم من أن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ الذين هم أكرم الخلق عليه ـ تعالى ـ وأقربهم منه ، وأحبهم إليه ، ومع هذا فهم أضيق الناس عيشًا ، وأكثرهم مصائبًا في البدن ، والمال ، والولد ، فإذا نظر العاقل في أحوال الأنبياء هكذا . ونظر في الكفار والفجار الذين هم أبغض الناس إليه ـ تعالى ـ وأنهم أكثر الناس أموالاً في الدنيا ومتعهم الله بصحة البدن ، والبنين ، ونحو ذلك من زخاريف الدنيا علم علم يقين أن الدنيا لا قيمة لها عند الله ـ تعالى ـ وأنها خسيسة القدر ، ولو كان لها عند الله قدر وبال لكان الأنبياء أولى الناس بزخارفها ، ونعيمها ، وقد قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ "**الدنيا جيفة قذرة**"[2] لم يأخذوا ـ عليهم الصلاة والسلام ـ منها إلا شبه زاد المسافر المستعجل وللإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ في ذمها كلام ومنه :

ومن يرم[3] الدنيا فإني طعمتها وسيق إلى عذبها وعذابها[4]

=صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وفي الفردوس للديلمي ، 5/ 10 ، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ (لا تسبوا الدنيا ، فنعم مطية المؤمن هي ، عليها يبلغ الجنة ، وبها ينجو من النار) .

(1) ينظر بغية الطالبين ، ورقة 87 .

(2) روى الترمذي في كتاب الزهد عن المستورد بن شداد ، 9/ 141 قال كنت مع الركب الذين وقفوا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على السخلة الميتة فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها ؟ قالوا : من هوانها أنهم ألقوها يا رسول الله ، قال : فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلها) وقال حديث المستورد حديث حسن .

(3) في (ح) : يأمن .

(4) هذا البيت كله سقط من (د) .

فلـــم أرهـــا إلا غـــرورًا وبـــاطلاً ‏ ‏ ‏ كـــما لاح في بطـــن الفـــلاة سرابهـــا
ومـــا هـــي إلا جيفـــة مـــستحيلة ‏ ‏ ‏ عليهـــا كـــلاب همهـــن اجتـــذابها
فـــإن تجتنبهـــا عـــشت سـلمًا لأهلهـــا ‏ ‏ ‏ وإن تجتـــذبها نازعتـــك كلابهـــا[1]

وروي أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال : **"لَوْ كَانَتْ تَزنُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ"**[2] **"ويروى أَنَّ الله خَلَقَ الدنْيَا وَزيَّنَهَا بِأَحْسَنِ الزِّينَة ثُم خَلقَ بعوضةً عرجَاء شلَّاء وقال لها : هلَّا اشتَرَيْت مني الدُّنيا ؟ فقالت : بِمَ يا رَبّ ؟ فقال بِجَنَاحِكِ الأشلّ ، فقالَت : يَا ربّ تَفنَى أَمْ تَبْقَى ؟ فَقَال : بَلْ تَفْنَى ، فَقَالَتْ : وَعِزَّتِك وجَلالك مَا أَكسرُ جَنَاحِي الأَشَلَّ ، وأشتَري بـه شيئًا يَفْنَى"**[3] ، وصح عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : **"كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ"**[4] وقوله : (**وعدم رضاه بها**) أي الدنيا (**دار جزاء**) أي ثواب (**لأوليائه**) أي أنبيائه ويحتمل العموم ، وليس هذا مستأنفًا حتى يكون فائدة مستقلة ، وإنما هو من تمام التنبيه لخساسة قدرها ، ومعناها إذا تنبه العاقل أن الدنيا خسيسة القدر عند الله ـ تعالى ـ تيقن أن الله ـ تعالى ـ لم يرض أن يجعلها دار جزاء لأوليائه الذين هم أحب الخلق إليه ، وإنما لم يرض الحق ـ سبحانه ـ أن يجعلها دارًا يجازي فيها أولياءه لفنائها وخستها وعدم سعتها لما يعطيهم . إما لضيقها فإنه قد ورد : **"يُعطى المؤمنُ في الجنَّة مِثلَ الدنيا عَشر مرات"**[5] وهذا هو آخر من يدخل الجنة ، وهو أقل الناس عملاً ، وإذا كان هو أُعطي قدر الدنيا

(1) ديوان الإمام الشافعي ، جمع وتعليق سليمان البواب ، ص 16 .
(2) سبق تخريجه .
(3) لم أجد هذا الحديث فيما أتيح لي من كتب السنة
(4) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري ، كتاب الرقاق ، عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ 11/ 233 والترمذي في سننه ، كتاب الزهد ، باب قصر الأمل ، 4/ 297 .
(5) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري ، كتاب الرقاق ، عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ 11/ 419 ، ومسلم في صحيحه بشرح النووي ، كتاب الإيمان ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ 3/ 25 .

عشر مرات فما بالك بأكثر الناس إيمانًا ، وأعمالاً ، وهم أنبياؤه ورسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ . وأما لخستها فهي قذرة جيفة نجسة ، والآخرة منزهة عن هذا بل "هي لبنة ذهبًا ولبنة فضة"[1] وما فيها مخاط ولا بصاق . وأما فناؤها وتغيرها فمشاهد وكلها فانية ، بخلاف الآخرة فهي باقية أبد الآباد ، ولا يطرأ عليها تغير ـ جعلنا الله من أهلها بمنه وكرمه بجاه سيدنا ومولانا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقوله : (**باعتبار أحوالهم**) أي الرسل من الضيق والشدائد الدنيوية والأتعاب (**فيها**) أي الدنيا (**ـ عليهم الصلاة والسلام ـ**) .

فائدة ذكر القاضي أبو الفضل عياض ـ رضي الله عنه ـ في كتاب "الشفا بتعريف حقوق المصطفى" أنه يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما لا يجوز على طريقة المذاكرة والتعليم ، أن يلتزم في كلامه عند ذكره ـ عليه الصلاة والسلام ـ وذكر تلك الأحوال الواجب من توقيره ، وتعظيمه ، ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه علامات الأدب عند ذكره ، فإذا ذكر ما قاساه ـ عليه الصلاة والسلام ـ من الشدائد ظهر عليه الإشفاق ، والغيظ على عدوه ومودة الفداء له[2] ـ عليه الصلاة والسلام ـ لو قدر عليه والنصرة لو أمكنت ، وإذا أخذ في أبواب العصمة وتكلم في فخار[3] أعماله وأقواله ـ عليه الصلاة والسلام ـ تحرى أحسن اللفظ وآدب العبارة ما أمكنه ، واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح . انظر بقية كلامه[4] ، وقال الشيخ إبراهيم اللقاني ـ رحمه الله تعالى ـ : ليس هذا خاصاً به ـ عليه الصلاة والسلام ـ

(1) رواه الترمذي في سننه ، باب ما جاء في صفة الجنة ونعيمها عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ 4/ 672 ، وابن أبي شيبة في مصنفه عن الحسن بن عمر ، 7/ 28 .

(2) في (ح ، د) : العدالة ، وهو تحريف .

(3) في (ح) : مجاز ، وهو تحريف .

(4) ينظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ 2/ 277 .

بل جميع الرسل والأنبياء كذلك ، اللهم يا منقذ الغرقى بعد أن يئسوا أنقذنا من هذا الوحل العظيم الذي نحن فيه بلا محنة يا أرحم الراحمين يا رب العالمين . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ـ .

ولما فرغ ـ رضي الله عنه ـ من ذكر ما يجب على المكلف معرفته من عقائد الإيمان في حق مولانا ـ جل وعز ـ وفي حق رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ كمل الفائدة ببيان اندراج جميع ما سبق تحت كلمتي التوحيد ، وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله ؛ ليحصل للمكلف العلم بعقائد الإيمان تفصيلاً وإجمالاً ؛ وليعرف بذلك شرف هذه الكلمة وما انطوى تحتها من المحاسن فقال :

تضمن كلمتي الشهادة لجميع عقائد الإيمان

(**ويَجْمَعُ معاني هذه العقائد**) التي يجب شرعًا معرفتها واعتقاد واجباتها ، واستحالة مستحيلها ، وجواز جائزها . ولما كانت الإشارة تحتمل عودها لمجموع العقائد ولبعضها أكد عودها للمجموع بقوله : (**كلها**) وفاعل يجمع (**قول لا إله إلا الله محمد رسول الله**) أي معنى قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، هو الجامع لذلك ، والمعنى أن معنى عقائد الإيمان من أول الكتاب إلى هنا يجمعها قول لا إله إلا الله محمد رسول الله فاحترز بالمعنى من الألفاظ ؛ لأن لا إله إلا الله . ما جمعت الألفاظ ، وإنما جمعت المعاني ، وهذه الكلمة المشرفة جُعلت **"ثمن الجنة ومفتاح الجنة"**[1] وعصمت بها الدماء والأموال ، كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **"أُمرت أن أُقاتل الناس حتى**

---

(1) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري ، كتاب الجنائز تعليقًا عن وهب بن منبه ، 3/ 109 ، وقال ابن حجر : (ذكر ابن إسحاق في السيرة أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما أرسل العلاء بن الحضرمي قال له : إذا سئلت عن مفتاح الجنة فقل مفتاحها لا إله إلا الله) وعزاه القرطبي في التذكرة ص 945 للبيهقي .

يقولوا لا إله إلا الله"[1] الحديث ولا شك أنه يجب على كل مؤمن أن يعتني بشأنها ، لا سيما فهم معناها ، وقد نص العلماء[2] على أنه لا بد من فهم معناها ولو إجمالاً ، وإلا لم ينتفع الناطق بها في الخلاص من الخلود في النار ، وأما حكم الإتيان بالشهادتين في حق المؤمن بالأصالة فواجب عليه مرة في عمره ، ينوي بها أداء الواجب ، وإن لم يذكرها ولو مرة واحدة ، أو ذكرها بلا نية أداء الواجب عصى مع صحة إيمانه . كذا سمعه العلامة إبراهيم اللقاني من شيخه العارف بالله ـ تعالى ـ سيدي أحمد الشرنوبي[3] وقال الشيخ إبراهيم اللقاني "وما رأيت النص على وجوب النية في كلام أحد يعتمد عليه ، بل في كلام بعض المحققين ما يخالفه ، ثم لا ينبغي بعد الإتيان بها تركها ، بل ينبغي بعد أداء الواجب الإكثار من ذكرها ؛ لما فيها من الثواب ، ولو لم يكن من فضلها إلا ما دار بين محققي الصوفية ، واعترف بتجربته أكابر الأئمة السنية من أن : "من قالها سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار ، جُمعت أو فرّقت"[4] وكذا لو قيلت على القبر لكان كافيا ، وإن كان حديثه موضوعًا ، ورجح عليهما حديث : "**من قال سبحان الله وبحمده ، ألف مرة حين يصبح ، فقد اشترى نفسه من الله وكان آخر يومه عتيقًا**"[5]

---

(1) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري ، كتاب الجهاد ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ 6/ 112 ، ومسلم في صحيحه بشرح النووي في الإيمان عن أبي هريرة ، 1/ 210 .

(2) ينظر : حاشية الشرقاوي ، ص 126 ، وحاشية الدسوقي ، ص 230 .

(3) ينظر : عمدة المريد ورقة 354 ، والشرنوبي هو : أحمد بن عثمان بن أحمد بن علي الشرنوبي المصري فاضل ، من المتصوفة ، له شعر ، من نظمه : تائية السلوك إلى ملك الملوك ، توفي سنة 994هـ ، ينظر : الأعلام ، 167/1 .

(4) لم أجده في كتب السنة ، ولكن نقل ابن المصري في بغية الطالبين ، ورقة 114 أن الحافظ ابن حجر سئل عنه فقال : إنه ليس بصحيح ولا بحسن ولا ضعيف بل هو باطل موضوع لا تحل روايته إلا مقرونًا ببيان حاله .

(5) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ، ص 219 ، عن ابن عمر : (من قال سبحان الله وبحمده كتب الله له بها عشرا ، ومن قالها عشرا كتب الله له بها مائة ، ومن قالها مائة كتب الله له بها ألف ، ومن زاد زاد الله له ، ومن استغفر غفر له) ، أما الصيغة التي ذكرها المؤلف فلم أجدها .

وإن كان في سنده مجهول . قلتُ الصواب التعويل على حديث مسلم " **مَنْ قَالَ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَه لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَـوْمٍ مِائَـةَ مَـرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَـةُ سَيِّئَةٍ وَلَمْ يَـأْتِ أَحَـدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِـنْ ذَلِـكَ**"[1] قالـه اللقـاني في شرح الجـوهرة[2] غير مطيل في مد ألف لا جدًا ، وأن يقطع الهمزة من إله محققًا لها ، وإبـدالها يـاء كـما يفعله بعض الناس لحن ، وأن يفصح بالهمزة من إلا مع تشديد اللام بعدها ؛ لئلا يأتي بها يا . كما شوهد من الكثير ، مع تخفيفها ، وليحذر من الوقـف عـلى إلـه اختيـارًا ، فقـد صرح بعضهم بكفر قاصده ، وإن وقف على الجلالة الكريمة سكنها كـما هـو أصـل الوقف على مثلها ، وإن وصلها بغيرها فله فيها الرفع ، وهو أرجح من النصب . وأن ينون اسم سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مدغما تنوينه في راء رسـول الله بعـده ، وأما من كان كافرًا ولو حكم بإسلامه بالتبعية أو الدار فلا بد من ذكره لهاتين الجملتين على سبيل الوجوب ، والشرطية في صحة إيمانه القلبي مـع القـدرة ، فـإن عجـز عـن الإتيان بها كمفاجأة موت له سقط عنه الإتيان بها مع الحكم بإيمانه على ما هو المشهور من مذاهب علماء السنة[3] ، وأما حذف ألف الله فهو لحـن لا ينعقـد معـه يمـين ، ولا يحصل به ذكر . وأفضل الذكر التفكر في عظمته ـ سبحانه ـ . ثم ذكر الله ـ تعالى ـ عند أمره ونهيه بالعزم المصمم على الامتثال ثم ذكر اللسان فقط ، فالخلاف في أفضلية اللـساني والقلبي محمول على ذكر القلب تسبيحًا وتهليلاً باللسان ، وإلا فالنوعان الأولان مـن أذكار القلب لا يساويها ذكر فضلاً عن أن يفـضلها ، والـذكر أفـضل مـن التـسبيح

---

(1) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري ، كتـاب بـدء الخلـق عـن أبي هريـرة ـ رضي الله عنـه ـ 6/ 338 ، ومسلم في صحيحه بشرح النووي ، كتاب الذكر والدعاء ، عن أبي هريرة ، 17/ 17 .

(2) عمدة المريد ، ورقة 345 .

(3) ينظر حاشية الدسوقي ، ص 224 .

لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ "**أفضل ما قلته أنا والنبيّون من قبلي لا إله إلا الله**"[1]؛ لأن التسبيح نفي، والذكر إثبات وأن الصفات الثبوتية أفضل من السلبية، والمنفي بلا هو ما سوى مولانا ـ جل وعز ـ من المعبودات بالحق المقدرة على زعم الشيطان وأهله، فمعنى لا إله إلا الله: لا معبود بالحق واجب الوجود إلا الله ـ تعالى ـ فالنافي بها ينفي كل معبود بالحق غير الله ـ تعالى ـ، ولا يسلط النفي في الكلمة الشريفة على المعبودات بالباطل؛ لأنه يلزم منه الكفر من وجهين: أحدهما تكذيب القرآن في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[2] ونحو ذلك. ثانيهما قبح الاستثناء؛ لأن تقدير الكلام حينئذ لا معبود بالباطل إلا الله ـ تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا ـ وينبغي لكل من يريد أن ينطق بهذه الكلمة المشرفة أن يثبت الحكم الذي هو إثبات الإله لمن أثبت له ذلك في القلب قبل التلفظ بالنفي مثال ذلك أن تثبت إله الحق بقلبك أولاً، ثم تنفي بلسانك أن يكون معبودًا بالحق غيره، ثم تثبت بلسانك بإلا ما أثبته أولا بقلبك، وليس الاستثناء كما يذكر في كتب العربية بقولهم إخراج بعض ما تناوله اللفظ. بإلا أو إحدى أخواتها، بل معنى الاستثناء هنا قصر الحكم باللسان على ما أثبت أولاً بالقلب؛ لأنه بالتعريف الأول لا يصح لما يلزم من شمول النفي لجميع أفراد المستثنى[3]، وهو يستلزم كفر من نطق بصدرها، وإن رجع إلى الإيمان بعجزها، ويلزم على هذا التقدير الفاسد أن كل من نطق بلا إله إلا الله الردة ـ أعاذنا الله منها ـ وإن رجع إلى الإيمان؛ لأنه حبط جميع عمله، وفارق زوجته، وبقي ماله فيئا للمسلمين وإن اخترمته المنية بعد لا إله وقبل إلا الله مات مشركًا ـ أعاذنا الله

---

(1) رواه مالك في الموطأ بشرح الباجي، كتاب الحج عن طلحة بن عبيد الله ـ رضي الله عنهم ـ 3/ 79، عبد الرزاق في مصنفه 4/ 378، بإسناده إلى مالك.

(2) سورة النمل، الآية 24.

(3) في (أ، د): زيادة والمستثنى.

من ذلك بجاه سيد الأولين والآخرين ـ . ومن أجل هذا التقدير الفاسد تجد بعض الجهلة يقولون : لا إله كفر إلا الله إسلام فإياك ثم إياك يا أخي ، بل السلامة والأمان[1] والخير كله فيما قدمت لك من التقدير الصحيح ، وهو أن تثبت إله الحق أولاً بقلبك ، وبهذا تفرد الحق بالعبادة والمعبودية ، فإن قال قائل يعسر على الإنسان استحضار هذا كلما أراد النطق بهذه الكلمة يقال : رحمة الله علينا واسعة وفضله عظيم وقد كلفنا باليسر ، ولم يكلفنا بالعسر قال ـ جل وعز ـ ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[2] فاعلم أنه يجب على الإنسان أن يعرف الحق معرفة تامة في جميع الاعتقادات الدينية الإيمانية حتى تختلط بلحمه ودمه بحيث يكون ذلك الحق معتقده كلما كان حاضر الذهن فلا تضره الغفلة بعد هذه المعرفة ، أما إعراب هذه الكلمة الشريفة فمعلوم أنها محتوية على صدر وعجُز فعجُزها ظاهر الإعراب ، إذ هو جملة مبتدأ وخبر ومضاف إليه ، وأما صدرها فلا فيه نافية ، وإله اسمها مبني معها للتركيب ؛ لتضمنها معنى من ، إذ التقدير لا من إله إلا الله وبهذا كانت نصًّا في العموم[3] كأنه نفى كل إله غيره ـ جل وعز ـ من مبدأ ما يقدر منها إلى ما لا نهاية له مما يقدر ، وذهب الزجاج إلى أن اسمها معرب منصوب بها[4] ، وإذا فرّع على المشهور منها البناء فموضع الاسم نصب بلا العاملة عمل إن والمجموع من لا إله في موضع رفع بالابتداء ، والخبر المقدر هو لهذا المبتدأ وتقدير الخبر : لا إله موجود ، أو في الوجود ، أو معبود بالحق إلا الله ، وإلا حرف استثناء والله مرفوع ، ولم يأت في القرآن بغير الرفع وقد ينصب وجملة الأقوال في وجه رفعه خمسة أقواها أنه بدل ، وهو المشهور الجاري على ألسنة المعربين

---

(1) في (ح) : والإيمان .

(2) سورة البقرة ، الآية 185 .

(3) في (د) : لا من إله إلا الله نصا في العلوم ، وهو غير ظاهر .

(4) ينظر معاني القرآن للفراء ، 1/ 316 .

وإياه اختار ابن مالك[1] وعليه فالأقرب أنه بدل من الضمير المستتر[2] في الخبر المقدر هو الأصح وقيل إنه بدل من اسم لا باعتبار عمل الابتداء قبل دخول لا كذا قال ناظر الجيش[3] ومن أراد[4] التحقيق فليراجع شرح الشيخ[5] . ثم استدل بجمع هذه الكلمة المشرفة لجميع العقائد بقوله : (**إذ معنى الألوهية**) فإذ للتعليل جواب عن سؤال مقدر كأن قائلاً قال له : كيف يجيء جمع هذه الكلمة الواحدة لجميع العقائد التي سبق تفصيلها ؟ فقال : لأجل أن معنى الألوهية (**استغناء الإله عن كل ما سواه ، وافتقار كل ما سواه إليه**) ، سيأتي بيان دخول العقائد تحت الاستغناء والافتقار ـ إن شاء الله تعالى[6] ـ ، ويندرج تحت اسم لا إله إلا الله سبع وخمسون ومائتا عقيدة ـ مائة وأربع وعشرون واجبة ، ومثلها مستحيلة وعقائد الجائز تسع وستأتي كلها ـ إن شاء الله تعالى ـ داخلة تحت الاستغناء والافتقار .

معنى لا إله إلا الله

ولما ذكر تفسير الألوهية على سبيل الإفراد ، رتب عليه معنى التركيب في الكلمة المشرفة فقال (**فمعنى لا إله إلا الله لا مستغنيا عن كل ما سواه**) إلا الله (**ولا مفتقر**) ـ بالرفع والنصب ـ (**إليه كل ما عداه إلا الله**) فحذف إلا الله من الأول ؛ لدلالة الثاني

---

(1) ينظر : شرح ابن عقيل للألفية باب الاستثناء ، 2/ 470 .

(2) في (ح) : المستثني ، وهو تحريف .

(3) ناظر الجيش هو : محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدائم التميمي المصري المعروف بناظر الجيش ، نحوي ، بياني ، ولد بالقاهرة وولي ناظر الجيش والقضاء بالديار المصرية ، من تصانيفه : شرح التلخيص للقزويني ، توفي سنة 778هـ ، (ينظر : معجم المؤلفين ، 2/ 121) .

(4) (أراد) : سقط م د .

(5) ص 94 وما بعدها .

(6) في ص 331 من هذا البحث .

عليه ، وحذف لا من الثاني ؛ لدلالة الأول عليه[1] ، وعداه وسواه بمعنى واحد ، إذ كل منهما أداة استثناء ، ولكن عدل عنه لقبح تكرار اللفظ ، فالألوهية صفة للإله ، وحقيقتها استغناء الإله عن كل ما سواه ، وافتقار كل ما سواه إليه ، وحقيقة الموصوف بها هو المستغني عن كل ما سواه ، والمفتقر إليه كل ما عداه ، وفسر بعضهم[2] هذه الكلمة المشرفة بأنه لا مستحق للعبودية موجود أو في الوجود إلا الفرد الذي هو خالق العالم ـ جل وعلا ـ ، وتفسير المصنف أظهر ، وأولى ، وأقرب منه ، إذ هو الأصل له ؛ لأنه لا يستحق أن يعبد أي يذل له كل شيء إلا من كان مستغنيًا عن كل ما سواه ، ومفتقرا إليه كل ما عداه ، فظهر بهذا أن تفسير المصنف أظهر من تفسير غيره ؛ إذ به يتجلى إدراج جميع عقائد الإيمان تحت هذه الكلمة المشرفة ـ والله أعلم ـ ولما ذكر أن معنى الألوهية التي انفرد بها مولانا ـ جل وعز ـ تشتمل على معنيين أحدهما استغناؤه ـ جل وعز ـ عن كل ما سواه ، والثاني افتقار كل ما سواه إليه أخذ يذكر ما يندرج من عقائد الإيمان تحت الأول وهو الاستغناء عن كل ما سواه فقال :

(**أما استغناؤه ـ جل وعز ـ عن كل ما سواه**) : أما هنا حرف شرط وتفصيل لما أجمله من الكلام السابق ، واقعة في جواب سؤال مقدر ، كأن قائلاً قال له : أنت يا سيدي ذكرت معنى لا إله إلا الله مركبًا من جزئين الاستغناء ، والافتقار ، وذكرت أن جميع العقائد تدخل تحت معنى[3] لا إله إلا الله فما وجه دخول العقائد في الاستغناء والافتقار ؟ فأجابه المصنف بقوله : أما استغناؤه ـ جل وعز ـ عن كل ما سواه (**فهو**) أي استغناؤه ـ جل وعز ـ عن كل ما سواه (**يوجب له تعالى الوجود**) ، يعنى

---

(1) ففيه اكتفاء مثل قوله ـ تعالى ـ في سورة النحل الآية 81 : ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ أي والبرد فحذف ، وقوله تعالى في سورة الإسراء ، الآية 15 : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ أي ولا مثيبين .

(2) ينظر حاشية الدسوقي على أم البراهين ، ص 207 .

(3) (معنى) : سقط من ح .

استغناؤه ـ جل وعز ـ عن كل ما سواه يستلزم وجوده ؛ لأنه لو لم يكن موجودا لكان معدومًا ؛ إذ لا واسطة بينهما ، ولكن التالي باطل فالمقدم مثله ، وهو عدم وجوده ، وإذا بطل ثبت نقيضه وهو وجوده ـ تعالى ـ ، أي وجوب الوجود ، إذ هو الواجب له ـ تعالى ـ لأنه لو كان جائز الوجود لافتقر إلى محدث لاستحالة وقوع الجائز نفسه ، ولكن افتقاره ـ تعالى ـ محال لثبوت الغنى له تعالى عقلا ونقلاً ، فإذا بطل نفي الغنى بطل الافتقار ، وإذا بطل الافتقار وجب له الغنى ، والغنى يستلزم وجوده ـ تعالى ـ وهو المطلوب .

(و) استغناؤه ـ جل وعز ـ عن كل ما سواه يوجب له ـ تعالى ـ (**القدم**) إذ لو كان حادثًا لافتقر إلى محدث لأن الافتقار وصف ضروري لكل حادث ولكن افتقاره ـ تعالى ـ محال ؛ لأنه لو افتقر إلى محدث لانتفى عنه الغنى لاستحالة اجتماع النقيضين ، ولكن نفي الغنى عنه ـ تعالى ـ محال لتقرره له عقلاً ونقلاً ، فالغنى إذن دليل على وجوب القدم لله ـ تعالى ـ وهو المطلوب .

واستغناؤه ـ جل وعز ـ عن كل ما سواه يوجب له ـ تعالى ـ (**البقاء**) إذ لو أمكن أن يلحقه العدم لكان جائز الوجود ؛ لصدق حقيقة الجائز عليه ، ولكن كونه جائز الوجود محال ؛ لأنه لو كان جائز الوجود لافتقر إلى الفاعل ؛ لاستحالة وقوع الجائز بنفسه ، ولكن افتقاره ـ تعالى ـ محال ؛ لأنه لو افتقر إلى فاعل انتفى عنه الغنى ؛ لاستحالة اجتماع النقيضين ، ولكن نفي الغنى عنه محال ؛ لثبوته له عقلاً ونقلاً فالغنى إذن دليل على وجوب البقاء له ـ تعالى ـ وهو المطلوب (و) استغناؤه ـ جل وعز ـ عن كل ما سواه يوجب له ـ تعالى ـ (**المخالفة للحوادث**) إذ لو ماثل شيئًا منها لكان حادثًا مثلها لوجوب استواء المثلين في ما يجب وما يستحيل وما يجوز ، لكن حدوثه محال إذ لو كان حادثًا لافتقر إلى محدث ؛ لأن الافتقار وصف ضروري لكل حادث ؛ ولكن افتقاره ـ تعالى ـ محال لأنه لو افتقر إلى محدث انتفى عنه الغنى لاستحالة اجتماع

النقيضين ، لكن نفي الغنى عنه ـ تعالى ـ محال ثبوته له عقلاً ونقلاً فالغنى إذن دليل على وجوب مخالفة الله ـ تعالى ـ لجميع الحوادث وهو المطلوب . واستغناؤه ـ جل وعز ـ عن كل ما سواه يوجب له ـ تعالى ـ (**القيام بالنفس**) إذ لو احتاج إلى المحل أو المخصص لانتفى عنه الغنى لاستحالة اجتماع النقيضين لكن نفي الغنى عنه ـ تعالى ـ محال لثبوته له عقلاً ونقلاً ، فالغنى إذن دليل على وجوب القيام بالنفس وهو المطلوب .

ولا يقال : القيام بالنفس هو الاستغناء عن شيء[1] فكيف يكون الشيء واجبًا لنفسه ؟ لأنا نقول : القيام بالنفس إنما يطلقونه على الاستغناء عن المحل المخصص ، هذا هو الغالب من إطلاقهم ، عليه اقتصر المصنف في هذه العقيدة فهو إذن أخص من الاستغناء عن كل ما سواه قاله الزيّاتي[2] بواسطة[3] (و) استغناؤه ـ جل وعز ـ عن كل ما سواه يوجب له ـ تعالى ـ (**التنزه**) أي المحاشاة والمباعدة (**عن النقائص**) جمع نقيصة وهي الخصلة[4] الدنية الضعيفة كما في القاموس[5] إذ لو لم يكن منزها عن النقائص لاتصف بالنقائص ، ولو اتصف بالنقائص لاحتاج إلى من يدفع عنه النقص ويخلق له الكمال لما ثبت في الشاهد من أن من اتصف بنقص فهو محتاج إلى من يدفع عنه النقص ويخلق له الكمال ولكن احتياجه ـ تعالى ـ محال ؛ لأنه لو احتاج لانتفى عنه الغنى لاستحالة اجتماع النقيضين ولكن نفي الغنى عنه ـ تعالى ـ محال ، لثبوته له ـ تعالى ـ نقلاً وعقلاً فالغنى إذن دليل على وجوب التنزه عن النقائص ، فالإشارة راجعة له لا للاستغناء (**وجوب السمع له ـ تعالى ـ و**) وجوب (**البصر و**) وجوب (**الكلام**)

---

(1) في (ح و د) : الشيء .

(2) في (أ و م) : الزناتي .

(3) ينظر بغية الطالبين ، ورقة 92 .

(4) في (أ و م و د) : الخسّة .

(5) ينظر : القاموس المحيط ، 2/ 332 مادة نقص .

يعني يدخل في وجوب تنزيهه ـ تعالى ـ عن النقائص وجوب هذه الصفات الثلاث له ـ تعالى ـ لما عرفت فيما سبق من الدليل العقلي والنقلي على إثباتها ، وكون أضدادها نقائص ، ومولانا ـ جل وعز ـ منزه عن النقائص بإجماع العقلاء ويدخل في ذلك ثلاث معنوية وهي كونه ـ تعالى ـ سمعيًا بصيرًا متكلمًا ـ والله أعلم ـ .

ثم بين ـ رحمه الله ـ وجه استلزام استغنائه لما ذكره من الصفات بقوله : (**إذ لو لم تجب له ـ تعالى ـ هذه الصفات**) المتقدم ذكرها وهي الوجود وما عطف عليه إلى قوله : والتنزه عن النقائص (**لكان محتاجًا**) يعني أنه لو لم يجب له ـ تعالى ـ هذه الصفات لم يكن مستغنيًا عن كل ما سواه ؛ لثبوت حاجته لو انتفت واحدة مما ذكر من الصفات . ثم نوع الحاجة بأنها تارة تكون إلى المحدث ، وتارة تكون إلى المحل ، وتارة تكون إلى دفع النقائص ، فقال (**إلى المحدث**) وهو استدلال على وجوب الوجود ، والقدم ، والبقاء ، والمخالفة للحوادث ، وأحد جزأي القيام بالنفس ، وهو الاستغناء عن المخصص ، يعني أنه لو لم يجب له ـ تعالى ـ هذه الصفات الأربع وأحد جزأي تفسير معنى القيام بالنفس الذي هو الاستغناء عن المخصص لكان محتاجًا إلى المحدث ؛ لأنه لا يحتاج إلى المحدث إلا من لم يتصف بهذه الصفات ، ولكن احتياجه ـ تعالى ـ إلى المخصص محال ، لثبوت الغنى عقلاً ونقلاً .

(**أو**) للتنويع يعني من أنواع تلك الحاجة الافتقار إلى (**المحل**) وهو استدلال على وجوب الجزء الآخر من معنى القيام بالنفس وهو الاستغناء عن المحل يعني أنه لو لم يكن قائما بنفسه لكان محتاجًا إلى المحل ، ولكن احتياجه إلى المحل محال ، ونفي القيام بالنفس عنه محال ، فوجب أن يكون قائمًا بنفسه وهو المطلوب (**أو**) للتنويع أيضًا يعني أن من أنواع تلك الحاجة الافتقار إلى (**من يدفع عنه النقائص**) وهو استدلال على وجوب التنزه عن النقائص بمعنى أنه لو لم يكن منزهًا عن النقائص لكان محتاجًا إلى من يدفع عنه النقائص ، ونفي التنزه عنه محال ، فوجب أن يكون

منزهًا عن النقائص وهو المطلوب ، فأو في كلام المصنف ـ رضي الله عنه ـ ليست للتخيير ، وإنما هي للتنويع بحسب الصفات المنفية ، فهو من اللف والنشر المرتب[1] قاله أبو علي بواسطة[2] ، واندرج في استغنائه ـ جل وعز ـ عن كل ما سواه واحد وستون عقيدة من الواجبات وانتفى ضدها من المستحيلات ، فمن الصفات الواجبات أحد عشر من صفات الذات ، وهي الوجود ، والقدم ، والبقاء ، والمخالفة للحوادث ، والقيام بالنفس الذي هو الاستغناء عن المخصص ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، وكونه سميعًا ، وبصيرًا ، ومتكلمًا . فهذه إحدى عشرة من صفات الذات ، ويضم لها الجزء الثاني من القيام بالنفس الذي هو الاستغناء عن المحل ، فتصير اثنتي عشرة من صفات الذات ، وأما صفات الصفات فتسع وأربعون فيجب للوجود خمس صفات هي القدم ، والبقاء ، والمخالفة للحوادث ، والغنى عن المخصص الذي هو جزء القيام بالنفس ، والوحدانية .

وأما الجزء الآخر من جزئي القيام بالنفس الذي هو الغنى عن المحل فلا يتصف به إلا الذات العليا فافهمه تقول : وجوده قديم ، ووجوده باق ، ووجوده مخالف لخلقه ، ووجوده واحد . وأما الصفات الأربع التي هي القدم ، والبقاء ، والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس ، فيجب في حق كل واحدة الاتصاف بالأزل والاستمرار ، وأما صفات المعاني الثلاث التي هي السمع ، والبصر ، والكلام ، والمعنوية الثلاث التي هي كونه ـ تعالى ـ سميعًا وبصيرًا ومتكلمًا فيجب في حق كل واحدة منها ست صفات وهي الوجود ، والقدم ، والبقاء ، والمخالفة للحوادث ، والغنى عن المخصص ،

---

(1) اللف والنشر ويسمى أيضًا : الطي والنشر ، وهو أن يذكر متعدد ثم يذكر ما لكل من أفراده شائعًا من غير تعيين ، اعتمادًا على تصرف السامع في تمييز لكلٍ ، وهو نوعان : مرتب ، ومشوش ، (ينظر جواهر البلاغة ، ص 376) .

(2) ينظر بغية الطالبين ، ورقم رقم 93 .

والوحدانية ، تقول سمعه موجود ، سمعه باق ، سمعه مخالف للحوادث ، سمعه غني عن المخصص ، سمعه واحد .. إلخ[1] . الصفات الستة .

أما الصفات المعنوية فيجب لها الاتصاف بالوجود باعتبار الذهن ، فهذه الاثنتان والستون من الصفات الواجبة المندرجة تحت أحد عشر من صفات الذات ، والجزء الثاني من القيام بالنفس فصارت اثنتي عشرة ، والصفات الثماني الواجبة للسلوب الأربعة ، الجملة عشرون ، والصفات الست الواجبة لكل واحدة من المعاني والمعنوية الست ، فهذه واحد وستون من الواجبات ويستحيل أضدادها ، والجملة مائة واثنتان وعشرون عقيدة المندرجة في استغنائه ـ جل وعز ـ عن كل ما سواه[2] .

ولما كان الغرض المنفي عنه ـ سبحانه وتعالى ـ عبارة عن وجود باعث يبعثه على إيجاد فعل من الأفعال وحكم من الأحكام من مراعاة مصلحة تعود إليه ، وإلى خلقه أشار ـ رضي الله عنه ـ إلى نفي[3] القسم الأول وهو المصلحة العائدة إليه ـ تعالى ـ بقوله (**ويؤخذ منه**) أي من استغنائه ـ جل وعز ـ عن كل ما سواه (**تنزهه**) تبارك و (**وتعالى عن الأغراض**) جمع غرض أي البواعث (**في أفعاله**) كالإيجاد والإعدام والثواب والعقاب ونحوها (**و**) في (**أحكامه**) مطلقًا شرعية أو عقلية دنيوية أو أخروية (**وإلا**) بأن لم يكن منزها عن الغرض في أفعاله وأحكامه (**لزم افتقاره**) أي احتياجه (**إلى ما يحصل**) ـ بتشديد الصاد المهملة ـ أي يوجد (**به غرضه**) وهما الفعل أو الحكم إذ لو كان له غرض في الفعل ، أو الحكم من مراعاة مصلحة تعود إليه لزم احتياجه إلى أن يتكمل بمخلوقه ، وذلك يلزم منه حدوثه ولكان احتياجه ينفي استغناءه وكيف يصح نفي استغنائه مع ثبوته له نقلاً وعقلاً .

---

(1) (سمعه واحد) : سقط من ح .

(2) لم تظهر لي فائدة هذه الأعداد .

(3) (نفي) : سقط من ح .

ثم أخذ - رحمه الله - يستفهم ممن يعتقد هذا على جهة الإنكار والتعجب فقال (**كيف**) يكون هذا (**وهو - جل وعلا - الغني عن كل ما سواه**) فإذا ثبت له الغنى عن كل ما سواه ثبت له التنزه عن الأغراض في أفعاله ، وأحكامه - والله الموفق بمنه وكرمه - وأشار إلى نفس القسم الثاني من قسمة الغرض وهو المصلحة العائدة على خلقه بقوله (**وكذا يؤخذ منه**) . أي من استغنائه - جل وعز - عن كل ما سواه (**أنه**) أي الله - تعالى - (**لا يجب عليه**) أي في حقه (**- تعالى -**) لأن على ترد بمعنى فى (**فعل شيء من الممكنات ولا**) يجب عليه (**تركه**) أي ذلك الشيء ثم أوضح ذلك بقوله : (**إذ لو وجب عليه**) أي الله (**- تعالى - فعل شيء منها**) - أي الممكنات عقلاً - كما تقوله المعتزلة ولا مفهوم لقوله (**عقلاً**) بل وكذا شرعًا لأن ما وعد به - سبحانه وتعالى - لا يتخلف لقوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾[1] .

ثم مثل لقوله شيء منها بقوله (**كالثواب مثلا لكان - جل وعز - محتاجًا**) - أي مفتقرًا (**إلى ذلك الشيء**) - الذي وجب أن يثيب عليه وهو المصلحة العائدة على خلقه (**ليتكمل به**) أي بذلك الشيء الذي وجب أي يثيب عليه وبيانه أنه لا يجب عليه - تعالى - أن يثيب على الطاعة ولو وجب عليه أن يثيب عليها لكان مفتقرًا إليها وقد عرفت أنه - تعالى - غني عنها وعن غيرها ولا يتكمل إلا بما وجب له - تعالى - بالدليل العقلي والنقلي ولقد قال - رحمه الله - (**إذ لا يجب في حقه**) أي بالنسبة إليه (**- تعالى - إلا ما هو كمال له**) من الصفات النفسية والسلبية والمعاني والمعنوية وغيرها من صفات الكمال ، (**كيف**) يصح ويعتقد هذا فى حقه - تعالى - (**وهو - جل وعلا - الغني عن كل ما سواه**) ؟ فإذا ثبت له الغنى المطلق استحال احتياجه مطلقًا ؛ إذ هو جمع بين متنافيين وهو محال .

---

(1) سورة آل عمران ، الآية 9 .

ولما فرغ - رضي الله عنه - من ذكر ما يندرج من العقائد تحت المعنى الأول من معاني الألوهية شرع في ذكر ما يندرج من العقائد تحت المعنى الثاني فقال : (**وأما افتقار**) أي احتياج (**كل ما سواه إليه - جل وعلا - فهو**) أي افتقار كل ما سواه إليه جل وعلا - (**يوجب له - تعالى - الحياة**) إذ لو انتفت الحياة لاتصف بضدها وهو الموت ؛ لأن المحل القابل للشيء لا يخلو عنه[1] أو عن مثله أو عن ضده لكن اتصاف الباري بالموت محال ؛ لأنه لو اتصف بالموت لا يفتقر إليه شيء ؛ لأن الميت لا يوجد شيئًا ولا يفتقر إليه شيء ، ولكن نفي افتقار المخلوقات للباري محال لتقرره عقلاً ونقلاً ، أما العقل فبرهان الوحدانية ؛ لأنه جزء من جزأي الألوهية ، وأما النقل فقوله - تعالى - : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[2] الآية : فالافتقار إذن دليل على وجوب الحياة ، وهو المطلوب .

(**و**) افتقار كل ما سواه إليه - جل وعلا - يوجب له - تعالى - (**عموم**) تعلق (**القدرة**) إذ لو انتفت القدرة عن كل الممكنات أو بعضها لاتصف بضدها وهو العجز ؛ لأن المحل القابل للشيء لا يخلو عنه ، أو عن مثله ، أو عن ضده ، ولكن اتصافه - تعالى - بالعجز محال ؛ لأنه لو كان عاجزًا لما افتقر إليه شيء ؛ لأن العاجز لا يوجد شيئًا ، ولا يفتقر إليه شيء ، ولكن نفي افتقار المخلوقات إليه - تعالى - محال ؛ لثبوت الافتقار إليه - تعالى - عقلاً ونقلاً ، فالافتقار إذن دليل على وجوب عموم تعلق القدرة ، وهو المطلوب (**و**) افتقار كل ما سواه إليه - تعالى - يوجب له عموم تعلق (**الإرادة**) إذ لو انتفت الإرادة لاتصف بضدها ، وهو الكراهة ؛ لأن المحل القابل للشيء لا يخلو عنه ، أو عن مثله ، أو عن ضده ، ولكن اتصافه - تعالى - بالكراهة محال ؛

---

(1) سقط من ح : (عنه) .

(2) سورة فاطر ، الآية 15 وتمامها قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ .

لأنه لو اتصف بالكراهة لما افتقر إليه شيء ؛ لأن الكاره لا يوجد شيئًا ولا يفتقر إليه شيء ، ولكن نفي افتقار المخلوقات إليه ـ تعالى ـ محال لثبوت الافتقار إليه ـ تعالى ـ عقلاً ونقلاً ، فالافتقار إذن دليل على وجوب عموم تعلق الإرادة وهو المطلوب ، **(و)** افتقار كل ما سواه إليه ـ تعالى ـ يوجب له تعلق **(العلم)** إذ لو انتفى العلم لاتصف بضده وهو الجهل ؛ لأن المحل القابل للشيء لا يخلو عنه ، أو عن مثله ، أو عن ضده ولكن اتصافه ـ تعالى ـ بالجهل محال ؛ لأنه لو اتصف بالجهل لما افتقر إليه شيء ، ولكن نفي افتقار المخلوقات إليه ـ تعالى ـ محال لثبوته له ـ تعالى ـ عقلاً ونقلاً فالافتقار إذن دليل على وجوب تعلق العلم وهو المطلوب ثم بين ـ رحمه الله ـ وجه استلزام الفقر لوجوب هذه الصفات بقوله : **(إذ لو انتفى شيء من هذه الصفات)** أي بعض شيء من هذه الصفات المذكورة **(لما أمكن أن يوجد ـ تعالى ـ شيئًا من الحوادث)** ؛ لاستحالة وجود المتوقف بدون المتوقف عليه ، وإذا كان انتفاء بعضها يوجب عدم إمكان وجود شيء من الحوادث فأحرى انتفاء جميعها وإذا لم يمكن منه وجود الفعل لانتفاء شيء من هذه الصفات **(فلا يفتقر إليه شيء)** أي لا يلزم أن يفتقر إليه شيء .

وبيان الملازمة أنه لا يُفتقر إلا لمن يمكنه أن يحصل ما يفتقر فيه ، وهذا على الفرض لا يحصله ، لكن كونه لا يُفتقر إليه باطل لما سبق من افتقار كل ما سواه إليه ، ولذا قال المصنف ـ رضي الله عنه ـ **(كيف)** يصح هذا **(وهو ـ جل وعلا ـ الذي)** شأنه ووصفه **(يفتقر إليه كل ما سواه)** ابتداء بالإيجاد ودوامًا بالإمداد قال جل من قائل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾[1] (و) افتقار كل ما سواه إليه ـ جل وعلا ـ **(يوجب أيضًا له ـ تعالى ـ الوحدانية)** أي كونه واحدا في ذاته ، وصفاته وأفعاله .

---

(1) سورة فاطر ، الآية 15 .

ثم بين ـ رضي الله عنه ـ وجه استلزام الافتقار لهذه الصفة بقوله : (**إذ لو كان معه**) أي الله ـ تعالى ـ (**ثان في الألوهية لما افتقر إليه شيء**) (**لـ**) أجل (**لزوم عجزهما**) أي الإلهين (**حينئذ**) أى حين فرضهما إلهين ، وتقدم وجه لزوم العجز في برهان الوحدانية لكن نفي الافتقار إليه ـ تعالى ـ محال لتقرره له عقلاً ونقلاً ، فالافتقار إذن دليل على وجوب الوحدانية له ـ تعالى ـ ، وهو المطلوب . ولذا قال ـ رضي الله عنه ـ (**كيف**) يصح هذا (**وهو الذي يفتقر إليه كل ما سواه**) ابتداء ودواما قال المصنف : والضمير في قوله للزوم عجزهما ؛ لدفع توهم أن إله العالم هو الذي يلزم عجزه لا الثاني المقدر ، مع أن عجز الإلهين معًا لازم لتعددهما ، وأفرد الضمير في لما افتقر إليه شيء ؛ لأن كلامه على إثبات إله واحد ولو ثناه لتوهم على أنه إثبات إلهين ويلزم على التوهم التناقض في كلامه ، ولقد أحسن ـ رضي الله عنه ـ في إفراد الضمير في قوله لما افتقر إليه .. إلخ ، وتثنيته في لزوم عجزهما ، وهو محسن في جميع أقواله وأفعاله ـ نفعنا الله بركاته ، وحشرنا معه في جناته ـ .

واندرج في افتقار كل ما سواه إليه ـ تعالى ـ ثلاث وستون عقيدة من الواجبات ، تسع عقائد من العشرين وهي الوحدانية ، والقدرة ، والإرادة ، والعلم ، والحياة ، وكونه ـ تبارك وتعالى ـ قادرًا ، ومريدًا ، وعالمًا ، وحيًا فهذه تسع صفات من صفات الذات والوحدانية ترجع إلى خمس صفات ، وهي نفي التعدد في الذات اتصالاً ، ونفي التعدد في الذات انفصالاً ، ونفي التعدد في الصفات اتصالاً ، ونفي التعدد في الصفات انفصالاً ، ونفي التعدد في الأفعال إيجادًا واختراعًا ، وزيد على الوحدانية أربع على الأصل ـ الجملة ثلاث عشرة وعقيدتان من صفات الصفات الواجبة للوحدانية كما تقدم وهي الاتصاف بالأزل ، والاستمرار ، ثنتين إلى ثلاث عشرة ـ الجملة خمس عشرة ، والعقائد الواجبة في حق القدرة ست : وهي الوجود ، والقدم ،

والبقاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس، والوحدانية، تقول قدرته موجودة، قدرته باقية .. إلخ السلبية والصفات الواجبة في حق الإرادة ست كذلك: العلم، والحياة، وكونه ـ تبارك وتعالى ـ قادرًا، ومريدًا، وعالمًا، وحيًا، ثمانية في ستة بثمانية وأربعين إلى خمسة عشر ـ الجملة ثلاث وستون وأضدادها المستحيلة كذلك ثلاث وستون، الجملة مائة وست وعشرون كلها مندرجة تحت الافتقار إلى مائة واثنتين وعشرين المتقدمة المندرجة تحت الاستغناء. وجملة ذلك مائتان وثمانية وأربعون، وأضف إلى ذلك عقائد الجائز في حقه ـ تعالى ـ وهي تسع؛ لأنها مندرجة تحت الاستغناء والافتقار، وهي أنه ـ تعالى ـ لا يجب عليه فعل، ولا ترك، ولا حكم، ولا يمتنع من الفعل، ولا الترك، ولا الحكم، بل يجوز في حقه الفعل، والترك، والحكم، أضف تسع عقائد إلى ما تقدم يصير مائتين وسبعًا وخمسين فيصير ذلك كله مندرجًا تحت لا إله إلا الله التي هي ثمن الجنة والمنقذة من المهالك دنيا وأخرى.

نسأله سبحانه بذاته العليا، وبأشرف الخلق عنده، وبحق هذه الكلمة المشرفة أن يحيينا عليها ويميتنا عليها، وأن يبعثنا[1] عليها، وأن يجعلنا من خيار أهلها بجاه سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

واعلم أن المصنف ـ رضي الله عنه ـ حيث بين ما يندرج من العقائد في الاستغناء والافتقار رأى أن يعبر عما هو واجب من العقائد بقوله يوجب، وما كان جائزًا يعبر عنه بيؤخذ كقوله ويؤخذ منه أن لا تأثير لشيء من الكائنات. انتهى من المقّري. **(ويؤخذ منه)** أي من افتقار كل ما سواه إليه تعالى **(حدوث العالم)** ـ بفتح اللام ـ وهو ما سوى مولانا ـ جل وعز ـ كما تقدم بيانه. **(بأسره)** أي بأجمعه فكأنه مأخوذ من سور المدينة؛ لأنه يحيط بها ثم بين وجه استلزام الافتقار لهذا بقوله **(إذ لو كان**

---

(1) في (ح): يثبتنا.

شيء منه) أي العالم (**قديما**) أي غير مسبوق بعدم (**لكان ذلك الشيء**) **واجب** الوجود لا يقبل العدم لا سابقًا ولا لاحقًا (**مستغنيًا عنه ـ تعالى ـ**) ، **إذ كونه لا يقبل** العدم لا سابقًا ولا لاحقًا دليل على عدم افتقاره إلى المخصص ، ولكن غنى شيء من الممكنات عنه ـ تعالى ـ محال ؛ لأنه لو استغنى ذلك الشيء لاستغنى الجميع ؛ إذ لا فرق بين ممكن وممكن ، ولكن استغناء الممكنات عنه ـ تعالى ـ محال لوجوب افتقار الجميع إليه عقلاً ونقلاً ، ولذا قال الشيخ ـ رضي الله عنه ـ : (**كيف**) يكون هذا (**وهو ـ جل وعلا ـ الذي يجب أن يفتقر إليه كل ما سواه**) ابتداء ودوامًا ، فوجب إذن الحدوث لكل ما سواه ـ جل وعلا ـ ، وإنما زاد المصنف ـ رضي الله عنه ـ لفظ يجب هنا دون سائر المواضع ؛ لوجود الخلاف ، قاله الشيخ المقري(1) فإن قيل : الشيخ ـ رضي الله عنه ـ يتكلم فيما يندرج من العقائد وهو الواجبات ، والمستحيلات ، والجائزات ، وحدوث العالم لم يتقدم له أنه من العقائد ، وإنما تقدم أنه دليل على وجود الله ـ سبحانه ـ أجيب بأنه من العقائد ، ومن معنى الوحدانية ، ولذا ذكره بأثره كما ذكر نفي تأثير غير الله ؛ لأنه من مقتضى وحدانية الأفعال ، كما أن نفي القدم عن العالم من مقتضى وحدانية الذات (**ويؤخذ منه**) أي من افتقار كل ما سواه إليه ـ جل وعلا ـ (**أن لا تأثير لشيء من الكائنات**) أي من الأسباب العادية ككون الطعام مشبعًا ، والماء مرويًا ، والنار محرقة ونحو ذلك (**في أثر ما**) : موصوف مع صفته أي تأثير كان ولو قل ؛ لأن ما لتأكيد القلة (**وإلا**) بأن فرض أن شيئًا من الكائنات مؤثر (**لزم أن يستغني ذلك الأثر**) أي المخلوقات الذي أثرت فيه الكائنات (**عن مولانا ـ جل وعز ـ**) ويفتقر لمن أثر فيه ؛ لأن الشيء يفتقر إلى من أوجده ولكن غنى شيء من الممكنات عنه ـ تعالى ـ محال ؛ لأنه لو استغنى شيء من الممكنات عنه ـ تعالى ـ لما افتقر إليه شيء ، إذ

---

(1) ينظر بغية الطالبين ، ورقة 97 .

لا فرق بين ممكن وممكن ، ولكن نفي افتقار الممكنات إليه - تعالى - محال ؛ لتقرره عقلاً ونقلاً ، ولذا قال - رضي الله عنه - (**كيف**) يصح ذلك (**وهو - جل وعلا الذي يفتقر إليه كل ما سواه عمومًا**) أي في جميع الذوات (**وعلى كل حال**) أي في جميع الصفات كذا أجاب - رضي الله عنه[1] - حين سئل عن ذلك ، أو عمومًا في جميع الأعراض والأجرام وعلى كل حال[2] ابتداء وانتهاء ، أو عمومًا ابتداء وعلى كل حال انتهاء ، أو عمومًا فيما قارنه سبب عادي كالشبع ، والري ، أو لم يقارنه سبب عادي كخلق السموات والأرض ، وعلى كل حالة أي حالة وجوده وحالة عدمه ، ولا يقال إن الممكن يستغني عن المؤثر إذا وجد ؛ لأن منشأ احتياجه إلى المؤثر على المذهب المختار كونه ممكنًا وهذا الوصف لا ينفك عنه مطلقًا فهو محتاج على كل حال - والله أعلم بمراد المصنف - .

انظر المقري والهدهدي[3] (**هذا**) أي أخذ عدم التأثير للأسباب العادية من الافتقار (**إن قدرت**) يا مخاطب (**أن شيئًا من الكائنات يؤثر بطبعه**) أي بحقيقة ذاته ، (**وأما إن قدرته مؤثرًا بقوة جعلها الله فيه**) ولو نزعها منه لم تؤثر ، فلا يؤخذ نفي التأثير على هذا الوجه من الافتقار ، وإنما يؤخذ من الاستغناء ، يحتمل أن تعود الإشارة على لزوم الاستغناء أي لزوم المذكور إن قدرت أن شيئًا من الكائنات يؤثر بطبعه ،

---

(1) قال الشيخ السنوسي في شرح أم البراهين ، ص 80 : (لا شك أنه لو خرج عن قدرته - تعالى - ممكن ما لم يكن ذلك الممكن مفتقرًا إليه - تعالى - بل إنما يفتقر لمن أوجده ، كيف وكل ما سواه مفتقر إليه غاية الافتقار اهـ) .

(2) (وعلى كل حال) : سقط من ح .

(3) ينظر : حاشية الشرقاوي على شرح الهدهدي ، ص 118 ، والهدهدي هو : محمد بن منصور من قرية من قرى مصر من قبائل إقليم البحيرة ، ويسمون عرب الهداهدة ، له شرح على السنوسية (ينظر : حاشية الشرقاوي ، ص 2) .

وأما إن قدرته مؤثرًا بقوة جعلها الله فيه فلا يستغني ذلك الأثر عن مولانا ـ جل وعز ـ وقوله (**كما يزعمه**) أي يعتقده (**كثير من الجهلة**) أي جهلة المؤمنين قال ابن دهاق في شرح الإرشاد ، وقد تبع الفيلسوفي على هذا الاعتقاد كثير من عامة المؤمنين[1] فمن اعتقد أن الأشياء تؤثر فيما قارنها بطبعها فلا خلاف في كفره ، ومن اعتقد أنها تؤثر بقوة جعلها الله فيها فهو فاسق مبتدع وفي كفره قولان حكاهما ابن دهاق في شرح الإرشاد ، وأما المؤمن المحقق الإيمان من لم يسند لها تأثيرًا البتة لا بطبعها ، ولا بقوة أودعت فيها ، وإنما مولانا ـ جل وعز ـ أجرى العادة بمحض اختياره أن يخلق تلك الأشياء عندها : أي مقارنتها لا بها ، فهذا بفضل الله ينجو من جميع مهالك الدنيا والآخرة ، قاله المصنف[2] ـ رضي الله عنه ـ . ولهذا رد على القدرية القائلين بتأثير القدرة الحادثة مباشرة ، أو تولدا[3] يبطل[4] مذهب الطبائعيين القائلين بتأثير الطبائع والأمزجة ونحوها ككون الطعام مشبعًا ، والماء مرويًا ومنبتًا إلى غير ذلك مما لا ينحصر . وقوله (**فذلك**) أي فرض التأثير لها بقوة جعلها الله فيها (**محال أيضًا**) ، لا يتصور في العقل وجوده .

ثم بين وجه استحالته بقوله : (**لأنه**) أي الأمر والشأن (**يصير حينئذ**) : أي حين فرض أنها تؤثر بقوة جعلها الله فيها . (**مولانا ـ جل وعز مفتقرًا**) : أي محتاجًا

---

(1) ينظر : شرح الشيخ السنوسي ، ص 81 ، وابن دهاق هو : إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي ، يكنى أبا إسحاق ويعرف بابن المرأة ، له شرح الإرشاد لأبي المعالي ، وشرح الأسماء الحسنى ، وشرح محاسن المجالس ، توفي سنة 610هـ ، (ينظر : الديباج المذهب ، ص 147) .

(2) ينظر : شرح أم البراهين للسنوسي ، ص 81 .

(3) التولّد : هو أن يوجد فعل لفاعله فعلاً آخر نحو حركة اليد والمفتاح ، (ينظر : المواقف للأيجي ، ص 316).

(4) العبارات غير متجانسة ، وكلام السنوسي في شرحه ص 80 : (وهذا يبطل مذهب القدرة ... ويبطل مذهب الطبائعيين) وهو واضح .

(**في إيجاد بعض الأفعال إلى واسطة**) ، وهي القوة التي تُخلق في النار ونحوها من الأسباب العادية (**وذلك**) أي افتقاره ـ تعالى ـ إلى واسطة (**باطل**) : وهو ضد الحق ، ويحتمل أن يكون باطل بمعنى منتف ، ثم بين وجه بطلانه بقوله (**لما عرفت**) يا مكلف (**قبل**) بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة (**من وجوب استغنائه ـ جل وعز ـ عن كل ما سواه**) فحيث ما ثبت له الغنى المطلق استحال افتقاره مطلقًا ، والله أعلم . وهذا المعنى الذي تضمنه هذا النص داخل في الوحدانية كما قدمنا بيانه قريبًا ، وإنما أعاده المصنف وخصه بالذكر ، لزيادة بيان وإيضاح ولما ذكره في تفصيل مذهب الطبائعيين ومن تبعهم ـ والله أعلم ـ قاله المقري[1] . وإذا فهمت ما سبق (**فقد**) للتحقيق (**بان**) أي ظهر (**لك**) أيها الطالب (**تضمن**) معنى (**قول لا إله إلا الله**) التضمن يطلق لغة على إفهام الكلمة بمعنى أعم من أن يكون ذلك المعنى طبق الكلمة ، أو جزأها ، أو خارجًا عنها ، وفي اصطلاح المناطقة : هو دلالة اللفظ على جزء مسماه ، والظاهر أن الشيخ ـ رضي الله عنه ـ أراد به هذا المعنى اللغوي لا المعنى المنطقي ، فحيث إن دلالة هذه الكلمة على المعاني الثلاثة مفهوم له ، فدلالة الكلمة على الاستغناء والافتقار مطابق ، وعلى أحدهما تضمن ، وعلى سائر العقائد التزام ، فالمطابق : فهمُ المعنى من اللفظ ، والالتزام : فهم اللازم في ضمن[2] الملزوم وانظر المقرّي فقوله (**للأقسام الثلاثة**) المتقدم ذكرها أول الكتاب (**التي يجب على المكلف معرفتها في حق مولانا ـ جل وعز ـ**) أي الأقسام الثلاثة وهي (**ما يجب له**) ـ تعالى ـ (**وما يستحيل وما يجوز**) وبيان تضمنها للأقسام الثلاثة : أنها لما استلزمت نفي ضد ذلك ؛ لأن المستلزم ثبوت شيء مستلزم لنفي ضده ضرورة ، ويبقى ما عدا

---

(1) ينظر بغية الطالبين ، ورقة 99 .

(2) في (ح) : من ضمن ، وفي (م) : في تضمن .

ذلك لا يحكم عليه بنفي ولا ثبوت ، وهو معنى الجائز قاله الزناتي[1] بواسطة . ولا خفاء في صدق كلام الشيخ - رضي الله عنه - [(وتتبع كلام الشيخ بالاستقراء يشهد لذلك ، وليس الخبر كالعيان . انتهى . ولما فرغ - رضي الله عنه -][2] من ذكر ما استلزمه صدر كلمة التوحيد ، وهو لا إله إلا الله ، أخذ يذكر ما يستلزمه عجز كلمة التوحيد ، وهو محمد رسول الله فقال : (**وأما قولنا محمد رسول الله**) يعني أن قول المؤمن محمد رسول الله ، يدخل فيه ما سيذكره الشيخ ، إذ قوله[3] موافق اعتقاده ، ويدل عليه قول الشيخ : قولنا معشر المؤمنين كقول العلامة ابن مالك في الخلاصة : (كلامنا)[4] أريد به النحاة ، وأما مجرد القول من غير نظر إلى مطابقة الاعتقاد فلا يستلزم ما سيذكره الشيخ - رضي الله عنه - قاله ابن خدة[5] (**فيدخل فيه**) أي في قول محمد رسول الله (**الإيمان**) - بكسر الهمزة - أي التصديق (**بسائر**) أي جميع (**الأنبياء**)، من السور المحيط بالبلد ، وفسرنا سائر بمعنى جميع تبعًا للجوهري وغيره من علماء اللغة[6] ، ويصح تفسيره بالباقي من السؤر - بالهمزة - بمعنى البقية ، إذ هو المألوف في كلامهم قاله الحريري في درة الغواص[7] ومعنى الإيمان بالأنبياء التصديق بوجودهم وبرسالتهم ، وأنهم عباد من البشر أكرمهم الله بهذه المرتبة التي لا يصل أحد إليها ،

---

(1) ينظر : بغية الطالبين ورقة 100 ، والزناتي هو محمد بن سالم بن حسن البطرني الزناتي ، من تلاميذه الرصاع ، توفي سنة 848هـ ، ينظر : كفاية المحتاج ، ص 412 .

(2) ما بين المعقوفتين ساقط من (ح) .

(3) في (ح) : إذا كان قوله .

(4) يشير إلى قوله في الألفية : كلامنا لفظ مفيد كاستقم ** واسم وفعل ثم حرف الكلم ، (ينظر : شرح ابن عقيل على الألفية ، 1/ 17) .

(5) ينظر حاشية الشرقاوي ، ص 119 .

(6) في مختار الصحاح ، ص 355 (مادة سير) : سائر الناس : جميعهم .

(7) ينظر : درة الغواص في أوهام الخواص ، ص 10 .

معصومون من الهوى ، والمخالفة ، أولهم آدم وآخرهم محمد ـ صلى الله وسلم عليه ـ وعليهم أجمعين ، والأنبياء جمع نبي مأخوذ من النبوة ـ بفتح النون ـ وهو ما ارتفع من الأرض ؛ لأن مرتبتهم مرتفعة عند الله على رتبة غيرهم من البشر ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ ، أو من النبأ بالهمزة وهو الإخبار ؛ لأنه مخبر عن الله ـ تعالى ـ بما أوحى إليه ، وبها قرئ في السبع انتهى[1] . وهذا هو المشهور المتعارف بين الناس . انتهى باختصار من الزناتي بواسطة[2] وحقيقة النبي : إنسان أوحى الله إليه بشرع ، ولم يؤمر بالتبليغ ، فإن أمر به فرسول ، وهذا هو الفرق بينهما . وعدة الأنبياء والرسل على القول به تقدم في صدر الكتاب[3] فلا حاجة لإعادته هنا ، وألسنتهم ثلاثة : سريانية ، وعبرانية ، وعربية ، فالسريانيون : نوح ، ويونس ، ولوط ، وإبراهيم ، والعبرانيون : يعقوب وأولاده ، والعرب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإسماعيل ، وهود ، وصالح ، وشعيب . ونظم أسماء العرب شيخ مشايخنا علي الأجهوري ـ بضم الهمزة ـ فقال :

محمد إسماعيل هود وصالح   شعيب هم العرب الكرام كذا ورد[4]

وقد تقدم أن السريانيين خمسة : إدريس ، ونوح ، وإبراهيم ، ولوط ، ويونس ، ويبقى النظر في آدم ، وظاهر كلامهم أنه ليس بسرياني ولا عبراني ، وقولهم : إن العبرانيين بنو إسرائيل يفيد أنه ليس بسرياني والذي يظهر أنه سرياني ويجري مثل هذا النظر في إسحاق ونحوهما وقد نظمت الخمسة المذكورة فقلت[5] :

---

(1) قال النسفي : وبالهمزة نافع ، (ينظر : تفسير النسفي ، 2/ 292) .

(2) ينظر بغية الطالبين ، ورقة 101 .

(3) في ص 172 من هذا البحث .

(4) ينظر : بغية الطالبين ، ورقة 102 .

(5) أي من بحر الطويل .

ومنهم عبراني من غير مرية[1] وذلك يعقوب الكريم وما ولد

ومنهم سرياني نوح ويونس ولوط وإدريس وإبراهيم يعد

وكلهم من نسل يعقوب إلا آدم ، وشيت ، وإدريس ، ونوح ، وصالح ، وهود ، ولوط ، ويونس ، وإبراهيم ، وإسحاق ، ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ . انظر حاشية الأجهوري على الرسالة[2] قلتُ وكذا إسماعيل ، ولم يكن من أولاد يعقوب . وأسماء الأنبياء كلهم غير منصرفة ، إلا ستة يجمعها قوله (صن شمله) أي من في أوله حرف من هذه الأحرف ، وهو صالح ، ونوح ، وشعيب ، ومحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ولوط ، وهود . ومذهب[3] أهل الحق أن الذكورية شرط في النبوة ، وكذا الحرية ، وقد اختلف في نبوة أربع نسوة : مريم ، وآسية ، وسارة ، وهاجر ، والصحيح لسن بأنبياء وقد اختلف في نبوة الإسكندر الرومي ، والحق أنه ملك عادل مؤمن[4] وكذلك لقمان ، والحق أنه ولي حكيم تتلمذ لألفي نبي ، وقد تقدم هذا الكلام[5] ، وإنما أعدناه لزيادة بيان ، ويدخل في قوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الإيمان بسائر (**الملائكة**) ومعنى الإيمان بهم التصديق بوجودهم ، وأنهم عباد مكرمون ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[6] والملائكة جمع ملَك ـ بفتح اللام ـ وهو مِن خَلق روحاني لا يأكل ولا يشرب ، فهم أجسام لطيفة نورانية تظهر في صور مختلفة ، وتقدر على أفعال شاقة لا يقدر عليها البشر وبالجملة فهم عند الجميع عباد مكرمون

---

(1) (من غير مرية) : سقط من (ح) .

(2) ينظر : بغية الطالبين ، ورقة 102 .

(3) ينظر : شرح المقاصد ، 5/ 61 .

(4) ينظر : تفسير القرطبي 11/ 48 .

(5) في ص 283 من هذا البحث .

(6) سورة التحريم ، الآية 6 .

مواظبون على الطاعة ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[1] وهم أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة مسكنها السموات كما ثبت في الأحاديث الصحيحة ، ولا يجوز عليهم الذنب في حالة من الحالات ، بل هم معصومون : الرسل منهم وغير الرسل ، ولا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة ، أما الأنوثة فمنعها الإجماع ، لقوله - تعالى - ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾[2] الآية ، وأما الذكورة فلعدم السمع بذلك ، وأيضًا لو كانوا ذكورًا لكان فيهم إناث عملاً بالمعتاد من الحكمة في حق غيرهم ، ولو كان لهم إناث فإما من جنسهم وذلك باطل ، وإما من غيرهم فأبين ، انظر الزناتي[3] . وأما إبليس فلم يكن من الملائكة ، وإنما كان من الجن ففسق عن أمر ربه كما قال - تعالى - : ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾[4] وعليه فالاستثناء في الآية منقطع ، وهو الراجح عندهم ، وأما هاروت وماروت فقال القرطبي[5] : من اعتقد أنهما يعذبان بأرض الهند لأجل خطيئتهما مع الزهرة فهو كافر ؛ لأنهم رسل الله وخاصته ، يجب تعظيمهم وتوقيرهم وتشريفهم على كل ما يخل بعظيم قدرهم ، قال السراج البلقيني : لم يصح فيهما خبر وقال ابن حجر[6] : للقصة طرق كثيرةٌ ، جمعتها في جزء يكاد الواقف عليه يقطع بوقوعها لكثرة الطرق الواردة فيها وقوة مخارج أكثرها ، بل قال القاضي : إن ذلك منقول من كتب اليهود الذين بدلوا وغيروا في الأنبياء لما لا يليق بهم ، فلا يلتفت إلى شيء من ذلك ، ولا

---

(1) سورة التحريم ، الآية 6 .

(2) سورة الزخرف ، الآية 19 .

(3) ينظر بغية الطالبين ، ورقة 102 .

(4) سورة الكهف ، الآية 50 .

(5) ينظر : تفسير القرطبي ، 2/ 53 .

(6) ينظر : فتح الباري ، 10/ 225 ، وعمدة المريد ، ورقة 399 .

تسود الصحف به إلا لقصد التحرير ومن تكلم في شأنهما وأنهما جرى لهما مع الزهرة ما جرى فهو كافر انتهى[1] وقال الشيخ الجزائري في منظومته في علم التوحيد[2] .

كذاك عصمة ما الله من ملك حديث هاروت مع ماروت غير جل

أي غير ظاهر مشبهًا على عصمة الأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين - انتهى . ومقتضى شارح الشيخ خليل في باب الرد عند قوله : أو سَبَّ نبيًا ، أو ملكًا قالوا نبيًا مجمعًا على نبوته[3] ، احترازًا مما لم يجمع على نبوته كخالد بن سنان[4] الذي قيل : إنه نبي أهل الرس[5] ، أو ملكًا أي مجمعًا على ملكيته ، احترازًا مما لم يجمع على ملكيته كهاروت وماروت ، فإنما عليه الأدب فقط .

فانظر هذا مع كلام القرطبي[6] فيما نقل عنه أبو الحسن ، وكلام القاضي عياض ومقتضى قول الجزائري ، وشارح العقيدة الإمام السنوسي : من أن من تكلم في شأنهما وأنهما جرى لهما مع الزهرة ما جرى[7] أنه كفر . قلت الوقف أسلم - والله أعلم - .

---

(1) قال القاضي عياض في الشفا - 2/ 202 : (إن هذه الأخبار ، أي التي نقلها المفسرون لم يرد منها شيء ، لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وليس هو شيئًا يؤخذ بالقياس ، والذي في القرآن اختلف المفسرون في معناه وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف ... وهذه الأخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نص الله أول الآيات عن افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم إياه) .

(2) عقيدة أهل التوحيد لأبي عبد الله الجزائري مخطوط رقم 1304 بمكتبة الأزهر الشريف ورقة رقم 10 .

(3) ينظر بلغة السالك ، 2/ 418 .

(4) خالد بن سنان هو : خالد بن سنان العبسي ، حكيم من أبناء العرب ، كان يدعو الناس في أرض عيسى إلى دين عيسى ، وفدت ابنته إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فبسط لها رداءه وأجلسها عليه ، (الأعلام ، 2/ 296) .

(5) الرَّسُّ في التنزيل : بئر ، والرس : الركية التي لم تُطو ، والرَّس - بفتح أوله وتشديد ثانيه - وادٍ بنجد ، والرس المذكور في التنزيل بناحية صيْهد من أرض اليمن (ينظر معجم ما استعجم للبكري ، 2/ 562 الراء والسين) .

(6) ينظر : تفسير القرطبي ، 2/ 52 .

(7) (ما جرى) : سقط من م و د .

واعلم أن الملائكة لا يأكلون ، ولا يشربون ، ولا يتزوجون ، ولا يتغوطون ، ولا يحصي عددهم إلا الله ، والدليل على كثرتهم قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ **"يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار"**[1] وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ **"لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيرًا ، أطت[2] السماء وحق لها أن تئط ما من موضع قدم فيها إلا وفيه ملك ساجد لله ـ عز وجل ـ"**[3] وأيضًا **"للباري بيت معمور يطوف به في كل يوم سبعون ألف ملك ، إلى يوم القيامة ، لا يعودون إليه"**[4] . انتهى .

الإيمان بالكتب السماوية

(و) في قولنا محمد رسول الله أيضًا الإيمان بسائر (**الكتب السماوية**) ، أي التصديق بأن الله أنزلها ، وهي كلامه ، معبر بها عن كلامه القديم الأزلي المنزه عن الحروف والأصوات ، ومعنى كونها سماوية أنها أتت بها الملائكة من جهة السماء الذي هو من جهة الملائكة ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ينزلون بها من جهتهم للأرض التي هي مقر[5]

---

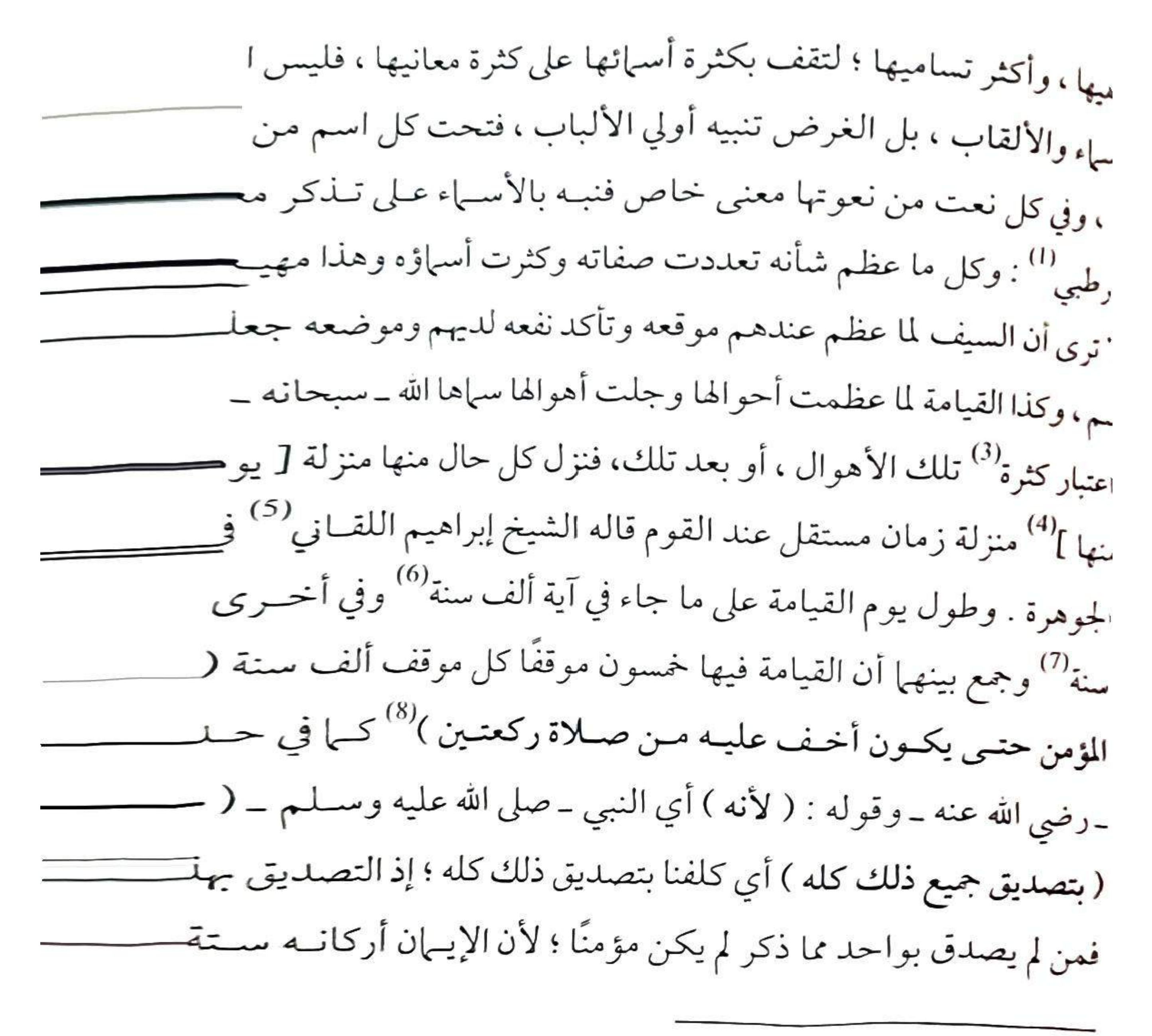
(1) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة العصر عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ 2/ 33 ، ومسلم في صحيحه بشرح النووي ، كتاب المساجد ، 5/ 133 .

(2) قال ابن الأثير في النهاية ، 1/ 54 ، (الأطيط : صوت الأقتاب ، وأطيط الإبل : أصواتها وحنينها ، أي أن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطت ، وهذا مثل وإيذان بكثرة الملائكة وإن لم يكن ثم أطيط ، وإنما هو كلام تقريب أريد به عظمة الله تعالى) .

(3) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري ، كتاب الرقاق ، عن أبي هريرة وأنس ـ رضي الله عنهما ـ 11/ 319 ، والترمذي في سننه ، كتاب الزهد عن أبي هريرة ، 4/ 289 .

(4) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة ـ رضي الله عنهما ـ 2/ 225 ، بلفظ : (يدخله كل يوم سبعون ألف ملك) .

(5) في ح : (من جهة) .



ميها ، وأكثر تساميها ؛ لتقف بكثرة أسمائها على كثرة معانيها ، فليس ا
سماء والألقاب ، بل الغرض تنبيه أولي الألباب ، فتحت كل اسم من
، وفي كل نعت من نعوتها معنى خاص فنبه بالأسماء على تذكر مع
رطبي[1] : وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه وهذا مهيـ
ترى أن السيف لما عظم عندهم موقعه وتأكد نفعه لديهم وموضعه جعل
سم ، وكذا القيامة لما عظمت أحوالها وجلت أهوالها سماها الله ـ سبحانه ـ
اعتبار كثرة[3] تلك الأهوال ، أو بعد تلك، فنزل كل حال منها منزلة [يو
منها][4] منزلة زمان مستقل عند القوم قاله الشيخ إبراهيم اللقاني[5] في
الجوهرة . وطول يوم القيامة على ما جاء في آية ألف سنة[6] وفي أخرى
سنة[7] وجمع بينهما أن القيامة فيها خمسون موقفًا كل موقف ألف سنة (
المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة ركعتين)[8] كما في حد
ـ رضي الله عنه ـ وقوله : (**لأنه**) أي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (
(**بتصديق جميع ذلك كله**) أي كلفنا بتصديق ذلك كله ؛ إذ التصديق بهذ
فمن لم يصدق بواحد مما ذكر لم يكن مؤمنًا ؛ لأن الإيمان أركانه ستة

---

(1) التذكرة في أحوال الآخرة ، ص 183 ، مع اختلاف بعض ألفاظها .

(2) أي لغتهم الواضحة الواسعة ، ينظر : القاموس المحيط ، 3/ 89 مادة (مهع) .

(3) (كثرة) : سقط من ح .

(4) ما بين المعقوفين سقط من (ح) .

(5) ينظر بغية الطالبين ، ورقة 104 .

(6) في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ سورة السجدة ،

(7) في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ سورة المعارج ، الآ

(8) رواه أحمد في مسنده ، عن أبي سعيد الخدري ، 3/ 75 ، بلفظ (حتى يكون أخف ع
يصليها في الدنيا) ، وأبو يعلى في مسنده عن أبي سعيد بلفظ أحمد ، 2/ 527 .

ابن آدم ، والحق ـ سبحانه ـ يستحيل عليه الجهات ، وقيل وصفت بالسماوية لسموها وارتفاعها قاله أبو علي والمقري[1] . وتقدم عددها وعلى من نزلت في صدر الكتاب[2] .

الإيمان باليوم الآخر

(و) يدخل في قولنا محمد رسول الله أيضًا الإيمان (**باليوم الآخر**) أي التصديق به وبما اشتمل عليه من البعث لعين هذا الجسد لا لمثله ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾[3] والصراط ، والميزان ، والحوض ، والشفاعة ، ونحوه[4] وغيره مما يطول تتبعه مما هو مفصل في الكتاب والسنة وتواليف الشرائع ، واليوم الآخر : يوم القيامة : وهو من نفخة البعث إلى الاستقرار في إحدى الدارين ـ اللهم اجعلنا من أهل الجنة بجاه سيد الأولين والآخرين ـ وسمى آخرا إذ لا ليل بعده وله أسماء كثيرة تنيف[5] على المائة ، منها يوم القيامة ، يوم الحسرة ، ويوم الندامة ، ويوم الحاقة ، ويوم المحاسبة ، ويوم المناقشة ، ويوم القصاص ، ويوم الرادفة ، ويوم المآب ، ويوم الحساب . إلى غير ذلك ، قال حجة الإسلام الغزالي[6] وصف ـ سبحانه ـ بعض

---

(1) ينظر بغية الطالبين ، ورقة 103 .

(2) في ص 173 من هذا البحث .

(3) سورة الأنبياء ، الآية 104 .

(4) في ح : (ونحوها) .

(5) تنيف : تزيد ، ينظر مختار القاموس ، ص 625 مادة (نوف) .

(6) نقل ابن حجر أن الغزالي جمعها ثم القرطبي فبلغت نحو ثمانين اسما فمنها يوم الجمع ، ويوم الفزع الأكبر ، ويوم التناد ، ويوم الوعيد ، ويوم الحسرة ، ويوم التلاق ... فإذا ضمت هذه إلى ما ذكر في الأصل كانت أكثر من ثلاثين اسما ، معظمها ورد في القرآن بلفظه ، وسائر الأسماء المشار إليها أخذت بطريق الاشتقاق (بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم ، 2/ 656) ، والغزالي هو : أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الفيلسوف الصوفي الشهير الإمام المجتهد ، له تآليف عدة أشهرها : إحياء علوم الدين ، توفى سنة 505هـ (ينظر الأعلام ، 7/ 22 ، ومعجم المؤلفين ، 11/ 266 ، ومعجم المفسرين ، 2/ 612) .

دواهيها ، وأكثر تساميها ؛ لتقف بكثرة أسمائها على كثرة معانيها ، فليس المقصود كثرة الأسماء والألقاب ، بل الغرض تنبيه أولي الألباب ، فتحت كل اسم من أسماء القيامة سر ، وفي كل نعت من نعوتها معنى خاص فنبه بالأسماء على تذكر معانيها . قال القرطبي[1] : وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته وكثرت أسماؤه وهذا مهيع[2] العرب ، ألا ترى أن السيف لما عظم عندهم موقعه وتأكد نفعه لديهم وموضعه جعلوا له خمسمائة اسم ، وكذا القيامة لما عظمت أحوالها وجلت أهوالها سماها الله ـ سبحانه ـ بأسماء كثيرة باعتبار كثرة[3] تلك الأهوال ، أو بعد تلك، فنزل كل حال منها منزلة [يوم ، وكل هول منها][4] منزلة زمان مستقل عند القوم قاله الشيخ إبراهيم اللقاني[5] في شرحه على الجوهرة . وطول يوم القيامة على ما جاء في آية ألف سنة[6] وفي أخرى خمسين ألف سنة[7] وجمع بينهما أن القيامة فيها خمسون موقفًا كل موقف ألف سنة (**ويخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة ركعتين**)[8] كما في حديث أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ وقوله : (**لأنه**) أي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (**جاء**) أي أتى (**بتصديق جميع ذلك كله**) أي كلفنا بتصديق ذلك كله ؛ إذ التصديق بهذا مكلفون به ، فمن لم يصدق بواحد مما ذكر لم يكن مؤمنًا ؛ لأن الإيمان أركانه ستة : الإيمان بالله

---

(1) التذكرة في أحوال الآخرة ، ص 183 ، مع اختلاف بعض ألفاظها .

(2) أي لغتهم الواضحة الواسعة ، ينظر : القاموس المحيط ، 3/ 89 مادة (مهع) .

(3) (كثرة) : سقط من ح .

(4) ما بين المعقوفين سقط من (ح) .

(5) ينظر بغية الطالبين ، ورقة 104 .

(6) في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ سورة السجدة ، الآية 5 .

(7) في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ سورة المعارج ، الآية 4 .

(8) رواه أحمد في مسنده ، عن أبي سعيد الخدري ، 3/ 75 ، بلفظ (حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا) ، وأبو يعلى في مسنده عن أبي سعيد بلفظ أحمد ، 2/ 527 .

الناس فعلاً وعلمه ، وسكت عنه ، ولم ينكر على الفاعل فيستدل من سكوته على أنه جائز ؛ لأن[1] فعله إن كان من جنس العبادة فمطلوب ، إما وجوبًا ، أو ندبًا ، وإن كان من غير جنس العادة فمباح ، ووجه الحجة في السكوت أنهم - عليهم الصلاة والسلام - لا يقرون أحدا على الباطل ، وقد حكى القاضي عياض الإجماع على ذلك[2] واستدل به على عصمتهم من الصغائر ؛ لأن الإقرار على المحرم محرم ، وهم - عليهم الصلاة والسلام - معصومون من ذلك ، سواء رآه فأقره أو بلغه فلم يغيره ، وهذا قول الجمهور[3] وإن كان في المسألة مذاهب . وإنما كان الإقرار دليلاً على الجواز مطلقًا ؛ لأن من خصائص الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - تغيير المنكر بغير شرط بخلاف غيره فإنه إذا خشي على نفسه سقط عنه ، فالسكوت دليل على الجواز المطلق ، وإن غير مستبشر ؛ لأنه معصوم . انظر الهدهدي والمقري[4] . وإذا كانوا أرسلوا ليعلموا الخلق بأقوالهم ، وأفعالهم ، وسكوتهم (**فيلزم ألا يكون في جميعها**) أي أقوالهم ، وأفعالهم ، وسكوتهم (**مخالفة لأمر مولانا - جل وعز -**) بل هي موافقة لأمره - تعالى - إذ لو كانت مختلفة لزم أن يكون الفعل الواحد مأمورًا به منهيًا عنه ، وذلك باطل وقوله (**الذي اختارهم**) أي فضلهم واصطفاهم للرسالة (**على جميع خلقه**) ، فاختيار المولى الرسول للرسالة يستلزم وصفه بالصدق ، والأمانة ؛ لأنهما وصفا كمال[5] ، ولا يختار - تعالى - إلا الكمال ؛ لأن علمه محيط بكل شيء على ما هو عليه ، فيلزم أن لا يكون إلا

---

(1) في (ح) : على (أن) .

(2) فقد قال في الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، 2/ 167 : (لا خلاف أنهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ ؛ لأن كل ذلك تقتضي العصمة منه المعجزة مع الإجماع على ذلك من الكافة) .

(3) ينظر : حاشية الشرقاوي على شرح الهدهدي ، ص 124 ، والمواقف للإيجي ، ص 358-366 .

(4) ينظر بغية الطالبين ، ورقة 106 .

(5) في (ح) : بكمال .

ما علمه ـ سبحانه وتعالى ـ وذلك يوجب استحالة ضديهما[1] . انظر المقري . ويؤخذ من قوله اختارهم على جميع خلقه : تفضيل جميع الأنبياء على جميع الملائكة ، وهو مذهب الأشاعرة ، فالأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ أفضل من الملائكة ، والملائكة ولو غير الرسل أفضل من غير الأنبياء من البشر ، ولو كان وليا كأبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ ، هذا ما قاله جمهور أصحابنا الأشاعرة[2] تمسكًا بقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ ﴾[3] أمرهم بالسجود تعظيمًا له ، فلو لم يكن آدم أفضل لما أمروا بالسجود له ؛ لأن الحكيم لا يأمر الأفضل بخدمة المفضول ، وذهبت الماتريدية إلى التفصيل ، فقالوا : رسول البشر كموسى أفضل من رسل الملائكة كجبريل ، ورسل الملائكة كإسرافيل أفضل من عامة البشر ، وهم أولياء ، وهم غير الأنبياء ، كأبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ وعامة البشر أفضل من عامة الملائكة ، وهم غير الرسل منهم كحملة العرش والكروبيين والمراد بعامة البشر صلحاؤهم غير الفسقة ، وأما الفسقة فالملائكة أفضل منهم قطعًا . ونص الآمدي والبيضاوي الخلاف على الملائكة العلوية[4] ، وأما السفلية فلا خلاف أن الأنبياء أفضل منهم ، وهذا الخلاف فيما عدا سيدنا ومولانا محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأما هو فلا خلاف أنه أفضل الخلق على الإطلاق من غير خلاف ، وإنما الخلاف في غيره . وممن حكى هذا الإجماع فخر الدين والآمدي ، وغيرهما ـ والله أعلم ـ انظر شرح الشيخ إبراهيم اللقاني على الجوهرة[5] .

---

(1) في (ح) : كذبهما .

(2) ينظر الأربعين للرازي ، 189 ، والمواقف ، ص 367 .

(3) سورة الإسراء ، الآية 61 .

(4) انظر المواقف للأيجي ، ص 367 .

(5) ينظر : عمدة المريد ، ورقة 374 .

تتمة : أولو العزم من الرسل أفضل من بقية الرسل ، ثم بقية الرسل أفضل من الأنبياء غير الرسل ، واختلف العلماء فيمن يليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أولي العزم ، والذي اختاره[1] الحافظ ابن حجر أنه ورد أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ خير البرية بعد نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالإجماع ، فيكون أفضل من موسى ، وعيسى ، ونوح ـ عليهم السلام ـ ثم الثلاثة بعد إبراهيم أفضل من سائر الأنبياء والرسل ، قال : ولم أقف على نقل أيهم أفضل من الباقي ، والذي ينقدح في النفس تفضيل موسى ، ثم عيسى ، ثم نوح ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ، قال بعض شيوخ شيخنا السنهوري لعل تقديم موسى ـ عليه السلام ـ على من بعده لتفضيله بسماع كلام الله ، ثم عيسى ـ عليه السلام ـ لأنه كلمة الله . انتهى من شرح الجوهرة للشيخ إبراهيم اللقاني[2] **(وأمّنهم)** ـ بتشديد الميم ـ مبالغة في الأمانة ، أي جعلهم أمناء **(على سرّ وحيه)** فلو علم ـ سبحانه ـ منهم ضد ذلك لما أمّنهم عليه ـ والله أعلم ـ . فإن قيل : الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ذكر هنا الواجب والمستحيل معًا اللذين هما الصدق والكذب ، ولم يفعل ذلك في الواجبات المتقدمة ، بل اكتفى فيها بالواجب ، وهو يستلزم استحالة ضده ، فيقال ـ والله أعلم ـ لما كان مدار الرسالة على الإخبار عن الله ـ تعالى ـ فاحتاج إلى ذكر عوارض الخبر بالمطابقة لم يكتف بدليل الالتزام احتياطًا في الأمر ، وإنما لم يذكر الواجب الذي هو الأمانة واكتفى بذكر استحالة ضدها ؛ لمناسبة عطف المستحيل على المستحيل ، ولأن استحالة فعل المنهيات تشمل الخيانة ، واستحالة الكتمان معًا ، ويلزم من ذلك أن مقابلهما الذي هو الأمانة والتبليغ واجبان فقد أتى ـ رحمه الله ـ بلفظ يشمل مستحيلاً ، ويدل على واجبين ، فكان أتم أن لو ذكر الواجبين على انفرادهما ـ والله أعلم ـ قاله أبو علي

---

(1) ينظر حاشية البيجوري ، ص 119-118 .

(2) ينظر : عمدة المريد ، ورقة 306 .

بواسطة[1] ، والحاصل أن رسالتهم وإضافتهم إلى الله أثبتت صدقهم ، وعدم كذبهم ، وذلك يثبت أمانتهم ، وأمانتهم تثبت عدم تلبسهم بمحرم أو مكروه ، ومن جملة المحرم كتمانهم ، وإذا استحال الكتمان تعين التبليغ فحصلت المطالب الثلاثة فافهم ذلك تصب انتهى . (**ويؤخذ منه**) أي من قولنا محمد رسول الله (**جواز الأعراض البشرية عليهم ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ**) الألف واللام في الأعراض للعهد ، والأعراض المعهودة المتقدم ذكرها والمراد بالأعراض البشرية[2] : التي ليست بواجبة في حقهم ، وهي الصدق ، وما عطف عليه ، ولا مستحيلة وهي أضدادها ، وما عدا ذلك هو الجائز ، إذ لا ينافي الرسالة فسيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أضفنا له الرسالة ، ولم نضف له الألوهية ، حتى لا تكون الأعراض البشرية في حقه محالاً ، قال : ولا أضفنا له أنه من الملائكة حتى لا يكون أنه لا[3] يتعاطى الأعراض البشرية بل إنه بشر رسول مفضل بالرسالة لا يمتنع في حقه إلا ما ينافي الرسالة ، وهذه الأعراض لا تنافيها . انظر أبا علي . ثم بين وجه استلزام قول المؤمن محمد رسول الله جواز الأعراض البشرية بقوله (**إذ ذلك**) أي جواز الأعراض البشرية ووقوعها بهم (**لا يقدح**) أي ينقصهم (**في رسالتهم**) أي (**و**) لا يقدح في (**علو منزلتهم عند الله ـ تعالى ـ**) . ولما ذكر ـ رضي الله عنهم ـ أن تلك الأعراض لا تقدح في رسالة الرسل ولا في علو منزلتهم فهم منه أنها إذا لم تقدح في ذلك فهي تزيد فيه فانتقل ـ رضي الله عنه ـ من دلاله المفهوم إلى دلالة المنطوق[4] ؛ إذ هي أقوى وأبلغ من دلالة المفهوم فقال (**بل**

(1) ينظر : بغية الطالبين ، ورقة 107 .

(2) (البشرية) : سقط من ح .

(3) (لا) : سقط من ح .

(4) المنطوق هو ما دل عليه اللفظ في محل النطق مثل : (الغنم السائمة تجب فيها الزكاة) دل بلفظه على وجوب الزكاة والمفهوم : هو ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق ، كما يفهم من المثال السابق عدم وجوب الزكاة في المعلوفة .

ذلك) أي جواز الأعراض البشرية . وحلولها بهم (**مما يزيد فيها**) أي في علو منزلتهم عند الله ـ تعالى ـ باعتبار تعظيم أجرهم من جهة ما يقارنها من طاعة الصبر وغيره .

وفيها أعظم دليل على صدقهم ، وأنهم مبعوثون من عند الله ـ تعالى ـ وأن تلك الخوارق التي ظهرت على أيديهم هي بمحض خلق الله ـ تعالى ـ تصديقًا لهم ، إذ لو كانت لهم قوة على اختراعها لدفعوا عن أنفسهم ما هو أيسر منها من الأمراض ، والجوع ، والألم ، والحر[1] ، والبرد ونحو ذلك مما سلم منه كثير ممن لم يتصف بالنبوءة ، فلما أن[2] لم يدفعوا عن أنفسهم علمنا أنها ليست منهم ، فالحق ـ سبحانه ـ خلقها دليلاً على صدقهم ، وفيها أيضًا رفق بضعفاء العقول ؛ لئلا يعتقدوا فيهم الألوهية مما يرون لهم من الخوارق والخواص التي خصهم الله ـ تعالى ـ بها ، ولهذا استدل ـ تعالى ـ على النصارى في قولهم بألوهية عيسى وأمه ـ عليهما السلام ـ بافتقارهم إلى الأعراض البشرية من الأكل للطعام ونحوه قال ـ تعالى ـ : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ إلى قوله : ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾[3] الآية ، وإذا عرفت ما سبق : (**فقد**) للتحقيق (**اتضح**) أي ظهر (**لك**) أيها الطالب (**تضمن**) التزام (**كلمتي الشهادة**) وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله (**مع قلة حروفها**) إذ هي قليلة الحروف ، كثيرة المعاني (**لجميع ما يجب على المكلف معرفته من عقائد الإيمان**) جمع عقيدة ومعناه الربط ، والجزم إن كان لموجب فهو العلم ، وإن كان لغير موجب فهو التقليد (**في حقه ـ تعالى ـ**) : وهو ما يجب له ، وما يستحيل ، وما يجوز (**وفي حق رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ**) وهو ما يجب ، وما يستحيل ، وما يجوز .

---

(1) في (ح) : (وألم وحر) .

(2) (في الأصول) : فلما إن ، وهي غير واضحة ، ولعل (إن) زائدة .

(3) سورة المائدة ، الآيات 72–75 .

لم كانت كلمة التوحيد عنوانًا للإيمان

(**ولعلها**) أي كلمة التوحيد ، إنما اختارها الشرع دون غيرها ، وجعلها علمًا على الإيمان (**لـ**) أجل (**اختصارها**) والمختصر : ما قل لفظه ، وكثر معناه (**مع اشتمالها**) أي احتوائها (**على ما**) أي الذي (**ذكرناه**) من عقائد الإيمان فاشتملت هذه الكلمة الشريفة على أمرين عظيمين : اختصار حروفها ، واشتمالها على جميع معاني عقائد التوحيد ، وذلك من جملة ما خص به - صلى الله عليه وسلم - من جوامع الكلم . فتحت كل كلمة من كلامه من الفوائد ما لا ينحصر ، فاختار لأمته فى ترجمة الإيمان ما يسرحون به في الجنان حيث شاءوا هذه الكلمة الشريفة السهلة حفظًا وذكرًا ، الكثيرة الفوائد معنى وحسًا ، وقوله : ولعلها : فيه إشارة إلى أنهما كالكلمة الواحدة في ارتباط إحداهما بالأخرى ، وفى ترجمة الإيمان ، وأنه لا يحصل إلا بمجموعهما ولا ينتفع بالإيمان[1] بإحداهما دون الأخرى كما لا يغني جزء الكلمة عن جزئها الآخر (**جعلها**) أي صيرها (**الشرع**) أي المشرع وهو النبي - صلى الله عليه وسلم - ويصح أن يكون على حذف مضاف ، أي صاحب الشرع (**ترجمة**) أي مخبرة (**على ما**) أي الذي حصل (**في القلب**) ويعبر عنه بالفؤاد والصدر ؛ إذ اللسان معبر على ما في الفؤاد ، ومخبر عنه أنه متصف بما نطق به اللسان ، ولا عبرة به بدون القلب "لأن الله - تعالى - لا ينظر إلى الصور والأعمال وإنما ينظر إلى القلب" كما هو وارد[2] عن الشارع[3] - صلى الله عليه وسلم - (**من الإسلام**) أي الانقياد ، والإذعان بمعنى قبول الأحكام

---

(1) (بالإيمان) : سقط من ح .

(2) في ح : (ورد) .

(3) هو حديث رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - كتاب البر والصلة ، باب تحريم ظلم المسلم ، 16/ 121 ، وابن ماجة ، في باب القناعة ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - 3/ 482 باختلاف فى لفظه .

(**ولم يقبل من**) كل (**أحد**) جعلت شرطًا في إيمانه أي (**الإيمان**) أي الإسلام (**إلا بها**) يحتمل وجهين أحدهما إلا بها ودون غيرها من سبحان الله ، والحمد لله ، ونحوه والثاني إلا بها ، أي بالتلفظ بها قاله المقري[1] . وقولنا من كل أحد جعلت شرطًا في إيمانه احترازًا عن الأخرس فإنه لا يشترك في صحة إيمانه النطق بهذه الكلمة المشرّفة بل يكفي منه[2] التصديق القلبي فقط ؛ لعجزه عن النطق - والله أعلم - . انظر أبا علي . ويؤخذ من كلامه - رضي الله عنه - أنه لا يصح الإيمان إلا بالنفي والإثبات المتقدم في قوله ويجمع معاني هذه العقائد كلها قول لا إله إلا الله ولا يشترط النطق بلفظ أشهد ، وقيل لا بد من اعتبار لفظ أشهد والإنفاء[3] والإثبات وهو مقتضى كلام ابن عرفة[4] - رحمه الله تعالى - وقيل الإنفاء والإثبات ليس بشرط ، وهو مقتضى كلام الأبّي[5] حيث قال لا يشترط الإنفاء والإثبات ولا لفظ أشهد ، بل لو قال الله واحد ومحمد رسوله لصح إيمانه نعم الثواب الذي يحصل على أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا رسول الله لا يحصل عليه اهـ[6] بمعناه وإذا تأملت قوله - صلى الله عليه وسلم - "**أمرتُ أنْ أُقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**"[7] كان ظاهره التعبد بجوهرية اللفظ إلا أنه قال في الحديث الآخر : "**من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله**"[8] فيظهر

---

(1) ينظر بغية الطالبين ، ورقة 109 .

(2) في ح : (يكتفي) .

(3) في ح : (والنفي) .

(4)ينظر بغية الطالبين ، ورقة 110 .

(5) ينظر حاشية البيجوري ، ص 93 .

(6) نقل الشيخ إبراهيم اللقاني عن الأبي في مدة المريد ، ورقة 116 في حديث جمع الأزواد : (لا يشترط في حق داخل الإسلام النطق بلفظ أشهد ولا التعبير بالنفي والإثبات ، فلو قال : الله واحد ومحمد رسول كفى) .

(7) سبق تخريجه ، ص 190 .

(8) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي ، كتاب الإيمان ، عن عثمان - رضي الله عنه - 1/ 218 ، وابن حبان في صحيحه ، عن عثمان ، 1430 .

منه أن ذكر اللفظ وصف طردي ؛ لأن المنوط به الحكم ـ وهو دخول الجنة ـ العلم بمعناها ، والعلم من أوصاف القلوب . انظر اللقاني والأجهوري . الحاصل : المسألة فيها قولان ، والأولى كلام ابن عرفة ؛ لأن الشرع تعبدنا بلفظ أشهد ، والإنفاء والإثبات . ولو أتى بالشهادتين بالعجمية وهو يحسن العربية فهل يجعل ذلك مسلمًا ؟ فيها وجهان لأصحابنا ، والصحيح منهما أنه لا يصير مسلمًا لوجوب الإقرار بالعربية ، وأما من لا يحسن العربية فيكفي أن يأتي بما يدل على الوحدانية والرسالة بلسانه اتفاقًا ، بل حكى بعضهم الإجماع عليه اهـ[1] قاله اللقاني[2] . ويؤخذ من كلامه أيضًا أنه لا يصح الإيمان[3] إلا على ترتيب ما ذكره في كلمتي الشهادة ، وهو كذلك ، قال الشمس التتائي[4] فلو عكس لم يصح إيمانه وهل تشترط الفورية بينهما قال التتائي نقلاً عن الحليمي[5] : الموالاة بينهما غير شرط ، فلو تأخر بالرسالة عن الإيمان بالله مدة طويلة صح انتهى . وقال العلامة إبراهيم اللقاني : وقد شاهدت الشيخ نور الدين الزيادي[6] يفتي بعدم صحته معولاً على فتوى شيخه الرملي[7] ـ رحم الله الجميع ونفعنا بهم آمين ـ

---

(1) ينظر : حاشية الشرقاوي على الهدهدي ، ص 125 وما بعدها .

(2) ينظر عمدة المريد ، ورقة 24 .

(3) (الإيمان) : سقط من ح .

(4) التتائي هو : محمد بن إبراهيم التتائي قاضي قضاة مصر ، له عدة مؤلفات منها : شرحه على خليل ، وشرح الإرشاد ، والقرطبية ، توفي بعد الأربعين وتسعمائة ، (ينظر : كفاية المحتاج ، ص 460) .

(5) ينظر إرشاد المريدين ، 1/ 148 ، والحليمي هو : أبو عبد الله الحسين بن محمد الشافعي الحليمي ، أحد فقهاء الشافعية ، من تصانيفه : المنهاج في شعب الإيمان ، توفي سنة 403هـ ، (ينظر تذكرة الحفاظ للذهبي ، 3/ 1030) ، وطبقات السبكي ، 3/ 147 ، والأعلام ، 2/ 235) .

(6) هو علي بن يحيى الزيادي المصري نور الدين ، فقيه انتهت إليه رئاسة الشافعية بمصر ، من كتبه حاشية على شرح المنهج بشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، توفي سنة 1024هـ ، (ينظر الأعلام ، 5/ 32).

(7) هو محمد بن أحمد بن حمزة الرملي المصري ، قال العصامي في وصفه : إمام الحرمين وشيخ المصريين ، من كانت العلماء تكتب عنه ، ينظر : البدر الطالع ، ص 619 .

ويؤخذ من كلامه أيضًا أن الإيمان والإسلام شيء واحد، وهو كذلك لأن الإسلام هو الخضوع والانقياد، بمعنى قبول الأحكام والإذعان، وذلك حقيقة التصديق، ويشهد له قوله - تعالى -: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[1] وصح أنه - صلى الله عليه وسلم - سمى الإسلام في حديث عبد[2] القيس بما سمى به الإيمان في حديث جبريل[3] وفي الشرع[4] لا يحكم على أحد أنه مؤمن وليس بمسلم، أو العكس انتهى. وقال أيضًا الشيخ إبراهيم اللقاني في شرح الجوهرة[5]: اعلم أن مدلولي الإيمان والإسلام لغة متغايران؛ إذ مدلول الإيمان لغة: التصديق، ومدلول الإسلام لغة: الخضوع والانقياد، وأما شرعا فقد اختلف فيهما، فذهب جمهور الأشاعرة إلى تغايرهما أيضًا؛ إذ مفهوم الإيمان تصديق القلب بكل ما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - مما علم من الدين ضرورة، بمعنى إذعانه وتسليمه إياه، ومفهوم الإسلام امتثال الأوامر واجتناب المناهي، ينبغي العمل على ذلك الإذعان فيهما، وإن تلازما شرعًا، بحيث لا يوجد مسلم ليس بمؤمن، ولا عكسه، وذهب جمهور الماتريدية والمحققون من الأشاعرة[6] إلى اتحاد مفهوميهما، وأخذ ما يراد منهما في الشرع وتساويهما بحسب الوجود بمعنى أن كل من[7] اتصف بأحدهما فهو متصف بالآخر شرعًا، ولا شك على هذا أن الخلاف لفظي باعتبار المآل، وقال في شرح المقاصد[8]:

---

(1) سورة الذاريات، الآيتان 35-36.

(2) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الإيمان، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - 1/ 181.

(3) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي، كتاب الإيمان، عن عمر - رضي الله عنهما - 1/ 157.

(4) ف (ح): الشرح.

(5) ينظر حاشية ابن الأمير، ص 96.

(6) ينظر حاشية ابن الأمير، ص 96.

(7) في (ح): ما اتصف.

(8) شرح المقاصد للتفتازاني، 5/ 207.

"الجمهور على أن الإيمان والإسلام واحد ، وأن معنى آمنت بما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - صدقته ، ومعنى سلمته له أسلمته ولا يظهر كبير فرق ، ولرجوعهما إلى معنى الاعتراف ، والانقياد ، والإذعان ، والقبول ، وبالجملة لا يعقل بحسب الشرع مؤمن ليس بمسلم ، أو مسلم ليس بمؤمن ، وهذا مراد القوم بترادف الاسمين واتحاد المعنى ، وعدم التغير" انتهى . وأما كون الإيمان يزيد وينقص فاعلم أن القول بقبول الإيمان الزيادة والنقص هو الراجح عند جماعة من العلماء وورد به ظاهر الكتاب والسنة ، وذهب إليه جمهور الأشاعرة ، وبه قال الفقهاء المحدثون ، ونقل عن الشافعي ، ومالك[1] : قال لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدًا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص ، محتجين عليه بالعقل والنقل ، أما العقل فلأنه لو لم تتفاوت حقيقة الإيمان لكان إيمان آحاد الأمة بل المنهمكين في الفسوق والمعاصي مساويًا لإيمان الأنبياء والملائكة - عليهم السلام - واللازم باطل وكذلك الملزوم ، وأما النقل فأكثره النصوص الواردة في هذا المعنى ، كقوله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾[2] و﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾[3] ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾[4] ﴿ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾[5] ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾[6] (وقال ابن عمر - رضي الله عنهما - **قُلنا يَا رسولَ الله الإيمانُ يَزِيدُ ويَنقُصُ ؟ قَال نَعَم يَزِيدُ حَتّى يُدخِلَ صَاحِبَهُ الجَنَّةَ ويَنْقُصُ حتّى**

(1) ينظر شرح النووي على صحيح مسلم 1/ 146 .

(2) سورة الأنفال ، الآية 2 .

(3) سورة الفتح ، الآية 4 .

(4) سورة المدثر ، الآية 31 .

(5) سورة الأحزاب ، الآية 22 .

(6) سورة التوبة ، الآية 124 .

يُدخِلَ صَاحِبهُ النَّار"[1] . وعن ابن عمر وجابر ـ رضي الله عنهما ـ : "لَو وُزِن إيمانُ أَبِي بكرٍ بإيمانِ هَذِهِ الأُمَّةِ لَرَجَحَ بِهِ"[2] ولا شك أن كل ما يقبل الزيادة يقبل النقص ، ليتم الدليل : وقالت جماعة من العلماء أعظمهم الإمام أبو حنيفة[3] وتبعه أصحابه وكثير من المتكلمين : أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص[4] ، واختاره إمام الحرمين، محتجين بأنه اسم للتصديق البالغ حد الجزم والإذعان وهذا لا يتصور فيه زيادة ولا نقص ، فالمصدق إذا ضم إليه الطاعة ، أو ارتكب المعاصي فتصديقه بحاله لا يتغير أصلاً . انظر شرح إبراهيم اللقاني على الجوهرة . وهذا نزر قليل من كلامه ـ رحمه الله تعالى ـ ونفعنا به[5] .

خاتمة : هل اسم الإسلام مختص بهذه الأمة أم لا ؟ قال الجلال في إتمام النعمة[6] في اختصاص الإسلام بهذه الأمة : أنه يطلق على كل دين حق ، ولا يختص بهذه الأمة ، وبهذا أجاب ابن الصلاح[7] ، والقول الثاني : أن الإسلام خاص بهذه الملة الشريفة ،

---

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان 1/ 77 حديث رقم 56 ، وعبد الله بن أحمد بن حنبل في السنة 1/ 311 حديث رقم 611 .

(2) رواه ابن عدي في الكامل عن ابن عمر بسند ضعيف ، 4/ 201 ، وأحمد في فضائل الصحابة عن عمر موقوفًا عليه ، 1/ 418 .

(3) ينظر حاشية البيجوري ، ص 102 .

(4) في الدر الثمين ، 1/ 60 أن المسألة فيها ثلاثة أقوال يزيد وينقص ، ولا يزيد ولا ينقص ، يزيد ولا ينقص ، وأن الأول والثالث رويا عن مالك ، وأن محققي المتكلمين قالوا : نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص وأما الإيمان الشرعي ـ أي الذي يشمل الاعتقاد والقول والعمل ـ فيزيد وينقص ، وقال محققون آخرون : بل التصديق يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة .

(5) ينظر : حاشية البيجوري على الجوهرية ففيها تفصيل مهم ص 100-103 .

(6) ينظر بغية الطالبين ، ورقة 111 .

(7) يقول السعد في المقاصد ، 5/ 208 : (بل المراد بالدين : الملة والطريقة الثابتة من النبي ـ عليه السلام ـ والإيمان كذلك ، وإن استمر في إطلاق أهل الشرع دين الإسلام ، ولم يسمع دين الإيمان ، وذلك لاشتهار=

والمسلمين خاص بهذه الأمة المحمدية ، ولم يوصف به أحد من الأمم السابقة سوى الأنبياء فقط ، وشرفت هذه الأمة بأن وصفت بالوصف الذى كان يوصف به الأنبياء تشريفًا وتكريمًا ، وهذا القول هو الراجح نقلاً ودليلاً انتهى من اللقاني . وإذا كان قدر هذه الكلمة المشرفة من أعظم الأمور العظام (**فعلى العاقل**) وهو من عقل أمر الله ونهيه . وأتى - رضي الله عنه - بعلى المقتضية للوجوب ؛ ليفيد أن هذا المندوب يتأكد الحث عليه . وأما وجوب التلفظ بها على القادر فمرة واحدة في العمر ، كما ذكره المصنف في شرح صغرى الصغرى[1] وهذا في حق المؤمن بالأصالة ؛ إذ هو واجب عليه بهذه الكلمة المشرفة ، إذا كان قادرًا على ذلك مرة واحدة في عمره ينوي بها أداء الوجوب ، فإن لو ينو الوجوب ولم يذكرها أبدًا صح إيمانه مع العصيان . انظر[2] شرح اللقاني ، وأما الكافر فذكره لها شرط في إيمانه ، وهل هو شرط لإجراء الأحكام الظاهرة ، وهو قول الجمهور ، أو شرط في صحة الإيمان وهو قول الأقل ، انظر اللقاني[3] . والمعنى أنه يتأكد على العاقل الذي يريد الفوز بما لا يكيف من النعيم (**أن يكثر من ذكرها**) أي كلمة التوحيد وهي : لا إله إلا الله محمد رسول الله ؛ إذ هي ثمن الجنة ، والمنقذة من المهالك دنيا وأخرى ، ويكفي في شرفها كونها علمًا على الإيمان في الشرع ، تعصم الدماء والأموال إلا بحقها ، وكون إيمان الكافر موقوفًا على النطق بها ؛ لكان كافيًا للعقلاء ، وقد ورد في أحاديث كثيرة فمنها قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "**أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له**"[4]

=لفظ الإسلام في طريقة النبي - عليه الصلاة والسلام - واعتبار الإضافة إليه حتى صار بمنزلة اسم لدين محمد - عليه الصلاة والسلام -) .

(1) ينظر شرح أم البراهين ، ص88 .

(2) نفسه .

(3) ينظر حاشية الشرقاوي ، ص 222 .

(4) رواه مالك في الموطأ بشرح الباجي ، 1/ 358 .

رواه مالك في الموطأ ، وزاد الترمذي في روايته : "له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"[1] وروى هو والنسائي أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : ["أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله"[2] وروى النسائي أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : "قال موسى ـ عليه السلام ـ يا رب علمني ما أذكرك به وأدعوك ، فقيل يا موسى قل لا إله إلا الله] فقال[3] موسى ـ عليه السلام ـ كل عبادك يقول هذا قال : قل لا إله إلا الله ، قال لا إله إلا أنت إنما أريد شيئًا تخصني به ، قال : يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري ، والأرضين والسبع وعامرهن غيري في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله"[4] وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "يؤتى برجل إلى الميزان ، ويؤتى بتسعة وتسعين سجلاً ، كل سجل منها مدُّ البصر فيها خطاياه وذنوبه ، فتوضع في كفة الميزان ، ثم يخرج بطاقة قدر الأنملة فيها لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فتوضع في الكفة الأخرى فترجح بخطاياه وذنوبه"[5] وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "ما قال أحد لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر"[6] وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

---

(1) رواه الترمذي في سننه كتاب الدعاء ، 13/ 50 ، وقال حديث حسن غريب .

(2) رواه الترمذي في سننه ، كتاب الدعوات عن جابر ـ رضي الله عنه ـ 5/ 291 ، وقال (حديث حسن غريب) ، ورواه الهيثمي في مورد الظمآن 1/ 578 .

(3) ما بين المعقوفين ساقط من (ح) .

(4) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ ص 495 ، وابن حبان في صحيحه عن أبي سعيد أيضًا 14/ ، وقال المحقق ضعيف ، وصححه الحاكم 1/ 528 ، ووافقه الذهبي ، وكذا صححه الحافظ ابن حجر ، 11/ 1208 .

(5) يعرف هذا الحديث بحديث البطاقة ، وألفاظه في الكتب متقاربة ، رواه الترمذي في سننه ، كتاب الإيمان ، 4/ 449 ، وابن ماجة في سننه كتاب الزهد ، عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ 3/ 536 .

(6) رواه الترمذي في سننه ، كتاب الدعوات ، عن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ 5/ 393 ، وروى نحوه البخاري في صحيحه بفتح الباري عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ 13/ 461 ، ومسلم في صحيحه بشرح النووي ، كتاب الذكر ، 2/ 94 .

"أتاني آت من ربي فأخبرني أن من مات يشهد لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فله الجنة فقال أبو ذر وإن زنى وإن سرق [فقال : وإن زنـى ، وإن سرق ، وقـال في الرابعـة ، وإن رغم أنف أبي ذر]"[1] وعنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإنها تهدم الذنوب هدمًا فقالوا يا رسول الله وإن قالها في حياته قال هي أهدم وأهدم"[2] وفي الإحياء وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : "لو جاء قائل لا إله إلا الله صادقًا بقـراب الأرض ذنوبًا غفر له ذلك"[3] وفيه أيضًا وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "ليس على أهـل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم"[4] وفي النشور كأني أنظر إليهم عند الـصيحة ينفـضون رؤوسهم من التراب ، ويقولون : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾[5] انتهى ملخصًا من شرح المصنف[6] وغيره[7] فليراجعه من احتاج فقد أجاد في ذلك ـ رضي الله عنه ـ ونفعنا به ، ونقـل الـسيد الـشريف الـصمهودي[8] في كتـاب جواهر العقدين عن تاريخ نيسابور أن عليا الرضى[9] ابن موسى الكـاظم ابـن جعفـر

(1) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري ، كتاب الجنائز ، عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ 3/ 110 ، والترمذي في سننه ، كتاب الإيمان ، عن أبي ذر ، 4/ 432 ، وما بين المعقوفين سقط من (ح) .

(2) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي ، في الجنائز ، عن أبي سعيد وأبي هريـرة ـ رضي الله عـنهما ـ 5/ 219 ، والترمذي في سننه ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في تلقين المريض ، عن أبي سعيد 3/ 199 .

(3) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي ، كتاب الذكر ، عـن أبي ذر بلفـظ قريـب 17/ 12 ، والطـبراني في الأوسط عن أبي ذر ، 2/ 200 ، وإحياء علوم الدين ، 1/ 299 .

(4) عزاه المنذري في الترغيب والترهيب ، 2/ 416 ، والسيوطي في الجامع الصغير ، 2/ 357 في الأوسط عـن يحيى بن عبد الحميد الحماني ، وقال المنذري : ضعيف .

(5) سورة فاطر ، الآية 34 .

(6) ينظر : شرح الشيخ السنوسي ، ص91 .

(7) ينظر بغية الطالبين ، ورقة 113 .

(8) الشريف الصمهودي هو : أبو عبد الله المدعو أحمـد الـشريف التلمـساني ، الفقيـه ، العـالم ، مـن شـيوخ القلصادي ، توفي سنة 833هـ ، (ينظر شجرة النور الزكية ، ص252) .

(9) عن علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق الملقب بالرضى ثامن الأئمة الاثني عشر ، من فضلاء أهـل البيت ، مات في حياة المأمون العباسبي ، (ينظر الأعلام ، 5/ 26) .

الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين - رضي الله عنهم - لما دخل نيسابور كان في قبة مستورة بالسقلاط[1] على بغلة شهباء وقت سوق نيسابور فعرض له الإمامان الحافظان للأحاديث النبوية المواظبان على السنة : أبو زرعة الرازي[2] ، ومحمد بن أسلم الطوسي[3] ، ومعهم خلائق لا يحصون من طلبة العلم والحديث ، وأهل الرواية والدراية ، فقالا له أيها السيد الجليل ابن السادات الأئمة - على آبائك الأطهرين ، وأسلافك الأكرمين السلام - إلا ما أريتنا وجهك المأمون ، ورويت لنا حديثًا عن آبائك ، عن جدك محمد - صلى الله عليه وسلم - نذكرك به ، فاستوقف البغلة ، وأمر غلمانه بكشف المظلة ، وأقرت عيون تلك الخلائق برؤية طلعته المباركة ، فكانت له ذؤابتان مدليتان على عاتقه ، والناس كلهم قيام على طبقاتهم ينظرون إليه ، وهم ما بين صارخ وباك ، ومتمرغ في التراب ومقبل لحافر بغلته ، وعلا الضجيج فصاحت الأئمة ، والفقهاء ، والعلماء : معاشر الناس اسمعوا وعوا أنصتوا لسماع ما ينفعكم ولا تؤذونا بكثرة صراخكم وبكائكم . وكان المستملي أبو زرعة الرازي ومحمد بن أسلم الطوسي فقال عليّ صاحب البغلة ابن موسى[4] حدثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه الحسين شهيد كربلاء عن أبيه علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - قال حدثني

---

(1) نوع من القماش قال في تاج العروس ، 5/ 158 ، مادة سقط : (سقلاطون بلد بالروم تنسب إليه الثياب السقلاطونية ، وقد تسمى الثياب بنفسها سقلاطونا .

(2) أبو زرعة الرازي الصغير أحمد بن الحسين بن الحكم من علماء الحديث والرحالين سمع من أبي حاتم الأصم ، ووالد تمام ، وعنه تمام ، وعبد الغني بن سعيد قال الحافظ : كان متقنا ثقة ، له تصانيف كثيرة ، توفي سنة 375هـ ، (ينظر : طبقات الحفاظ للسيوطي ، 397) .

(3) والطوسي هو : محمد بن أسلم بن سالم بن يزيد أبو الحسن الكندي ، من حفاظ الحديث ، اشتهر بالصلاح ، له المسند ، والرد على الجهمي ، والإيمان ، توفي سنة 242هـ ، (ينظر : الأعلام ، 6/ 34) .

(4) (ابن موسى) : سقط من ح .

حبيبي وقرة عيني رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : "**حدثني جبريل قال سمعت رب العزة ـ سبحانه ـ يقول : كلمة لا إله إلا الله حصني ، فمن قالها دخل حصني ، ومن دخل حصني أمن من عذابي**"[1] ثم أرخى الستر على القبة[2] وسار . قال فعد أهل المحابر والدوي الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفا . وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري : اتصل هذا الحديث بهذا السند ببعض أمراء السليمانية فكتب بالذهب ، وأوصى أن يدفن معه في قبره فرئي في النوم بعد موته فقيل له ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي بتلفظي بلا إله إلا الله وتصديقي بأن محمدًا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد أورده ـ رحمه الله ـ من غير هذا الطريق عن أهل البيت ـ رضي الله عنهم ـ .

ولما كان تحقق هذا الخير العظيم لذاكر هذه الكلمة المشرفة موقوفًا على فهم معناها أولاً ، واستحضاره عند ذكرها ولو بطريق الإجمال ثانيا . قيد ذلك المصنف بقوله (**مستحضرا**) وهو حال من فاعل يكثر من ذكرها حال كونه مستحضرا (**لما**) أي الذي (**احتوت**) أي اشتملت (**عليه**) تلك الكلمة[3] (**من عقائد الإيمان**) ـ بكسر الهمزة ـ وهو لغة : التصديق وعرفا : حديث النفس التابع للمعرفة يتعدى[4] باللام كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾[5] أي مصدق ، وبالباء كقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : "**الإيمان أن تؤمن بالله**"[6] الحديث ، أي تصدق بأن تستحضر

---

(1) رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ، 5/ 462 ، عن علي في ترجمة أحمد بن محمد بن هارون ، وقال حديث ضعيف ، ورواه السيوطي في اللآلي المصنوعة ، 1/ 178 ، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار 1/ 118 ، وقال إسناده ضعيف جدًا .

(2) في (ح) : البغلة .

(3) في (ح) : الجملة .

(4) سقط من ح : (تعدى) .

(5) سورة يوسف ، الآية 17 ، وكمالها قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ .

(6) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي ، كتاب الإيمان ، عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ 1/ 157 ، والترمذي في سننه ، كتاب الإيمان 4/ 432 .

ذلك ؛ لأنه هو الأكمل ، وإلا فذكرها بنية القربة يحصل الأجر اهـ باختصار من أبي علي بواسطة (**حتى**) للغاية أي غايته في الاستحضار حتى (**تمتزج**) أي تختلط فإذا امتزجت سهل عليه الاستحضار وصار سجية له ، وقوله (**مع معناها**) متعلق بقوله مستحضرًا لما احتوت عليه من عقائد الإيمان مع معناها ، فهو استحضار المعنيين قاله الزياتي بواسطة[1] وقوله (**بلحمه ودمه**) متعلق بقوله حتى تمتزج بلحمه ودمه والضميران المجروران عائدان على الذاكر ـ والله تعالى أعلم ـ .

فوائد ذكر كلمة التوحيد

وإذا ذكرها الذاكر على هذا الوجه (**فإنه**) حينئذ يسهل عليه استحضار المعنى ، ويصير سجية له ، ويحصل منه ذكران : ذكر باللسان ، وذكر بالقلب (**ويرى لها**) أي كلمة التوحيد المشرفة (**من الأسرار**) أي محاسن الأخلاق الدينية ، كاتصافه بالزهد ، ونعني به خلو الباطن من الميل إلى فَانٍ ، وفراغ القلب من الثقة بزائل ، وإن كانت اليد عامرة بمتاع حلال فهو على سبيل العارية المحضة ، وتصرفه فيه بإذن شرعي تصرف الوكالة الخاصة ، ينتظر العزل عن ذلك التصرف بالموت أو غيره . والتوكل : وهو ثقة القلب بالوكيل الحق بحيث يسكن عن الاضطراب عند تعذر الأسباب [ثقة بمسبب الأسباب][2] إن كان قلبه فارغًا منها ، يستوي عنده وجودها وعدمها ، ومنها الحياء بتعظيم الله ـ عز وجل ـ ، والتزام امتثال أمره ونهيه ، والإمساك عن الشكوى به إلى العجزة ، والفقراء ، وغيره ، ومنها الغناء ، وهو غناء القلب بسلامته من فتن الأسباب فلا يعترض على الأحكام بلو ولا بلعل ، لعلمه بمن صدرت منه ـ جل وعلا ـ ، المنفرد

---

(1) ينظر بغية الطالبين ورقة 115 .

(2) ما بين المعقوفين سقط من (ح) .

بالخلق والتدبير ، الملك الوهاب . انظر شرح الشيخ[1] . ويرى لها من[2] **(العجائب)** وهي الكرامات التي تحصل لذاكرها ، والأسرار : ما كان بين العبد وبين ربه ولا يظهر للغير ، والعجائب : ما يظهر له ولغيره كالمشي على الماء والطيران في الهواء ، وتكثير القليل ، ووضع البركة في الطعام ونحوه ، حتى يكثر القليل ويكفي اليسير ، وهذا مشاهد لأولياء الله ـ تعالى ـ كثيرًا ، ومنها تيسر دنانير أو دراهم أو كليهما ، إلى غير ذلك مما تدعو إليه الحاجة . وقد ذكر المصنف ـ رضي الله عنه ـ في شرحه من هذا كثيرًا عن أولياء الله ـ تعالى ـ[3] . وهذا إذا كان عمله وذكره لها امتثالاً وقيامًا بالعبودية من غير تشوق لشيء من هذه المجريات ، وإلا كان عمله مخذولاً ، ولا يعبد الله على حرف فلا يحصل له ما أمله ؛ لحجبه بما قصد من الحظ ، ولا الأجر في الآخرة ـ والله أعلم ـ لأنه لم يخلص عمله لله بل قصد بعمله حظه ، قال ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[4] قاله أبو علي . قوله : **(إن شاء الله ـ تعالى ـ)** متعلق بقوله يرى لها من الأسرار والعجائب ، وعلق بالمشيئة ؛ لأن الكل موقوف على إرادته ـ تعالى ـ ، فلا يكون إلا ما أراده ـ جل وعلا ـ ، إذ يتعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد ، وقوله (ما) نكرة بمعنى الشيء أي **(لا يدخل تحت حصر)** أي عدد ، وهو متعلق بقوله ـ إن شاء الله ـ وليست هذه العبارة وغيرها هي الموجبة لهذه الأشياء ، وإنما هو المعطي تفضلاً وتكرمًا ، وليس على العبد إلا القيام بما قاله سيده ، وهي العبادة وتسليم الأمور إليه ـ تعالى ـ **(وبالله ـ تعالى ـ التوفيق)** أي التوفيق من الله . وقال ـ تعالى ـ : ﴿ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[5]

---

(1) السنوسي على أم البراهين ، ص 100 .

(2) (مِن) : سقط من أ .

(3) شرح السنوسي على أم البراهين ، ص100-101

(4) سورة البينة ، الآية 5 .

(5) سورة هود ، الآية 88 .

والتوفيق : هو خلق القدرة على الطاعة فهو أخص من الإعانة ؛ لأنها خلق القدرة على الفعل مطلقًا ، وكون التوفيق عبارة عن خلق قدرة مقارنة للطاعة وهو مذهب إمام الحرمين وجماعة[1] ، وتقدير كلامه ـ رضي الله عنه ـ : يرى لها من الأسرار والعجائب ما لا يدخل تحت حصر ـ إن شاء الله تعالى ـ وبالله التوفيق وقوله (**لا رب**) قال أبو الحسن : الرب[2] يطلق على الخالق ، والمالك ، والسيد ، والسيد القائم بالأمور المصلح لها ، وهو المراد هنا ، وإذا استعمل مفردًا اختص به ـ تعالى ـ وإذا أضيف جاز فيه الأمران [مثل][3] : ﴿ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ ﴾[4] (**غيره**) ـ تبارك وتعالى ـ (**نسأله**) أي نطلب منه ؛ إذ السؤال معناه الطلب ، ويكون من الأدنى للأعلى عكس الأمر . والالتماس يكون من المتساويين ، (**ـ سبحانه ـ**) التسبيح[5] هو التنزيه ، سبحت الله نزهته عما لا يليق بجلاله الكريم (**أن يجعلنا**) أي يصيرنا ، والنون نون العظمة ، وفيه دليل على جواز التعاظم ، لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (**ليس منا من لا يتعاظم بالعلم**)[6] ومعنى يتعاظم : يشكر نعمة الله عليه ، ولا يتعاظم به على غيره ، والعالم أشبه الناس بالجماعة (**وأحبتنا**) جمع حبيب ، والمراد به من أحب الشيخ ـ رضي الله عنه ـ ، قال الشيخ محمد ابن المصري : "أخبرنا أستاذنا محمد المصري ـ رحمه الله تعالى ـ بقراءتي عليه قال : أخبرنا شيخنا العارف سيدي أحمد زروق ـ رضي الله عنه ـ قال : سألت

---

(1) ينظر بغية الطالبين ، ورقة 116 .

(2) ينظر التسهيل لابن جزي ، 1/ 33 .

(3) زيادة اقتضادها المقام .

(4) سورة يوسف ، الآية 23 ، وفي ح : مثوانا .

(5) (التسبيح) : سقط من ح .

(6) ورد في سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، 2/ 75 : (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) ، ويلتقيان في المعنى ؛ إذ معنى يتعاظم بالعلم : يعظمه ، ويترفع به عن المذلة ، ومعنى يتغنى بالقرآن يستغني به عن زخرف الدنيا ، ويرى أنه أعطي أفضل مما عند غيره من متع الدنيا .

المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ : ما أردت بقولك أحبتنا هل من أحبك أو من أحببته ؟ قال : أردت بذلك من أحبني ، ووجهه ظاهر ولا يخفي ـ والله أعلم ـ"[1] فضمير ويجعلنا : للمعظم نفسه كما قررنا ، أو للمتكلم مع غيره ، وبذلك ينتفي التكرار بينه وبين ضمير أحبتنا ، وأيضًا لو كرر لا اعتراض عليه ؛ إذ الإطناب في الدعاء مطلوب ـ والله أعلم ـ انظر المقري[2] . وإنما جمع المصنف ـ رضي الله عنه ـ في الدعاء معه غيره لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "**إذا دعوتم فاجمعوا فلعل فيمن جمعتم من تنالون بركته**"[3] .

وقدم ـ رضي الله عنه ـ نفسه في الدعاء تأسيًا بالكتاب والسنة ، قال ـ تعالى ـ إخبارًا عن نوح ـ عليه السلام ـ : ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ ﴾[4] وفي أبي داود : "**أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا دعا بدأ بنفسه**"[5] ؛ ولأنه من القرب التي يكره الإيثار بها[6] ـ والله أعلم ـ (**عند الموت**) يعني عند قرب الموت (**ناطقين بكلمة الشهادة**) إن كنا قادرين على النطق وأشار به لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "**من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة**"[7] رواه البخاري . (**عالمين بها**) إن كنا عاجزين عن النطق بها وأشار به لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**"[8] رواه مسلم . فالحديثان خرجهما أهل الصحيح . قال المصنف

---

(1) بغية الطالبين ، ورقة 95 .

(2) ينظر حاشية الدسوقي ، ص 225 .

(3) لم أجد هذا الحديث فيما أتيح لي من كتب الحديث .

(4) سورة نوح ، الآية 28 .

(5) رواه أبو داود في سننه كتاب الحروف والقراءات ، 4/ 33 ، والترمذي في سننه ، كتاب الدعوات ، عن أبي ابن كعب ، 5/ 292 .

(6) في أ و م : (إيثارها) .

(7) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري ، كتاب اللباس ، عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ 10/ 283 .

(8) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي كتاب الإيمان عن عثمان ، 1/ 218 .

ـ رضي الله عنه ـ : فحمل الحديث الأول على القادر على النطق وحمل الحديث الثاني على العاجز ، ثم قال ـ رضي الله عنه ـ : "ويكتفي في جواب الملكين الكريمين في القبر بمجرد هذه الكلمة[1] المشرفة ، حيث يمنعه مانع الهيبة والخوف من ذكر عقائد الإيمان لهما مفصلة ، وقد روي أنهما يجتزيان منه بذلك ، وكيف لا يجتزيان منه بهذا الجواب العظيم ، وقد ذكر لهما المؤمن في هذه الكلمة مع اختصارها جميع عقائد الإيمان على التمام ، فما أوسع كرم مولانا ـ جل وعز ـ ، وأغزر نعمته وألطف حكمته ـ جعلنا الله ممن عرف قدر نعمه فشكرها ـ ومن شكرها فقبل منه ذلك الشكر ، ووجد عظيم بركته دنيا وأخرى بجاه سيدنا ومولانا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ"[2] انتهى كلامه ، وإنما سأل المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ من مولانا هذا السؤال عقب المقصود من عقيدته ؛ لأنها عبادة شريفة[3] يرجى منها رضى الرب ـ تبارك وتعالى ـ ، ومن رضي عنه المولى الكريم ـ جل وعلا ـ فليطلب منه ما شاء ـ والله أعلم ـ .

ثم ختم ـ رضي الله عنه ـ كتابه بالصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما صلى عليه في أول كتابه تبركًا واستدامة لذكره ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتماسًا لقبول ما بينهما لحديث : "**من صلى علي في أول الكتاب وفي آخره أرجو أن يقبل الله منه ما بينهما**"[4] إذ هو ـ صلى الله عليه وسلم ـ باب الله الأعظم ، ورسوله الأعز الأكرم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشرف ، وكرم ، وبارك ، وأنعم ، وهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ الوسيلة في نيل المقاصد دنيا وأخرى : ثم قال : (**وصلى الله**) يريد وسلم هو خبر بمعنى الإنشاء ، كأنه يقول : اللهم صل وسلم على سيدنا محمد .. إلخ . وتقدم معنى

---

(1) (الكلمة) : سقط من ح .

(2) شرح أم البراهين للسنوسي ، ص 83 .

(3) في ح : (شرعية) .

(4) قال المنذري في الترغيب والترهيب ، 1/ 111 رواه الطبراني في الكبير عن أبي هريرة ـ رضي الله عنهم ـ .

الصلاة والسلام في صدر الكتاب[1] بما يغني عن الإعادة (**على سيدنا**) السيد هو الكامل المحتاج إليه ، واستعماله في غير الله للدلالة على جوازه ، قال ـ تعالى ـ في حق يحيى ـ عليه السلام ـ : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾[2] وقال ـ جل من قائل ـ في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ : ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا ﴾[3] وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الحسن : "**ابني هذا سيد**"[4] الحديث . وقد وصف هو ـ صلى الله عليه وسلم ـ نفسه بالسيد في قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : "**أنا سيدُ ولد آدم يوم القيامة ، ولا فخر**"[5] حسبما رواه الشيخان . (**محمد**) عطف بيان ، أو بدل من سيد ، وهو علم منقول ـ لا مرتجل ـ من اسم مفعول المضعف ، سمي به نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لكثرة خصاله المحمودة ، ورجاء أن يحمده أهل السماء والأرض بذلك ، وهو أبلغ من محمود باعتبار فعليهما ، وإن تساوى الاسمان في عد الحروف ؛ إذ حمّد أزيد من حمد ، وهذا الاسم يفيد المبالغة في المحمودية ، أي وقع الحمد عليه كما أن أحمد يفيد المبالغة في الحامد باعتبار الأوصاف ، فهو أجل من حمد[6] ، ونقل بعض تلامذة الشيخ سالم السنهوري عنه أن

---

(1) في ص 168 من هذا البحث .

(2) سورة آل عمران ، الآية 39 .

(3) سورة يوسف ، الآية 25 .

(4) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري، كتاب المناقب ، 6/ 628 ، وأبو داود في سننه كتاب السنة عن أبي بكرة ـ رضي الله عنهم ـ 4/ 216

(5) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري كتاب الأنبياء ، 6/ 371 بلفظ : (سيد الناس) ومسلم في صحيحه بشرح النووي ، كتاب الفضائل عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ 15/ 37 ، والترمذي في سننه ، كتاب التفسير عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ 4/ 404 .

(6) في التعريف والإعلام للسهيلي ـ ص 333 : أحمد اسم علم منقول من صفة لا من فعل ، وتلك الصفة أفعل التي يراد بها التفضيل ، فمعنى أحمد أي أحمد الحامدين لربه ، ولذلك قال هو في المعنى ؛ لأنه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم تفتح على أحد قبله ، فيحمد به بها ، وكذلك يعقد له لواء الحمد ، وأما محمد فمنقول من صفة أيضًا وهو في معنى محمود ، ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار .

من خصائص هذا الاسم أنه لا يصح الدخول في الإسلام إلا به انتهى[1] . وأما تسميته - صلى الله عليه وسلم - أحمد فهو من خصائصه - صلى الله عليه وسلم - هكذا نقل الجلال السيوطي - رحمه الله - انظر أبا الحسن على القرطبية[2] (**عدد ما ذكره الذاكرون**) أي عدد الذكر الذي ذكره الذاكرون الذي لا يُعلم عدده ، ولا يُحصر حده (و) عدد ما (**غفل عن ذكره الغافلون**) أي عدد الغفلة التي غفلها الغافلون عن ذكره ، واختار المصنف - رضي الله عنه - هذه الصلاة ؛ لما روي عن بعضهم قال : رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في المنام فقلت له يا رسول الله ما جزاء الشافعي عنك حيث يقول في كتاب الرسالة : وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون[3] ؟ فقال - صلى الله عليه وسلم - جُزي عني أنه لا يوقف للحساب . قاله الشاذلي . فتأسى به المصنف - رضي الله عنه - وجعلنا وإياه ممن لا يوقف للحساب بجاه أكرم الخلق عليه وأجل الوسائل لديه سيدنا ومولانا محمد - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله ، وأصحابه ، وأزواجه أمهات المؤمنين ، وذريته ، وجملة الأنبياء والمرسلين - .

واختلف العلماء فيمن قال : اللهم صل على سيدنا محمد عدد ما خلق الله وشبهه[4] هل يحصل له الأجر بعدد ما ذكر أم لا ؟ فذهب الحافظ الإمام أبو عبد الله محمد بن عرفة - رحمه الله تعالى - إلى أنه يحصل له أجر كثير من تصلية واحدة ، ولا يحصل له الأجر بعدد ما ذكر ، وذهب ابن معبد[5] التلمساني[6] في تأليف الذي ألفه في فضل

(1) ينظر الدرر الثمين ، 1/ 65 .

(2) ينظر بغية الطالبين ، ورقة 118 .

(3) الرسالة للإمام المطلبي ، ص 12 .

(4) (وشبهه) : سقط من ح .

(5) في ح : (ابن سعد) .

(6) ابن معبد : لعله عبد الله بن محمد بن علي الفهري ، المصري ، الشافعي ، شرف الدين المعروف بابن=

الصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى أنه له الأجر بعدد ما ذكر اهـ ، ذكره سيدي عبد القادر بن خدة[1] وكان الشيخ سالم السنهوري يرجح قول ابن معبد على ما نقل عنه بعض تلامذته ، تمسكًا بحديث مسلم في الألفاظ الجامعة انتهى[2] . ونص الحديث المذكور : "**عن جويرية بنت الحارث ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج من عندها ، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة ، فقال : ما زلت على الحالة التي فارقتك عليها ؟ قالت : نعم ، قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات ، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته**"[3] وفي رواية الترمذي : رجع إليها قريبًا من نصف النهار . ومن هذا المعنى حديث صفية[4] الذي رواه الترمذي والحاكم . ولمّا ورد الرضى عن أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في القرآن وكان من أداء حقهم الرضى عنهم ، ومحبتهم ، والاتباع لهم قال المصنف ـ رضي الله عنه ـ (**ورضي الله ـ تعالى ـ عن أصحاب رسول الله**) الرضى هنا صفة بمعنى الإنعام ولا يصح أن يكون بمعنى الإرادة ، وعن بمعنى على ، والمعنى : وأنعم الله على أصحاب رسول الله ، والمراد من كان صحابيًا في نفس الأمر ، وصل

=التلمساني ، له تصانيف منها : شرح المعالم في أصول الدين ، والمغني في الفقه ، توفي سنة 664هـ ، (ينظر : الأعلام ، 4/ 125)

(1) ينظر : حاشية ابن خدة على أم البراهين ، ورقة 14 .

(2) ينظر بغية الطالبين ، ورقة 119 .

(3) رواه مسلم في صحيحه بشرح النووي ، كتاب الذكر عن جويرية ، ـ رضي الله عنه ـ 7/ 44 ، والنسائي في عمل اليوم والليلة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ص 220 ، والترمذي في سننه كتاب الدعاء 13/ 60 حديث رقم 3554 .

(4) رواه الترمذي في سننه كتاب الدعاء عن صفية ـ رضي الله عنها ـ 13/ 60 ، وينظر البداية والنهاية لابن كثير ، 4/ 196 .

إلينا علم صحبته أم لا ، طالت صحبته أم لا[1] ، فأنعم الله عليه بصحبة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ والاتباع له ، والإيمان به ـ نفعنا الله ببركتهم ، وحشرنا في زمرتهم ، بجاه سيدنا ومولانا وحبيبنا وشفيعنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

والأصحاب : جمع صاحب ، والمراد من لقي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ مسلمًا ، ثم مات على الإسلام ، وإن لم يَرْوِ عنه شيئًا ، ولم يطل اجتماعه به ، بخلاف التابعي مع الصحابي ، فإنه لا يكفي في صدق التابعي على الشخص اجتماعه بالصحابي من غير إطالة الاجتماع به ، نظرًا للعرف في الصحبة ، والفرق بينهما : أن الاجتماع بالمصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يؤثر من النور القلبي أضعاف ما يؤثره الاجتماع الطويل بالصحابي ، وغيره من الأخيار ، فالأعرابي الجلف بمجرد ما يجتمع بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينطق بالحكمة ببركته ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصحابة كلهم عدول بإجماع من يعتد به ، وهم أفضل هذه الأمة ، وأفضلهم أهل الحديبية[2] الذين رضي الله عنهم ، وأفضل أهل الحديبية أهل بدر وأفضل أهل بدر[3] العشرة : أبو بكر الصديق ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وسعيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح ـ رضي الله عنهم ـ . وأفضلهم الخلفاء الأربعة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وأفضل الأربعة : أبو بكر ، ثم عمر بإجماع أهل السنة ، ثم عثمان ، وبعده عليّ على المشهور[4] ،

---

(1) (طالبت صحبته أم لا) : سقط من ح .

(2) الحديبية : بئر بقرب من مكة على طريق جدة ، دون مرحلة ، ثم أطلق على الموضع ، ويقال بعضه في الحل ، وبعضه في الحرم ، وهو أبعد أطراف الحرم عن البيت ، وهي مخففة الياء ، وسميت به غزوة الحديبية ، ينظر المصباح المنير ، ص 123 (مادة حدب)

(3) بدر : هو في الأصل موضع بين مكة والمدينة ، وهو إلى المدينة أقرب ، وسميت به معركة بدر الشهيرة ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ ﴾ سورة آل عمران ، الآية 123 (المصباح المنير ، ص 38 ، مادة بدر).

(4) (على المشهور) : سقطت من ح .

واختلف العلماء في أفضل النساء[1] ، قال شيخ الإسلام في شرح البهجة في زوجاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أفضلهن خديجة وعائشة ، وفي أفضلهما خلاف ، صحح ابن العماد[2] تفضيل خديجة ؛ لما ثبت أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال لعائشة حين قالت له قد رزقك الله خيرًا منها: **"لا والله ما رزقني الله خيرًا منها ، آمنت بي حين كذبني الناس ، وأعطتني مالها حين حرمني الناس"**[3] وسئل ابن أبي دؤاد أيهما أفضل ؟ فقال : عائشة أقرأها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ السلام من جبريل ، وخديجة أقرأها جبريل من ربها السلام على لسان محمد ، فهي أفضل ، فقيل له فمن أفضل خديجة أم فاطمة ؟ فقال : رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : **"فاطمة بضعة مني"**[4] ولا أعدل ببضعة رسول الله أحدا ، وعليه فهي أفضل من عائشة ويشهد له قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لها : **"أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين إلا مريم"**[5] واحتج من فضل عائشة بما احتجت به من أنها في الآخرة مع النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وفاطمة مع علي فيها . وسئل السبكي عن ذلك فقال : الذي نختاره ، وندين الله به ، أن فاطمة بنت محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أفضل ، ثم أمها خديجة ، ثم عائشة ، ثم استدل لذلك بما تقدم بعضه[6] . وأما خبر الطبراني : **"خير نساء العالمين مريم ابنة عمران ، ثم خديجة بنت خويلد ، ثم فاطمة بنت محمد**

---

(1) ينظر : حاشية ابن الأمير ، ص 249 .

(2) ينظر : حاشية البيجوري على الجوهري ، ص 235-240 .

(3) رواه أحمد في مسنده عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ 6/ 101 ، حديث رقم 24745 .

(4) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري ، عن المسور بن مخرمة ، 7/ 105 ، والترمذي في سننه عن عبد الله ابن الزبير في كتاب المناقب ، 5/ 511 .

(5) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري في المناقب عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ 6/ 628 ، ومسلم في صحيحه بشرح النووي ، 16/ 6 .

(6) ينظر فتح الباري ، 7/ 139 .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم آسية امرأة فرعون"[1] فأجاب عنه ابن العماد بأن خديجة إنما فضلت على فاطمة باعتبار الأمومة لا باعتبار السيادة ، واختار السبكي أن مريم أفضل من خديجة ؛ لهذا الخبر ، ولا خلاف في نبوءتها انتهى ولفظه في شرح البخاري بعد أن قال وقد بسطت الكلام على من هي أفضل النساء في شرح البهجة ، وغيره ، والذي أختاره الآن أن الأفضلية محمولة على الأحوال الشخصية : فعائشة أفضلهن من جهة العلم ، وخديجة من جهة تقدمها ، وإعانته ـ صلى الله عليه وسلم ـ في المهمات ، وفاطمة من حيث القرابة ، ومريم من حيث الاختلاف في نبوءتها وذكرها في القرآن ، وآسية امرأة فرعون من هذه الحيثية ، لكن لم تذكر مع الأنبياء . وعلى ذلك الأخبار الواردة في أفضليتهن . انتهى[2] قلت : وهو جيد إن قلنا إن التفضيل بالأحوال وكثرة جميل[3] الخصال .

وأما إن قلنا باعتبار كثرة الثواب فقول الأشعري بالوقف أقرب إلى الصواب . قال البرهان الحلبي[4] وسكتوا عن بقية الزوجات أمهات المؤمنين أيهن أفضل ، الذي يظهر أن أفضلهن بعد خديجة وعائشة : زينب بنت جحش ، قلتُ : ولم أقف في بقيتهن على نص والوقف أسلم . انتهى من شرح الجوهرة للشيخ إبراهيم اللقاني[5] .

وأول الصحابة إسلامًا خديجة على ما صوبه بعضهم وحكى ابن عبد البر الاتفاق عليه ، وأول امرأة أسلمت بعد خديجة أم الفضل زوج العباس وأسماء بنت

---

(1) رواه الترمذي في صحيحه بشرح النووي في فضائل الصحابة عن علي ـ رضي الله عنه ـ 15/ 198 ، والترمذي في سننه كتاب المناقب ، 5/ 515 بلفظ (خير نسائها) .

(2) ينظر فتح الباري ، 7/ 109 .

(3) في ح : (جميع) .

(4) ينظر : حاشية ابن الأمير ، ص 249 .

(5) قال السعدي شرح المقاصد ، 5/ 304 : (قد استقرت آراء المحققين من علماء الدين على أن البحث في أحوال الصحابة وفي ما جرى بينهم من الموافقة والمخالفة ليس من العقائد الدينية والعقائد الكلامية وليس له نفع بل ربما يضر باليقين) .

أبي بكر ، وأول ذكر بعد خديجة صديق الأمة وأسبقها إلى الإسلام أبو بكر ، فآزره ونصره ، وهو قول ابن عباس[1] ، وحسان بن ثابت[2] . كما ذكره في شعره[3] ووافق على ذلك جماعة ، وقيل إن عليا كرم الله وجهه آمن بعد خديجة وكان في كفالة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فعلى هذا أول من أسلم : من الرجال أبو بكر ، ويكون عليّ أول صبي أسلم لأنه كان صبيًا لم يدرك . وحكى الثعلبي[4] وغيره اتفاق العلماء على أن أول من أسلم مطلقًا خديجة قال ابن الصلاح[5] : "الأورع أن يقال : أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر ، ومن الصبيان عليّ[6] ، ومن النساء خديجة ، ومن الموالي زيد بن حارثة ، ومن العبيد بلال" .

وأما إيمان أبي بكر به ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين سافر معه إلى الشام في قصة بحيرا ، فالمراد به الإيقان لأنه كان قبل النبوءة وعمره إذ ذاك كان ابن ثماني عشرة سنة ، ثم آمن به بعد زيد بن حارثة وعثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن

---

(1) ينظر : مقدمة ابن الصلاح ، ص 269 .

(2) نفسه .

(3) نقل ابن عبد البر في الاستيعاب ، 2/ 964 عن الشعبي قال : سألت ابن عباس أو سئل : أي الناس كان أول إسلامًا ؟ قال أما سمعت قول حسان :

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها ... بعد النبي وأولاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده ... وأول الناس ممن صدق الرسلا

(4) قال ابن الصلاح في مقدمته ، ص 270 : (وادعى الثعلبي المفسر فيما رويناه وبلغنا عنه اتفاق العلماء على أن أول من أسلم خديجة ، وأن اختلافهم إنما هو في أول من أسلم من الصحابة .

(5) وابن الصلاح هو : عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان أبو عمر تقي الدين المعروف بابن الصلاح أحد الفضلاء المتقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال ، ومن أشهر مؤلفاته : طبقات الفقهاء ، ومقدمته المشهورة بمقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، توفي سنة 643هـ ، ينظر : وفيات الأعيان ، 23/ 116 ، والأعلام ، 4/ 207 .

(6) مقدمة ابن الصلاح ، ص 270 .

ابن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، بدعاء أبي بكر الصديق -رضي الله عنهم - فجاء بهم إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى استجابوا فأسلموا وصلوا ، ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن الجراح ، وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بعد تسعة أنفس ، والأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ، وعثمان بن مظعون الجعدي ، وأخوه قدامة وعبد الله ، وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وامرأته فاطمة بنت الخطاب ، ثم دخل الناس الإسلام أفواجًا من الرجال والنساء ، وآخر الصحابة موتا على الإطلاق أبو الطفيل[1] عامر بن واثلة مات سنة مائة من الهجرة[2] . ومن توقيره - صلى الله عليه وسلم - توقير أصحابه ، وبرهم ، ومعرفة حقهم ، والاقتداء بهم ، وحسن الثناء عليهم ، والاستغفار لهم ، والإمساك عما شجر بينهم ، ومعاداة من عاداهم ، والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة ، وأن يلتمس لهم أحسن التأويلات فيما كان بينهم من الفتن ، ولا يذكر أحدٌ منهم بسوء ، بل تذكر حسناتهم ، وفضائلهم ، وحميد سيرتهم ويسكت عما وراء ذلك ، كما قال - عليه السلام - **"إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا"**[3] وقال : **"الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضًا**[4] **بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فبيغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله - تعالى - ، ومن آذى الله - تعالى - يُوشكُ أن يأخذَه"**[5] قال بعضهم : الصحبة على وجوه : الصحبة مع الله باتباع أوامره ،

---

(1) ينظر : تدريب الراوي ، 2/ 228 .

(2) ينظر : المنهج السديد في شرح جوهرة التوحيد ، ص 129 هامش .

(3) أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود وثوبان ، 2/ 96 ، وكذا قال في الجامع الصغير ، 1/ 95 ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ، 7/ 202 فيه يزيد بن ربيع وهو ضعيف .

(4) في ح : زيادة (من) .

(5) رواه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ، عن عبد الله بن مغفل ، 5/ 509 ، وقال : (هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه) وأحمد في المسند عن أبي سعيد ، 1/ 38 .

واجتناب نواهيه ، ودوام ذكره ، وتلاوة كتابه ، ومراقبة الأسرار أن يختلج فيها ما لا يرضاه ، والرضى بقضاء الله ، والصبر على بلائه ، والشفقة على خلقه . والصحبةُ مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ باتباع سنته ، واجتناب البدع ، وتعظيم أصحابه ، وحسن القول فيهم ، وقبول قولهم . والصحبةُ مع أوليائه ـ تعالى ـ بالخدمة والاحترام لهم ، وتصديقهم فيما يخبرون عن أنفسهم وعن مشائخهم ، والصحبة مع السلطان بالطاعة إلا أن يأمره بمعصية أو مخالفة سنة فلا سمع ولا طاعة ، والدعاء له بظاهر الغيب ؛ ليصلحه الله ويصلح على يديه . والصحبة مع الوالدين ببرهما بالنفس ، والمال ، وخدمتها والدعاء لهما في كل الأوقات ، وإكرام أصدقائهما ، والصحبة مع الأهل والولد بالمداراة ، وحسن الخلق ، وتعليم الكتاب ، والسنة ، والأدب ، وستر القبائح ، وتعهدهم بالنفس والمال ، ومجانبة الحقد ، والحسد ونحوهما والصحبة مع العلماء بملازمة إكرامهم ، وقبول قولهم ، وتعظيم ما عظم الله من محلهم ، حيث جعلهم الله خلف نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووارثيه لما روي أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : **"العلماءُ ورثةُ الأنبياءِ"**[1] . والصحبة مع الضيف بحسن البشر ، وطلاقة الوجه ، وطيب الحديث ، وإظهار السرور ، ونحو ذلك . انتهى من الشاذلي بزيادة تخللت ألفاظه .

ولما كان قول أصحاب رسول الله يحتمل البعض والجميع أكد إرادة الجميع بقوله (**أجمعين**) إذ هي من الألفاظ التي يؤكد بها للإحاطة والشمول ، أو كل فرد من أفراد الصحابة الذين آمنوا به وصحبوه ولو قليلاً . والصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كلهم عدول بإجماع من يعتد بإجماعهم][2] ، من لابس الفتن ، ومن لم يلابسها . قال المولى سعد الدين أسعده الله ـ سبحانه ـ : وما وقع بينهم من المخاصمات والمنازعات لم

---

(1) رواه أبو داود في سننه كتاب العلم ، عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنهم ـ 3/ 317 ، والترمذي كذلك 4/ 472.

(2) ما بين العلامتين سقط من (ح) وقوله : (بإجماع من يعتد بإجماعهم) أي خلافا للروافض خصوصًا الغلاة منهم (ينظر شرح المقاصد ، 5/ 303) .

يخرج أحدًا منهم من عدالته[1] ؛ إذ هم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها ، ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم ، والطاعن فى واحد منهم بسبب ذلك قد أهلك نفسه بتعريضها للإبعاد من رحمة الله دنيا وأخرى ، ففي الحديث عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : "**من سب أصحابي فعليه لعنة الله ، والملائكة ، والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً**"[2] فقوله صرفا ـ بالصاد المهملة ـ أي توبة وعدلاً ، أي فريضة انظر المقري[3] ورضي الله عن (**التابعين**) أشار بهذا لقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾[4] والتابعين جمع تابع قال ابن الصلاح[5] والنووي : هم من لقي الصحابة ، وقال الخطيب[6] : من صحب الصحابي ، وعليه فمجرد اللقاء لا يكفي كما تقدم ، وأفضل التابعين أويس القرني[7] على الأصح ، كما أن أفضل التابعات حفصة بنت سيرين[8] ، على خلاف في المسألة انتهى من اللقاني[9] . ورضي الله عن (**تابع التابعين**)

---

(1) ينظر : شرحه للعقائد النسفية ، ص 146 ، وقال الشيخ إبراهيم اللقاني في جوهرته بحاشية البيجوري ، ص245.

وأول التشاجر الذي ورد ... إن خضت فيه واجتنب داء الحسد

(2) روى البخاري في صحيحه بفتح الباري في فضائل الصحابة ، 7/ 21 : (لا تسبوا أصحابي) ، ورواه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ، 5/ 508 ، وقال : (حديث حسن صحيح) ، وذكره القاضي عياض في الشفا ، ص 65 .

(3) ينظر بغية الطالبين ، ورقة 121 .

(4) سورة التوبة ، الآية 100 .

(5) ينظر : مقدمة ابن الصلاح ، ص 271 ، وتدريب الراوي ، 2/ 234 .

(6) ينظر : مقدمة ابن الصلاح ، ص 271 نقلاً عن الخطيب الحافظ .

(7) هو أويس بن عامر بن جزء القرني ، أحد النساك العباد من سادات التابعين قتل في موقعة صفين سنة 37هـ ، (ينظر الأعلام ، 2/ 32) .

(8) حفصة بنت سيرين هي تابعية جليلة اشتهرت بالعبادة ، وقراءة القرآن ، ورواية الحديث ، كانت تختم القرآن كل ليلة ، توفيت سنة 101هـ ، وقيل سنة 92هـ ، (ينظر : معجم أعلام النساء ، ص 74) .

(9) ينظر : إرشاد المريد لعبد السلام اللقاني ، ورقة 122 .

وهم من اجتمع بمن اجتمع بالصحابة كإمام دار الهجرة مالك بن أنس ، وأهل عصره ، وأخذ من جواز الرضى عن تابع التابعين ، جواز الرضى عن العالم والولي كما حرره النووي[1] - رحمه الله تعالى - وهؤلاء الثلاثة هي القرون الممدوحة المشار إليها بقوله - صلى الله عليه وسلم - : "**خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**"[2] فقيل له فيما بعد القرون التي ذكرت فأومأ بيده يعنى لا شيء .

وقال عمران بن حصين - رضي الله عنهم - : لا أدري ، قال - صلى الله عليه وسلم - بعد قرنه مرتين أو ثلاثة اهـ . وهذا منه - صلى الله عليه وسلم - بحسب الغالب في تلك القرون ، والغالب فيما بعدها ، وإلا فقد وجد في تلك القرون الفاضلة من ليس أهلاً لأن يقتدى به ، لكن بحسب الندور والقلة إلى كثرة من يقتدى به ، ووجد فيما بعدها من العلماء العاملين والأئمة المهتدين من هو أهل لأن يقتدى به ، لكنهم بالنسبة إلى كثرة من وجد في أزمنتهم من المبتدعة ، وأئمة الضلال قليلون ، ثم يزدادون قلة ، والجهلة كثرة ، كلما بعد الزمان من زمن السلف الصالح انظر شرح الشيخ على الجزائرية ، فإنه أجاد فيه غاية .

قاله محمد بن محمد الفناري عرف بالمصري[3] وهو الذي عبرنا عنه بابن المصري ، وأكثر اعتمادنا على كلامه في آخر هذا الشرح . وقيد المصنف - رضي الله عنه - جواز الرضى عن التابعين وتابع التابعين ، بكونهم تابعين (**لهم**) أي الصحابة - رضي الله تعالى عنه - (**بإحسان**) أي يقتدون بأفعالهم الحسنة كما قيده الله - تعالى - بذلك في

---

(1) قال النووي في الأذكار ، ص 166 : (يستحب الترضي والترحم على الصحابة والتابعين من العلماء والعباد وسائر الأخيار ، فيقال : - رضي الله عنه - أو - رحمه الله - ونحو ذلك) .

(2) رواه البخاري في صحيحه بفتح الباري ، كتاب الرقاق ، عن عمران بن حصين ، - رضي الله تعالى عنه - 11/ 244 ، ومسلم في صحيحه بشرح النووي فضائل الصحابة ، 16/ 84 ، والترمذي في سننه كتاب المناقب ، عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - 5/ 507 .

(3) ينظر : بغية الطالبين ، ورقة 99 .

قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾[1] وأخرج به من تبعهم ببدعة وفسق كالحجاج[2] ويزيد بن معاوية[3] ومن بمعناهم فإنهم غير داخلين في الرضى . قال أبو صخر حميد بن زياد[4] : قلت لمحمد بن كعب القرظي[5] ألا تخبرني عن أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما كانوا من رأيهم ؟ وإنما أريد الفتن . فقال : إن الله قد غفر لجميع أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ، ومسيئهم ، فقلتُ في أي موضع أوجب الله لهم الجنة في كتابه ؟ فقال : سبحان الله ألا تقرأ قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾[6] .

فأوجب الله لجميع أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الجنة والرضوان ، وشرط على التابعين شرطًا لم يشرطه على غيرهم ، قلتُ وما الشرط عليهم ؟ قال اشترط عليهم أن[7] يتبعوهم بإحسان . انتهى انظر ابن المصري[8] وقوله : (**إلى يوم الدين**) أي

---

(1) سورة التوبة ، الآية 100 .

(2) الحجاج هو : الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي أبو محمد ، قائد داهية سفاك ، ولد بالطائف ونشأ بها ، جمع إمارة مكة والمدينة والعراق ، بنى مدينة واسط ، توفي سنة 95هـ ، (ينظر : وفيات الأعيان ، 1/ 206 والأعلام ، 2/ 168) .

(3) يزيد هو : يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي ، ثاني ملوك الدولة الأموية تولى الخلافة سنة 60هـ ، أساء إلى أهل المدينة ، يحكى أنه كان مهندسًا ، فتحت في عهده المغرب وبخارى وخوارزم ، وهو أول من كسا الكعبة الديباج الخسرواني توفي سنة 64هـ ، (ينظر : الأعلام ، 8/ 189) .

(4) ينظر : بغية الطالبين ، ورقة 122 ، وحميد هو : حميد بن زيادة بن حماد أبو القاسم ، باحث إمام من أهل الكوفة من كتبه : الجامع في أنواع الشرائع ، وذم من خالف الحق وأهله ، (ينظر : الأعلام ، 2/ 283) .

(5) القرظي هو : محمد بن كعب بن سليم بن أسد أبو حمزة القرظي المدني ، كان قد نزل بالكوفة مدة ، ثقة عالم ، توفي سنة 120هـ ، ينظر : معجم المفسرين ، ص 608 .

(6) سورة التوبة ، الآية 100 .

(7) (أن) : سقط من ح .

(8) ينظر : بغية الطالبين ، ورقة رقم 99 .

إلى يوم القيامة يحتمل رجوع هـذا إلى الرضـوان ، أي الـرضى مـستمر علـيهم إلى يـوم القيامة [ويحتمل إلى الاتباع بإحسان أي الذين يتبعـونهم بإحـسان إلى يـوم القيامـة][1] ، ويحتمل رجوعه لهما ـ والله أعلم ـ بالصواب (**وسلام**) أي أمان وتحية من الله ـ تعالى ـ (**على جميع الأنبياء**) جمع نبي وقد تقدم معنـاه (**و**) عـلى جميـع (**المرسـلين**) جمـع رسول وقد تقدم معناه[2] فهو عطف خـاص عـلى عـام . ولمـا أكمـل ـ رضي الله عنـه ـ كتابه بعون الله توفيقه ـ على هذه الصفات التـي لم يـسبق بمثالهـا ، ولا ينـسج ناسـج[3] على منوالها من تفـصيل العقائـد ، وإقامـة البراهـين عليهـا ، وكـان مـن أعظـم الـنعم وأجلها وأشرف الصفات وأفضلها حمد الله ـ تعـالى ـ فقـال (**والحمـد**) كـائن مـستقر (**لله**) وحده لا غيره (**رب**) أي سيد ومالك (**العالمين**) جمع عالَم هو ما سـوى مولانـا ـ جل وعز ـ كما تقدم بيانه[4] ، وهو مجرور بالإضافة ، وعلامة الجر فيه الياء المكسور ما قبلها المفتوح ما بعدها نيابة عن الكسرة ؛ لأنه ملحق بجمـع المـذكر الـسالم . والـرب يطلق على السيد المطاع ، والمصلح ، والملك المدبر ، والمربي ، وإذا عرف بـأل اخـتص به ـ تعالى ـ ، ومتى حذفت منه جاز إطلاقه على غيره ـ تعـالى ـ ، كـرب الـدار ورب الدابة . وختم المصنف ـ رضي الله عنه ـ كتابه بالحمد كما ابتدأ بـه ، وأمـا ابتـداؤه بـه فقد تقدم وجهه[5] ، وأما الختم به فهـو أيـضًا وارد ، كـما ذكـر الحمـد عنـد انقـضاء الأشـياء قـال جـل مـن قائـل : ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾[6]

---

(1) ما بين المعقوفين سقط من (ح) .

(2) ص 281 من هذا البحث .

(3) في (ح) : ولا ينسخ ناسخ .

(4) ص 255 من هذا البحث .

(5) ص 162 من هذا البحث .

(6) سورة الزمر ، الآية 75 .

وقال جل من قائل : ﴿ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] وقال بعضهم : لعل سبب ابتدائه بالحمد وختمه به تأسيًا بأحد كتب الله المنزلة ، وهو التوراة ، فإنها مبتدأة بأول الأنعام وختمت بـ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾[2] الآية . وهذا آخر ما قصدته من هذا التعليق المبارك - اللهم اجعله خالصًا لوجهك الكريم ، وانفع به ، كما نفعت بأصله ، يا رب العالمين ويا أكرم الأكرمين ، فالحمد الله على ما أنعم وألهم ، وعلى إكماله ، وأن يجعله من الأعمال التي تكون سببًا في صرف العذاب ومناقشة الحساب ، إنه رؤوف رحيم ، تواب ، وولي ذلك ، والقادر عليه ، اللهم وفقنا لاتباع السنة ، يا ذا الفضل والمنة ، وأسعدنا بلقائك بلا محنة ولا وجلة ، وهو حسبي ونعم الوكيل ، نسأله سبحانه أن يعاملنا وإخواننا ، وأحبابنا ، وسائر المسلمين أجمعين برحمته الواسعة ، واغفر لنا وارحمنا وتجاوز عنا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا يا أرحم الراحمين ، وادفع عنا المحن دنيا وأخرى ، وتب علينا توبة نصوحًا ، وأمتنا على ملة الإيمان والإسلام [واحشرنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين في دار السلام][3] اللهم اختم بالخير آجالنا ، وحقق بالرجاء آمالنا ، وسهل في بلوغ رضاك سبلنا ، وحسن في جميع الأحوال أعمالنا ، واجعل خوفنا منك[4] ورغبتنا إليك ، اللهم اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا ، وارحمهما كما ربيانا صغارًا[5] واغفر لهم ما ضيعوا من حقوقك ، واغفر لنا ما ضيعنا من حقك وحقوقهم ، واغفر لخاصتنا وعامتنا ، وللمسلمين

---

(1) سورة يونس ، الآية 10 .

(2) سورة الإسراء ، الآية 111 .

(3) ما بين المعقوفين سقط من (ح) .

(4) في م : (رغبتنا) بدون واو .

(5) في ح و م : (كما ربياني صغيرًا) .

والمسلمات ، فإنك جواد بالخيرات ، اللهم إنا نسألك النجاة يوم الحساب ، والمغفرة يوم العقاب ، والرحمة يوم العذاب ، والرضى يوم الثواب ، والنور يوم الظلمة ، والرواء يوم العطش ، والفرج يوم الكرب ، وقرة عين لا تنقطع[1] ومرافقة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، اللهم لا بد لنا من لقائك فاجعل عند ذلك عذرنا مقبولاً ، وذنبنا مغفورًا ، وسعينا مشكورًا ، اللهم إن الذي سألناك يسير في مجدك ، وغير كبير في قدرتك ، فلا تردنا خائبين من رحمتك يا خير مأمول وأعظم مسؤول يا رب العالمين .

وهنا انقضى هذا الشرح المبارك ـ اللهم كما وفقتنا لوضعه وألهمتنا لجمعه تفضل علينا بقبوله ، واستر هفواتنا فيه حين عرضه على حضرة الاصطفاء ووصوله ، واجعله خالصا لوجهك الكريم ، وصفّه وسائر وأعمالنا من نزغات الشيطان الرجيم ، واجعل لنا به في الدنيا ذكرًا جميلاً ، وفي الآخرة أجرًا جزيلاً ، وانفع به من قرأه ، أو كتبه ، أو حصله ، أو سعى إليه في شيء منه ، كما نفعت بأصله العظيم وبمؤلفه سيدي الإمام السنوسي وبعلومه ، وببركات علومه ، وبهذه العقيدة ، وبجميع من اعتنى بها ، وأن يحشرنا بفضله مع الشيخ ، ومع سائر الأحبة في أعلى عليين بجاه سيد الأولين والآخرين ، سيدنا ونبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال جامعه الفقير الحقير المذنب المسيء أحمد بن عبد الله بن أبي بكر بن أبي القاسم بن محمد الغدامسي : كان الفراغ من هذا الشرح المبارك آخر يوم الخميس الثاني عشر من ربيع الأول عام أربعة وتسعين وألف ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه[2] أجمعين والحمد لله رب العالمين[3] .

---

(1) (قرة عين) : مطموسة في أ .

(2) (وصحبه) : سقط من م .

(3) في ح : (وعلى آله وصحبه وسلم) .

خاتمة التحقيق

الحمد لله ، له الحمد في الأولى وفي الآخرة .

وبعد فهذه رحلة مباركة وشيقة ، وإن كانت شاقة ، عشنا فيها مع علمين من أعلام الإسلام ، وفاضلين من فضلاء علم الكلام ، هما : الشيخ محمد بن يوسف السنوسي صاحب أصل العقيدة المسماة "أم البراهين" والشيخ أحمد بن عبد الله الغدامسي صاحب الشرح عليها ، والذي سماه "إتحاف المريدين بعقيدة أم البراهين" أصل في نهايتها إلى تلخيص نتائج هذه الدراسة على النحو الآتي :

1. أن أساس الدين هو صحة العقيدة ، فإذا صحّت جاء بعدها العمل .
2. أن لأسلافنا الفضل في المحافظة على هذا المغنم والذود عنه رغم ما واجهوا من صعاب ، ولاقوا من عقبات .
3. أن الشيخ السنوسي يعتبر مثلاً يحتذى به في اهتمامه بتصحيح عقيدة المسلمين والدفاع عنها .
4. الشيخ الغدامسي واحد من الذين تأثروا بهذا المنهج عند السنوسي فلم يرض لنفسه إلاّ أن يقتحم هذا الميدان ، ويكون ممن يحمل أمانة التبليغ التي هي ميراث الأنبياء .
5. أن كثيرًا من تراثنا العلمي ما زال يحتاج إلى بحث وإخراج ، ووضعه في متناول القراء من الأجيال الحاضرة واللاحقة .
6. أن العلماء الليبيين كانوا على قدر من العلم والتواصل مع إخوانهم من الأقطار الإسلامية القريبة (تونس ، مصر ، السودان ، المغرب ، الحجاز) .
7. أن غدامس أعطت للتعليم أهمية كبيرة ؛ فخرّجت من العلماء من يشار إليهم بالبنان علمًا وعملاً .

8. أن الشيخ الغدامسي جمع من المراجع ما ينبئ عن شغفه بالعلم ، استفادة وإفادة .

9. لم يدع الشيخ الغدامسي التجديد في البحث ، ولكنه ينقل ، ويعزو ، ويصحح ، ويختار .

10. مع نقل الشيخ الغدامسي من مصادر كثيرة ومتنوعة إلا أنه ركز على تآليف معينة جعلها مصادر أصلية لكتابه مثل : شرح الشيخ السنوسي لأم البراهين وبغية الطالبين لابن المصري ، وحاشية ابن خدة ، وشرح عقيدة المقري لمحمد بن عمر الغدامسي ، وشرح إبراهيم اللقاني ، وعبد السلام اللقاني للجوهرة .

11. اعتمد الشيخ الغدامسي في شرحه طريقة الإدماج ، وهي طريقة فيها التزام بأسلوب المؤلف ، لكن يعيبها الطول الذي يعد في كثير من الأحيان حشوا .

12. من ميزات شروح القدامى أن القارئ لكتبهم يستفيد علومًا شتى .

13. ينوع الشيخ الغدامسي في نقولاته : بعضها بالنص ، وبعضها بالمعنى ، وبعض آخر بالتصرف اليسير ، وهو أمين في هذه النقول .

14. يتبع الشيخ الغدامسي المذهب الأشعري في العقيدة ، لكنه لا يتعصب له ، وإن بدا شديدًا في عباراته .

15. يرى الشيخ الغدامسي وجوب النظر ومعرفة الدليل الإجمالي على عقائد الإيمان وخاصة الوحدانية .

16. يخالف الشيخ الغدامسي أحيانًا الشيخ الأشعري كما في مسألة الوجود فيقدم رأي الرازي الذي يرى أن الوجود غير الذات . ويؤول رأي الأشعري بما يتفق ومذاهب أهل السنة .

17. يعظم الشيخ الغدامسي أهل السنة ممن كتبوا في هذا المجال ويثني عليهم .

18. الشيخ الغدامسي رجل صوفي لا يألو كلما واتته مناسبة أن يلهج بالتضرع والـدعاء والاستغاثة والاستغفار .

19. يستشهد الشيخ الغدامسي بالأحاديث الضعيفة بل الموضـوعة أحيانًـا ولا يبـين ضعفها وأحيانًا يبينها ويستأنس لذكرها برؤى منامية .

20. يسلم أحيانًا بما ينقل ولا يمحصه ثقة بمن ينقل عنهم مثل حكاية جزر الواق واق .

21. أفرد في ذكر الكرامات للشيخ السنوسي بـما يفتح البـاب لـضعفاء الإيـمان في اعتقاد التأثير للأولياء مع الله ـ سبحانه وتعالى ـ

انطلاقًا من هذه النتائج فإني أرى :

1. الاهتمام بتراثنا الحضاري الفكري وخاصة في وطننا ليبيا .

2. تنقية الكتب القديمة من المباحث التي لا تتفق والعصر والحاضر .

3. الاقتداء بهؤلاء الأئمة مثل السنوسي الذي تصدى للتيارات الفكريـة المشبوهة وحاربها .

4. التركيز على العقيدة الصحيحة وأدلتها في المناهج الدراسية وتكثيفها كلما تقـدم الطالب مرحلة جديدة .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

دليل الفهارس

(1) فهرس الآيات القرآنية

ت	الآية	رقمها	الصفحة
	سورة الفاتحة		
1.	ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ	2	164
	سورة البقرة		
2.	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً	30	228
3.	وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ	34	228
4.	وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً	55	228
5.	وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ	61	228
6.	إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ	156	119
7.	وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ	163	222 ، 132
8.	يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ	185	323
9.	وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ	186	152
10.	ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ	255	151
11.	لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ	256	311
12.	أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ	258	289
13.	وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ	282	216 ، 105
14.	لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا	286	307 ، 269
	سورة آل عمران		
15.	ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ	2	151 ، 132
16.	إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ	9	331
17.	شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ	18	140 ، 132

ت	الآية	رقمها	الصفحة
18.	قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ	31	308
19.	وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا	39	370، 156
20.	ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ	58	223
21.	وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞ	123	373
22.	وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ	187	34
23.	إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ	190	255
24.	وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ	191	141
	سورة النساء		
25.	وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ	14	171
26.	إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ	48	184
27.	وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا	164	277، 219
28.	رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ	165	294
29.	إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ	171	132
	سورة المائدة		
30.	ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي	3	311
31.	يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ	67	311، 294
32.	لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ	75-72	353
33.	وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ	92	171
34.	تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ	116	202
	سورة الأنعام		
35.	عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ	73	216
36.	وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ	83	289

ت	الآية	رقمها	الصفحة
37.	فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ	90	298
38.	ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ	102	206
39.	لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ	103	185
	سورة الأعراف		
40.	قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ	25	296
41.	إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ	28	309
42.	إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ	144	277
43.	وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ	158	308
44.	خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ	199	17
	سورة الأنفال		
45.	وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا	2	358
46.	نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ	40	164
	سورة التوبة		
47.	إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا	36	87، 267
48.	وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ	100	93، 379، 381
49.	فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا	124	358
50.	بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ	128	152
	سورة يونس		
51.	وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ	10	383
	سورة هـود		
52.	قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا	32	289

ت	الآية	رقمها	الصفحة
سورة الكهف			
71.	إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ	50	343
سورة مريم			
72.	وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا	12	290
73.	قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ	30	290
74.	هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا	65	150
سورة طه			
75.	إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠	14	222، 164
76.	إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ	46	277، 215
77.	إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ	54	140
78.	وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ	82	209
79.	وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ	111	151
80.	وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ	134	281
سورة الأنبياء			
81.	لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا	22	222، 206
82.	قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ	69	301
83.	مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ	83	152
84.	كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥ	104	346
85.	أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ	108	132
سورة الحج			
86.	يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ	2	246
87.	فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّ	36	187
88.	وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ	46	183

ت	الآية	رقمها	الصفحة
سورة الفرقان			
.89	وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا	3	299
.90	وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ	7	295
سورة النمل			
.91	وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ	24	322
سورة القصص			
.92	وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ	68	223
سورة العنكبوت			
.93	وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ	46	289
سورة السجدة			
.94	فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ	5	347
سورة الأحزاب			
.95	لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ	21	16
.96	وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا	22	358
.97	وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ	37	294
.98	إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ	72	287
سورة فاطر			
.99	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ	15	332، 203 333،
.100	وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ	34	362
سورة يس			
.101	كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ	39	200

الصفحة	رقمها	الآية	ت
		سورة الصافات	
206، 223	96	وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ	102.
		سورة ص	
164	30	نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ	103.
		سورة الزمر	
101	9	هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ	104.
162، 382	75	وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ	105.
		سورة غافر	
214	59	إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا	106.
282	78	مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ	107.
		سورة الشورى	
195، 202، 215، 240، 259، 276	11	لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ	109.
158	23	قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا	110.
		سورة الزخرف	
343	19	وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا	111.
150	84	وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ	112.
		سورة الدخان	
162	49	ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ	113.
		سورة محمد	
140، 175، 190	19	فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ	114.
		سورة الفتح	
358	4	لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ	115.

ت	الآية	رقمها	الصفحة
سورة الذاريات			
116.	فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ	36-35	357
117.	فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ	54	311
سورة القمر			
118.	إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ	49	206، 205
سورة الرحمن			
119.	كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ	29	214
سورة الحديد			
120.	لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ	2	206
سورة المجادلة			
121.	وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ	11	101
سورة الحشر			
122.	وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ	7	307
سورة الطلاق			
123.	وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ	3	203
سورة التحريم			
124.	لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ	6	343، 342
125.	رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ	11	283
سورة الملك			
126.	ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ	2	249
سورة القلم			
127.	وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ	4	285

(2) فهرس الأحاديث والآثار

(3) فهرس الأشعار

البيت		البحر	البحر	الصفحة
فقد السنوسي الإمام محمد	وهو ابن يوسف هو منه علاؤها	الكامل	الحوضي	31
إنما مثلوا صفاتك للناس	كما مثل النجوم الماء	الخفيف	محمد البوصيري	286
ومن يرم الدنيا فإني طعمتها	وسيق إلى عذبها وعذابها	الطويل	الإمام الشافعي	316
أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم	إني أخاف عليكم أن أغضبا	الكامل	جرير بن عبد الله	176،79
ومسند الأحكام للصفات	فقط إلى المجاز ذو التفات	الرجز	أحمد المقري	212
والحق أن تنسب للذات التي	قد وصفت بذي الصفات جلت	الرجز	أحمد المقري	212
لقد من ذو الفضل العظيم	علينا بنجم آخر الدهر لائحًا	الطويل	أبو منصور المستغانمي	32
هذا الذي نص عليه المقترح	وغيره والصدر من ذاك انشرح	الرجز	أحمد المقري	212
وأول التشاجر الذي ورد	إن خضت فيه واجتنب داء	الرجز	إبراهيم اللقاني	379
ألا فاسمعوا ساداتنا قول جاهل	يقول بحمد الله أبدأ منشدا	الطويل	أحمد الغدامسي	42 ، 53
محمد إسماعيل هود وصالح	هم العرب الكرام كذا ورد	الطويل	على الأجهوري	342
ومنهم عبراني من غير مرية	وذلك يعقوب الكريم وما ولد	الطويل	أحمد الغدامسي	342
في المذهب المصحح المشهور	هذا الذي ينمي إلى الجمهور	الرجز	أحمد المقري	229
وقولهم سبحان من تواضعا	كل لعزه أبي من نازعا	الرجز	أحمد المقري	212
يحق لنا التسليم والصبر والرضا	لأمر قضاه الله في الناس أجمع	الطويل	عبد الرحمن الغدامسي	41
يا طالب العلم مشغوفًا به كلفا	يسائل الناس أو يستفهم	البسيط	أحمد الغدامسي	42 ، 52
فعند الظهور بدا وصفه	على غاية من بديع الكمال	المتقارب	قائل	286
حمدت مولاي حمد الحامدين على	إنعامه بكمال الحسن فى المثل	البسيط	عبد الرحمن الغدامسي	41 ، 61
كذاك عصمة ما لله من ملك	حديث هاروت مع ماروت غير جل	البسيط	أحمد الجزائري	344
إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة	فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا	البسيط	حسان بن ثابت	377

البيت	البحر	البحر	الصفحة
بـــالمعجزات أيـــدوا تكرمـــا وعـصمة البـاري لكـل حـتما	الرجز	إبراهيم اللقاني	292
كلامنـا لفـظ مفيـد كاسـتقم اسـم وفعـل ثـم حـرف الكلـم	الرجز	ابن مالك	341
بأبـه اقتـدى عـدى في الكـرم ومـن يـشابه أبـه فـما ظلـم	الرجز	رؤبة بن العجاج	40
وواجـب في حقهـم الأمانـة وصدقهم وضـف لـه الفطانـة	الرجز	إبراهيم اللقاني	84
ولقد رأى خير الـورى الـديانا ليلـــة أسرى ربــه عيانـــا	الرجز	أحمد المقري	229
أصم أم يسمع غطريف الـيمن أم فـاد إن لم بـه شـأ والعـنن	الرجز	عبد المسيح الغاني	190
شرح الكفايـة أيهـا المتـدين تحـصيله فـرض عليـك معـين	الكامل	أحمد الجزائري	32
نـسب أقـرب في شرع الهـوى بيننـا مـن نـسب مـن أبـوي	الرمل	ابن الفارض	102
إذا رضـيت عـلى بنـو تمـيم إذا والله يعجبنـــي رضـــاها	الوافر	القحيف العقيلي	245،87

(4) فهرس الألفاظ الغريبة

(5) مصادر المؤلف

.1	إتمام النعمة للسيوطي
.2	أحكام القرآن للقرطبي
.3	إحياء علوم الدين للغزالي
.4	الأربعين للرازي
.5	الإرشاد لإمام الحرمين
.6	إرشاد خالقي ومصوري لمحمد بن عمر
.7	الأسمى شرح أسماء الله الحسنى للشيخ زروق
.8	الإشارة لمذهب أهل الحق للشيرازي
.9	إضاءة الدجنّة للمقري
.10	بغية الطالبين لابن المصري
.11	التذكرة للقرطبي
.12	جزيرة العجائب لابن الوردي
.13	جواهر العقدين للصمهودي
.14	الحكم العطائية لابن عطاء الله
.15	الحلية لأبي نعيم الأصفهاني
.16	حواشي على أم البراهين للمقري
.17	الخصائص للسيوطي
.18	در الغواص للجزيري
.19	ديوان ابن الفارض
.20	ديوان جرير
.21	ديوان الإمام الشافعي
.22	ذيل الديباج للتمبكتي

.23	الرسالة للإمام الشافعي
.24	سنن ابن ماجة
.25	سنن أبي داود
.26	سنن البيهقي
.27	سنن الترمذي
.28	سنن النسائي
.29	الشامل لإمام الحرمين
.30	شرح الإرشاد للمقترح
.31	شرح الإرشاد للهدهدي
.32	شرح أم البراهين للسنوسي
.33	شرح أم البراهين لابن خدة
.34	شرح أم البراهين للشاذلي المنوفي
.35	شرح أم البراهين للدراوي
.36	شرح أم البراهين للملالي
.37	شرح الجوهرة لإبراهيم اللقاني
.38	شرح الجوهرة لعبد السلام اللقاني
.39	شرح الحكم لزروق
.40	شرح الرسالة للأجهوري
.41	شرح الرسالة لزروق
.42	شرح العقائد النسفية للتفتازاني
.43	شرح عقيدة الغزالي لزروق
.44	شرح الأربعين الرازية القرافي
.45	شرح القرطبية للقلصادي
.46	شرح الكبرى للسنوسي

47.	شرح اللقاني لعقيدة الجزائري
48.	شرح مسلم للنووي
49.	شرح مسلم للأبي
50.	شرح المقدمات للسنوسي
51.	الصحاح للجوهري
52.	صحيح ابن حبان
53.	صحيح البخاري
54.	صحيح مسلم
55.	عقيدة الأجهوري
56.	عقيدة الجزائري
57.	الكتاب لسيبويه
58.	كتاب العين للخليل بن أحمد
59.	مراتب الصحابة لابن الفخار
60.	المستدرك للحاكم
61.	مسند أحمد
62.	الملل والنحل للشهرستاني
63.	المواقف للأيجي
64.	الموطأ للإمام مالك
65.	نور اليقين لمحمد بن عمر الغدامسي

(6) فهرس الفــرق

(7) فهرس الأعلام المترجم لهم

ت	اسم العلم	تاريخ الوفاة	الصفحة
23.	الحسن بن أبي الحسن البصري	110 هـ	136
24.	الحسن بن أحمد الدراوي	1006 هـ	155
25.	الحسين بن محمد الحليمي	40 هـ	356
26.	حفصة بنت سيرين	101 هـ	379
27.	حمد بن محمد الخطابي	388 هـ	313
28.	حميد بن زياد	310 هـ	381
29.	خالد بن سنان العبسي	ـــــ	344
30.	الخليل بن أحمد الفراهيدي	100 هـ	150
31.	خليل بن إسحاق الجندي	776 هـ	159
32.	زكريا بن محمد الأنصاري	926 هـ	160
33.	سارة بنت ناصور	ـــــ	283
34.	سالم بن علي السنهوري	889 هـ	293
35.	سحبان بن زفر الوائلي	54 هـ	253
36.	سعيد بن محمد المقري	1010 هـ تقريبًا	120
37.	سفيان بن سعيد الثوري	161 هـ	142
38.	عبد الرحمن بن محمد الثعالبي	875 هـ	123
39.	عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي	911 هـ	157
40.	عبد السلام بن محمد الجبّائي	321 هـ	292
41.	عبد القادر بن خدة الراشدي	1112 هـ	161
42.	عبد الكريم بن محمد الرافعي	623 هـ	173
43.	عبد الكريم بن هوازن القشيري	465 هـ	153
44.	عبد الله بن أبي جمرة	699 هـ	192
45.	عبد الله بن مقداد الأقفهسي	823 هـ	173
46.	عبد الله بن محمد (ابن معبد)	664 هـ	371

ت	اسم العلم	تاريخ الوفاة	الصفحة
47.	عبد الملك بن عبد الله الجويني	478 هـ	144
48.	عثمان بن عبد الرحمن (ابن الصلاح)	643 هـ	376
49.	عثمان بن عمر ابن الحاجب	646 هـ	160
50.	علي بن زين العابدين الأجهوري	1066 هـ	310
51.	علي بن إسماعيل الأشعري	324 هـ	134
52.	علي بن الحسن (ابن عساكر)	571 هـ	142
53.	علي بن عبد الصادق الطرابلسي	1138 هـ	37
54.	علي بن عبد الكافي السبكي	756 هـ	254
55.	علي بن محمد التالوتي	895 هـ	122
56.	علي بن محمد الشاذلي	939 هـ	151
57.	علي بن محمد القلصادي	891 هـ	122
58.	علي الرضا بن موسى الكاظم	ـــــــ	362
59.	علي بن يحيى الزيادي	1024 هـ	356
60.	عمر بن رسلان البلقيني	805 هـ	299
61.	عمر بن مظفر الوردي	749 هـ	263
62.	عمرو بن عبد مناف (هاشم)	ـــــــ	158
63.	عمرو بن عثمان قنبر (سيبويه)	180 هـ	149
64.	عياض بن موسى اليحصبي	544 هـ	174
65.	قس بن ساعدة الإيادي	نحو 600 م	253
66.	كعب بن لؤي بن غالب	نحو 454 م	253
67.	لقمان بن باعوراء	ـــــــ	283
68.	المبارك بن محمد بن محمد (ابن الأثير)	606 هـ	161
69.	محمد بن إبراهيم التتائي	940 هـ	356
70.	محمد بن إبراهيم (ابن النحاس)	698 هـ	164

ت	اسم العلم	تاريخ الوفاة	الصفحة
71.	محمد بن أبي بكر الدماميني	827 هـ تقريبًا	159
72.	محمد بن أبي مدين التلمساني	920 هـ	169،129
73.	محمد بن أحمد الأزهري	370 هـ	158
74.	محمد بن أحمد (الجلال المحلي)	864 هـ	194
75.	محمد بن أحمد الحباك	867 هـ	122
76.	محمد بن أحمد بن رشد	520 هـ	193
77.	محمد بن أحمد القرطبي	671 هـ	218
78.	محمد بن أحمد المغيلي	875 هـ	122
79.	محمد بن أسلم الطوسي	242 هـ	363
80.	محمد بن جرير الطبري	310 هـ	292
81.	محمد بن خلفة الأبّي	828 هـ	143
82.	محمد بن سالم الزناتي	848 هـ	340
83.	محمد بن الطيب (القاضي الباقلاني)	403 هـ	302
84.	محمد بن العباس العبادي	871 هـ	122
85.	محمد بن عبد الرحمن (ابن جلال)	981 هـ	120
86.	محمد بن عبد الله (أبو بكر ابن العربي)	543 هـ	158
87.	محمد بن عبد الوهاب الجبّائي	303 هـ	136
88.	محمد بن علي بن أبي شريف	920 هـ تقريبًا	188
89.	محمد بن علي بن سعيد	ـــــ	128
90.	محمد بن عمر الملالي	897 هـ	121
91.	محمد بن قاسم بن توزت	ـــــ	122
92.	محمد بن قاسم الرصاع	894 هـ	169
93.	محمد بن كعب القرظي	120 هـ	381
94.	محمد بن محمد بن عرفة	803 هـ	142

(8) فهرس المصادر والمراجع

أولاً ـ المصادر المطبوعة :

1. القرآن الكريم برواية حفص .

2. الإتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين السيوطي ، حقق أصوله ووثق نصوصه وكتب مقدماته طه عبد الرءوف سعد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة .

3. أحكام القرآن ، لأبي بكر بن العربي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة بيروت .

4. الأدب المفرد ، للإمام البخاري ، ترتيب وتقديم كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب ، الطبعة الثانية 1405هـ ـ 1985م .

5. الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى 1408هـ ـ 1988م .

6. الأربعين في أصول الدين ، للإمام فخر الدين الرازي ، مكتب الكلية الأزهرية مصر ، الطبعة الأولى 1406هـ ـ 1986م .

7. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، لإمام الحرمين ، تحقيق : أسعد تميم ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ، الطبعة الأولى 1405هـ ـ 1985م .

8. إرشاد المريدين لفهم معاني المرشد المعين على الضروري من علوم الدين ، لعلي بن عبد الصادق الطرابلسي ، حققه وقدم له وعلق عليه د. السايح علي حسين ، جمعية الدعوة الإسلامية ، الطبعة الأولى 1369من وفاة الرسول ـ 2001م .

9. أسرار التنزيل ، للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، تحقيق : عبد القادر عطا ، مكتب الكليات الأزهرية القاهرة .

10. الإشارة إلى مذهب أهل الحق ، لأبي إسحاق الشيرازي ، تحقيق : د. محمد السيد الجليند ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، 1420هـ ـ 1999م .

11. الإصابة ، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى 1412هـ ـ 1992م .
12. أصول الأحكام ، لمنصور محمد الشيخ ، الجامعة الإسلامية ـ ليبيا .
13. إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة ، للشيخ أحمد المقري بشرح محمد الشنقيطي ، مكتبة القاهرة .
14. الأعلام ، لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة عشرة ، مايو 2002م .
15. أعلام ليبيا ، للطاهر أحمد الزاوي ، مكتبة الفرجاني ، طرابلس ، الطبعة الأولى 1381هـ ـ 1961م .
16. أعلام من طرابلس لعلي المصراتي ، دار مكتبة الفكر ، طرابلس ، الطبعة الثانية 1972م .
17. أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي ، مراجعة وتقديم د. عبد الحميد الهرامة ، كلية الدعوة الإسلامية ، الجماهيرية ، الطبعة الأولى ، 1429من ميلاد الرسول ـ 1998م .
18. أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء ، مراجعة وتقديم د. عبد الحميد الهرامة ، كلية الدعوة الإسلامية ، الجماهيرية ، الطبعة الأولى ، 1429 من ميلاد الرسول ـ 1999 إفرنجي .
19. التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية عشرة والثانية عشرة ، لمحمد بن الطيب القادري ، دراسة وتحقيق : هاشم العلوي القاسمي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1401هـ ـ 1981م .
20. إلى الدين الفطري الأبدي ، لمبشر الطرازي الحسيني ، مكتبة الخانجي ، مصر .
21. البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، وبهامشه النهر الماد والدر اللقيط ، مطبعة السعادة ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1328هـ .

22. البداية والنهاية ، لابن كثير ، مكتبة المعارف ، بيروت والرياض .
23. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع ، لمحمد بن علي الشوكاني ، حققه وقدم له د. حسين عبد الله العمري ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1419هـ ـ 1998م .
24. بلغة السالك لأقرب المسالك ، الشيخ أحمد الصاوي ، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأخيرة ، 1372هـ ـ 1952م .
25. البيان والتعريف ، لإبراهيم بن محمد الحسيني ، تحقيق : سيف الدين الكاتب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1401هـ .
26. تاج العروس ، لسيد المرتضى الزبيدي ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، بنغازي ، طبع دار صادر ، بيروت ، 1386هـ ـ 1966م .
27. تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى 463 للحافظ أبي بكر أحمد بن الخطيب البغدادي ، دار الفكر ، القاهرة .
28. تاريخ مدينة دمشق ، لابن عساكر ، دراسة وتحقيق محب الدين العمري ، دار الفكر ، بيروت ، 1415هـ ـ 1990م .
29. التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية من الفرق الهالكين ، لأبي مظفر الأسفراييني ، خرج أحاديثه وعلق عليه محمد زاهد الكوثري ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ومكتبة المثنى ببغداد ، 1374هـ ـ 1955م .
30. تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، لعلي بن الحسن ابن عساكر ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1404هـ ـ 1984م .
31. تحفة المريد على جوهرة التوحيد للإمام البيجوري ، حققه وعلق عليه وشرح غريب ألفاظه د. علي جمعة ، دار السلام ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1422هـ ـ 2002م .
32. تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث ، للدكتور الصادق عبد الرحمن الغرياني ، مجمع الفتح للجامعات ، 1989م .

33. التذكار فيمن ملك طرابلس وكان بها من الأخيار لابن غلبون ، عني بنشره وتصحيحه الطاهر أحمد الزاوي ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، 1349هـ .
34. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، للقرطبي ، تحقيق وتعليق عصام الدين الصبابطي ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1419هـ ـ 1999م .
35. تذكرة الحفاظ ، للإمام شمس الدين الذهبي ، دار الفكر العربي .
36. تراجم المؤلفين التونسيين ، لمحمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1982م .
37. الترغيب والترهيب ، لعبد العظيم المنذري ، ضبط وتعليق مصطفى محمد عمارة ، دار الجيل ، بيروت .
38. التعريفات ، لعلي بن محمد الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1405هـ .
39. التعريف والإعلام ، للسهيلي ، دراسة وتحقيق : عبد الله محمد النقراط ، كلية الدعوة الإسلامية ، ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي ، طرابلس ، الطبعة الأولى ، 1401و.ر ـ 1992م .
40. تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير ، دار إحياء الكتب العربية .
41. تفسير المنار ، لمحمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية .
42. تفسير النسفي ، لعبد الله بن أحمد محمود النسفي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
43. التفسير الموضوعي لآيات التوحيد في القرآن الكريم ، للدكتور عبد العزيز الدردير ، مكتبة القرآن للطبع والنشر ، القاهرة .
44. تقييدات في التفسير ، للعلامة محمد بن عبد الرحمن بن ذكري المغربي الفاسي ، دراسة وتحقيق د. عبد الله محمد النقراط ، الهيئة القومية للبحث العلمي ، طرابلس ، ليبيا ، الطبعة الأولى ، 2003م .

45. جامع الأمهات ، لجمال الدين عمر بن الحاجب المالكي ، تحقيق : أبي عبد الرحمن الأخضر ، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، الطبعة الثانية 1421هـ .

46. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، للسيوطي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1401هـ ـ 1981م .

47. الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1373هـ ـ 1954م .

48. جواهر البلاغة ، لأحمد الهاشمي ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، الطبعة الثالثة عشرة ، 1383هـ ـ 1963م .

49. جواهر القرآن ، لأبي حامد الغزالي ، مكتبة الجندي ، مصر .

50. حاشية ابن الأمير على إتحاف المريد ، لمحمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر النباوي الأزهري ، تحقيق : فريد المزيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1422هـ ـ 2001م .

51. حاشية الدسوقي على شرح السنوسي ، لمحمد بن أحمد الدسوقي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأخيرة ، 1358هـ ـ 1939م .

52. حاشية الشرقاوي على شرح الهدهدي ، للشيخ عبد الله الشرقاوي ، المطبعة الميمنية بمصر .

53. حاشية الصاوي على شرح الدردير على منظومته ، أحمد محمد الصاوي ، طبعت على ذمة حضرة مصطفى أفندي فهمي الكتبي وشريكيه .

54. حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين ، للشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني ، تحقيق: محمد عزت ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة .

55. حلية الأولياء ، لأبي نعيم الصفهاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

56. حواش على شرح الكبرى ، لإسماعيل بن موسى بن عثمان الحامدي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأولى ، 1354هـ ـ 1936م .

57. خريدة العجائب وفريد الغرائب ، لعمر ابن الوردي ، مطبعة مصطفى البابي الجلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الثانية .

58. الخصائص الكبرى ، لجلال الدين السيوطي ـ دار الكتب العلمية ، بيروت .

59. خلاصة تهذيب الكمال في تهذيب أسماء الرجال ، للحافظ صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1399هـ ـ 1979م .

60. دائرة المعارف الإسلامية ، النسخة العربية ، كتاب الشعب .

61. الدر المنثور ، لجلال الدين السيوطي ، دار المعرفة ، د.ت .

62. دليل المؤلفين العرب الليبيين ، إعداد أمانة الإعلام والثقافة ، طرابلس ، 1977م .

63. الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، لابن فرجون ، دراسة وتحقيق : مأمون بن محيي الدين الجبان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأول ، 1417هـ ـ 1996م .

64. ديوان ابن الفارض ، الشيخ شرف الدين أبو حفص عمر الشهير بابن الفارض ، دار الفكر العربي ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 1988م .

65. ديوان الشافعي ، محمد بن إدريس الشافعي ، جمع وتعليق سليمان سليم ، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق د.ت .

66. ذيل تذكرة الحفاظ ، للإمام الذهبي ، دار إحياء التراث العربي .

67. رجال حول الرسول ، خالد محمد خالد ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، الطبعة الممتازة ، 1388هـ ـ 1968م .

68. رحلة الحشائشي إلى ليبيا ، محمد بن عثمان الحشائشي التونسي ، تقديم وتحقيق : علي مصطفى المصراتي ، الطبعة الأولى ، 1965م ، بيروت .

69. رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، للإمام النووي ، تخريج وتصحيح : محمد سعيد النهاس ، دار الفجر للتراث ، القاهرة .

70. الرسالة ، للإمام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، الطبعة الاثنية ، 1403هـ .

71. زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم ، لمحمد بن حبيب الله الشنقيطي ، موسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ، القاهرة .

72. الزهد ، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني ، تحقيق : عبد العلي عبد الحميد حامد ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1408هـ .

73. السدير الفائح المنتخب ، لمحمد الصالح بن سليم الأوجلي ، دراسة وتحقيق : محمد بشير سويسي ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، الطبعة الأولى ، 1428هـ ـ 1998م .

74. السنة ، لعبد الله بن أحمد بن حنبل ، تحقيق : محمد السيد بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1410هـ .

75. سنن أبي داود ، للإمام أبي داود السجستاني ، مراجعة : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

76. سنن ابن ماجة ، لأبي عبد الله بن يزيد القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1419هـ ـ 1998م .

77. سنن الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، تحقيق : فؤاد أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، بيروت ، 1407هـ .

78. سنن النسائي ، بشرح الحافظ السيوطي وحاشية السندي ، دار الجيل ، بيروت .

79. الشامل في اللغة العربية ، للدكتور عبد الله محمد النقراط ، دار قتيبة ، الطبعة الأولى ، 2003م .

80. شجرة النور الزكية ، لمحمد بن مخلوف ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

81. شرح ابن عقيل ومعه كتاب منحة الجليل ، بتحقيق شرح ابن عقيل لمحمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العربية ، بيروت ، 1419هـ ـ 1998م .

82. شرح أم البراهين، لمحمد بن يوسف السنوسي، مكتبة القاهرة، الطبعة الأولى، 1400هـ .

83. شرح الحكم العطائية للشيخ أحمد زروق، حققه وضبطه أحمد زكي عطية، الجامعة الليبية، 1391هـ ـ 1971م .

84. شرح ديوان جرير بن عبد الله البجلي، تقديم وشرح تاج الدين شلق، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1415هـ ـ 1994م .

85. شرح صغرى الصغرى، للشيخ السنوسي وبهامشه المواهب اللدنية للبناني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأخيرة، 1373هـ ـ 1953م .

86. شرح العقائد النسفية، لسعد الدين التفتازاني، وبذيله حاشية الخيالي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، مصر .

87. شرح المقاصد، لسعد الدين التفتازاني، تحقيق وتعليق : د. عبد الرحمن عميرة، تصدير : صالح موسى شرف، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، 1419هـ ـ 1998م.

88. شرح المقدمات في العقائد، للشيخ السنوسي، تحقيق ودراسة : فتحي أحمد عبد الرازق، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة، مرقونة بمكتبة أصول الدين بالأزهر تحت رقم 628 .

89. شعب الإيمان ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ .

90. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه أحمد فريد المزيدي، المكتبة التوفيقية، القاهرة .

91. صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، تحقيق : شعيب الأرناؤوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، 1993م .

92. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري مع شرح النووي، المطبعة المصرية ومكتبتها .

93. طبقات الحفاظ ، لجلال الدين السيوطي ، راجع النسخة وضبطها لجنة من العلماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ الطبعة الأولى ، 1403هـ ـ 1983م .

94. طبقات الشافعية الكبرى ، لتاج الدين السبكي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية بالأوفست .

95. طبقات المالكية ، محمد البشير ظافر الأظهري ، دار الآفاق العربية ، الطبعة الأولى ، 1420هـ ـ 2000م .

96. عدة المريد الصادق ، تأليف الشيخ أحمد زروق ، تحقيق: د. الصادق عبد الرحمن الغرياني ، مكتبة طرابلس العلمية ، الطبعة الأولى ، 1996م .

97. عقيدة التوحيد في فتح الباري ، لابن حجر العسقلاني ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1399هـ ـ 1979م .

98. العقيدة في الله ، الدكتور عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، الأردن ، الطبعة الرابعة عشر ، 1433هـ ـ 2001م .

99. عقيدة المؤمن ، أبو بكر الجزائري ، دار نهر النيل للطباعة والنشر والتوزيع .

100. علماء الغلابنة وآثارهم العلمية ، مختار الهادي بن يونس ، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ، الجماهيرية ، الطبعة الأولى ، 1991م .

101. علم الكلام ، عرض ونقد للدكتور عامر النجار ، مكتبة الثقافة الدينية ، الطبعة الأولى ، 1423هـ ـ 2003م .

102. علوم الحديث لابن الصلاح ، تحقيق : نور الدين عتر ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ، الطبعة الثانية ، 1972م .

103. عمل اليوم والليلة ، للإمام أحمد بن شعيب النسائي ، دراسة وتحقيق : د. فاروق حمادة ، دار الكلم الطيب ، دمشق ، وبيروت ، طبعة دار الكلم الأولى ، 1421هـ ـ 2001م .

104. عون المعبود شرح سنن أبي داود ، لمحمد شمس الحق العظيم أبادي أبو الطيب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1415هـ .

105. غاية المرام في علم الكلام لسيف الدين الآمدي ، تحقيق حسن محمد عبد اللطيف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، 1319هـ ـ 1971م .

106. غدامس ملامح وصور ، لبشير قاسم يوشع ، نشر شخصي ، الطبعة الثانية ، 2001م .

107. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، 1380م .

108. الفردوس بمأثور الخطاب ، لأبي شجاع الديلمي ، تحقيق : السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1986م .

109. فقه الدعوة ، للدكتور جمعة علي الخولي ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1396هـ ـ 1976م .

110. الفهرست ، لمحمد بن إسحاق النديم ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .

111. فهرس مخطوطات غدامس ، إعداد بشير قاسم يوشع ، مركز جهاد الليبيين ، الطبعة الأولى ، 1986م .

112. فهرس المخطوطات بمركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، الجزء الثاني ، إعداد إبراهيم سالم الشريف ، مركز جهاز الليبيين ، الطبعة الأولى ، 2000م .

113. في رحاب اللغة العربية ، د. عبد الرحمن عطية ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، الجماهيرية ، الطبعة الثالثة ، 1395و.ر ـ 1985م .

114. القاموس المحيط ، تأليف مجد الدين بن محمد يعقوب الفيروز آبادي ، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الثانية ، 1371هـ ـ 1952م .

115. القصائد البوصيرية ، للشيخ محمد البوصيري ، الدار التونسية للنشر والتوزيع ، تونس .

116. **قواعد تحقيق المخطوطات** ، وضع الدكتور صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، الطبعة العربية الخامسة ، 1976م .

117. القول الأشبه في حديث من عرف نفسه عرف ربه ، لجلال الدين السيوطي ، تحقيق وتعليق : محمد مصطفى أبو العلاء ، مكتبة الجندي ، القاهرة .

118. كتاب العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق : د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي ، دار الهجرة ، إيران قم .

119. كتاب أصول الدين ، لعبد القاهر بن طاهر التميمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الاثنية ، 1401هـ ـ 1981م .

120. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لمحمود بن عمر الزمخشري ، مذيل بحاشيته الجرجاني وابن المنير ، شركة مكتبة ومطبعة الحلبي وأولاده بمصر ، القاهرة ، الطبعة الأخيرة ، 1385هـ ـ 1966م .

121. كشاف القناع عن متن الإقناع ، للشيخ منصور البهوتي ، عالم الكتب ، بيروت .

122. كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ، لأحمد بابا التمبكتي ، ضبط وتعليق عبد الله الكندري ، دار ابن حزم ، بيروت ، المطبعة الأولى ، 1422هـ ـ 2002م .

123. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، لعلي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري ، مكتب التراث الإسلامي ، حلب ، الطبعة الأولى ، 1391هـ ـ 1971م .

124. اللآلئ الحسان في علوم القرآن ، موسى شاهين لاشين ، دار التأليف ، مصر ، 1388هـ ـ 1988م .

125. مختار القاموس ، ترتيب الطاهر أحمد الزاوي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، 1979 ـ 1980م .

126. المستدرك على الصحيحين في الحديث ، للإمام أبي عبد الله النيسابوري المعروف بالحاكم ، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض .

127. مسند أبي يعلى ، لأحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، تحقيق : حسين سليم أسد ، الطبعة الأولى .

128. مسند أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله الشيباني ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة .

129. مصابيح السنة ، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي ، خرج أحاديثه ضحى الخطيب ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، 1419هـ ـ 1998م .

130. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، للرافعي ، تأليف : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

131. المصنف ، لابن أبي شيبة الكوفي ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ، 1409هـ .

132. المصنف ، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1408هـ .

133. معارج الوصول في أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول لابن تيمية ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، 1987م .

134. معجم أعلام الجزائر ، عادل نويهض ، مؤسسة نويهض الثقافية ، الطبعة الثانية ، 1403هـ ـ 1983م .

135. معجم أعلام النساء ، وضع محمد ألتونجي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 2001م .

136. المعجم الأوسط ، لسليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق : طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة ، 1415هـ .

137. المعجم الكبير للطبراني ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة الثانية ، 1404هـ .

138. معجم المؤلفين ، تأليف عمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

139. معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى الوقت الحاضر ، لعادل نويهض ، تقديم الشيخ حسن خالد ، مؤسسة نويهض الثقافية ، الطبعة الأولى ، 1404هـ ـ 1984م .
140. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وضع محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .
141. المقدمات الممهدات ، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي ، تحقيق : د. محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، 1408هـ ـ 1988م .
142. الملل والنحل ، لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، القاهرة ، 1381هـ ـ 1961م.
143. المنتقى شرح الموطأ ، تأليف أبي الوليد سليمان الباجي ، مطبعة السعادة ، مصر ، الطبعة الأولى ، 1331هـ .
144. المنقذ من الضلال ومعه كيمياء السعادة والقواعد العشرة والأدب والدين ، تأليف : أبي حامد الغزالي ، مكتبة الجندي ، القاهرة .
145. المنهاج في شعب الإيمان ، للحافظ أبي عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي ، تحقيق : حلمي محمد فودة ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، 1399هـ ـ 1979م .
146. المنهج السديد في شرح جوهرة التوحيد محمد الحنيفي الحلبي ، اعتنى به محمد مجاهد شعبان ، دار ابن حزم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1424هـ ـ 2003م .
147. مورد الظمآن ، لعلي بن أبي بكر الهيثمي ، تحقيق : محمد عبد الرازق حمزة ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
148. موسوعة الأديان الميسرة ، وضع جماعة من المختصين ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1417هـ ـ 1996م .
149. موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة ، الإصدار الأول ، إشراف : محمود حمدي زقزوق، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، 1421هـ ـ 2000م .

150. الموضوعات ، لأبي الفرج ابن الجوزي ، المطبعة السلفية ، الطبعة الأولى ، 1388هـ ـ 1968م .
151. ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، لأبي عبد الله بن أحمد بن عثمان الذهبي ، دار الفكر العربية .
152. ميزان العمل ، لأبي حامد الغزالي ، تقديم وتعليق د. علي بو ملحم ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1995م .
153. نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان ، لأحمد بن الحسين النائب الأنصاري ، تقديم وتعليق : د. محمد زينهم ، دار الفرجاني للنشر والتوزيع ، طرابلس.
154. النهاية في غريب الحديث ، للمبارك بن محمد (ابن الأثير) ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود الطناحي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1383هـ ـ 1963م .
155. نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول ، لأبي عبد الله محمد الحكيم الترمذي ، تحقيق وتعليق : د. أحمد عبد الرحيم السائح ، و د. السيد الجميلي ، دار الريان للتراث ، مصر ، الطبعة الولى ، 1408هـ ـ 1988م .
156. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشي ، دار إحياء التراث العربية ، ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت .
157. اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر ، وبأسفله الكبريت الأحمر تأليف عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني ، دار إحياء التراث العربي ، ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت .

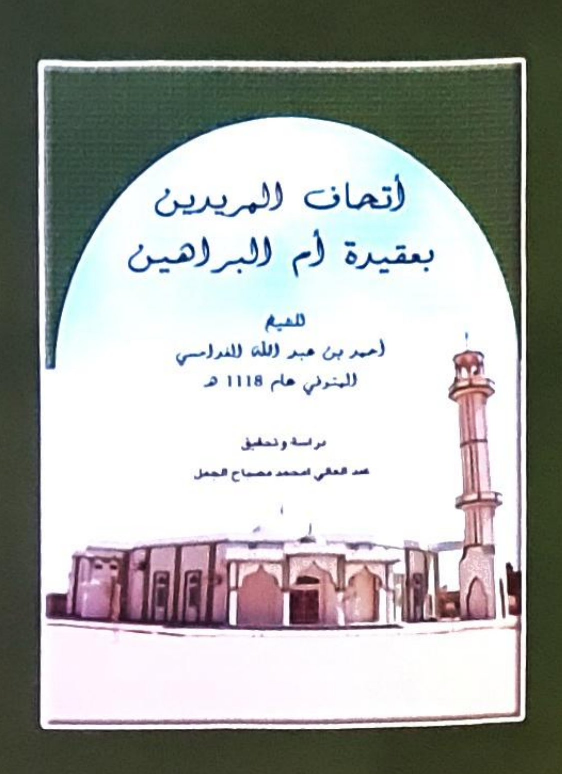
ثانياً ـ المصادر المخطوطة :

1. إرشاد خالقي ومصوري ، لمحمد بن عمر الغدامسي ، مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس رقم 2047 .
2. إرشاد المريد لجوهرة التوحيد ، لعبد السلام اللقاني ، مخطوط بمكتبة الأزهر رقم 306/ 4411 .
3. اغتنام الفوائد في شرح قواعد العقائد ، للشيخ أحمد زروق ، مخطوط بمكتبة الأزهر رقم 374/ 5127 .
4. أ ـ بغية الطالبين لما تتضمنه أم البراهين لابن المصري ، مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس رقم 2015 .

ب ـ بغية الطالبين لما تتضمنه أم البراهين لابن المصري ، مخطوط بمركز جهاد الليبيين رقم 220 .
5. تذكير الناسي وتليين القلب القاسي لمحمد بن مهلهل الغدامسي ، مخطوط بمركز جهاد الليبيين رقم 3083 .
6. حاشية ابن خدة على أم البراهين ، مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس رقم 8523 .
7. حاشية الشيخ أحمد المقري التلمساني على أم البراهين ، مخطوط بدار الكتب القومية ، بالقاهرة ، رقم 299 عقائد .
8. شرح العقيدة الوسطى للسنوسي ، مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس رقم 369 .
9. شرح الملالي على السنوسية ، للشيخ محمد الملالي ، مخطوط بمكتبة الأزهر رقم 3335 توحيد .
10. عمدة المريد لجوهري التوحيد ، لإبراهيم اللقاني ، مخطوط بمركز جهاد الليبيين رقم 281 .
11. عيون الحكم البديعة في الاختلافات بين الأشاعرة والماتريدية ، لأبي إسحاق الشيرازي ، مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس رقم 9197 .

12. كفاية المريد وحلية العبيد (اللامية الجزائرية) لأحمد بن عبد الله الجزائري الزواوي ، مخطوط بمكتبة الأزهر رقم 62/ 1304 .
13. مختصر الملالي ، لأحمد بابا التمبكتي ، مخطوط بمركز جهاد الليبيين رقم 922/ 1282.
14. المقدمات ، للشيخ ، محمد بن يوسف السنوسي ، مخطوط بمكتبة الأزهر رقم 114/ 2205 .
15. المقصد الأسمى شرح أسماء الله الحسنى ، للشيخ زروق ، مخطوط بدار الكتب الوطنية بتونس رقم 9754 .

(9) فهرس الموضوعات





الهيئة العامة للأوقاف وشؤون الزكاة

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى